

القضايا النقدية والبلاغية

في شروح حماسة أبي تمام

دكتور

عيد عبد السميع الجندي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

811.009

الجندي ، عيد عبد السميع .

غ . ١

القضايا النقدية والبلاغية في شروح حماسة أبي تمام / عيد

عبد السميع الجندي . - ط 1. - مسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

384 ص ؛ 17.5 × 24.5 سم .

تدمك : 7 - 470 - 308 - 977 - 978

1. الشعر العربي - تاريخ ونقد . 2. البلاغة العربية .

3. أبو تمام ، حبيب بن أروس بن الحارث الطائي ، 804-846 .

أ - العنوان .

رقم الإيداع : 19270 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

مسوق - شارع الشركات - ميدان المحطة

هاتف : 0020472550341 - فاكس : 0020472560281

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com

elelm_aleman@hotmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحذير :

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل

من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

2015

إهداء

إلى من أحاطتني بالرعاية والعناية حتى
خرج هذا العمل إلى النور.... إلى أختي

تحية إعزاز وتقدير و عرفان بالجميل

obeikandi.com

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع
١٤ - ٩	المقدمة
٥٦ - ١٧	التمهيد
٢٤٤ - ٥٧	الباب الأول: القضايا النقدية في الشروح
١٥٠ - ٦١	الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى:
٦١	المبحث الأول: الألفاظ
١٠٥	المبحث الثاني: المعاني
١٣٧	المبحث الثالث: التلازم بين الألفاظ والمعاني
٢٠٦ - ١٥٣	الفصل الثاني: قضية الأخذ الأدبي:
١٥٦	المبحث الأول: مقاييس الأخذ الأدبي في الألفاظ والمعاني
٢٠٠	المبحث الثاني: الشعراء الذين تأثر بهم شعراء الحماسة
٢٠٣	المبحث الثالث: الشعراء الذين تأثروا بشعراء الحماسة
٢٤٤ - ٢٠٩	الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)
٢١٣	أولاً: نقد الرواية
٢٢٢	ثانياً: نقد الرواة و شراح الشعر السابقين

٢٤٥ - ٣٦٢	الباب الثاني: القضايا البلاغية في الشروح
٢٤٧ - ٢٩٢	الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياها:
٢٥١	- التقديم والتأخير
٢٥٩	- التذكير والتعريف
٢٧٥	- أسلوب الذكر والحذف
٢٩٣ - ٣٢٨	الفصل الثاني: مباحث علم البيان وقضاياها:
٢٩٥ - ٣١٤	أولاً: التشبيه:
٢٩٦	- شرح الصورة التشبيهية وتحليلها
٣٠٩	- نقد الصورة التشبيهية
٣١٥ - ٣٢٨	ثانياً: الاستعارة:
٣١٨	- شرح الصورة الاستعارية وتحليلها
٣٢٦	- نقد الصورة الاستعارية
٣٢٩ - ٣٦٢	الفصل الثالث: مباحث علم البديع وقضاياها:
٣٣١	أولاً: الطباق والمقلبة
٣٣٧	ثانياً: الجناس
٣٤٩	ثالثاً: التحريد
٣٦٣	الخاتمة
٣٦٩	المصادر والمراجع

المقدمة

obeikandi.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

ليس من الغريب أن يحتل ديوان الحماسة لأبي تمام مكتبة كبيرة بين كتب الاختيارات في مسيرة تاريخ الأدب العربي، وذلك لأنه أول كتب الحماسة في تاريخنا الأدبي والنقدي فقط بل كذلك لأنه نابع من اختيار شاعر كبير نواقة ونقد متميز في مجال الشعر والإبداع، ألا وهو أبو تمام الذي أبدع الحماستين الكبرى - وهي مقصود الدراسة - والصغرى التي تدعى بالوحشيات، وغيره من المصنفات، إلى جانب ديوانه الشعري الذي توفر عليه عدد من الشراح المشهورين ممن لهم قف وزن بين القماء. وتأتي أهمية حماسة أبي تمام في اختلاف نوق مصنفها عن مصنف الاختيارات الأخرى، لأن الرجل شاعر لطيف الحس حسن الثقافة حافظ لتقديم الشعر، وخليق بمثله أن يكون قارئاً على التمييز، بصيراً بجيد الأشعار.

اتسمت الحماسة بأنها اختيار عمد فيه أبو تمام إلى جيد الأبيات فقتاها، مخالفاً بذلك طريقة السابقين كالمفضل والأصمعي اللذين كلاهما يختاران القصيدة برمتها. وقد أباح أبو تمام لنفسه حرية إصلاح ما يراه قلقاً من الالفاظ كما ذكر بعض شراحها كالمرزوقي^(١) وهذا منيع لايرضاء النقاد، ولعله سار في ذلك على ما فكره الأصمعي من أن الرواة قتيما كانوا يصلحون أشعار الشعراء^(٢).

وامتازت حماسة أبي تمام، بالإضافة إلى جمع أشعار القماء، بتبويبها حيث وقعت في عشرة أبواب هي: باب الحماسة، والمراثي، والأدب، والنسب، والهجاء، والأضياف، والمدح والصفات، والمزير، والملح، وباب منة النساء. والنقاد القماء مجموع على إطراء الحماسة، قال المرزوقي: "ولد وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام"^(٣)، وروى التبريزي قول بعضهم: "إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره"^(٤)، وقد اهتم بها المشتغلون في الأدب والتراث اهتماماً كبيراً حيث قلم الكثير منهم بشرحها حتى جاوزوا العشرين شارحاً أشهرهم المرزوقي والتبريزي والصولي وابن جني والأمدي والعسكري والشتري والمعرّي والمكبري. ولعل أشهر هذه الشروح شرح المرزوقي وشرح التبريزي وقد طبعا عدة طبعات، إلى جانب الشروح الحديثة مثل شرح المرصفي.

ومن هنا تنبع أهمية مختاراته الحماسية، وإن كفت قضية الحماسة هي التي تنظم كتابه. فحين يقوم شاعر بمنزلة أبي تمام ومكفته بتقديم هذه المختارات، فذلك يعني تفوق هذه الأشعار على غيرها في بلها الذي اختارها ولا أدل على مكتبة هذه الأشعار التي اختارها من شرح العلماء الكبار لها من بعده مثل المرزوقي والتبريزي، وكذلك قد جاء النقاد والشعراء من بعده ليقدموا اختيارات شعرية، ليس هذا فحسب، بل جعلوا اسمها كذلك (الحماسة) اقتداءً بلحي تمام، فكفت حماسة البحتري وحماسة البصري وحماسة المغربي وحماسة الخالدين، وغيرها من الكتب التي لا تزال مخطوطة.

(١) ابن: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: نشره لحد أمين، عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م، مقدمة الشراح، ص ١١.

(٢) ابن: المرزوقي: الموشح في ملأه لطايع على الشعراء، حمدة نشر الكتب العربية، القاهرة، ١٢٤٢ هـ ص ١٢٥.

(٣) قطر: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، مقدمة الشراح، ص ٣.

(٤) شري: شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت، (١ / ٣).

ولقد تعددت شروح ديوان الحمسة لأبي تمام وتتنوع: يتنوع مشارب الشراح ومأربهم فكل شارح ملقبه العقلي، وقدرته الخاصة على الفهم و الإدراك، فالروح التي أملت شرحه كانت تمثل جانباً من مكونات عقله وعلمه، فقد يطغى جانب على آخر في تعرضه للنصوص بالشرح والتحليل، ولكننا لا نستطيع الفصل بين تلك الجوانب بشكل محدد سائر، بحيث لا يمكننا القول إن هذا الشارح أو ذاك يهتم بجانب واحد معين، بل قد تجد الشارح الواحد يتعرض للقضايا لغوية، ونحوية، وأدبية، ونقدية... إلخ؛ ولذلك فإن هذه الشروح في حاجة دائمة إلى سبر أغوارها، والكشف عن أسرار جمالها، وتحليل موضوعاتها، وربطها بكل ما يجد في مجال الدراسات الأدبية النقدية منها والبلاغية.

وبناء على هذه الرؤية أثرت دراسة القضايا النقدية والبلاغية في شروح ديوان الحمسة لأبي تمام؛ لأسباب يمكن إجمالها في الآتي:

- كون أبي تمام يمثل نموذجاً لتقلد النقاد الأدبي في العصر الذي عاش فيه، فضلاً عن مكفة شعره في الأدب العربي، مما كان لهما عظيم الأثر في مختاراته الشعرية، التي أثرت حركة الشروح حولها بالعديد من الإضافات على المستويين النقدي والبلاغي.

- المنزلة الكبيرة التي تحتلها حمسة أبي تمام بين العلماء والأدباء، فلا نكاد نعرف أثراً من الآثار الأدبية كتبها كان أو ديوان شعر تولف عليه الشراح مثلما توفروا على شرح حمسة أبي تمام.

- أهمية شروح حمسة أبي تمام وللشروح عامة؛ إذ تمثل شروح الشعر مرحلة مهمة في تاريخ الدراسات الأدبية والنقدية للشعر العربي، فضلاً عن أن شروح حمسة أبي تمام كانت تطبيقاً لمفاهيم القضايا النقدية والبلاغية، دون التعريف بالكثير منها، فكان لزاماً على الباحث، المتقصي في الأمثلة والشواهد، والتوصل إلى المفاهيم والأسس التي سطرت عليها تلك المفاهيم في فكر شارح الحمسة من خلال شواهدهم وتقييماتهم وتعليقاتهم.

- رغبة الباحث في خدمة التراث العربي الذي يحمل في طوقه نضرة مشرفة لا يخفى نورها على الألباب.

- دراسة النقد والبلاغة من خلال الشروح تعود على الباحث بالكثير من جوانب النفع الأدبي؛ لأنها ذات بعد فكري صيق إما فيها من الجمع بين علوم النحو والبلاغة والنقد.

- السعي إلى تقديم دراسة جادة وجديدة توائم بين ما أنجزه القدماء وما وصلت إليه الدراسات الأدبية الحديثة.

- تنوع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع في كثير من الكتب؛ جعل من الضروري عمل دراسة تساهم في جلاء محتواها وإثرائها؛ كي يشكل منها في النهاية موضوعاً مترابطاً، متلاحماً، متسقاً.

كانت هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني إلى دراسة القضايا النقدية والبلاغية في شروح ديوان الحمسة لأبي تمام، دراسة تعتمد إلى حد كبير على ربط البلاغة بالنقد، من خلال عرض القضايا مع مفاهيمها ومناقشتها وتأييدها، ذلك بما تولف من شواهد؛ لكونها مثلت جزءاً حياً من تراث البلاغة والنقد الأدبي عند العرب.

تضمد هذه الدراسة على شروح ديوان الحملة لأبي تمام المطبوع منها، وما تيسر للباحث الاطلاع على المخطوط منها، وذلك حتى بدلت العصر الحديث الذي بدأ التأريخ له بخروج الحملة الفرنسية من مصر سنة ١٨٠١ م.

ومن العنوان "انضبا انتقياً والبلاغية في شروح حملة في تلم" يتحدد إطار الدراسة في اختصارها على تناول القضايا والمباحث النقدية والبلاغية التي شكلت ظاهرة في الشروح أو توافرت عند الشراح.

ومن هنا أعرضت عن دراسة بعض القضايا البلاغية - خاصة مباحث علم المعاني كالتكرار - دراسة تفصيلية، وكذلك بعض القضايا النقدية كتفسير النفس، والخيال، والصنق والكنب، والموازنة، والطبع والصنع، والعروض، والمبالغة في الشعر، وإن كنت قد أشرت إلى بعضها في ثلثي البحث.

إن هذه الدراسة لم يكن ضيقنا فيها سهلاً ميسراً على الرغم مما اعتدنا له أنفسنا من تحمل المشاق؛ نتت أن القضايا معقدة ومبثوثة في ثلثي الشروح، فكان التثني، والتأكد منها ومن شواهدنا، وضم الشبه إلى شبيهه ونظيره؛ لتناول كم مجموعة منها في مبحث مستقل، إلى حجب سعة الموضوع وحجم الشروح، وكثرة المادة انتقبة والبلاغية - ذكرنا آراء الشراح متصفاً - ما أمكن - آراء غيرهم من العلماء. ومن تلك الصعوبات أيضاً ندرة وجود بعض الشروح في المكتبات حتى سهل الله لي الحصول عليها وعلى غيرها من مصادر الدراسة عن طريق استئناذ / أراهم راشد الذي سبتي فكر سيكته بعد قليل عرفنا بتجميعه.

خف الاعتماد بنسب حملة أبي تمام العديد من الدراسات المختلفة، والتصنيف المتنوعة، ربما أهمها دراسة د/ عبد الله عبد الرحيم عيلان^(١)، حيث تتبع فيها - بكل دأب وأمانة علمية تحسب له - ما توفر من شروح ديوان الحملة، المنقود منها والموجود سواء أكان مطبوعاً أو مخطوطاً، عازياً الشروح إلى أصحابها، متتبعاً أصولها ونسخها في مختلف مكتبات العالم، موثقاً لها، مفنداً ما ورد من آراء الأبناء والمؤرخين في ثراث الألب العربي، عبر ثبت دقيق لها منذ نشأتها حتى تأريخ دراسته. و الدراسة على أهميتها إلا أنها لم تكثف عن المظاهر النقدية والبلاغية في تلك الشروح، وهو موضوع دراستنا؛ مما يضطر أراها في محيط دراستنا هذه، وغيرها مما لا يتسع المجال لمرصها هنا. لكن الذي يهمنا من هذه المصنفات ما يتصل منها بالنقد والبلاغة.

هناك دراسات نقدية حفيظة كثيرة ومتنوعة تناولت العديد من القضايا النقدية والبلاغية في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ولكن أغلبها - إن لم يكن كلها - اقتصر في دراسته على شرح واحد فقط هو شرح المرزوقي، وإغفل باقي الشروح الأخرى، التي لها مكثتها في الأخرى ودورها في فهم وتحليل الديوان، منها الدراسة التي وضعها د/ يحيى محمد أبو عيسى^(٢).

وقد عني فيها بعرض ومنقشة الآراء النقدية حول مقامة المرزوقي، وتحليلها، إلى جانب تعرضه لبعض القضايا النقدية المثبتة المبثوثة في ثلثي الشرح. وهناك دراسة د/ إلهام الموسى العبد اللوي^(٣)، حاولت فيها الكشف عن الأسس والمعايير التي تطلق من خلالها المرزوقي في شرحه للديوان، من خلال إشارات سريعة وعبرة إلى بعض

(١) بعنوان "حملة في تلم وشروحها دراسة وتحليل"، مطبعة عيسى بن أبي العلي وشركته، القاهرة، ١٤٠١هـ، ١٩٨٧م.

(٢) بعنوان "النقد الأدبي والقدرة في شرح المرزوقي ليهيوس المسنة" دار المعارف - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٢م.

(٣) مقال بعنوان "تصانير البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة" دار المرزوقي - مطبعة مجمع اللغة العربية دمشق - ص (٧٩) - ج ٣.

المباحث البلاغية والمسللت التقنية، وهناك دراسة د/أحمد صبرة^(١)، تطرق فيها إلى مستويات تحليل المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة عبر قراءة حدائيق تطبيقية، وحصرها في: المستوى الفيلولوجي (فك رموز النص اللغوي)، المستوى النحوي- المعنوي البلاغي، المستوى الدلالي. ومن الدراسات ما تقتصر على جزء من شرح الديوان، كدراسة الشيخ الضاهر بن عثور^(٢)، حيث اكتفت الدراسة بتسليط الضوء على المقدمة، وتحليلها، والكشف عن عناصر الإبداع الفني فيه. وكما ينو من عنايتها فيها لم تطرق لأي من نصوص الشرح والمرزوقي عليها، بالتحليل أو التعليق.

وهناك بعض الدراسات العامة التي استهدفت نقد بعض شراح الحماسة، مثل المرزوقي والتبريزي، كدراسة د/أحمد حماد العمري^(٣)، وقد هدفت فيها إلى دراسة مناهج شراح الشعر الجاهلي بشكل عام، معرجة فيما على منهج المرزوقي والتبريزي في شرحها. ديوان الحماسة، مسلطاً الضوء على بعض العناصر التقنية والبلاغية الواردة في شرحيهما، موضحة مظاهر التكرار والتأثر بينهما، مدعماً ذلك بالبراهين والأدلة.

وبقي لما بعد كل ذلك أن يشير إلى تلك الدراسة التي قدمها د/السيد حمدان^(٤)، فعلى الرغم من اختلاف محلها التطبيقي عن مجال دراسته، إلا أنها تبقى من أهم الدراسات التي أفاد منها الباحث. خذعة في المنهج، وفي استعارة وروم من مظاهر التكرار والتأثر بينهما، مدعماً ذلك بالبراهين والأدلة.

وتأتي دراستنا هذه لتستح ما قلنا من دراسات، بل لتكون فائدة على هصمب وحثهم؛ لاخر جها في أفضل صورة؛ لما تتم به من شمولية والشمولية التي تعتزها العديد من الدراسات. نسندة، زتها، مقرر حصاة. كما يرجو الباحث - بشروح ديوان الحماسة قديما وحديثا، بالاضافة إلى تناولها مبحث ومستر، وقصده لم تقتربها الدراسات السابقة، وأضفت نبي ه سبق وزانت عليه.

وبعد، فلن دراسته هذه تسعى من خلال ما تقدمه، أن تكون لينة جنية تضيق إلى الدراسات التقنية والبلاغية، توسع باب الانحد في شروح الشعر، التي لا تزال في حاجة متجذدة إلى قراءة تقنية منهجية تحفظ على مستوى الثوابت بين مسالك الشراح، مع التأصيل بدهم القديم بالتقديم في ضوء الحديث.

أما عن منهج الدراسة، فقد أسهمت في اختياره اعتبارات عدة، منها: طبيعة القضايا التقنية والبلاغية وتنوعها في الشروح، وعدم قيم الشراح بالتفصل بينها في الشروح، وإغفالهم لنكر الكثير من المفاهيم، بصاف إلى ذلك تعدد المناهج والدراسات التي تعرضت للقضايا التقنية والبلاغية في شعرنا العربي قديمه وحديثه؛ مما جعل طبيعة الدراسة تقتضي أن أجمع فيها أكثر من منهج، فدرست القضايا من زواياها المختلفة في الشروح؛ لإحلاء خصائصها، وفق منهج تكملي، يتسم من مجموعها ما يحتم موضوعها، ويعتمد الدلالة الفنية أسلأ يبدأ منه، ثم ينطلق في سيره لتفقد من بقي المناهج الأخرى، مثل: (الوصفي، التحليلي، الاستلضي، التقني) في محاولة للكشف عن تصورات الشراح ومقاصدهم، ومدى تطوق ذلك مع أسلافهم من خلال شواهدهم وتحليلهم، وذلك عبر قراءة وعرض النصوص، وتسجيل الملاحظات التقنية والبلاغية الموحودة في الشروح، واستبطان أو استخلاص القواعد

(١) بعنوان "شرح المرزوقي لشعره والإعراب"، الصديق للنشر والإعلان، القاهرة، د.ت.
(٢) بعنوان "شرح القصيدة الأدبية لشرح الإسم السريوني على ديوان الحماسة"، دار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، ١٣٦٨ هـ - ١٤٠٩ م.
(٣) بعنوان "شرح الشعر العائني" على حرلي، دار المعارف بمصر، ط الأولى، ١٩٨١ م.
(٤) بعنوان "نفس البلاغية والتقنية في شروح الحماسة"، رسالة دكتوراة مسبوقة، جامعة صاف، كلية الآداب، ٢٩: ١٤١٠ هـ.

والمعايير التي انطلق منها الشراح وتناولوا بها القضايا المحيطة، ثم نقيم هذه الآراء والملاحظات، وكذلك نقابيل والتراخي ووضعها في موضعها الصحيح، في ضوء المقاييس والآراء النقدية السائدة.

وقد تم الاستعانة في توضيح ذلك بكتب النقد والبلاغة المختلفة، والتعامل مع القضايا بوضعها من حيث مستلها مع المحافظة على ترابط القضايا، بلحظة بعضها إلى بعضها الآخر، لاستيضاح قسم المسائل. وهذا ما يدرج تكرار بعض النصوص التي جاءت مشتركة بين أكثر من قضية. وإذاعة هذا المنهج وتحقيقه قد رأيت أن أقسم - بعد هذه المقدمة - بدين يسبقهما تمهيد ويترهما خاتمة.

أتيت في التمهيد شروح ديوان الحماسة لأبي تمام. وعرفت بها وأصحابها تعريفًا وافيًا. وكثفت عن أمور خصتها بسماتها. وكثفت ملاحظات وتنبهات حولها.

وتحت في الباب الأول عن "القضايا النقدية في الشروح"، لمحت في الآراء والأحكام النقدية المتصلة بقضية النظم والمعنى. وقضية الأخذ الأدبي أو ما عرف في دراسات نقدية بقضية الرقائ. وقضية نقد الرواية والرواية أو ما يعرف بشوقي.

ومن هنا فقد جاء في ثلاثة فصول: الأول: تناولت فيه "قضية النظم والمعنى"، وجاء في ثلاثة منح. هي الانقضاء والمعنى، والتلازم والانحدام بين الألفاظ والمعاني.

بعد درست في الفصل الثاني "قضية الأخذ الأدبي"، وجاء هو الآخر في ثلاثة منحل. هي على الترتيب: مقير الأخذ الأدبي في الألفاظ والمعاني، وأهم الشعراء الذين تثر بهم شعراء الحماسة، والشعراء الذين تكتروا بهم.

وحصصت الفصل الثالث لدراسة "نقد الرواية والرواية"، وجاء في ثلاثة مناحث رئيسة، هي نقد الرواية القلم على نقد الرواية القلم على السيق، نقد الرواية القلم على التمهيد.

أما الباب الثاني فقد جاء تحت عنوان "القضايا البلاغية في الشروح"، وتناولت فيه الآراء والاشارات ذات الصبغة البلاغية الحالية، ملقا لما وضعه البلاغيون من تعريفات وتقريرات، مناقشا ذلك كله، ومحلولا تفسير ما لاحظته اشراج من ضواهر بلاغية عند شعراء الحماسة. وتبعنا تقسيم البلاغيين فقد حوى هذا الباب ثلاثة فصول: نيلت كز منهم بتعقيب:

الأول: تتعت فيه مباحث علم المعاني في الشروح، درست منها: التقديم والتأخير، والتكرير والتعريف، والكر والحن.

والثاني: جعلته لدراسة مباحث علم البيان، وتوجهت فيها إلى فنون التشبيه، والاستعارة، وتناولتها من ناحيتين هما اشرح والتقد.

والثالث: خصصته لدراسة مباحث علم اللميع، درست منها: الطنق، والمقفلة، والجناس، والتجريد.

وفي النهاية جاءت الخاتمة لتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ويقعها ثبت الفهارس الغنية، والمصادر والمراجع.

و من باب رد الجميل الى أهله، فلن الفصل يعود الى أسس حجة الشكوة / سيدة محمد ومصلح،
 ليس كل لرعيته البالغة، وملاحظتها الدقيقة، وبصانحه معية، اكر معي عن مواصلة البحث، فلأنسني فصل
 اتوجه، وعلى وحدي ما يقع في هذا البحث من خطأ وخطأ وشطط ورحو من انه ر يدرب عي خير الجراء، وينع
 بها طلاب العلم إنه سمع مجيب الدعاء. أما أسئلتي الشكوة / محمد السيد السوي، فكانت له عظيم الأثر في إخراج
 هذا البحث الى النور. فليسانته مني أسس أيلت الشكر والتقدير، تقاد من أخصي به من عوجة، أنزلت البصيرة،
 وشحت العربية واسكت الهممة، في تواضع حمد، وخلق سد، وكرد مسبل، بعره ش جبر، وبزك في عره ولص
 مؤنثه، وحرر في موارين حسنة، إبه معي قريب كمد توجه الشكر و لامتد الى الشكوة / السيد حمدان
 السيد سعد، لمرس تقسم، على ما أحاطني به من رعاية و فعه بعره عه موضوع ندرة التي فحت، كما
 أثرت سقا، من دراسة سلفه كثير، وما فقه من نصيح و توجه و راه سيدة سبعت في احار الموضوع،
 فحراه به عي خير الجراء.

كمد توجه بجريل الشكر والتقدير إلى أسئلتي الشكر / السيد شكوة / السيد مصري / رند / دامت حجة
 نعة عربية / حمدة الأزهري / فرع المنصورة، على ما معي به من سنوت وى ليوم، بيت من مكتبة المعرفة
 وعنه تحرير كل بعر، ومن شخصه الكريم التواضع و فة، فذ كن وما من بعره انه خير ما يحري به الأستاذ
 ش تلامذ، وار بديم عليه الصحة والعافية.

وأخيراً أشكر كل الأخوة الذين تناولوا بي بد العور والمساعدة شاء كنهة ه بحث وضعه، وسألته
 سحته وتعالى أن يحريهم جميعاً خير الجزاء، وأن يتقر من جميع، ويجعل تحت حصة توجهه الكريم، به سمع
 محب

وفرن كن هنا وبعده، وبعد حمد الله وشكره، أرى تكلمات تصادف، ولا حد من القول ما يوفي أحتي حقها،
 مني كن لها اكر الفصل على بعد والذي، إلا الدعاء لها بعه يوفي بعض ما نعر تكلمت من لشخص فقه - عن
 نوء به، اللهم برك لها وبلك فيها وبلك عليها، ووفيت الى كن خير.

وبعد، فلست أزعم أنني قلت الكلمة الأخيرة في هذا البحث، ونكي بحثت ما وسعني الاجتهاد بل كنت
 قد أصبت فذلك بتوفيق من الله، وإن كفت الأخرى فمن نفسي ... والحمد لله رب العلمين. وصلى الله وسلم على بينا
 محمد، وعلى آله واصحابه أجمعين.

"رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري واحلل عقدة من لسلي بفلقها قرلي"

{ طه : ٢٤ - ٢٧ } صلى الله عليه وسلم

عبد عبد المميع الجندى

القصيد

obeikandi.com

التمهيد

مع التطور الحضاري وارتقاء الذوق الأدبي في العصر العباسي الأول جتج الناس إلى التثاقف، وقثم لهم الأدباء ما يريهم ويرضيه، وظهرت احتيالات عدة جاءت مرتبة حسب أغراض الشعر ومعقيه؛ لتلبي تلك الحاجات، وأتم هذه المختارات ما جمعه أبو تمام الشاعر (١٩٢هـ = ٨٠٧ م / ٢٢١ هـ = ٨٤٦ م)، تحت مسمى: "ديوان الحماسة" الذي يعد - ولا يزال - موضع الإعجاب والتقدير، والنظر والفتن، بما كان في القيم والحديث، من شروح ومن نقد كذلك. وإذا كان تراثنا الأدي القديم أغلبه شعر، فطبيعي أن ينصرف الاهتمام إلى شرح شعر أكثر مما هو منصرف إلى شرح النثر؛ فالعرب أمة يمثل الشعر ديوانها، وحركة شرح الشعر هذه حركة قيمة جديدة، استلّ فيها ديوان الحماسة لأبي تمام بنصيب كبير من اهتمام النقاد والشرّاح، فلتقع بهذا الاهتمام الأدب والنقد لما انتفاع، واستفاد منه شرح الشعر بخاصة؛ أما استفادة فكفت الشروح على الديوان كثيرة غزيرة، بمقتضى ما فيه من المعاني العميقة والاستعارات البديعة.

ولأبي تمام حملة أخرى تسمى الحملة الصغرى أو اللوحيات، لكن حظ حماسيته الكبرى، أو ما يعرف بـ "ديوان الحماسة" من الشرح والتحليل، ومن غلبة التعمّد والمحدثين واحتفالهم بها، أكثر بكثير من غلبته بحماسيته الصغرى أو ما تعرف بـ (اللوحيات)، وهذا يعود لأسباب أهمها: عظم قيمة ديوان الحماسة من ناحيتين الفنية والأدبية؛ إذ أنه يعد "من الناحية الفنية معرضاً حلقاً بلوان متعددة من الشعر للجد لمصيرين من أرقى عصور العربية: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، وهو من الناحية اللغوية يرجع إليه الأدباء عند المقارنة والتحقيق، كما يستدل اللغويون والمفسرون والمحدثون والمؤلفون في الأدب بنصوصه.. ويعدّ من الناحية التاريخية حلقة في سلسلة المختارات الشعرية"^(١). كما أنه يحوي ثمانية وإحدى وثلاثين قصيدة ومتنوعة شعرية، متنوعة الأغراض، وهو بذلك يعد من دواوين الشعر العربي الكبرى. وكذلك فقد "حفظ لنا نصيباً وافراً من شعر الشعراء المغضوبين الذين ما كنا نقف على روائعهم لولا حملته"^(٢). هذا ويمثل ديوان الحماسة نموّاً بيناً لتطور الدواوين الشعرية في نواحي التنظيم والتبويب، وكذلك في نواحي الإضافة والتجديد.

وشراح ديوان الحماسة لأبي تمام كثيرون، إلا أن مصنفهم في أغلبها قد عثت بها يد الزمان فلم يبق منها إلا القليل، وقد أورد حاجي خليفة في كشف الظنون^(٣) واحداً وعشرين شرحاً، ذكرها غير مرتبة، وهناك شروح أخرى لم يأت حاجي خليفة على ذكرها، فقد أورد فزاد سزكين خمسة وثلاثين شرحاً للحماسة بلغة العربية وشرحاً واحداً بلغة الفارسية^(٤)، وقد تتبع الشروح الدكتور عبد الله عبد الرحيم صيلان^(٥) فذكر مئة وثلاثين شرحاً، وتتبعها كذلك الدكتور حسين محمد نقشه^(٦) لملوفاها على واحد وأربعين شرحاً بزيادة عشرين شرحاً على ما أورده حاجي خليفة، وسأحاول فيما يلي إحصاء هذه الشروح، مع مراعاة ترتيبها ترتيباً تاريخياً.

(١) د.لطاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الألب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٨، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م، ص ١٢٥.

(٢) د.عبد الله عبد الرحيم صيلان: حملة أبي تمام وشروحه، ص ٩٨.

(٣) قطر: حاجي خليفة: كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١ / ١٩٩ : ١٩٢).

(٤) أنظر: فزاد سزكين: تاريخ التراث العربي مقسمة ومراسلات، نقله إلى العربية د.محمود فهمي حجازي، ولغة الترجمة د.عبد المصطفى، د.محمد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م، مع ٢ / ج ١، ص ١٠٨ : ١١٧.

(٥) أنظر: عبد الله عبد الرحيم صيلان: حملة أبي تمام وشروحه، ص ٦٢ : ٦٧ حيث ذكر ١٥ شرحاً، ثم تحدث عن شرح المرصلي "أدرك الحماسة" ص ٢٠٢ : ٢١٢.

(٦) أنظر: مكنة تحقيق د.حسين محمد نقشه على شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م، ص ١٠٨ : ١١٦.

- ١ - شرح أبي بكر الصولي^(١) (ت ٣٣٥ هـ):
تكرر غير واحد^(٢)، وهو من الشروح المعقودة، التي لم تصل إلينا.
 - ٢ - شرح أبي جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المعروف بلقب النحاس^(٣) (ت ٣٣٨ هـ):
ذكره صاحب كتاب الفلاحة والملوك^(٤)، لم ألق عليه، ويبدو أنه من الشروح المعقودة.
 - ٣ - شرح أبي رياش^(٥) (أحمد بن إبراهيم الشيباني ت ٣٣٩ هـ):
ذكره غير واحد^(٦)، وهو يعد أول شارح للحملة خلافا لما نص البغدادى أن أول شارح لها هو أبو عداثة العمري^(٧)، وهو من الشروح التي مارأيت معقودة حتى الآن، التي حفظت لنا كثير من المصادر والشروح اللاحقة عليه الكثير منه، من خاتل النصوص الموثقة بين نجليها، كما سجد عند البغدادى، والنريزي، الشيباني أكثر انقراضه، وخاصة فيما يتعلق بالحلقب التاريخي، ومنسلة النصوص والحواله دوطبها، وما يتعلق بها من أخبار وأحداث حول الشعر والشعر، وهو ما يجده جليا عند النريزي الذي نقل عنه في هذا الجانب معرضا باسمه في أكثر من موضع، وهو ما يشعر^(٨) أن أدرياش زكر تركيرا بالغا على هذا الحلقب، حتى بدا شرحه وكفته محدد رصد تنوعت والأحداث التي دارت حول الشعر والشاعر^(٩)، وإن لم يخل شرحه من لمحات وإشارات حصية بثلثة^(١٠)، والشعر^(١١)، وكذلك البتة، وخاصة نقده لآني تمام الذي يرى أنه أخطأ في سنة بعض الشعر إلى خلفه^(١٢).
-
- (١) هو محمد بن يحيى بن عبد الله، ينسب إلى حقه "مولد تكير" وقد يعرف بشطرنجي، قوله الشديد بلغة الشطرنج، فكل من امر سحر له بختنصر، منهم من أضاف علماء الأديب في القرن الرابع الهجري، اسم ثلاثة من علماء من العصر، هم الراسي والمكشي والمكشي، وقد جمع ابن جبرون على أنه وقع في سنة خمس وثلاثين وشدهم المرسل في فكره في سنة ست وثلاثين، وثلاثين، وقد توفي في الصورة مشترا، وله نسبته كثيرة في الأدب، كتب له الكتب، لميل القراطة، أمدل أبي تلمع، أمدل أبي عمرو من العلماء، وغير ذلك، نص في ترجمته ابن حنكر، وحيات الأعيان، ولما أضاف اسمهم، تحقيق دلائل علمي، دار صلف، بيروت، ١٩٧٢ م، ٥٠٠/١، ومجلد إلى أبي العباس يوسف بن نوري البرقي الأتقي، الموه، الأربعة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١ م، ٣٩٦/٣، وشطرنج البغدادى، تاريخ بغداد، مكتبة المخطوطات، ١٣٤٩ هـ، ١٩٢٠ م، ٤٢٧/٢، وأبو أيركات كمال الميعة عن ترجمته بن محمد الأنسري، ترجمة الأديب، في طبقات الأديب، تحقيق إبراهيم السمرقاني، مكتبة المخطوطات، الأوس، ط ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، ٣٤٤، والفرقاني، الأعلام، دار العلم للطباعة، بيروت، ط ١٤٠٤ هـ، ٢٠٠٤ م، ١٤٦/٧.
- (٢) المعسر السبعة، وحكي حيدة كشت الصور، ١٩٢/١، ولواد مركبي، تاريخ التراث العربي، ج ٢/٢، ص ١٠٨.
- (٣) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس أبو جعفر المرادي المصري المعروف بالحلقب، للفنوي المعسر الأديب، مولده ووفاته محصور، وذكر سنة وفاته أنه جلس عند الحلقب وقطع شيئا من الفروع، ففقه بعض اللغة بسور الأيل فرفله بطله فسقط لعرق، ولم يبرأ من ذلك، وقد كس جده النحوي عن علي بن سليمان الأحمسي، وأبي بكر الأنسري، وأبي إسماعيل الرجاج، وبسطوبه وغيرهم، وروى الحديث عن شطرنجي، وكان يميل جدا، واتسع الشئ به، وله مصنفات كثيرة معبدة، منها (تفسير القرآن)، (الإنشاح والمسوح)، وشرح أبيات بسبويه، ولم يصنف منه، وشرح المعقود والرواين العشرة .. وغير ذلك.
- (٤) آخر في رحمة، ثم حنكر، وفيه الأصيل (٢٩/١)، وابن نوري، رداء النجوم للأربعة (٣٠٠/٣)، وابن كثير، التمهيد، بداية وسمه حلقب، حد من علم، وأخرون، دار الزيل لتراث، القاهرة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، (٢٢٢/١١)، وعلى بن يوسف نقضى اسمه أرواه عن يد، حد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي لمؤسسة الكتب لتتابة، القاهرة لبيروت، ط ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٦ م، ١٠١/١، ١٠١/١، شى، الأعلام (٢٠٨/١).
- (٥) انظر حد من محمد الأنسري الفلاحة والفرقاني، تقسيم دار بيت محمود انصوري، الهيئة العامة لتقصور الثقافة، سلسلة النسخ، القاهرة، ٢٠٠٣ م، صفحة مصورة، عن طبعة مكتبة ومطبعة انشعب سنة ١٣٢٢ هـ، ص ٨٠.
- (٦) هو أحمد بن إدريس بن خلف بن أبي هاشم القيسى عن - كما يقول الشطرنجى - بلغة في حفظ ليل العرب ونسبها وأشعارها، عليه بلابة في هذا أديبها وسرد حرقه، مع مصححة وبيل، واعراف وإشقي، وهو شيخ أبي عبد الله النري، أحد شراح الحملة، توفي سنة (٣٣٩ هـ).
- (٧) انظر في ترجمته دعوت بن عبد الله العموي، معجم الأديب، تحقيق دلائل علمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٩٣ م، ١٢/١، والشيباني، ليد الزوائد (٢٥/١)، (١٥٢/١)، والشطرنجى، رتبة الأديب في محاسن أهل العصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م، (٣١٢/٢)، والصديقي، طوفاي موقوفات، اعتماد فلسوت وبنير، دار نشر فوايد شفيق، فيمطلي، الشيباني، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٢ م، (١٠٥/٦)، والسويطى، بيعة الرعاة في طبقات النحوي وشعبة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م، (٢٠٩/١).
- (٨) الفصل الفلسفة، والى الأنسري، ترجمة الأديب، ص ٤٠١، ولواد مركبي، تاريخ التراث العربي، ج ٢/٢، ص ١٠٨.
- (٩) انظر: البغدادى، خلة الأديب، ألف ليل العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة المخطوطات، القاهرة، ط ١٤٠٨ هـ، ١٩٩٧ م، (٤٤١/٣).
- (١٠) دارصبيان، مجلة أبي تلمع وشروها دراسة وتعليق، ص ٣١٣.
- (١١) انظر: النريزي، شرح ديوان المعلى (٨٤/١).
- (١٢) انظر: نفسه (١١٩/١).
- (١٣) انظر: نفسه (٣١٠/١)، (١٠٧/٣)، (١٠٩/٤).

وقد حاه شرح أبي ريتر - كما يبدو لنا - قاصروا في بعض جوانب الشرح، الأمر الذي جعل أما العلماء المعري يؤلف كتابه الرياشي المصطنعي، الذي ألفه استداركا لما فاقه في شرحه، كما ذكر ابن العديم^(١).

وعلى الجملة فإن هذا الشرح لا يخلو من فائدة خاصة في الجنب التاريخي، الذي جند فيه الشارح حل جهده في الكشف عن منطبة النص، وبيان المعاني، وتوضيح المرامي المتعمقة به، وهو جانب مهم لا يمكن التغافل من قيمته، إذ أنه يمتد زاوية مهمة في فهم أسرار الحملة، وسر أغوارها.

٤ - شرح أبي محمد القاسم بن محمد الديمرتي الأصمعي^(٢) (كان حيا سنة ٣٦٤ هـ):

يبين أن للديمرتي شرحان على الحملة: أحدهما وهو - فيما ينظر - الأصل، وما أجمعت المصادر على اشتراك منه - نسمي بـ "العارض" - فكره غير واحد^(٣)، كما أشار إلى ذلك المعري في مقدمته كتابه "معاني أبيات الحسنة" بقوله: "وكان أبو ريتر أحمد بن هاشم القيسي رحمه الله أشرف علينا أكثر هذا الكتاب وقرأه بعد عليه وأنا ذاكر ما أصبه فيه وفلسه إليه كما أنسب كلا إلى أهله، وكان ما لم أنه في هذا الكتاب فهو خاطئ حطر لي لم أسمعه قبل، ولعل بعض من تقدم قد سقني إليه فله فضل السبق ولي فضل الموافقة، وبطرت في الكتاب المعروف بالعارض في الحملة المنسوب إلى الديمرتي وهو كتاب شرط فيه تفسير ما يعرض من لفظ ومعنى مخطط حط عشاء مبعد ومتدعة"^(٤)، وهو من الشروح المتفردة، التي لم تصل إليه.

والآخر: المسمى "تهب شرح الحملة"، وهو محصور بمكة لفتح باستقبال تحت رقم (٣٩٤٤)، وتوجد صورة منه بحمالة أم القرى بالملكة العربية السعودية، صورته جامعة أم القرى من مكتبة الفتح - كتبها أحمد بن عبد الله ابن هشام بن الخطمة سنة ٥٣٢ هـ^(٥)، وعلى ما يبدو أن هذا الشرح ما هو إلا " شرح ثل الديمرتي و مختصر عنه، وبشكل أن شراح الحماسة نقلوا نصرا من شرح الديمرتي وهي لا توجد لي هذا الشرح"^(٦).

٥ - شرح أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي^(٧) (ت ٣٧١ هـ):

فكره صلح كشف المتنون^(٨)، وهو من الشروح، التي لم تصل إلينا.

(١) لفر: د.عبدالله حمادة في تمام وشروها دراسة وتحليل، ص ٢١٥.
(٢) هو أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي الأصمعي، ولد بقرية من قرى أميين فيها دبرت لهوي لموي من القرن الرابع للهجري، عني في صوره نصح كتبه وفرائدها، ثم هو متخص مد أربعين سنة قرأ عليه الكتب، روى عن إيرادهم بن منويه الأصمعي، واسحق بن حبيب، ومحمد بن سهل بن الفصح، له من الكتب: كتاب تقييد الأسماء، كتاب الإبقاء، كتاب عرب الحديث ... وغيره.
أخر في ترجمته بقوت المعوي، معجم الأديباء (٣١١ / ١٤)، والتلطي: إله الرواة (٣٠ / ٣)، والموسوي: بغية الوعاة (١٦٢ / ٢) .
(٣) لفر: التفسير للشفقة، وكفرل بروكلمان: تاريخ الألب العربي، نقله إلى العربية: د.عبد العظيم النجار، دار المعارف بمصر، ط ٥، ١٩٨٣ م (٧١ / ١)، ومواد سبكي: تاريخ التراث العربي، مع ٢ / ج ١، ص ١٠٩، وتصدر كتبه: د.عبد الله عبد الرحمن عبد الله: حملة أبي مسلم وشروها دراسة وتحليل، ص ٦٣.
(٤) المعري: معاني أبيات الحماسة، تحقيق: د.عبد الله عبد الرحمن عبد الله، مطبعة النسخي بمصر، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٣ م، ص ٤٠٣.
(٥) لفر: وصف المخطوطات في مقعة د.عبد الله، لتحقيقه شرح الحملة المنسوب إلى أبي علاء المعوي، دار الفنون الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م، ص ١٦.
(٦) قطر: نفسه، ص ١٧.
(٧) هو الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، أبو القاسم عالم بالأدب، وفقيه، من الكتف: أنه شعر: أسله من أمه ومولده وولفته بالبحر، له تصنيفات كثيرة بالأدب، أهمها: الموزنة بين شعر أبي مسلم والمصري، والمؤلفات، وشمس، في أسماء الشعراء وكماهم ولتأليفهم وأسلوبهم، ونثر المتنون، وميول شعور ... وغيرها.
أخر في ترجمته: بقوت المعوي: معجم الأديباء (٧٥ / ٨)، والتلطي: إله الرواة (٢٨٥ / ١)، والموسوي: بغية الوعاة (٢١٨)، وغيره.
ولفته سنة ٣٧١ هـ وفروكلي: الأعلام (١٨٥ / ٢) .
(٨) لفر: حلمي حنية: كشف المتنون (٦٩١ / ١) .

٦ - شرح أبي الحسن علي بن محمد النوري الشافعي^١ (ت بعد ٣٧٧ هـ):

مكره لوان سرفيس^(٢١)، وهو من الشروح نفيته، في حد نص 'ابن'

٧ - شرح ابن عبد الله النعمري^(٣) (ت ٣١٥ هـ):

السمى (معقبي أبيات الحماسة)، وهو يعد من نصوص «الفتاوى لشرح حمزة أبي نصر» حتى من بعض المفسرين بل والباحثين أنه أول شارح للحماسة^{١١}. وذلك حتى نرى من اعترف بالشعرية فيه في منة شرحه لمعالي أبيات الحماسة أن جل ما في شرحه معاملة غيره من يشرح، وأنه حتى لا يتركه كأنه يعد بذكر كذلك في منة شرحه للحماسة، أن التيمم في شرحها عيب سمع تعرض^{١٢}، مما يؤكد عدم أسبقته في الشرح والتفسير للحماسة.

دیگرہ غیر واحد میں نوحہ لکھانے^(۱)، وہ کہہ کہتے "حقیقۃً" "عند اللہ" "حد تیار"^(۲)

ولقد جاء شرح العربي موجزا مختصرا، به بشر كم تحفة، به شرح حيا منصوصات من أوليا
نشرها

والشمري في شرحه مهم بمعاني الشعر - وهو - يقول - إن وفاءه من خلاف ما كان... وتفسير
لغريب من الألفاظ ونكر الروايات الواردة به، - وهذا - ونحصى، - ونم بقاءه كانت حجة شعبة وحو. مع
الشذرات أربعة وحطفاً للسلسل البلاغية والنتيجة، - وهذا - من حصر من معناه التي نوه - في مقالة خذله
يقول "هذا شرح معاني كتاب العمارة ونكر روايته التي في الحصر على صورة واحدة على ثلاث المعاني
واختلافها وإيصام الأمثل والأرذل والمكافئ: مبدأ"

أما عن مصادر هذه في شرح معاني أبيات حماسة، فيمكن - بنسبه سويح - القول أن القرآن استلهمته وشيحه مثل أبي ريثان، وقد نقل عنه في (٢١) موجد، ومثل عن خيمر في (١٢) موجد، وتثنى القرآن

(١١) هو أبو الحسن علي بن محمد الشننطلي العربي، من بني عبد ربعة شدة دابة، من الدواب، له اشتغال شروح، وشعر حسن من شتمشع (لرسامة) انتهى في المعرفة، عكش الشننطلي في الشعر - راجع في خبره - كتب قصصاً طويلة لم تكتب في غيره - له تكوير في الشعر - أسره وأندسه في الأديان، وفي سلاط العديان - في خبرهم - من مؤلفاته: كتاب التفسير، وهو مكتف كتبه - أسره الأديان وألبه - ولما نزل الشننطلي أكثر من دابة - في دابة واحدة - صفة إلى رب دابة - من بني نصر - من جد جد إلى أكثر من شترين رسالة، من تعليمه الشعر والأدب، الألوأ في حجب (السننطلي)، الفوت، ومختصر في الشعر - وغيره - انظر في ترجمته بقاوت العربي، معجم الأديان (٢٧٥/٥)، دابة (٢٧٥/٥).

[illegible]

المطابق لفرصته الثماني بقيمة الدر (٢٥٢ / ٢)، والتتبع - لرو - (١٠ / ١٠)، والسيامي لغة نوعه (١٠٧ / ١)، والروكي
الأعلام (٢١٥ / ٢).

(١) انظر: البغدادي، حراسة الأئمة، باب لسبب لسبب العرب (٣ / ١٠٠).

(د) اطهر اشعره: معلى ألبت للحماسة، المنفعة ص ٢.

(٦) فقد أسفرت إليه المصنف أنكي ترجمت لحصله، مثل "شوي" مرة الأده من ٣٦٨، التي ورده باسم (مستكلا- حمامة)،
المطابق بعبارة الوعاء (٣٧٧)، وأورد به (معاني المسألة)؛ وقدر على الترتيب في كتابي شرح الحمصه على سبيل التعليل (١ /
١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١،

(٧) طبع هذا الكتاب باسم (معلى أيوغ الحاصلة) تحقيق: د/ عبد الرحيم شمس، مؤسسة علمي حصر، ٢٠٠٣ هـ ١٤٢٥ م.

(٨) تعري: معاني: أَيْلُفُ الحَمَلَةِ، هـ: ٣.

الكتب وأنها لعم المتع لأهل الرغبة والطلب، وأن الذي قصده منها لم يقصده سواء ولا يسوخ لأحد من العلماء أن يلقى بمثل ما أتاه^(١).

على أن من الأسماء والعلماء من عاب على أبي محمد الأعرابي مسلكه هذا، فيذكر بقوت الحموي عن أبي يعلى بن الهبارية الشاعر أنه قال مشيراً إلى أبي محمد الأعرابي: "تيت شعري من هذا الأسود الذي نصب نعه للرد على العلماء وتصدى للأئمة القماء، بهذا تصحح قوله وبطل قول الأوفل، ولا تحويل له فيما يرويه إلا على أبي الندي، ومن أبو الندي في العلم، لا تبح مشهور، ولا نو علم منكور"^(٢). وقد تابعه على هذا القول بقوت الحموي فنكر أن الأمر كما قال أبو يعلى^(٣).

وقد تمكن ذلك على كتابه هذا الذي بين أيدينا، فعد على نحو يرضي ميولات صاحبه النقطة، ولو أدى به ذلك إلى 'الطنع' و'التشنيع' لخدمة عرض بقدي عبه، فكن "كثيراً ما يتعسف ويشط في مناقشته لمن يتولى الرد عليهم، وليس لديه في الغالب من حجج سوى ما يرويه عن شيخه أبي الندي، هذا إلى جلب شيء من التشحج والسخرية بالعلماء"^(٤).

وقد اتحد اتفاق مع الفندجاني معرج مغير نتيجة شخصية لنقد، جعلنا نربطه بجبر الهجاء والإقذع، فبعد كل هاجس العلم / انشراح هو جمع ما اتصل بشعر وتعة من بعد أو قريب في إطار تعزيز قراءته أو ما يذهب إليه خدمة العربية، فإن العندجاني / النقد - إن صفت الشخصية عنه - سيكون يهجن أكثر خصوصية هو 'البحر' الندي ليس لتعوض في ذاتها نقد ما هو لتكتفي عليه - بوصف حل طلاقته لخدمة ثابت غنية "هتية" في نفسه، وهو ما يؤثر في حلبة القراءة للشعر التي بنت محتومة بتوجه النقد ومترعه.

وهو ما يرى أنرد في كتابه الذي بين أيدينا، إذ كل "مسئله في كتبه هو تنوع أبي عد انه التمري فيما يراه محطناً فيه فهو يحاول تصويبه، أو فيما يراه مقصراً فيه فهو يعمل على الاستدراك عليه، مثلاً أولاً ينكر البيت الذي هو محل النقاش، ثم ينقل كلام أبي عد انه حوته، ثم يشرح في الرد عليه نقلاً قال: أبو محمد الأعرابي هذا موضع العتل، وفي كل موضع يوق مثلاً من 'المثل' وتثير فيه سخرية وانذاع من مثل (أخطأت استك الحفرة)، و(عي صامت خير من عي نطق)، و(من يرفد حلم)، و(صوت امين ولست صنع)، وقول الشاعر:

يُصِيبُ وَمَا يَنْفِي وَيُظْطِي وَمَا دَرَى وَيُضِلُّ يَفْزُونُ السُّوْكَ إِلَّا غَسْلًا

وقد وصلت هذه الأمثال إلى ما يقرب من (٥٥) مثلاً، وفي مواطن كثيرة يعتمد أبو محمد الأعرابي على شيخه أبي الندي^(٥).

أما عن مأخذ الفندجاني على التمري فقد أخت صورا وأشكالا عدة، إلا أنها تدور في معظمها حول النقاط التالية: ١ - تصحيح متن بيت أخطأ أبو عبد الله في تفسيره لعدم معرفته بصحة متنه.

(١) تقتضي: إليه الرواة (١٦٨ / ٤).

(٢) بقوت الحموي: معجم الأسماء (١٦٢ / ٧)، (١٦٣).

(٣) نفسه (١٦٢ / ٧)، (١٦٣).

(٤) د/عبدالله: حملة أبي تلم وشروحيها: دراسة وتعليق، ص ٨٠.

(٥) قطر: د/عبدالله: حملة أبي تلم وشروحيها دراسة وتعليق، ص ٨١.

٢ - تصحيح نسبة الأبيات إلى فقلها.

٣ - الاستدراك على النعري بالتبعية على أمور يرى أنه كان يجب أن ينكرها.

٤ - مناقشة المعاني التي فكرها أبو عبد الله النعري في تفسيره بعض الأبيات وفي الغالب يرجع أبو محمد الأعرابي خطأ النعري في المعاني إلى عدم معرفته بقصة البيت، فهو - أي أبو محمد - يميل كثيرا إلى ضرورة ربط البيت بقصته لكي يتضح معناه^(١).

إلا أنه تجدر الإشارة إلى غلبة الطعن والتشويه على الاحتجاج والجدل في كتب الضنجاقي الذي بين أيدينا، وبالرغم من ذلك فقد تضمنت مساهمة الضنجاقي قدرا - ولو ضئيلا - من الفائدة والمنفعة لا يمكن جودها، تعود على نصوص الحملة وكيفية تعامل الشراح معها، وخاصة في جذب المعنى، من خلال ما تضمنه كتابه من مناقشات أصفت - ولو بقدر قليل - أيضا لبعض نصوص الحملة، وترجيحات تحت الشراح (النعري) على ضرورة ربط البيت بقصته لكي يتضح معناه^(٢)، وضرورة التعريف بالشعراء، وغيرها مما يمكن أن يستفيد منها كل من يتعرض للنصوص بالشرح والتفسير.

٨ - شرح أبي الفتح عثمان بن جني^(٣) (ت ٣٩٢ هـ):

لقد خصص ابن جني لديوان الحملة كتابين من مؤلفاته النقيصة: أحدهما: هو "المبجج في شرح أسماء شعراء الحملة"، وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة، وحقق أكثر من تحقيق^(٤).

والآخر: "التبعية على شرح مشكل أبيات الحملة"، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د.سيدة حامد عبد العال، د.تفريد محمد حسن، إشراف ومراجعة د.حسين نصار، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م^(٥)، وهو ما يقع في محور الدراسة، ومركزها.

(١) تنظر للعديد من الشواهد والأدلة التاريخية/دعبلان: حملة في تسميها وشرحها دراسة وتحليل، ص ٨٢، ٨٣.
(٢) انظر الأسود الضنجاقي: إصلاح ما عطف به أبو عبد الله النعري، في تعليقه على شرح النعري لتول الشاعر: حيث على المهمل لظهور أنه وبعض الرجل المدعى شفاء، ص ٦٣ (تلويط).

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، الموصل في النحوي، أشهر بدائمه اللغوية والنحوية المستقيمة التي تمهيد في كثير منها بالمعنى وبعد النظر، ولم يعرف ترويح ملاحه على وجه اللغة، بدأ في الموصل ودرس على شيوخها، ومن أشهر شيوخه أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم، واتصل بشيخه أبي علي النعماني الذي كان له أثر فمالي على ثقافته اللغوية والنحوية، واشتهر بين العلماء ودل إصنافهم بما ينتج به من علم واسع في اللغة والنحو، يقول السافري: "من جلي هو أبو الفتح عثمان ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح الفتائل وشرح المشكلات ما له، ولا سيما في علم الإعراب، فقد وقع منها على شدة الإعراب"، ويروي ياقوت أنه كان "متمنا بحدسي عينه"، وحيد ليس حتى البيت النحوي، وقبل إن كان يقول الشعر، ويجب علمه، وقد ترك ابن جني تراثا ضخما في اللغة والنحو والأدب والعروض وقرأات له من المؤلفات ما يقرب من ١٧ كتابا من أشهرها كتاب الفصيح، ومن صناعة الإعراب، والتمام في تفسير أشعر هذيل، وكتاب العروض، والنصف في شرح تسميها السافري، وكفت ولله سنة (٣٧٢ هـ).

انظر في ترجمته: المطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مكتبة المصطفى، القاهرة، ١٣٤٩ هـ، ١٩٣٠ م (١١ / ٣١١ ، ٣١٢)، وابن الأثير: زهرة الأقباء، ص ٣٢٢، والسلفري: دمية الشعر وعصرة أمل المعصر، تحقيق د.سعيد مكي المعاني، مكتبة دار المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، ص ٢٢٩، والسويطي: بركة الروع (٢ / ١٢٢)، وتلطي: إناء الروع (٢ / ٢٣٥)، وابن خلكن: وفيات الأعيان (٢ / ٢١٦)، وابن اللسان: الخليل: شفرات الذهب في أسرار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١ هـ (٢ / ١٤٠)، وياقوت الحموي: معجم الأديام (١٢ / ٨١).

(٤) سها طبعه دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، قرأه وشرحه وعلق عليه: مروان السطية، شيخ التراث، ومنها طبعه: دار القلم، دمشق، وبان المدرة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م، بتحقيق د / حسن خنداري، وهي الأصل لفلوها من أشكال التسميها والتعريف، وما بها من فهارس للموصفات والأعلام.

(٥) أي جني التبعية على شرح مشكل أبيات الحملة، تحقيق د.سيدة حامد عبد العال، د.تفريد محمد حسن، إشراف ومراجعة د.حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

فكتب ابن جني المسمى "التنبيه على شرح مشكل أبيات الحملة" هو ليس شرحاً بالمعنى المفهوم لشرح الشعر، بقدر ما هو كتاب صي فيه ابن جني بإعراب بعض شعر الحملة، وما يلحق به من اشتقاق أو تصرف أو عروض أو قواف؛ لأنه لم ير أحداً تعرض لعمل ما فيها من صنعة إعراب. وتحلى شرح أخبارها أو تفسير شيء من معقبيها إلا ما يتعد بالإعراب؛ لأن ذلك قد سبق إليه جماعة كعلي ريش، والديميرتي، والنمري، وغيرهم، وهذا ما قد أنصح عنه ابن جني في مقمعة كتابه، الذي تحدث فيه عن غرضه من الكتاب ومنهج فيه بالقول: "وقد أحببتك أيك الله إلى ملتصك من عمل ما في الحملة من إعراب وما يلحق به من اشتقاق أو تصرف أو عروض أو قواف، وتحاميت شرح أخبارها، أو تفسير شيء من معقبيها إلا ما يتعد بالإعراب فيجب لذلك نكره من حيث كان ذلك قد سبق إليه جماعة من أبي ريش والديميرتي والنمري وغيرهم"^(١).

وقد استعان ابن جني بالتحليل النحوي والصرفي للكشف عن معنى الوحدة المعجمية وتبسيطه، بشكل أصح رصد مميزات الكلمة في بنيتها الصرفية هي سبيله إلى رصد معناها؛ فاعتم ببينة الكلمة اسما كتبت أم فعلا من عدة زوايا: كالحركة والاشتقاق والفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمقصود والمعمود والمهموز والإعجم...، وككتبت جل شواهد من القرآن الكريم، والشعر العربي من عصور الاحتجاج من امرئ القيس إلى ابن هرمة الذي استشهد له بيت من الشعر، حيث يقول مثلاً، وعليه قول ابن هرمة:

فَدَعُ دَا وَلَكِنْ مَنْ يَتَأَلَّفُ نَفْعُهُ وَمَنْ هُوَ يُخْبِي خَلْفَهُنَّ الْفَصَاتِبَا

ولم يفته كذلك أن يستشهد بأراجيز العرب للمعاج ورؤية، وفي القليل النادر يستشهد بالحديث النبوي، وأمثال العرب وأقوالهم، وبعض الشواهد الشعرية يأتي منسوباً عنه وبعضها يأتي بدون نسبة، وبين شواهد أشعار للمولدين يأتي بها على سبيل الاستئناس والتمثيل.

ونظراً لاهتمام ابن جني في كتابه بالحقب النحوي والصرفي، ندد انعكس ذلك على مصارده التي اعتمد عليها في تصنيفه هذا، فجاءت جلها - إن لم يكن كلها - مصادر نحوية ولغوية صرفية، كل لا يفي على الفارسي فيها نصيب كبير، فقد أخذ عنه في أكثر من موضع^(٢)، كما نقل أيضاً عن سيبويه^(٣)، والخليل بن أحمد^(٤)، وأبي صبرة^(٥)، وكذلك الحال في أخذه من:

الأصمعي^(٦)، وأبي الحسن الأخفش^(٧). ومن مصارده شرح كتاب "المقصود والمعمود" عن يعقوب بن إسحاق السبكي^(٨)، وهي مصادر لغوية تحدد ملامح نهج ابن جني في شرحه.

وقد وظف ابن جني الجوانب المختلفة في شرحه للحملة كالرواية، والمعنى، واستعان بها على اتجاهاه الإعرابي حسب تصوّره النحوي مع شيء من التعليقات النحوية والمنطقية، وغيره من التوجيهات التي مكنت الدراسة - إن شاء الله - عن كثير من صورها وأشكالها.

(١) ابن جني: مقمعة كتف التنبيه، ص ٩.

(٢) قنطر مثلاً: ابن جني: التنبيه على شرح مشكلات الحملة، ص ١٦، ١٧٨، ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) قنطر مثلاً: نفسه، ص ١٥٤، ١٦٦، ١٢٨.

(٤) قنطر مثلاً: نفسه، ص ٢٣٦، ٤٠٨.

(٥) قنطر مثلاً: نفسه، ص ٤٤٥.

(٦) قنطر مثلاً: نفسه، ص ١٢٩.

(٧) قنطر مثلاً: نفسه، ص ١٩٧، ١٩٨، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٧.

(٨) قنطر مثلاً: نفسه، ص ٧٠، ٨٢.

٩ - شرح الحماسة المنسوب إلى أحمد بن فارس الرازي^(١) (ت ٣٩٥ هـ):

المسمى "تفسير كتاب الحماسة"^(٢)، وقد ضيع الكتاب بتحقيق د/هادي حسن حمودي ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م^(٣)، وقد استبعد بعض الدارسين^(٤) صحة نسب هذا الكتاب إلى ابن فارس، داعياً بأنه ببعض الألة والبراهين من قبيل:

١ - ورود بعض العبارات في الشرح توحى بطلاع صاحبه على شرح المرزوقي المتوفى (٤٢١ هـ) بينما وفاة ابن فارس كفت (٣٩٥ هـ).

٢ - أن لابن فارس موقفاً من حملة أبي تلم يستبعد معه أن يعود إلى شرحها، إذ عرف عنه أنه كان يهون من شأن الحملة وصاحبها^(٥).

٣ - أن الذين ترجموا لابن فارس لم يذكروا بين مصنفاته شرحاً لحملة أبي تلم، ولم نجد أحداً من شراح الحملة أشار إلى شيء من ذلك حتى صاحب كتاب كشف الظنون لم يفكر شرحاً لابن فارس في التفت الذي لورده لشرح الحملة.

مما دفع الدارس إلى الاعتقاد بأن هذا الشرح ما هو إلا "مجرد تعليقات لبعض العلماء على الحملة"^(٦).

وهو ما خالف ما ذهب إليه محقق الشرح على اعتبار أن المخطوطة التي اعتمد عليها المحقق المنسوبة لابن فارس تظهر "شخصية ابن فارس واضحة فيها، وضوحها في كتبه الأخرى وبخاصة معجمه (مقيس اللغة) و(مجل اللغة)"^(٧).

والذي يظهر لي - ولعل إليه - أن هذا الشرح لا يوجد ما يمنع من نسبته إلى ابن فارس، خاصة إذا علمنا أن ابن فارس قد اهتم بهذا الكتاب - أعني كتاب الحماسة -، وعني به عناية بالغة "حيث عول على أشعاره فيما

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو العمين، علم من أعلام فلكية والأدب والفقه، أسله من همدان ورحل إلى قزوين، ولقد صر الأئمة الأعلام من مثل ابن تيمر أحمد بن الحسن بن الخطيب رواية تطلب، قرأ عليه الشيخ الهندي والصلح بن صد وغيرهما من أصاب البيل، واستوفى الرقي في لغته، وله من الكتب كثيرة في اللغة والفقه والأدب، من أهمها: "مقيس اللغة"، "المعجم"، "المصنف"، وله شعر حسن وتوفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري.

فانظر ترجمته: ابن الأثير: نزهة الألباء ص ٢٢٠، وتعليق: إسه الرواة (١ / ٩٢ / ٩٥)، ومقالات العموي: معجم الأبناء (٤ / ٨٠ - ٩٨)، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (١١ / ٣١١)، وابن الفصيح: شذرات الذهب (٣ / ١٢٢، ١٣٣)، وابن كثير: البداية والنهاية (١١ / ٢٩٦)، وابن حلي: وفيات الأعيان (١ / ٣٥)، والتميمي: بنية الدهر (٣ / ٢١٤)، والزركلبي: الأعلام (١ / ١٢٣)، ومقدمة كتاب "تفسير كتاب الحماسة" بتحقيق د/هادي حسن حمودي تاليف النكر.

(٢) وقد لورد د/صليان في كتابه: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩١، ما يبدو أنه حاء مثبثاً في صفحة العنوان من المخطوطة على الصورة التالية "الحماسة" الأولى من كتاب الحماسة، اختيار أبي تلم حبيب بن لوس الطائي، و تفسير الشيخ أبي العباس أحمد بن فارس رحمه الله، فذكر أن من هذا الشرح نسخة مخطوطة مكتوبة لاله لي بتركيها، ولها صورة بمعهد المخطوطات العربية بدمشق، وهي بالغة لا يوجد منها إلا الجزء الأول، وبلغ في ١٢٥ ورقة وفي الورقة الواحدة ١٣ سطراً. وهي نسخة خراشبة كتبت برسم الخرافة السلطانية المملوكية الخشائية وليس عليها تزيين ويظهر أنها من القرن السابع.

(٣) أبو الحسن أحمد بن فارس: تفسير كتاب الحماسة، تحقيق د/هادي حسن حمودي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

(٤) تلمر د/صليان: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩١: ٩٢، وانظر كذلك: د/عمير نقشة: مقدمة تحقيقه لشرح ديوان الحماسة المنسوب لأبي العلاء المبري، ص ٢٢، ٢٣.

(٥) وقد اعتد في رأيه هذا على ما نقله وانضمنا من مواقف ابن فارس تجاه حملة أبي تلم، في الرسالة التي كتبها إلى محمد بن سعد الكلب، والتي وردت في مقدمة التكملة المسمية، التي يذكر فيها المبلغة في التاء على حملة أبي تلم وكسر أي مجد لحماسة لغوي مولها، فكلها صارت غلبة بصر أن يصف أحد ملها، المراد: تلمر: د/صليان: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩٢، ٩٣.

(٦) تلمر د/صليان: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩٣.

(٧) ابن فارس: تفسير كتاب الحماسة: مقدمة التحقيق ص ٣٨.

ذكره في معجماته وكتبه الأخرى. كما ذكره في مناقشته ودافع عنه واستشهد به في رسائله النقدية التي أرسلها إلى أبي عمرو بن محمد بن سعيد الكاتب. ثم فلم بتحليلها في (الحملة المحققة) (١).

وما أرجحه وأميل إليه بقوة ذكر الأتمين أن "لابن فارس كتاب (الحملة المحققة)، وتقرئ ابن النديم من بينهم - على ما نعلم - بتسمية الكتاب بـ (الحملة). فهل كان ابن النديم يقصد بـ (الحملة) ما قصده غيره بـ (الحملة المحققة) ؟ أم أنه قصد كتابا آخر غير ذلك ؟ نحن إلى هذا الاحتمال الثاني أميل. ذلك أن عنوان كتاب ابن فارس مختلف ما بين مصدر وآخر من المصادر القديمة، بالإضافة إلى أن قارئ المصنف القديمة لم يستطع استيفاء كل كتاب ابن فارس ومؤلفاته. بل إن كل المصادر التي ترجمت لابن فارس قد سهت عن ذكر مجموعة هامة من كتبه، فلا غرو إذا ما اعتبرنا هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ما أراد ابن النديم بإشارته تلك، خاصة وأن لفظ (الحملة) حين يطلق بلا تقييد إنما يراد به حملة أي تلم، فإذا ما قيد تخصصه (٢).

لقد جاء الشرح مختصرا موجزا شديد الإيجاز، لا يركز إلى مكلف الشارح، لا تشويع فيه بعض الأبيات بكثير من سطر أو سطرين، قليل الشواهد، فمثلا في الجانب اللغوي نجد الاكتفاء بليضاح معنى للكلمة بشكل موجز، ويبدو أن يتعرض شبيه من الإعراب خلال شرح الأبيات، وقليلا ما يتعرض لروايات الشعر، وأما جانب المعنى فنجد فيه صورا موجزة لمعاني الأبيات لا تعد أن تكون نثرا لها، كما لم يهتم كثيرا بالمسئل البلاغية، أو القضايا النقدية، بل كانت له في ذلك لمحات سريعة وإشارات خلطعة، أما في الجانب التاريخي فنقف في بعض الأحيان على إشارة إلى بعض عادات العرب وتقاليدهم، وقد نجد إشارة إلى مناسبة بعض الأبيات كما جاء في الحديث عن حملية بلخير (٣).

١٠ - شرح أبي هلال العسكري (٤) (ت بعد ٣٩٥ هـ):

ذكره غير واحد (٥)، ويبدو أن أبا هلال العسكري له مؤلفين حاصنين بالحملة: أحدهما : الشرح الذي نوادر ذكره في كتب النراجم والمحققين، وهو من الشروح المعقودة، التي لم تصل إلينا. وقد تعرض فيه أبو هلال العسكري لبعض المسائل اللغوية كتقليب بعض الكلمات حسب اشتقاقها المختلفة، مستشهدا بالشعر على بعض المعاني، كما أولى اهتماما خاصا ببعض القضايا النقدية من قبيل: قضية اللفظ والمعنى، وقضية المروقات ولم لا ؟ وهو نقاد متمكن من أبرز نقاد القرن الرابع، ويكتفيه معرفة كتابه المعروف بـ "الصناعين" الذي يعد معينا ينهل منه كل مشتغل بالأدب والنقد، إلى جانب ذكره لبعض أخبار الشعراء أو الترجمة لهم على نحو موجز، وبيان مناسبة بعض المقطوعات لتصحيح نسبة الشعر إلى قائله، وللكشف عن معاني الأبيات بالربط بينها وبين مناسبة قولها. الآخر : رسالة بعنوان: "رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة"، وقد قام د/عبد المجيد الإسداوي بتحقيقها، وهي

(١) ابن فارس: تفسير كتاب الحملة: مقدمة التحقيق ص ٣٥.

(٢) نظريته: ص ٣٦.

(٣) فطر: مقدمة التحقيق ص ٣٨، ٣٩، ود/اصول: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل ص ٩٣، ٩٤.

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري، وكنيته "أبو هلال"، علم من أعلام اللغة والأدب ولغته، نسبته إلى "عسكر مكرم" من كور الأهواز، وكان شاعرا له ديوان شعر، وأبنا له مؤلفات كثيرة في الأدب واللغة وشعره، أمه: "شلفيس" في اللغة، و"شروقي" في اللغة، وقطب "الصناعين"، و"ديوان المعاني"، و"المناسبات" في تفسير القرآن، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، وهو تلميذ أيضا، أما وفاته فهي على الأرجح بعد سنة ٣٩٥ هـ. اعتنق على النص الذي لونه بقوت من تصديق أبي هلال العسكري وهو كتابه "الأوائل"، وفيها يذكر أنه فرغ منه لعشر خلعت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

نظر في ترجمته: الشفادي: خزنة الأدب (١ / ١١٦)، وديوان الحموي: معجم الملوك (٦ / ١٧٧)، وديوان الحموي: معجم الأبيات: لتسم الأول من لمره ثلاث ١٣٥ - ١٣٩، والسيوطي: سيرة الولاة (١ / ٥٠٦)، وفركلي: الأعظم (٢ / ١٩١).

(٥) فطر: ديوان الحموي: معجم الأبيات (٨ / ٦٢٣)، والسيوطي: في نغمة الولاة (١ / ٥٠٦)، والشفادي: خزنة الأدب (١ / ١١٢)، (٢ / ٢٠١)، وحلمي خليفة: كتب النشيد (١ / ١٩١)، ومن قبل حفظ لنا الشفادي نصوها كثيرة عنه في شرحه للحملة، فقد نقل عنه فيما يروى

نقل (٧٥) موصفا كما لنقل إلى فلك د/صليح: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢١٥.

مضووعة متداولة^(١)، وهذه الرسالة هي غير شرح الحملة المفقودة للعسكري، "فقد نقل النبريزي نقولات كثيرة عن أبي خنبل لا تتفق مع هذه الرسالة الصغيرة"^(٢). لقد جاءت الرسالة صغيرة مختصرة، مقفاة من كل شائبة أو استطراده، خند فيها صاحبها جل جهده في التعرض لروايات الشعر، وتناول رواية بعض الإبيات بالنقد على اعتبار أنها من قبيل التصحيف، مع كثف معنى الرواية التي اختارها. وهو ما ستتطرق إليه الدراسة - إن شاء الله - بالشرح والتحليل، مع بيان أوجه النقد والبلاغة المختلفة التي تضمنتها آراء العسكري وتوجيهاته.

١١ - شرح أبي الندى محمد بن أحمد القنطري^(٣) من رجال القرن الخامس:

لم تثر المصادر التي ترجمت لأبي الندى أن له شرحاً للحملة، غير أن بعض الدارسين^(٤) استنتج من نصوص متأخرة في كتاب تلميذه أبي محمد الأعرابي الغنجاوي المسمى "إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النعماني" نبعا فسر من أبيات الحملة^(٥)، وكذلك وجود نصوص من شرحه نقلها عنه أبو الرضا الرندي في شرحه للحملة، ما يدل على وجود شرح له اختصه للحملة، ويبدو من خلال تلك النصوص عنايته بالأخبار التاريخية المتعلقة بالشاعر والشعر، إلى جانب تعرضه للشرح اللغوي بليجازه، وكذلك الشأن بالنسبة لمعاني الشعر، وفي الجلب للنقد تجد بعض الإشارات الخاطفة لبعض القضايا التقنية من قبيل قضية نحل الشعر، والطبع والصناعة^(٦)، وهو من الشروح المفقودة.

١٢ - شرح أبي الحسن علي بن الحارث البجلي^(٧) من رجال القرن الخامس:

ذكره غير واحد^(٨)، وهو مخطوط ذكر لؤاد سزكين مكان وجوده^(٩)، وهو شرح - كما قال بعضهم^(١٠) - يبدو من خلال النصوص التي وصلتنا منه أن البجلي اطلع على شرح الحملة لأبي ريثان، كما تعرض لتوثيق الشعر وتصحيح سبته إلى قائله، مع بعض الإطلاقات اللغوية في بعض المواطن، ففراه يتبته إلى معنى الكلمة بحسب

(١) أو هلال العسكري: رسالة في ضبط تعريب مؤلفي من الحملة، حققها وقدم لها د. عبد المحيد الإسدي، دار حواء للطباعة والنشر بشبها، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

(٢) دهمسي نسخة: مقنة تعقيق شرح الحملة المنسوب لأبي العلاء السعدي، ص ١٢٢.

(٣) هو محمد بن أحمد الفصفي، وصفه بقوت بله رجل واسع العلم، واسع المعرفة بقلعة وأهل العرب وأشعارها، وقد أخذ العلم عن مشايخ رفته كما كان حرصاً على أن يتلقى اللغة والشعر عن الأعراف في الدنيا، ونحضر في بلدان كثيرة، ومن أشهر تلاميذه الذين اشتهروا بالأدب عنه أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسد الضمطي، الذي بكر بقوت عنه أنه ما عرفت له شرفاً يوجب إبه، ولا تلميذاً يعول عليه غير الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسد؛ إلى روايته في كتابه عنها عن أبي الندى هذا، ومن تلاميذه أيضاً علي بن الحارث البجلي الذي صنف هو الآخر شرحاً للحملة، ولم لقد من ذكر وفاته، ويبدو أنه من رجال أوائل القرن الخامس الهجري؛ إذ إن تلميذه أبا محمد الأعرابي كان موجوداً عام ٢٢٨ هـ كما ذكره بقوت.

أخبر ترجمته. بقوت الحموي: معجم الأبياء (١٧ / ١٥٩ - ١٦٤)، وتنطقي: إله الرواة (٤ / ١٨١)، والسيوطي: مقبة الوعة (١ / ٥٢)، وكهنت: تعريب داهيول، له. جملة أبي نتم وشروحها دراسة وتحليل، فلف من ٢٢٢.

(٤) أميل: عبد الله عبد الرحيم عسيران: حملة أبي نتم وشروحها دراسة وتحليل، في تعرضه لشرح أبي الندى مقتول حسن حيثه عن الشروح المقترحة، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٥) للبريد من الشواهد والأشكال، فطر: داهيول، حملة أبي نتم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٦) هو أبو الحسن علي بن الحارث البجلي السعدي، تحدث عنه السلفوري في (نبية قصص) بسلام منقول: "عنه منقول النمل ومحموعة، ومرعى الألب ومحموعة، ومحن النمل ومحموعة، والذي تشد إليه الرحال، وتزعم نحوه الجمل، ويقصده القصص، وينتقل على مواربه الرواد"، ووصفه انتحلي بله الألباب التليف النافل، وذكر من مصنفته شرح الحملة، وكثف صناعة الشعر، ولم أجد من ذكر وفاته، ويبدو أنه من رجال النصف الأول من القرن الخامس؛ إذ في السلفوري لتسولي علم (٤٦٧ هـ) قد ترجم له في كتابه نبية قصص الذي التزم فيه بالترجمة لرحل عصره.

أخبر في ترجمته السعدي: نبية قصص وعصرة أهل الشعر، ص ٣٠٢، وبقوت الحموي: معجم الأبياء (١٥ / ٥٨)، وتنطقي: إله الرواة (٢ / ٣٧٤) (٤ / ١٨١).

(٧) فطر: بقوت الحموي: معجم الأبياء (٥ / ٤١٠)، وتنطقي: إله الرواة لتنطقي (٢ / ٢٧٥)، كما لنل إليه أبو الرضا الرندي في شرحه للحملة، وقل عنه بموصفاً كثيراً، كما نقل عنه الطبرسي في شرحه للحملة أيضاً، فطر كذلك: فؤاد سزكين: تاريخ شرات السعدي، مج ١، ص ١١٤.

(٨) فطر: فؤاد سزكين: تاريخ شرات العرب: مج ١، ص ١١٤، حيث ذكر أن المخطوط يوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٤٠٩)، أقدم القسم الأول محمول في (٣٧٥) ورقة، وورقة من وجه واحد فقط وفي كل ورقة ١٧ سطراً، و فطر كذلك: مقنة تعقيق دهمسي: مقنة شرح ديوان الحملة المنسوب للسعدي، ص ٩٨.

(٩) فطر: داهيول، حملة أبي نتم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

وجودها في سياق الكلام، دون النظر إلى معناها المجرد وهي مفردة، وربط الإعراب بمعنى الكلمة في السياق الواردة فيه، بالإصافة إلى تصميمه إشارات بسيطة للمعنى، وقصره لنسب من ألوان البلاغة وملاحظتها كالاستعارة، أما حلف النقد فقد تناول بعض القضايا النقدية في نصوص العمل، من قبيل قضية اللفظ والمعنى، وقضية المبالغة في الشعر، التي وقف منها الليثي موثقاً وسطاً، إذ لم يرفض المبالغة كلية، بل طالب بالاعتدال وعدم الإفراط إلى جانب عائلته د "شرح الغريب من المفردات والمعاني المستغلة، وتصحيح بعض مواضع الحسابات، وتبسيط الصانعات المستغلة"^(١)، وكان كثيراً ما يأخذ برأي السرياني، وأبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة والأصمعي وابن جني في جلب الإعراب، وفي شرحه للمناسبات كثيراً ما يصرح بنقل الأخبار عن أبي الندى.

وعلى كل فلشرح يعد من أدبي رفيع، وبقد طريف، لا يخلو من لفتة، خاصة في الجانب النقدي، من خلال ما يتضمنه من إسهامات وتعليقات لبعض القضايا النقدية تتم عن حس نقدي واع.

١٣ - شرح أبي سعد (أبي سعيد) علي بن محمد الكاتب^(٢) (ت ٤١٤ هـ)^(٣):

المسمى "المشور النهائي"^(٤)، ذكره صاحب كشف الظنون^(٥)، في حين نجد من الدارسين^(٦) من نسب نفس الشرح المسمى بـ "المشور النهائي" إلى شارح آخر هو:

أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين^(٧) (ت ٦٤٥ هـ): عازياً توثيقه إلى كشف الظنون، في حين أن صاحب كشف الظنون نفسه قد نص صراحة على اسم الشرح "المشور النهائي"، واسم مؤلفه وهو "أبو سعد" أبو سعيد^(٨) علي بن محمد الكاتب، وإن خالفت سنة الوفاة ما ذكره صاحب الزاوي بالوفاة^(٩).

(١) دمج منقذ، صفة تعني شرح المعاني السبوت لأبي العلاء المعري، ص ١٩.
(٢) هو علي بن محمد بن خلف، أبو سعد الكاتب القيسري، وميزان قريب من الذي للبلد بالثوب من حسان، كان من حلة الكتب المتصلة، ولزوده وسلا، وكان يسم في يد - في يده بمسند، وصف لهاه شولة "المشور النهائي" في محله، وتوفي سنة أربع عشرة وأربع مائة، بعد من صحت كتب الصو - شرح - وفاته (٧١٤ هـ)، ولعله هو، فشر - حلي خليفة كشف الظنون (٦٩٢ / ١).
أعثر برحمته ابن شكر القتيبي - الوصف، د/المسند، ص ١٨، بيروت، ١٩٧٢ م (٧٤ / ٢) والتركلي، الأعلام (١٠ / ٣٣٦).

(٣) حتى خيبة كتب الصو (٦٩٢ / ١).

(٤) صغ تحقيق ودراسة د/عبد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الهليل مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٢ م.
ولعله غير كتاب "المشور النهائي" لأبي سعيد القيسري محمد بن علي بن خلف الهمداني (ت ٤١٤ هـ)، وإن كل هو الآخر شرح للمعدة، ولكن حصة - في أعند كتاب "معاني أبي تامل" مصدراً للمطالع لا يتفرقه - من رصمه هو - لقد صمما أشعل من اختياراته، شملت عدداً كبيراً من الشعراء، منهم من شعراء عصره ابن بركة السعدي، والشريف الرضي، وكل لأشعل أبي تامل النصيب الأولي، فطر علي بن محمد من خلف الهمداني: المشور النهائي، انظر دراسة: علقة خنري، نشر المطبوع في الأدب العربي، المشور النهائي "بمعنا" - مفكرة متعة ليل من بركة السعدي في الأدب العربي، تلخص الشعرية العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وأدبها، جامعة أمجد العاص لخصر، بركة، العراق، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ١٨، وانظر كذلك: علي بن خلف الهمداني، المشور النهائي، دراسة وتحقيق د/عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد العزيز الهليل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٢ م.
(٥) حتى حلة كتب الظنون (٦٩٢ / ١).

(٦) انظر د/عبد الرحمن: حصة أبي تامل وشروها دراسة وتحليل، ص ١٧، وتلعه في هذا الرشد د/علي حمودان مقدمة تحقيق شرح الحصة لأشعل اشعري، ص ٥٠.

(٧) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله، أبو علي، أذربايداني الأنطلسي النحوي الملقب بالشلوبين أو الشلوبين، اسم النحوي والشلوبين في لغة الأنطلسيين: هو الأبيص، الأشرف، مولده في سنة اثنين وستين وخمسة مائة، وبها وفاته في صدر سنة خمس وأربعين وستة مائة، ومع من أبي بكر بن الفراء، وأبي عبد الله بن روقون، وأبي محمد بن بويه، وأبي زيد السهيلي، وعد المصنف بن النرين، وطبقه وله اجرة حصة من أبي تامل السعدي، وأبي بكر بن جيز، وأبي تامل من حبيش امتص من المع. ورسي في حمراء لأن أله مثل خفا لابي الله، وله مساع كثير. ولعله اشعري ابن ملكون، وأبي الحسن بنجة. وكل إيمان في العربية لا يشق غيره ولا يحل في اللغة، وأند عنه علم لا يهين، وقد اشهر بمدة المراج، وتروى عنه حكايات في اللغة. له تصليف مفيدة، منها "تقوس" في علم العربية، وتشرح الشبهة المروية في النحو - و غيره.

انظر في ترجمته ابن خلكر، وفیات الأعيان (٣٨٢ / ١)، والقاضي: إنبه الرواة (٣٢٢ / ٢)، والذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق الشيخ الأريزوت محمد بن محمد بن العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م (الطبعة ٢٤ / مسافة الحرة ٢٣ / ص ٢٠٧، ٢٠٨)، والتركلي، الأعلام (١٢ / ٥).

(٨) انظر حلي خليفة كشف الظنون (٦٩٢ / ١)، والمصنف: الزاوي بالوفاة (٧٤ / ٣).

وهذا الشرح لأبي سعيد علي بن محمد الكاتب وإن كان هو الآخر شرحاً للحملة، ولكنها حماسية - وإن اعتمد كتاب "حملة أبي تلم" مصدراً أساسياً لاختياراته - من وضع الشارح نفسه، فقد وضعها أشعار من اختياراته، شملت عدداً كبيراً من الشعراء، منهم من شعراء عصره: ابن فباله السعدي، والشريف الرضي، وإن كان لأشعار أبي تمام النصيب الأولى، فللكاتب يحتوي "عدداً كبيراً من الاختيارات الشعرية التي اصطفاها مؤلفه حسب منهج اخطفه ورسمه نفسه، واعتقد كتاب "حملة أبي تلم" مصدراً أساسياً لاختياراته، كما استعمل بغيره من المصادر الأخرى، وقد تنوعت اختياراته شملت عدداً كبيراً من الشعراء، فيهم المشهور والمغمور والمكثر والمقل والنحل وغيره، والمتنم والمحدث، ومن له ديوان، ومن تناثر شعره في طيات الكتب، كما اختار لشعراء عصره، كإبن تقيّة السعدي والشريف الرضي، وكان لأشعار أبي تمام النصيب الأوفى، فقد أورد له الهمذاني كثيراً من شعره في مواطن متعينة من كتبه^(١). أما عن سر اختيار الشارح هذا العنوان لكتبه، هو في مجمله سر لا يتجاوز حب المؤلف لدهاء الدولة بن بويه الذي نسب الكتاب إليه، وفاءه واحترامه، وتقديره البالغ له، إضافة إلى ذكر زمن تأليفه، ولا يبعد أن يكون المؤلف قصد من هذه التسمية الإشهار لكتبه، ولتسب نوال السلطان وعطائه، خاصة إذا علمنا أن ذلك الأمر كان "سنة في عصره، وقبله وبعده، فقد عرف عنهم نسبة كتبه إلى أشخاص كانت لهم مكفّتهم وفضلهم، كما صنع أبو علي الفارسي، حينما نسب أحد كتبه إلى عضد الدولة البويهني فسماه "الإيضاح العضدي"، وكما صنع أحمد بن فارس، حينما سمى أحد كتبه "الصاحبي في فقه اللغة العربية، وسنن العرب في كلامها" نسبة إلى الصاحب بن عباد، وغير أولئك كثير"^(٢). وعلى المجمل بعد شرح الحملة لأبي سعيد علي بن محمد الكاتب، المسمى "المختار البهتي"، شرحاً أدبياً له أهميته وقيمته اللغوية والأدبية والنقدية، فقد تضمن نشرنا احتفالاً به مؤلفه وصاحبه - غالباً - في اللفظ سهلة بسيطة، بعيدة عن الابتدال، تقرب معنى النصوص للقارئ، بأسلوب راق متكّيب، ينمي قروة القارئ اللغوية، ويزيد مخزونه من المفردات والتركيب.

١٤ - شرح أبي المظفر محمد بن آدم الهروي التحوي^(٣) (ت ٤١٤ هـ):

ذكره غير واحد^(٤)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

١٥ - شرح أبي عبد الله الخطيب الإسكالي^(٥) (ت ٤٢٠ هـ)، صاحب "مبادئ اللغة":

ذكره غير واحد^(٦)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) عفاة خديجة: نثر المصنوع في الأدب العربي، المنشور البهتي "مدمجاً" مذكرة مضمنة لنقل درجة المستحق في الأدب العربي، تفحص الشعرية العربية كجالة الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية ولأدبها، جامعة الزيتونة للحاج لمصر سنة ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، ص ١٨.
(٢) عفاة خديجة: نثر المصنوع في الأدب العربي، ص ١٧.
(٣) هو محمد بن آدم بن كمال الهروي وكنيته: أبو المظفر، عالم بالأدب من أهل (هرات) بلخس، وبها نعتبه ٧٠ بدري من تاريخ مولده بطلا، ولكن يجمع المترجمون على تاريخ ولده سنة ٤١٤ هـ. له شرح الحملة، وشرح المتن، وشرح الإصلاخ، وشرح إتحاف أبي عبيد، وغير ذلك توفي بقتة.
(٤) قنر ترجمته: السيرلي: بنية اللغة (٧/١)، والمصنف: الوافي بالرفيعات (٢٢٢/١)، والوافي للمصنف: معجم الأسماء (٢٦٧/٦)، والرفيعات: الأعلام (٢٩٢/٥).
(٥) المصنف: الحملة، وقطر أيضاً: وقنر: إنباء الرواة (١٦٦/٣)، وحلبي: حليقة: كشف الظنون (١٦١/١)، وقطر: فؤاد سركين: تاريخ التراث العربي مع ١٩٨، ص ١١١.
(٦) هو محمد بن عبد الله الخطيب الإسكالي، وكنيته أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل إسكندرية، كان إسكالياً، ثم خطيباً بقرى من كنية (سفن اللغة - ط) و(بند تشري) و(درة لتزويد وغرة للقول - ط) في الآيات المنشقة، و(غلط كتاب المعنى) و(الغرة في بعض ما يغلط به أهل الآداب)، و(الطبيب الكبير - ط) بحداد، في ميسرة الملوك، وتوفي عام ٤٢٠ هـ.
قنر ترجمته: بقرى المعصومي: معجم الأسماء (٢٠/٧)، والمصنف: الوافي بالرفيعات (٢٢٧/٣)، والسيرلي: بنية الفرسا ص ٦٣.
(٦) لغز: المصنف: الصفة، وحلبي: حليقة: كشف الظنون (١٦١/١)، وقطر: فؤاد سركين: تاريخ التراث العربي مع ١٩٨، ص ١١١.

وقد سمي المرزوقي كناه هذا (شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي المعروف بكتلب الحملة)، وقد أثبت هذه التسمية في صدر مقدمته^(٢)، ولكنه اشترى تحت اسم (شرح ديوان للحملة)^(٣)، الذي يعد من أئمة شروح الحملة وأعلمها قدراً ومكفاً، وأكثرها حظوة باهتمام الأديباء والنقاد، حتى أصبح - كما يرى القطبي - بمعلية "الغاية في بلبه"^(٤)، ولا غرو في ذلك فشرح المرزوقي "يعد أكبر الشروح التي وصلت إلينا، وأكثرها غنية بمعنى الشعر، وبالقدر والموازنة، على حين لم تقتض العتلة بالغة والاستشراق، وكذا العناية التي لا إبطاء فيها بمسائل النحو والتصريف"^(٥)، وما يمتاز به من مقامة نفيسة جريئة، حافلة بالنظرات والمفاهيم النقدية المتعبدية، والتي تعد بحق وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي، كثرت حولها الدراسات، وتعمدت حولها الرؤى، أغرت بعض الباحثين إلى تخصيص دراسة قمتة بذاتها حولها^(٦).

إلى جانب ما يتميز به المرزوقي نفسه من ثقافة واسعة، وإطلاع عميق شامل على ما يتصل بالعلوم الأدبية واللغوية، انعكس على تحليله لكتابنا عبارة رصينة متخيرة، وحسن نقدي ثاقب.

ويعد المرزوقي بحق رائد المنهج الإبداعى الذي في شرح الشعر، ذلك المنهج الذي يقوم على دصمات فنية، ومفومات أدبية وعلمية، تتأزر فيما بينها لتخدم الشرح الشعري، وتضيء جوانبه، وترز سماقه ومعاقبه في أجمل صورة، وعلى أكمل وجه، من حلال إعمال العقل وكند الفكر، واستطرق النصوص بما فيها، وما وراءها، ويستند إلى المحصول النقدي الواسع في علوم اللغة والأدب، ويظهر في إطار فني بديع، بعكس ملكة صاحبه الخلاقة، الواعية للتوافق، الفاعمة لأغراض الشعر ومراميه ومعاقبه، واستغلال إمكانات اللغة واتعش في استخراج مكنس علوم اللغة، لإظهار ما يؤيد من جمال التصوير، وروعة التعبير، في إطار من حسن العرض، وكمل التحليل، وحوطة التحليل، واستعراض الروايات، ومقارنتها، واختيار أفضلها وأقربها إلى مذهب الشاعر ومقصد، ونظهر فيه ذاتية الشارح وشخصيته، وملكته الأدبية، وقترنه على بلورة الأكلار، وتقديم التصورات الممكنة، والمحملة والجائزة، في غلاف من الأسلوب الأدبي المؤثر، المحرك لمشاعر القارئ أو السامع ووجدله^(٧).

(١) أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، علم بلور من أعلام اللغة والأدب، لم تذكر المسجل الأسماء أو الترتيبية التسمية شيئاً عن حياته الرسمية أو العلمية، ولم تحدد من له، أو كيف كان يكتب قوته، كل ما نكرته أنه كلى يتولى "معلم أبناء سي بويه"، ويبدو أنه نشأ في أسهل، وتلقى العلم على أعلامها، فقد كلفت وأخيراً بالقطام والأديباء، ومن بينهم أبو علي الفارسي الذي نرا عليه المرزوقي كلف مهيوبه وتلمذ له بعد أن صغر رأساً بسنه، فهو كما وصفه يقول "غاية في الشك والفضة وحسن التصيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار، وشمايقه لا مريد غلبها في الحموية، وبل المرزوقي المظفرة ضد سي بويه، واحتوى معلماً لأزلامهم في أسهل، وقد أمسى المترحمين على أن يلقه في دي الجمعة سنة إحدى وعشرين وأربعة لم يشأ منهم أحد، وترك مصنفات كثيرة في اللغة والأدب منها: شرح الفصائل، ومنه نسخة في مكتبة برلين رقم ٧٤٤٦، وشرح أشعار هبل، وشرح التصحيح لشعر المرزوقي في شروحه للحملة (٢ / ٥٦٢، ٧٢١)، وكتلب الأرملة والأمانة طبع في مجلس في حيدر أباد الهند سنة ١٣٣٢ هـ كلف أمالي المرزوقي منه نسخة يدو للكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٠ كند.

(٢) انظر في ترجمته: يقول المصري: معجم الأسماء (٥ / ٣٥)، وانقضى: إنسان الرواة (١ / ١٠٦)، والسويدي: بغية الرواة (١ / ٤٦٦، ١٩٧)، والوركلز: الأعلام (١ / ٢١٢)، مقامة الأسد عبد السلام هارون في تحقيقه لشرح المرزوقي من ١٨ : ٢٠٠، د.عبدالله حملة في تمام وشروحها دراسة وتحليل، طبع من ٩٥، د.أحمد حملة المصري: شروح الشعر الجاهلي، مطابع الشراخ (٢ / ١١٨) وساندها.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: تحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين، مقامة المؤلف من ٣.

(٤) طبع هذا الشرح بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ومشاركة الدكتور أحمد أمين، وذلك في مطبعة لجنة التأليف بمصر عام ١٩٥١ م، وطبع عدة مرات منها المطبعة التي بين أيدينا والتي يستند عليها الدراسة وهي طبعة دار الفيل، بيروت ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.

(٥) انقضى: إنسان الرواة (١ / ١٠٦).

(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحملة، مقامة المؤلف من ١٦.

(٧) انظر على سبيل المثال: دراسة الطاهر بن عاشور: شرح الغمعة الأسماء لنشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحملة لأبي تمام، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

(٨) انظر: د.أحمد حملة المصري: شروح الشعر الجاهلي، مطابع الشراخ، ١٢٩ / ٢.

ولذلك "كانت شروحه محبوبة فنية تلمس جوهر الشعر قبل مظهره، وتصل بين الشعر والشاعر والقارئ، وترتبط بينهم برابط وثيق من المعرفة في إطار من الأسلوب الفني الجميل، الذي يخطب الأحاسيس والمشاعر قبل العقل"^(١).

لقد عمد المرزوقي في شرحه إلى نثر أبيات الحملة، مجلبها بذلك معانيها الغامضة، مهتما بجانب الرواية في إطار تحقيقه للنص، مع دقته في ضبط وتوثيق نصوص الحملة، ورجوعه إلى نسخ كثيرة، كي يتف على أنق الروايات وأصوبها وأيقها بالمعنى الذي قصده الشاعر، إضافة إلى اهتمامه بالمناسبات الخاصة بإنشاء بعض النصوص وما لذلك من أثر في توجيه فهم النص، مسلطاً الضوء على الجانب التاريخي من خلال أيام العرب، والاجتماعي من خلال النسب لبعض نصوص الحملة، صر مستويات من التحليل الفني والدلالي تساهم في كشف أغوار النص وحيلها التي قد يغفلها القارئ، متداولاً القضايا الفنية والبلاغية المختلفة بالشرح والتحليل، عابداً إلى نصوص خارجية يصلها بالنص الأصل على نحو من الاستشهاد الهادف إلى تعزيز قراءته أو ما ذهب إليه، وقد اعتمد في ذلك الشعر والمثل والقرآن الكريم والحديث الشريف.

أما عن مصادره في الشرح فهي كثيرة متنوعة، وهي على نوعين: الأول: النقل عن بعض الكنف والعلماء من مثل: كتاب العين للتحليل بن أحمد، والكتاب لمبيوه، والأمثال للأصمعي، والعقبة للمدائني، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب الترحمان لأبي عبد الله المتنع، والكامل للمبرد، ونقل عن الرقي وهو أحد شراح الحملة، وأخذ عن ابن العميد الكنف المشهور وآخرين، والنوع الثاني من مصادره السماع، ويتركز غالباً في سماعه عن شيعه أبي علي الفارسي في بعض القضايا اللغوية والنحوية، وسع من أبي عبد الله حمزة بن الحسن^(٢).

ويتميز أسلوب المرزوقي في شرحه بالدقة والوضوح، والاستقصاء والاستيعاب، والإحاطة، والشمول، وحسن التثوق، وتعتمد الثقافات، وسعة الإطلاع، تظهر حفاوته باللغة والنحو والتصرف والبلاغة بجلاء في شرحه، وهذا - إن شاء الله - ما سنراه جلياً أثناء الدراسة.

١٧ - شرح أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني^(٣) (ت ٤٣١ هـ):

ذكره بروكلمان، وأشار إلى مكان وجوده في الإسكوريال^(٤)، وأشار د/ صيلان إلى نسخة مصورة عنها في معهد المخطوطات العربية بمصر^(٥)، أما عن اسمه فـ "لم يفتخر الجرجاني لعمله اسماً خاصاً ولا قدم له مقدمة تبين خطته وعمله فيه والشخصية التي قدمه إليها، مما قد يدل على أن الاختصار والانتفاء عن التفصيل كان شعاره

(١) د/أحمد حماد المصري: شروح أشهر النحاة، مطابع الشراخ، ١٣٣٢/٢.

(٢) أنظر: د/صليان حمادة أبي تلم ونورهم، حيث كلفا مؤسسة التراث والنسخ من خلال بيل مصنف الشرح وتوثيقها الذي أورده من ٩٧، ٩٨.

(٣) هو ثابت بن محمد العدوي أبو الفتح، ولد سنة ٣٢٥ هـ في أم القيس، ولحقه من علمته، واحتج بملوكها، ولي الأئمة أملى كتبه شرح الجمل لفرجاء، على أنه رحل إلى بغداد وأقام بها طالباً للعلم وأخذ من طبعها من مثل أبي الفتح عثمان بن حنبل، وعلي بن عيسى الرضوي، وعبد السلام بن الحسن المصري، وتوفي متولاً في الحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي متولاً بمسألة سنة ٤٣١ هـ.

إحدى وثلاثين وأربعمائة. من تصانيفه حلق الثوب، معلى الشعر.

قنر في ترجمته: المصمدي: جوة المصنفين في تاريخ علماء أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياني، دار الكتاب المصري/دار للكتاب اللبناني، ١٤٥٠ هـ، قسم (١) ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ووقوت المصري: محمد الألباء (٧ / ١٤٥).

(٤) ولتتلي: إيه الرواة (١ / ٢١٣)، وتظر تعريف د/صليان له: حمادة في تلم وشروها دراسة وتحليل، حلف من ١٢٨ هـ، حلف من ١٢٨ هـ.

(٥) كارل بروكلمان، فريخ الأدب العربي (١ / ٧٩)، حيث ذكر من هذا الشرح نسخة معوضة في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٢٨٩.

(٦) د/صليان حمادة أبي تلم وشروها دراسة وتحليل، حلف من ١٢٨ هـ، حيث أشار إلى وجود نسخة مصورة عن نسخة الإسكوريال في معهد المخطوطات العربية بمصر برقم ٥١٧، فقلنا: "والشرح بخط مغربي نصيب قراءته، وعند أورقه ١٣١ ورقة في كل ورقة ٢٥ سطراً، ويبدو أنه نسخ في القرن السابع حوالي سنة (٦٤٣ هـ)"، وتظر كذلك: د/حسن نقشة: مقدمة تحقيق شرح الحملة المملوك لأبي العلماء المصري، ص ٢٦، ٢٥.

في كل شيء^(١). وهو من الشروح المختصرة والموجزة غنية بالإيجاز، بل يكاد يكون مجرد تعليقات على بعض أبيات الحملة، ولم يشملها جميعا بالشرح، اتجه فيه الشارح إلى محاولة تصحيح الأخطاء، إلى جانب تفسير الألفاظ الغريبة مع محاولة إيضاح بعض المعاني، وقد رسم الشارح لنفسه طريقة التزم بها في شرحه صر عنها في حاشية الشرح^(٢).

وهكذا يتبين لنا ما سبق أن قلناه من أن هذا الشرح موجز غنية بالإيجاز، شحيحا على الجاقين النقدي والبلاغي، إلا من بعض الإشارات الخلقة هنا وهناك؛ مما يقلل من أهميته للبحث موضوع الدراسة.

١٨ - شرح أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده^(٣) (ت ٤٥٨ هـ):

المسمى "الأنيق في شرح الحملة"، وهو شرح ضخم يقع في ستة مجلدات، ذكره غير واحد^(٤)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

أما عن منهجه في شرح الحملة فلقد كانت المصادر شحيحة في إيراد التعليقات عليه، والتي كان من الممكن أن تعطينا تصورا عن الكتاب وطريقته إلا أن "الغالب على الظن أنه قد تناول فيه نصوص الحملة وفق طريقة بعض الشراح الذين وقفوا طويلا عند الجانب اللغوي، وأدى بهم الإسهال إلى الخوض في جملة من الاستطرادات اللغوية، واستعراض ضروب الخلاف القائم في شأنها بين علماء اللغة"^(٥)، ويبدو هذا من خلال ما ورد من إشارة مقتضبة في غضون رسالة كتبها أبو الإصبع عبد العزيز ابن أرقم الواد بلسي، وهو معاصر للأحط، نال فيها منه أمور جرت بينهما، وقد قالت الإشارة بالحرف: "وكخرافته المضحكات في شرح الحملة"^(٦)، فيمكن أن تكون تلك الخرافات هي الاستطرادات مألوفة الفكر، من أخيل وإشارات لغوية لا علاقة لها بشرح النص^(٧)، وهو نبال يميل إليه البلعث أيضا خاصة وأنه يعكس الروح السائدة في تلك الفترة عند أهل المغرب العربي والأندلس، في محل التأليف والشرح من حيث التقليد والمحاكاة لنظرائهم في المشرق العربي، الذي كان يطغى عليه الجذب اللغوي وسرد القضايا الخلافية بين العلماء، شأنه في ذلك شأن الكثير من الشروح الأخرى للعامة التي انحصرت في هذا الحيز الضيق للتناول، وليس يغريب أن ينتقل هذا التأثير إلى علماء الأندلس الذين اقتفوا في كثير من ألوان الألب لثر أهل المشرق العربي في التأليف والتصنيف.

(١) د/علي حمودان: شرح حملة لي نعل للأعلام الشنيري، مقدمة التحقيق من ٤٨.

(٢) لطر د/صليان: حملة لي نعل وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٢٩، حيث أورد بعض الأمثلة والتعليقات التي تؤكد على الإيجاز الشديد الذي التزمه الشارح في نصوصه المعنوية للشرح، مثل: جلب الرواية، والمعاني، والتقدم، وكذلك الجانب التقني الذي تمثل في تكره أحيانا بعض الأسماء التي تتصاح عن مفصلات بعض الأبيات.

(٣) هو علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، وكنيته أبو الحسن، إمام في اللغة وأديبها. ولد مرسية (في شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتولى بها عام ٤٥٨ هـ نشأ في بيت علم، علمه أبوه اللغة العربية وتنمو، كل أصح كفيه. توفي أبوه وهو صغير، وشغل بنظم الشعر مد، بكر الشارحون أن ابن سيده أخذ عن صاعد الضاهي ثم أخذ عن الأندلس من المشرق، وكان من الأعمال بلغة وفنون الأدب والأخبار، وتنبس على النمط الملكي للشرقي عام ٤٦٨ هـ وكان إماما في القراءات، لغة في رواية اللغة، مشهورا بالورع ومحاربة البدع وانتدع للحمير لي الجيش معاهد العلم، ودع في أدب اللغة ومفرداتها، فمصنف للكثير من الكتب، منها: للمحسن، والمعكم، والمعيط الأعلام، وشرح ما أشكل من شعر المتنبي... وغير ذلك.

قطر في ترجمته: ابن حلكان: وفاته الأعوان (٢١٤ / ١)، ابن نشوكل: الصلاة، لطر المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦ م (٢٩٦)، والذنب: بنة الشمس في تاريخ رحل أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م، ص ٤٠٥، وإن المفري التمسلي: فتح الطب في حسن الأندلس الرطب، حققه ووضع فهرسه أبو يوسف الشيخ محمد البقاصي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م (٨٧٥ / ٢)، والركن: الأعلام (٢٦٤، ٢٦٢ / ٤).

(٤) انظر: بركات الحموي: معجم الأسماء (٢٣١ / ١٢ - ٢٣٥)، والتقطي: إنبه الرواة (٢٢٥ / ٢)، وحامي: حيلة: كشف الشنون (١ / ١٩١)، وفواد سركين: تاريخ التراث العربي: مع ٢ / ج ١، ص ١١٣.

(٥) د/علي حمودان: شرح الحملة للأعلام الشنيري، مقدمة التحقيق من ٤٩.

(٦) ابن سنام الشنيري: الخليفة في مجلس أهل الجزيرة، تحقيق د/إحسان جابر، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م، المجلد الثالث، القسم ١ / ٣٨٧.

(٧) لطر د/علي حمودان: شرح الحملة للأعلام الشنيري، مقدمة التحقيق من ٤٩.

١٩ - شرح أبي القاسم زيد بن علي الفسوي^(١) (ت ٤٦٧ هـ):

نكره غير واحد^(٢)، ومن هذا الشرح نسخة مصورة محفوظة في معهد المخطوطات العربية بقلعة بعلبك
"كتاب الحملة". لختلار أبي تلم حبيب بن أوس الطائي، مع مختصر شرحه إسماعيل الشيوخ علي بن محمد
المرزوقي^(٣)، تحت رقم (٥١٨ أ ب)، وعند أورلها (١٩٤) ورقة، وقد كتبت بخط نسخي، ويبدو أنها بخط يقرت
بن عبد الله الرومي كما جاء في آخرها، وكان الفراغ من نسخها سنة ٤٣٨ هـ وهي نسخة مصورة من مكتبة لاله
لي باستلور ورقمها في مكتبة لاله لي (١٨١٣)^(٤)، وإن شكك بعض الباحثين في مدى صحة نسخة هذا الشرح
إلى الفسوي^(٥)، وإيا ما كان الأمر، فقد جاء الشرح متصدا مختصرا، فكثيرا ما يذكر مجموعة من أبيات الحملة
تأتي مسروقة بيتا تلو بيت، وقد تصل إلى خمسة أبيات أو ستة، ثم يعقبها بعد ذلك شرح لا يتناول إلا البيت الأول من
تلك المجموعة دون غيره من الأبيات، حتى أصبح في نهاية الشرح بدأ يأخذ شكل الإيجاز في أغلب الأحيان لم
يتناول إلا بعض أبيات الحملة، بحيث أصبح شرح البيت أو البيتين لا يتجاوز سطرا واحدا، يقتصر فيه غالبا على
معاني الكلمات. إلى جانب تعرضه للعقل لروايات الشعر، وإيجازه في الشرح اللغوي إذ يكتفي بذكر معنى الكلمة
دون النظر إلى اشتقاقها ومعناها المختلفة، وتلخيص ما يعرض للإعراب، وإذا تعرض لا يتجاوز المس السريع في
كثير من الأحيان. أما جانب معاني الأبيات فقد عني به في أكثر ما يركز على تفسير معاني الكلمات، ويبدو في هذا
الجانب أثر شرح المرزوقي، إذ نجد في أكثر من موطن تقاربا ملموسا في بعض جوانب شرح المعاني بين ما لديه
وما لدى المرزوقي منه بصورة ليست ففلا حرفيا، بل فيها شيء من التصرف^(٦).

٢٠ - شرح أبي الفضل عبد الله الميكالي^(٧) (ت ٤٧٥ هـ):

نكره غير واحد^(٨)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٢١ - شرح عبد الله بن أحمد السامري^(٩) (ت ٤٧٥ هـ):

نكره غير واحد^(١٠)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) هو زيد بن علي بن عبد الله أبو القاسم الفسوي، كان علامة للسلطنة نوحيا لغويا مشاركا في عدة علوم، لُحذ شعره عن أبي الحسين
أبي لفتن أبي علي الفارسي، وروى عنه الإصحاح لفظه، ولما على الشريف أبي البركات صرو بن إبراهيم الكوفي، وأحد الحديث عن أبي فر
الهرزي وغيره، وله شرح الإصحاح في النحو لأبي علي الفارسي، وشرح الحملة لأبي تلم، وغيره. لُحذ زمانا في حلب ومشق، ومات في
طرابلس الشام في ذي الحجة سنة سبع وستين وأربعمائة.

تظهر في ترجمته: يقرت الفسوي: معجم الأبياء (١١ / ١٧٧)، وتتلطفي: إنباه الطرقة (٢ / ١٧)، وحسن حليمة: كشف الظنون
(١١٢ / ١٩١)، والسيوطي: بغية الوعاة (٢٥٠)، وقزركلي: الأعلام (٣ / ٦٠).

(٢) انظر: المصادر السابقة، وكذلك: فؤاد سركين: تاريخ التراث العربي: مع ٢/١١٣، ص ١١٣.

(٣) انظر: د/صويلح: حملة في تلم وشروحيها دراسة وتحليل، فاشش من ١٣٣٢، د/حسين نقشة، في مقمته لشرح الحملة: المنسوب
للسمري، ص ٢٦، ٢٧.

(٤) انظر الحديث عن لعمالات صفة سبب الشرح لفسوي: د/صويلح: حملة أبي تلم وشروحيها دراسة وتحليل، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٥) انظر د/صويلح: حملة في تلم وشروحيها دراسة وتحليل، ص ١٢٥، ١٢٧.

(٦) هو عبد الله بن أحمد الميكالي، وكنيته أبو تلم، لُحذ من الكتلة للشعر، من أهل حرسان، صنف لعمالي (لشار التلوق) لغزاته،
وأورد في ثبته البحر معلى ما شره ونظمه، وكذلك مقالات من كتبه المفضولة المستخرج من وصلة صاحب فوات الوفيات "عبد
الرحمن بن لعد" وأورد من شعره ما يوافق بعض ما في التبيسة، مما يؤكد أنها شخص واحد، ونكر له من المؤلفات: مفزول التلعة،
الملتعل، وميزان شعره ... وغيره.

قتر في ترجمته: ابن شلكر الكتي: فوات الوفيات (٢٧ / ٢٧).

(٧) انظر المصدر السابق، وحلي خبطة: كشف الظنون (١ / ١٩٢).

(٨) هو عبد الله بن أحمد بن الحسين السامري، وكنيته أبو الحسين، مؤيد من العلماء بالشعر ولغة، له من المصنفات: "شرح ديوان المتنبي"،
و"شرح لعتل في عيده"، وتوفي سنة ٤٧٥ هـ.

انظر ترجمته: السيوطي: بغية الوعاة (٢٧٨)، ولزركلي: الأعلام (١١ / ٦٦)، حيث نكره باسم السامري.

(٩) المصنول السيلاني، وقطر: حامي خبطة: كشف الظنون (١ / ١٩٢)، و قزركلي: كلفة: معجم المؤلفين، مطبعة الترمي، دمشق،
١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) (٢٣ / ٦)، فؤاد سركين: تاريخ التراث العربي: مع ٢/١١٣، ص ١١٣.

٢٢ - شرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعظم الشنتمري^(١) (ت ٤٧٦ هـ):

وهو عمل حليل، يعد من أهم الشروح الأندلسية للحملة في القرن الخامس الهجري، ويمكن القول أن هذا التصنيف قد جاء على مرحلتين، هما:

أ - المتن:

المسمى "كتاب الحملة ترتيب الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعظم الشنتمري (ت ٤٦٧ هـ)"، وقد طبع هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء بتحقيق د/مصطفى عليان^(٢).

وفيها قام الأعظم بتجميع نصوص الحملة من خلال روايتها المتعددة التي كانت منتشرة في الشرق والأندلس إلى زمرته، وتضمنها مؤلفاً كاملاً، بعد ترتيبها وتبويبها، وكان الأعظم أحباً أثناء استقصائه لبعض الحماسيات وتدخل بالزيادة أو الحذف عما رواه أبو تلم في حملته، وربما كان هذا هو السبب - إلى جانب الصورة الحديثة في ترتيب كل باب منها على حروف المعجم - في اعتقاد البعض أنها حملة جديدة تضاف إلى الحملات القديمة بعضهم أن يطلق عليها الحملة الأعلامية أو حملة الأعظم، مثلما نجد عند البغدادي عندما يسميها حملة الأعظم، بل نراه في بعض المواضع يشير صراحة إلى أنها حملة مستقلة قائمة بنفسها^(٣)، وكذلك بعض المعاصرين، ومرد ذلك في أغلب الظن غلب الشرح عنهم، فلم يطلعوا عليه أو يتأملوه.

والذي يظهر لي وأميل إليه أن هذه الحملة هي عين حملة أبي تمام وجمع لثلاث ما كان منثوفاً من رواياتها، وأن ليس للأعظم فيها غير التوفيق بين مختلف الروايات ومجرد ترتيب شعرها على اقوالها، الأمر الذي يجعل المشروح إنما هو من اختيار أبي تمام لا من صنعة الأعظم نفسه، وما أرححه وأميل إليه بقرينه قول بلقوت الحموي أن الأعظم "قد شرح الحملة شرحاً مطولاً ورتبها على حروف المعجم"^(٤)، إلى جانب بعض آراء القدماء والمحدثين على السواء^(٥).

وعوماً فقد تناول د/علي حمودان في مقامة تحقيقه شرح الحملة للأعظم الشنتمري تلك الآراء، وقام بتفنيدها، وتمحيصها بالأدلة والشواهد، موضحاً آراء كل من الفريقين سواء من القدماء أو المحدثين، وفق منهج علمي مدعماً بالحجة والبراهين^(٦).

(١) هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأسلمي، وكنيته أبو المحام، المعروف بالأعظم، علم بالأدب واللغة، ولد في شنتمرية بالقرب بالأندلس وبها استقر، ورحل إلى أرضه، وكتب بمصر في أمر عمره، ومات في شبابه عام ٤٧٦ هـ، وكل مشتق الشدة عليه، لفتنه بالأعظم، ومن شيوخه: أبو بكر مسلم بن عبد العزيز المعروف بابن ألع النعوي الأدبي، وأبو تلم إبراهيم بن محمد بن رقباء، فردي المشهور بابن الأندلسي، وأبو سهل يوسف بن أحمد بن يوسف الحراني العدني، ومن مصنفاته: "شرح الشراء الصلة"، "شرح ديوان رهيو بن أبي سلمى"، "شرح شواهد مبهمة"..... إلخ.

انظر ترجمته: ابن بطم الشنتمري: المجلد ٢ / ٤٧٤ - ٤٨٤، وابن بشكوال: الصلة (٢٤٣)، وبلقوت الصوي: معجم الأسماء (٧ / ٣٠٧)، وانتقلى: إنبه الرواة (٤ / ٥٩)، ولبن خلكن: وفيت الأصيل (٧ / ٨١)، والمحمدي: بقية الرواة (٢ / ٣٥٦)، المسكري: تنصلي: فتح الطب (٤ / ٣٥ - ٧٤ - ٧٩)، وابن الصلا: الحظلي: شذرات الذهب (٣ / ١٠٣)، وحملي: غاية: كتف الطون (١ / ١١٢)، والركلي: الأعلام (٨ / ٢٢٢)، ونشر ترجمته في مقامة تحقيق د/علي حمودان لشرح الأعظم الشنتمري لديوان الحملة ص ٧ وما بعدها.

(٢) الأعظم الشنتمري: كتاب الحملة ترتيب الأستاذ أبي المحام يوسف بن سليمان بن عيسى الأعظم الشنتمري، تحقيق د/مصطفى عليان، مطبوعات جامعة أم القرى، المبدية، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

(٣) انظر البغدادي: الخرافة: ٣ / ٣٣٠، ٣٣٠، ٣٣١ / ٧، ٣٣١، ٣٣٨، ٣٣٥ / ٨، ٣٣٥ / ٩، ٣٨٣ / ١، ٣٢٢ / ١.

(٤) وبلقوت الصوي: معجم الأسماء (٧ / ٣٠٨).

(٥) انظر علي مبدل الشال: رأي محقق الحملة البصرية محتر الذي لعبد ط هيدر ابن النكر، محقق الصنعة البصرية، ومقامة محبتها الأخر د/عادل سليمان جمال ط المحلل الأطل بالقاهرة.

(٦) تم تحقيق شرح الحملة للأعظم الشنتمري ص ٥٢ وما بعدها.

وقد ارتكزت رواية الأعلام للحملة على أكثر من ست روايات، أصلها رواية ثقلت، وسلك الأعلام في ترتيب نصوص الحملة منهج الأبجدية الأنطونية^(١)، وقد رتب متن الحملة في ثلاثة عشر باباً، ضمت ٩٤٠ حمالية.

ب. الشرح:

المسمى "تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني، والتخلي بالقلند من جواهر الفوائد في شرح الحملة"، فكره غير واحد^(٢)، وقد كان هذا الشرح منتشرًا في الأندلس انتشارًا كبيرًا، واحتل الخطوة عند النارسين للذئب والعلّة. وقد ألفه الأعلام الشنمري، ونسبه إلى المحدث العبادي، والد المعتمد بن عباد وأمير إشبيلية، ليفي أصله ببعض ما في عقده من دين، في أدب جم ونكران ذات. وقد أبان الأعلام عن منهجه وطريقته التي سبقتها في تناول نصوص الحملة بالشرح من خلال مقمته بالقول "تم رأيت الآن أن أختم ما اعتملت فيه قديمًا وحديثًا، من ذلك جمع كتاب في أشعار الحملة يقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقيد ألفاظها وتصحيحها، وتبين معانيها، وتقريب أغراضها، وتفسير غريبها وغموض إعرابها، حتى يكون هذا الكتاب مريبًا على جميع التأليف فيها، ومغنيًا عن استعمال التصنيفات المحيطة بها"^(٣).

حيث نراه يقدم للحملة بعبارة الإنشاد التي يتعرض فيها لاسم الشاعر ونسبه، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيع أبيات النص واحدًا واحدًا أو مثنى مثنى في أغلب الأحيان، كل ذلك وفق ما يقتضيه النص من حاجة إلى الشرح، ثم يتعرض لبعض المفردات بالتحليل على المستوى اللغوي والنحوي، مقتصدًا في تناول المعاني، محتضنًا لعدد من الشواهد المختلفة التي تدعم النص وتخدم مضمونه، سواء من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو من الأمثال والأقوال القبيحة، أو من الشعر والرجز قديمه وحديثه، ويذكر الرواية فقه يشير إلى ما اختلف منها، ويحاول استقلالها لحمة النص^(٤).

تلك هي السمات الأساسية لمنهج الأعلام في شرحه للحملة، التي تنبئ عن درجة عالية من النضج والاكتمال في التصنيف والتناول، وهي تظهر لنا مدى اعتداده واحتفائه بالحماسة وشروحها، وتؤكد ما عرف عنه من الدقة والإتقان.

٢٢. شرح عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخيري^(٥) (ت ٤٧٦ هـ):

نكره غير واحد^(٦)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) ترتيب حروف المعجم على طريقة السفرة هو: أ ب ت ج ح ذ ز ط ظ د ل م ن س ه و ي، للاستزادة انظر: مقمّة تحقيق كتاب الحملة ترتيب الأعلام الشنمري ص ١٣، ٢٥.
(٢) انظر للسفسر السابقة التي ترجمت له، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د.علي الفضل حمودان، مطبوعات مركز جامعة الملجود لثقافة والتراث ببيش، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م، وهو يقع في مجلدين كبيرين.
(٣) مقمّة شارح الحملة للأعلام الشنمري، ص ٩٢.
(٤) للمزيد انظر: مقمّة تحقيق شرح الحملة للأعلام الشنمري، ص ٦٦: ٧٧.
(٥) هو عند الله بن إبراهيم بن عبد الله الخيري، أبو حكيم، إسم القرويين، عالم بالأدب والتراثلخ والعلماء، من قباء الشافعية، نسبته إلى الخير (بفتح لسكون) من قرى شيراز، بفارس، اشتهر وقولي بهنداء، تقه على أبي إسحاق، وسمع من قتلمسي، والجوهري، له العديد من التصنيفات، أهمها: "شرح ديوان الشنمري"، و"شرح ديوان المتنبي"، و"شرح ديوان الشريف الرضي"، كان ينسخ في مصحف، فوضع قلبه وقال: إن هذا الموت مهبط طيب، ثم ملك، وذلك في ذي الحجة، سنة ٤٧٦ هـ.
(٦) انظر في ترجمته: السويطي: بغية الوعاة (٢٧٦)، والذهبي: سير أعلام النبلاء للذهبي، الطبعة الخامسة والعشرين، ويقول الحموي: معجم الأبناء (٢٨٥/٤)، والتطريز: إنبه الرواة (٢٨٥/٢)، والتطريز: إنبه الرواة (٢٨٥/٢).
(٧) انظر: بقول الحموي: معجم الأبناء (٢٨٥/٤)، والتطريز: إنبه الرواة (٢٨٥/٢).

٢٤ - شرح أبي بكر عاصم بن أيوب البلوي البطلوسي^(١) (ت ٤٩٣ هـ):

ذكره ابن خيّر الإشبيلي^(٢)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا. وهو معاصر للأعلم الشافعي الذي تعرض للحملة بالشرح أيضاً، أما عن منهجه في شرحه فـ "الغالب على الظن أنه لم يكن بعيداً كثيراً عما صنعه الأعلام، نظراً لكون الرجل في اعتقادنا ممن ترسم خطي الأعلام وسار على مذهبهم، والمقارنة بين ترتيب قصائد الشعراء الستة لحيهما وبين شرحهما تفضي إلى ذلك"^(٣). فهو على ذلك الرأي، شرح يغلب عليه الجانب التحويي واللغوي، وإن أطلت من خلاله بعض اللحنات البلاغية والتقنية على استحياء.

٢٥ - شرح أبي العلاء المعري^(٤) (ت ٤٩٩ هـ):

سماه "الرئيسي المصطلحي"، وقد ذكره غير واحد^(٥)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا، إلا أن هناك شرحاً آخر منسوب إليه^(٦)، طبع بتحقيق د. حسين محمد نقشة^(٧)، ولكنه ليس للمعري، ولم يُنسب إليه أنه شرح الحملة إلا الشرح المختصر الذي ينقل منه تلميذه الشريفي، وأسقيد الكتّاب تشهد بأنه متأخر عنه. وليس من منبج المعري أن يشرح المتن بالمعنى المصمود. غاية ما في الأمر أن النسخ أو الورق أو المالك وجد غفلاً ووجد اسم المعري في أسفله فكتب على الغلاف بخط متأخر مختلف أنه للمعري، وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد بأن هذا الشرح لأبي العلاء المعري، على نحو ما نجد مثبته عند بروكلمان^(٨)، وفي فهرست دار الكتب المصرية، وفهرست معهد

(١) هو عاصم بن أيوب البلوي البطلوسي السعدي، أبو بكر، الوزير الأديب، كان من أجمل بطلوس، أعلامها في التسون والآداب العربية في وقته. وكان له أحد العلوم من شيوخ الأئمة، وأعلامها من أمثال أبي بكر محمد بن الفراء، وأبي عمرو السلفي "هو من شيوخ أبي الوليد الفاسي"، وأبي محمد مكي بن أبي طالب المغربي. وقد ذكره ابن شكوك فقال: "وكان من أهل المعرفة بالآداب واللغات، ضابطاً لهما، مع خير وأصل. وقته أيضاً روى وأخبرنا عنه أبو محمد بن السيد سميع ما رواه". وقال له صاحب اللغة، ونقل عنه السيوطر، أن أبا بكر البطلوس كل إمسا في اللغة. وله من المؤلفات: شرح للمصطلح، وشرح الشعراء الستة، وشرح لشعر الحملة، وكتب الأوقاف، وشرح بيوت رموز الشعراء في الحارث الشيبير يدرئ التيسير من حمير الكندي، وقد توفي أبو بكر، عاصم بن أيوب البطلوسي رحمة الله في سنة ٤٩٩ هـ من قسطنطينية الهجرية، ونك سنة أربع وتسعين وأربع مئة. اقتصر في ترجمته: ابن شكوك: الفصل، ص ٤٤٢، والسيوطي: بغية الوعاة، ص ٢٧٤، ومجلي: خليفة: كشف الظنون، ص ١٧٤٠، والبركلي: الأعلام (٢٤٨/٢).

(٢) ابن خيّر الأسدي، فهرسة ابن خيّر الأسدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، دار الكتب للكتاب للنسائي، القاهرة، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م (ج ٢ / ٥٠٤)، ترجمة رقم (١٠٤١)، وانظر كذلك: لؤي سركس: تاريخ التراث العربي، ص ٢ / ج ١، ص ١١٤.

(٣) نشر الأعلام الشافعي: شرح الحملة، تحقيق د. علي حمود، مؤسسة المصطفى، ص ٥٠. (٤) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التوحي المعري، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، من أعلام الشعر العربي وثقافته والأدب، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري. كتب سبعة مسموحات بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت. اشتهر بداراه ولسانه الشهيرة للجل في وقته، وحلم عقده الدين، ورفض مبدأ الإسلام بمتك أي إنكار الحقيقة. توفي سنة ٤٩٩ هـ. تضر في ترجمته: كتاب تعريف لتمامه بأبي العلاء: جمع وتحقيق / مصطفى المصطفى وأخرون، وبشراف د. طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، الذي جمع فيه ما قيل حوله من مختلف كتب التراجم والتاريخ، وفي العصر الحديث كثرت عنه دراسات كثيرة.

(٥) تضر في ذلك كتاب تعريف لتمامه بأبي العلاء، الذي جمع فيه نسخة من المجلدين المحدثين لأبي العلاء من كتب التاريخ وتراجمه التي أحدثت عن أبي العلاء، وقطر كذلك: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (١ / ٧٩)، ولؤي سركس: تاريخ التراث العربي، ص ٢ / ج ١، ص ١١٣.

(٦) جاء هذا الشرح منسوباً إلى أبي العلاء المعري كما هو مثبت في في صفحة الخزان من المخطوطات فقد جاء فيها: "كتاب الحملة، وشرحها لأبي العلاء أحمد بن سليمان التوحي المعري"، ومن هذا الشرح نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٠٨. أدب كتب بخط نسخي، واضح، وعند أولها (٢٢٥) ورقة، ومقاسها (١٧ × ٢٥) نسخة سنة ٦٥٤ هـ. ومنها صورة بالمقروم في معهد المخطوطات العربية.

(٧) بعنوان "شرح بيوت حملة أبي شمس المنسوب لأبي العلاء المعري"، دراسة وتحقيق د. حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.

(٨) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (١ / ٧٩).

المخطوطات العربية، على أن الواقع خلاف ذلك؛ وقد أدرك (المحقق!) ذلك كله، وترجع عنده أن الكتاب من تصنيف (ابن مرقد)^(١)، ويبدو أنه لم يجد للشجاعة الكافية لكتبة على غلاله (الممنوب للمصري).

وقد تتبع الدكتور عبدالله عبد الرحيم صيلاّن خطأ نسبة هذا الشرح إلى أبي العلاء بالأدلة والبراهين^(٢). وكذلك فعل محقق الشرح للممنوب للمعري^(٣) - القائمة على الثقة والتحصين في قراءة المخطوطات - إلى أبي العلاء، والتأكيد على أنه ليس من صنع أبي العلاء بشيء، إلى جانب وجود بعض المغالطات التاريخية التي يحتويها هذا الشرح من قبيل: ورود بعض النصوص التي تفيد نقل صليح الشرح أو التعليق عن الجواليقي، وهو متأخر عن أبي العلاء، فقد ولد الجواليقي عام ٤٦٠ هـ بعد وفاة أبي العلاء في سنة ٤٤٩ هـ بأحد عشر عاماً، هذا إلى جانب أن سياق النص يوحي ببعد الشرح عن أبي العلاء، وبموازاة بعض شروح أبي العلاء المعري الواردة في شرح التبريزي وما ينظرها من الشرح للممنوب لأبي العلاء تبين أنه لا وجه لثبته بينهما من حيث الأسلوب والمسلك والمنهج، إلى غير ذلك من القرائن التي أوردها د/صيلاّن في كتابه، والتي توصل من خلالها إلى عدم صحة نسبة هذا الشرح إلى أبي العلاء.

وعلى هذا فإن الشرح للصحيح النسب إلى أبي العلاء المعري، والذي توافق عليه جل النقاد والمترجمين، هو ذلك الشرح الذي حفظ لنا الخطيب التبريزي في شرحه للحملة نصوصاً كثيرة منه إذ نقل عنه فيما يربو على (١٣٠) موضعاً، ويبدو أنه من الشروح الكبيرة المطولة، حيث وصفه ياقوت بأنه يقع في أربعين كراسة^(٤)، ولكنه للأسف من الشروح المفقودة، ويبدو أن أبا العلاء كان قد سمى شرحه هذا بالريثي المصطنعي، وأنه استكماله شرح سابق لأبي ريث^(٥)، وقد وضع ياقوت ذلك مبيناً سبب التسمية حين ذكر في ترجمته "أن له كتاباً يعرف بالريثي المصطنعي، في شرح مواضع من الحملة الزبائية، عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة، ويطلب بالأمرة، واسمه كليب بن علي، ويكنى أبا غالب، انتدب نسخة من الحملة الزبائية، وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً لم يذكره أبو ريث مما يحتاج إلى تفسيره، فخشى أن تضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب، وجمع فيه ما منح مما لم يفسره أبو ريث"^(٦).

ومن خلال النصوص التي بين أيدينا من شرح أبي العلاء، والتي أوردها عنه التبريزي في شرحه للحملة، يمكن لنا أن نلمس بعض المعالم التي انتهجها أبو العلاء في تنويعه لحوادث الشرح المختلفة، والتي أورد كثيراً منها د/صيلاّن في حديثه عن شرح أبي العلاء "الريثي المصطنعي" ضمن الحديث عن الشروح المفقودة، أهمها^(٧):

أن أبا العلاء له مسلك في للشرح من ملامحه التوسع في ذكر اشتغالات الشعراء، والقضايا اللغوية من قبيل: لغات القبائل، والمعرب من الألفاظ، وأحد المعلمة، وتعرضه للروايات المتعددة وشرحها شرحاً لغوياً، وشرحه للمعنى الذي قد يطول ويقصر، ولكنه يوظف ثقله اللغوي في تفسيره لمعاني الأبيات، وتعرضه كذلك لبعض الألوان البلاغية مثل: الاستعارة والالتفات، وأما في مجال النقد فليرز ما نجده لدى أبي العلاء، هو تعرضه لطرف من قضية

(١) فخر مقيّم د/محمّد نشة، في تحقيقه لشرح الممنوب للمعري، ص ٣٥.
(٢) للتزيد: انظر: د/صيلاّن: محاسبه أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، في حديثه عن الشرح للممنوب لأبي العلاء المعري، ص ١٢٨ : ١٤٤.
(٣) انظر: د/محمّد نشة: مقامة تحقيق شرح الحملة الممنوب للمعري، ص ٣٣ : ٣٦.
(٤) ياقوت الحموي: معجم الأديباء (١٥٧/٢).
(٥) انظر ما يؤيد ذلك في شرح الحملة لتبريزي (٢٥٨/١) حيث صرح أبو العلاء بكتيب على أبي ريث.
(٦) انظر ياقوت الحموي: معجم الأديباء (١٥٧/٢).
(٧) انظر: د/صيلاّن، محاسبه أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، في حديثه عن شرح أبي العلاء "الريثي المصطنعي" ضمن الحديث عن الشروح المفقودة، ص ٢٢٨ : ٢٣٨.

القدماء والمحدثين من الشعراء، كما تعرض في شرحه لشيء مما يتعلق بموسيقى الشعر والأوزان، أما في الجانب التاريخي فنراه ملما في بعض الأحيان بأحوال العرب قبل الإسلام وبعده، مثل تطرقه إلى الحديث عن طيبة التي ينتسب إليها الشاعر أبو العزل الطهوي. وعن غزوة التي ينتسب إليها جميل بن عبد الله بن معمر العنزي.

٢٦ - شرح أبي زكريا الخطيب التبريزي^(١) (ت ٥٠٢ هـ):

وللتبريزي شرحان لنبوأن الحماسة، أحدهما الذي بين أيدينا مطبوعاً، والآخر أكثر الطن أنه مفقود^(٢) أشار إليه التبريزي نفسه في مقدمة شرحه المطبوع بالقول: "ولنا كنت قد شرحته شرحاً مستوفياً غير أنني كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ثم شرحتها شرحاً محملاً ولم أنصل بين أبيها بالفتيل فإيت أكثر من يقرأ على هذا الكتاب يرغب في شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك ليسهل عليه معرفة ما يشكل في كل بيت منه ويبين له غرض الشاعر بالكشف عنه فاستعنت بالله تعالى وعزمت على شرحه من أوله إلى آخره شرحاً شافياً بيناً على الولاة وتبيين اشتقاق أسامي شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجري ذكره في الكتاب وتفسير ما في كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى وذكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها وإيراد الأخبار في أمكنها إن شاء الله^(٣)."

وقد ذكر صاحب كشف الظنون شرحاً صغيراً آخر للحماسة، فعمل الشروح بذلك ثلاثة صغيراً ومتوسطاً ومستوفياً، حيث قال: "شرح أولاً شرحاً صغيراً فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها، وشرح ثانياً بيناً، ثم شرح شرحاً متوسطاً، وأول المتوسط "أما بعد حمداً لله الذي لا يبلغ صفه الواسعون"^(٤)، فأما المستوفي فمفقود، وأما المتوسط فهو المطبوع بين أيدينا، وأما الصغير فإراد د/عبد السلام هارون أنه الموجود في دار الكتب المصرية^(٥)، إلا أن د/عيسى نفى أن يكون هذا الشرح الصغير هو الموجود في دار الكتب المصرية - إن كان هناك شرحاً صغيراً للحماسة في الأصل - لأنه "ليس بين منهج الشرح المطبوع أنه الصغير، ومنهج الشرحين المستوفي والمطبوع أي تقارب أو اتصال، بل إن الشرح المظنون أنه الصغير مجانب لروح التبريزي في شروحه للشعر تعلم المحققة، وإن كان هناك شرح صغير للحماسة من تأليف التبريزي كما ذكر صاحب كشف الظنون؛ فإنه ليس هذا الشرح المحفوظ في دار الكتب المصرية، لعدم النقلة بأي وجه مع الشرح المطبوع، الذي يمكن أن يعتبر الأوسط بالنسبة للشرحين المستوفي والصغير، إن صح أن له شرحاً صغيراً، مع أن الواقع يستلزم أن يكون الشرح الصغير مأخوذاً عن الأوسط، أي ملتقياً معه في جوانب كثيرة على أنل تقدير^(٦)."

(١) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى بن يعقوب التبريزي، المعروف بالمطيب التبريزي، من لغة ألتمة والاند، ولد سنة (٤٢١ هـ) وتلقى العلم ألتمة والأب على أشهر الأئمة والكوفيين من مثل السمرق، وعد التاهر العرجاني، وغيرهم، وله مصنفات كثيرة في اللغة والأب مثل: شرح سقط الزند للسمرق، وشرح التصانيف الشعر، وشرح شعر العنقي، وغيرها. انظر في ترجمته: البغدادية: دمية شمس (١٩٠٠/١)، وابن الأثير: نزهة الألباء، ص ٢٧٢، وديوان الحموي: معجم الألباء (٢٥/٢٠)، والتبلي: إنبه الرواة (٢٢/٤)، وفي الصلة الصلي: شعرات الذهب (٦٠/٤)، وفي حلكة: ولغات الأعران (١٩١/٦)، وابن خردزي: سري الألف: لشعور الراخرة (١٩٧/٥)، والموسوي: بحية الواسعة (٢٣٨/٢)، وفهرست: الأعلام (١٥٧/٨)، وكامل: بوقلمان: فتيح الأب العربي (٧١/١)، وعصر كعلة: معجم الموزون (٢١٤/١٢).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق د/عبد السلام هارون لشرح المروزي (١٢/١)، ولطرا لنبأ: د/عيسى: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل ص ١٦٨، ولم يعلما في هذا الرأي إلا الألباء محمد محبي الذي عد السيد، حين ذهب أن الشرح الموجود في دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٩٥) هو لشرح المستوفي، انظر: مقدمة تحقيق الألباء محمد محبي الذي عد السيد لشرح التبريزي (٦/١)، وهو ما لم يذهب إليه د/عبد السلام هارون، ود/عيسى.

(٣) التبريزي: شرح نبوأن الحماسة: المقدمة ص ٤.

(٤) حاشي: حاشي: كشف الظنون (١٩٢/١).

(٥) هذا الشرح محفوظ في دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٩٥)، انظر: مقدمة تحقيق د/عبد السلام هارون لشرح المروزي (١٢/١).

(٦) د/عيسى: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٦٩، ولطرا للمزيد من تغيب الآراء حول هذا الشرح ومدى صحة نسبه إلى التبريزي من عدمه من خلال المقارنة بين طريقة ومنهج هذا الشرح وطريقة ومنهج التبريزي في شرحه المطبوع بين أيدينا، د/عيسى: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٦٨ : ١٧١.

ومهما يكن من أمر فإن الشرح المطبوع بين أيدينا المسمى (شرح ديوان الحماسة)^(١)، هو من أهم الشروح بعد شرح المرزوقي، وقد انتهج فيه صلبه المنهج الانتقالي التهديفي، الذي يعد زعيمه بل ومؤسسه، والمخطط له والمنفذ^(٢)، إذ يمثل التبريزي بشرحه هذا "تجاءها ظهرت بولنده في القرن الرابع، وساد بوضوح في القرن الخامس وهو ذلك الاتجاه الذي يعتمد على الانتخاف والاختيار من الشروح السابقة مع شيء من التهديف والتحقيق والتحصيل والمفاضلة بين الآراء المختلفة، بحيث يكتشف عن ثقافة صاحبه وسعة اطلاعه، في حين تتشاكل فيه شخصيته وإبداعه"^(٣)، ويتضح ذلك من خلال مقامة شرحه الذي تحدث فيه عن مناهج من شرحوا الحماسة قبله، وعن منهجه هو في شرحها بالقول: "وقد فسر جماعة، فمنهم من قصر فيه، ومنهم من عني بذكر إعراب مواضع منه نون إيراد المعاني، ومنهم من أورد الأخبار التي تتعلق به وأعرض عن ذكر المعاني، ومنهم من ذكر المعاني دون الإعراب والأخبار، ولنا كننا قد شرحته شرحاً مستوفياً، غير أنني كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعاً ثم شرحتها محملاً، ولم أنصّل بين أبياتها بالتفسير، فرأيت أكثر من يقرأ على هذا الكتاب يرغب في شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك، ليسهل عليه معرفة ما يشكل في كل بيت منه، ويبين له غرض الشاعر بالكثف عنه، فالتفتت بالله تعالى وعزمت على شرحه من أوله إلى آخره شرحاً شافياً بيتاً بيتاً على الولاة، وتبين اشتقاق أسامي شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجري ذكره في الكتاب، وتفسير ما في كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى، وذكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها، وإيراد الأخبار في أماكنها إن شاء الله"^(٤).

وبهذا يتضح لنا أمران كفاً يدفعان التبريزي في السير على هذا المنهج الذي اختطه لنفسه، كما يرى د/عبدل "أولهما: قصور الشروح السابقة في نظره، إن نهج كل شرح منها يمثل اتجاهًا معينًا، فجاء هو ليستوعب هذه الاتجاهات جميعاً في شرحه، وتقييمها: تلبية رغبات معاصريه في وضع شرح كل بيت بعده مباشرة، وكأنه يرمي بذلك إلى غرض تعليمي يقرب التشرح إلى عقول شدة العلم من تلاميذه وغيرهم، نظراً للحلجة الملحّة إلى التسهيل والتقريب بعد أن قُرت لهم وضعف التحصيل"^(٥).

أما عن مصادر التبريزي في شرحه، فهي كمعارفه واتجاهاته متعددة ومتنوعة، وأول ما نطالع منها (شرح ديوان الحماسة) للمرزوقي، فقد تكرر به ونقل عنه في غير موضع "بحيث أخذ عنه جل ما في شرحه مما يتعلق بجوانب الشرح المختلفة، ويندر أن نجد شرحاً لمقطوعة من مقطوعات الحماسة يحلو من الأخذ من المرزوقي، وذلك دون التصريح باسمه إلا في القليل النادر"^(٦)، فالمرزوقي "هو القلم المشترك الأعظم في معظم شروحه، إن المرزوقي هو المعتقد الأساسي، وهو المصدر الأول، والمعين الذي لا ينصب لما استفاد التبريزي من شروح ضمنها مصنفاته. فالمرزوقي دائماً في حضرته، أقواله وتفسيراته، وتحليلاته في خدمته، يستند إليه في الرواية والمعاني واللغة وعلوم البلاغة والنقد ويجعل من شروحه نقطة الانطلاق، يسير بعده يكمله أو يخلصه أو يختصره، أو يلتقي شرحه مع شروح غيره .. أو ينقده إن ظاهراً أو

(١) طبع هذا الشرح أكثر من مرة، وأهم طبعة طبعة بولاق عام ١٢٩٠ هـ، بتصحيح الشيخ محمد الحسم، والطبعة التي جاءت بنمط الأستة محمد مهدي الدين عبد الحميد عام ١٣٥٨ هـ، مطبعة مجازي بمصر، وطبعة علم الكتب، بيروت، ١٩٦٠، وهي التي استخدمتها الدراسة إلى شاء الله.

(٢) لعل: د/محمد جمال الصري: شرح الشعر الجاهلي، الجزء الثاني، طبع في طابع الشرح، ٢٥٢/٢.

(٣) د/عبدلله عبد الرحيم صليان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٤٦.

(٤) التبريزي: شرح ديوان الحماسة، المقامة ص ٤.

(٥) د/عبدلله عبد الرحيم صليان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٤٥.

(٦) د/عبدلله عبد الرحيم صليان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٤٦، ١٤٧، وأما كذلك حماسة د/عبدلله عن صبور وأشكال تحليل التبريزي في نقله عن المرزوقي وإعجال التصريح باسمه، كل تصرف في نص المرزوقي إما بتقديمه وتأخير، وإما بتحويله حصة الشكل في نص المرزوقي إلى صيغة لفظية للمجهول، وإما بنقل نص المرزوقي مع إعجال التصريح باسمه في صدر الكلام والتصريح به في آخره ... إلخ، حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٦٠ : ١٦١، وأما كذلك طبعت د/محمد جمال الصري لما نقله لتبريزي عن المرزوقي دون التصريح باسمه، شروح الشعر الجاهلي، طابع الشرح (٢ / ٢٩٤ وما بعدها).

تمويهها، إن تصريحها وإن تلميحاً^(١)، إلى حلق نقله من أعلام اللغة والأدب: مثل الخليل بن أحمد، وسبويه، وأبي عبيدة، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني، وأبي حاتم، وأبي زيد، وابن السكيت، وابن الأعرابي، وابن نريد، والأخفش، والقراء، والمبرد، وأبي رياش. وأبي إسحاق الزجاج، وأبي علي الفارسي، والكلبي، والمدائني، والتميمري، وابن عد ربه، ودعل الخزاعي، وأبي حلال العسكري، وأبي عبد الله النمري، وأبي محمد الأعرابي، وابن حني^(٢).

ولم يكن حظ من نقل عنهم التبريزي بأحسن حالا من المرزوقي إلا في القليل النادر، فصرح بالنقل عن بعضهم أحيانا وأغفل التصريح أحيانا كثيرة، وأخذ عنهم جل ما في شرحه، إذ "لم يلم له منه سوى شيء يسير لا يكاد يذكر، وحتى هذا الشيء اليسير لا نعلم مدى حقيقة بعضه من حيث نسبته إليه، ذلك لأن بعض الشروح لتي أخذ عنها بعد مقتودا لا أثر له"^(٣).

وقد تعرض التبريزي في شرحه لميوان الحملة للعديد من القضايا والحواشي الأدبية واللغوية والتحويلة المتعنتة، - والتي سنطرق لها أثناء الدراسة إن شاء الله - شابه في ذلك شأن كثير ممن سبقه ونقل عنهم من الشراح.

لكن عدم التصريح بأسماء كثير ممن نقل عنهم التبريزي في حال النقل عنهم، لا يقلل من قيمة شرح التبريزي، ومنزلة الأدبية والعلمية لأنه "حوى بين دفتيه نصرا قيمة من شروح امتدت إليها يد الطباع فأصبحت لا سمح إلا بأسمائها دون أن نقف لها على أثر"^(٤).

كما أن التبريزي لم يكن مجرد ناقل، بل كان عالما ذا بصيرة ودراسة ووعي بما يفتقره وينقله من الشراح السابقين له، فيناقشهم ويختلف معهم و يخطأهم في مواضع كثيرة، على نحو ما تجده في نقد المرزوقي والنمري فيما دها إليه من تفسير لمعنى قول موسى بن جابر:

هَلْ لَانَ حَمَلَانِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ مِنْ التَّقْلِ نَا لَا تَسْتَطِيعُ الْإِبَاعُزُ

بأنقول: "أي هما في الاشتهار والانتفاع بمكانهما بمنزلة هلالين ويتكلمان في كل حطب ومحل من الانتال والأعياء ما لو صارت أجرا ما لعجز عن النهوض بها وتحملها البعران هذا قول المرزوقي، وقال النمري أي هذان الرجلان يحملان من أعياء المزارع وأثقل الصنقع ما لو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل وهي أثقل الحيوان حملا وأكثره صبرا، وقال أبو العلاء قد ناول النمري له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد وإنما ينبغي أن يحمل الشيء على ما كثر وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قرى الأضياف ومن نحر الإبل ما لا تستطيعه الأبياع أي أنها لا تقوى عليه لأنها يهلكها وهذا مجاز قولهم بنو فلان ظلامون للجزر ... فلا تعدلن عما ذكره أبو العلاء إلى غيره"^(٥).

(١) د/أحمد جمال المصري. شروح الشعر الجاهلي، مطابع الشراح، (١ / ٢٩٤).

(٢) انظر د/عبد الله عبد الرحيم عجيل. حملة أبي تمام وشروحيها دراسة وتحليل، حيث لورد لنا بالمواضع التي كثر فيها أحد التبريزي في شروح عن الشراح السابقين للحملة ولأسماء شروفي، ص ١٤٧ - ١٥٩.

(٣) انظر نفسه، ص ١٦١.

(٤) انظر د/عبد الله عبد الرحيم عجيل. حملة أبي تمام وشروحيها دراسة وتحليل: ص ١٦٧.

(٥) ت. بري شرح ديوان للحملة، (١ / ١٩١، ١٩٢).

٢٧ - شرح أبي نصر منصور بن المسلم بن علي المصروف بابن المنيك^(١) (ت ٥١٠ هـ):

للمسمى "تتمة ما كسر فيه ابن جني شرح أبيات الحماسة"، ذكره غير واحد^(٢)، لم أقف عليه، ولعله من الشروح المفقودة، والكتب الغلبة التي تذكرها المصنف التي ترجمت له.

٢٨ - شرح أبي المحاسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس البيهقي^(٣) (ت ٥٤٤ هـ):

ذكره غير واحد^(٤)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٢٩ - شرح أبي علي الفضل بن الحسين الطيزمي^(٥) (ت ٥٤٨ هـ):

المسمى (الباهر في شرح الحماسة)^(٦)، ذكره نفر قليل^(٧).

ويبدو أن الشرح مجموع من الشروح السابقة، إذ نجد فيه نقولا كثيرة عن الشراح السابقين، من مثل أبي ريثان، وأبي عبد الله النمري، وأبي الحسن الليثي، وابن جني، وأبي محمد الأعرابي، والمرزوقي، وأبي العلاء المعري، وإلى جانب ذلك نجد نقولا عن الخليل بن أحمد، وسيبويه، والأصمعي، وعلقب، وأبي علي الفارسي، وابن حني، وعبد القاهر الجرجاني، وقد نقل عن هؤلاء جميعا في كل جانب من جوانب الشرح مما يتعلق بالروايات، واللغة، والمحو، والنقد، والبلاغة، والأخبار التاريخية، واعتمد في معظم هذه الجوانب أكثر ما اعتمد على شرح المرزوقي، فلأخذ حل ما في شرحه دون أن ينص على اسمه، ومن النادر أن ينص عليه بجانب ما ينقله عنه^(٨).

(١) هو منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج، أبو نصر التميمي السجدي مؤنس من العلماء بالعربية، ولد بعلب، وانتقل إلى دمشق، فكان مفسرا للصوفيين فيها، وتوفي بها، له شعر، وكتب في الرد على أعراف الصلابة لابن جني سده "تتمة ما كسر فيه ابن جني" في شرح أبيات الحماسة، قال القائل: "هو حسن حد يدل على نزاع من العربية ملكة بملته".
انظر في ترجمته: النظم: إنبه الرواة (٢٢٦/٣)، وهو فيه المصروف بالمنيك، وبقرت المصروف: معجم الأدباء (١٩١/٧)، وانزركلي: الأعلام (٣٠٤/٧).

(٢) انظر المصنف السابقة التي ترجمت له، وانظر كذلك: حلمي خليفة: كشف الظنون (١٩٢/١).

(٣) هو مسعود بن علي بن أحمد بن الحسين المصوفي البيهقي، أبو المحاسن: علم بالأدب مفسر شاعر فخر في لغة بلبي حامد الغزالي، وأبي القاسم زيد بن محمد البيهقي المصوفي (٥١٧ هـ) وغيرهما، وروى عن: أبي علي بن أبي جعفر الطوسي، وأبي الولاء عبد العزيز بن عبد المقوى الرادي، وكان متكلما، متبحرا، أديبا، شاعرا، مسلما عنه الرواة، وروى عنه: ابن شهر آشوب، وعلقب العين الرافندي، وصنف كتابا كثيرة، صنف: انتخاب في أصول اللغة، تصنيق تراتيل صيقل الألفاظ في الآداب، أصول، نثرة المصنوع، وديوان أشعاره.

انظر في ترجمته: بقرت المصوفي: معجم الأدباء (١٩٢/١)، والمصوفي: بنية الرواة، ص ٣٩٠، ٣٩١، ورضا كحلقة: معجم المؤلفين (١٢/٢٢٨، ٢٢٧)، وانزركلي: الأعلام (٢١٩/٧).

(٤) انظر المصنف السابقة التي ترجمت له، وانظر كذلك: حلمي خليفة: كشف الظنون (١٩٢/١)، ولؤاد سزيكي: تاريخ التراث العربي، مع ١/٢ ج ١، ص ١١٥.

(٥) هو أبو الحسن أو علي النعمان بن النعمان الطبرسي، عالِم مفسر لموي في اعلام الشيعة الإمامية، نسبته إلى طبرستان، فحين يهوى، ونصر لإفكها بها وقسمه طلاب العلم لذلك من موفور علمه، واستندوا من بلاطه في الفقه والنظر. ومن مؤلفاته معجم البيان لمعلوم تراثي، ومختصر للشهاب، والوفاي في تفسير القرآن، وتولي في سبزوهر عام ٤٤٨ هـ.

انظر في ترجمته: النظم: إنبه الرواة (٢٢٦/٣)، ورضا كحلقة: معجم المؤلفين (١١/٨)، وانزركلي: الأعلام (١٤٨/٥).
(٦) توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة ليدن له التي أدرجت ضمن مكتبة ملط بتركيا ورقمها ١٦٤٢، نسخت بخط نسبي دقيق ليس بكامل الأعمال، وتتصل فيه الحروف والكلمات، وبعد لورلها ١٩٩ ورقة، في كل ورقة ٣٩ سطرا، والنسخة ناقصة لا يوجد منها سوى السجل الأول، وينتهي بشرح بعض مخطوحت باب الهجاء، ولينا لا نعرف تاريخ نسخها لأن الشرح يأتي عدة في آخرها. انظر د/عسبلان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتعليق، دمشق ص ١٧٢، وانظر كذلك: د/عسبلان نقشة، مقدمة تحقيق شرح الحماسة للمصنف لأبي العلاء المعري ص ٢٨، ٢٩.

(٧) إذ لم نجد لدى الذين ترجموا للطبرسي فكرة المشرحة على الصلابة ولم يورده أيضا صلب كشف الظنون ضمن ما سرد من شروح الحماسة، ولعلهم ظفروا به، وقد ذكره البغدادي في اللغة، ونقل عنه في مؤلفات كثيرة، ومن الملاحظ أن بعض المؤلفين التي نقلها البغدادي عن شرح الحماسة للطبرسي هي مما ألفه الطوسي من فوج المرزوقي، انظر في ذلك: د/عسبلان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتعليق، ص ١٧٢.

(٨) د/عسبلان / حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتعليق، ص ١٧٣.

وبما أن الطبرسي قد نقل عن الشراح السابقين - السلفي الذكر - وضمنهم شرحه، مع التصريح بالنقل عن المرزوقي في بعض الأحيان، وعدم التصريح في كثير منها^(١)، لذلك فإن مصاحره هي نفسها مصاحر الشراح السابقين في شروحهم، ولا داعي من تكرارها مرة أخرى.

والطبرسي في شرحه مهتم بالحلق البلاغي، مع التركيز بشكل واضح على فنين من فنون البلاغة؛ هما البديع والبيان خاصة الكناية، على أن في شرح الطبرسي ظاهرة بارزة في تحليله للفنون البلاغية الواردة في النص، ألا وهي اتجاهه إلى تكييف مفهوم المصطلح البلاغي، وبيان ما فيه من محسنات مع ذكر بعض شواهد، ف"الشراح لا يكتفي بذكر اللون البديعي، بل نراه يستطرد في الحديث عن اللون البديعي متطرقاً لتعريفه، وبيان ما فيه من محسنات مع ذكر بعض شواهد، وهكذا الشأن بالنسبة للكناية ... وذلك ظاهرة لم نعهد لها فيما بين أيدينا من شروح العمارة"^(٢).

كما لم يفت الطبرسي العناية بالجانب النقدي، فنراه في مجال النقد يتعرض لبعض عيوب الشعر مع التعريف بها والحديث عنها من مثل التضمنين^(٣).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الطبرسي قد وجد بين يديه شروحا عدة، مختلفة المناهج، متنوعة المذاهب أخذ بقلها ويختار منها ما يوافق هواه، وفي جوانب شرحه التي تطرق لها؛ مما أضفى لونا من التنوع والإثراء لشرحه.

٣٠ - شرح أبي الرضا ضياء الدين فضل الله بن علي الحميني الراوندي^(١) (ت ٥٥٠ هـ):

المسمى "الحملة ذات الحواشي"^(٢)، ذكره غير واحد^(٣).

وقد عقد أبو الرضا الراوندي لشرحه مقفلة، أفصح فيها عن مسلكه في تصنيف هذا للشرح بالقول: "وكنيت شديد التعلات الهمة منذ صباي إلى تتبع شروحه والتقلد غررها ودررها وضم نشرها، وإيناعها مجلدة خفيفة للمعونة سهلة المرتقى قريبة المعزى، والأيام تملط وتطول إلى أن أرضقتني من ذلك بحواش علقها عن نسخة منه بخطي من شرح أبي علي المرزوقي، والإسترلابي، ولبي الحسن البيهاري، وأبي عبد الله الثمري، ولبي الفتح بن جني، ونسخة للأخير أبي الفضل الميكالي، ومن مواضع أخرى، وإن لاح لي فيه لائق كتبه غير مستبعد أن يكون الأول قد

(١) انظر د.عيسى: حملة أبي تلم وشرورها دراسة وتحليل، ص ١٧٤ - ١٧٦، حيث لورد كثيرا من المواضع التي نقل بها الطبرسي عن المرزوقي بن التصريح بنفسه في الجلب للمعنى والحق في شرحه للمفصلة.

(٢) انظر: نفسه، ص ١٧٦ - ١٧٨.

(٣) نفسه، ص ١٧٨، ١٧٩.

(٤) هو أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الراوندي العنبي المعروف بصباه الدين الراوندي، فخر، إسماعيل، شاعر من أهل كاشان، ورايد من قراءه، أئمة عهده محمد بن الحسن الطوسي، وله ديوان شعر، ومن مؤلفاته كتاب التلويح، والشوهر الكافي في الشروس والتواني، والمصنوع الأنبياء، وتفسير التلويح، تولى بكتاش في حدود سنة ٥٥٠ هـ، وقيل ٥٧٠ هـ.

أنشأ ترجمته: رسماً كاملاً: معجم المؤلفين (٧٥ / ٨)، والراوندي: الأعلام (١٥٢ / ٥).
(٥) من هذا الشرح نسخة مطبوعة في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ١٩٦٣، كتب بخط إسماعيل، وأبعد أوراقها (٦٦٤) ورقة، وفي الورقة الواحدة (٢٠) سطرا، وتنفص الصفحة معص الأوراق من أولها، ويبدو أنها كتبت في القرن السادس الهجري، انظر د.عيسى: حملة أبي تلم وشرورها دراسة وتحليل، ص ١٨٠، وقلنا كذلك وصف المخطوطة في متن نفس الصفحة، وانظر د.عيسى: نفسه: مقفلة تحقيق شرح ديوان الحملة المسبوبة لأبي الفداء الصوري، ص ٢٦.

وقد تم تحقيق لتسمي فتحي من الشرح في رسالة تامل حول "شرح حملة أبي تلم المعصي (الحملة ذات الحواشي) لأبي الرضا الراوندي - موازنة وتحقيق لتسمي فتحي (من أول كتاب الألب إلى نهاية باب الكتاب)"، عبد العزيز بن عبد الله الفضل، ومقتراب د.عبد الله عبد الرحيم عياني، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام، قسم الألب، سنة ١٤١٣ هـ، ثم نسخها رسالة أخرى لتسكيل تحقيق الشرح بعنوان "شرح حملة أبي تلم المعصي الحملة ذات الحواشي لأبي الرضا الراوندي، دراسة وتحقيق لتسمي الأول، من أول الكتاب إلى باب الرائي، صالحي بن عبد الله الشراي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام، قسم الألب، سنة ١٤١٧ هـ.

(٦) د.ر. حصار السلفه التي ترجمت له، وانظر كلون بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (٨٠ / ١).

ترك لأخيه شينا، فلمعها في يدي فتاي ورديي، وسيدي وحبيبي، الشيخ الأديب أبو جعفر محمد بن أبي نصر بن محمد الملقب القمي، تولاها الله بالحنى، فقلت نفس إليها، وهي توافة إلى أمثالها متتالفة، وقال أنقل حواشيها ليكون شرحا يحصل منه المقصود، فنظرت فيما قل فوجدته متشعبة الأعطاف، أبتت الأطراف، بعيدا من المعداد، إن جمع على ما أراد، فتليت عليه فليح. وفي المثل السطر: ليع فحج، فلم يزل بي حتى استزلي عن رأيي وحرقي إلى رأيي فتبعته على استغفانه، وأجبت على ابتغاه، وهو بين يديك، والاعتماد في تغطية عورته عليك، وعلى الله توكلنا وإليه أنبنا إليه المصير^(١).

ويبدو أن الشرح مجموع من الشروح السابقة - كما أشارت المقدمة - إذ نجد فيه نقولا كثيرة عن الشراح السابقين، كما أنه يبدو مجرد حواشٍ علقها أصحابها على نسخة من الحماسة، كما يشير عنوان الشرح.

وقد اعتمد صاحب الشرح أو بالأحرى صاحب الحواشي في تصنيفه على شرح المرزوقي، والإسراباذي، وأبي الحسن البصري، وأبي عبد الله التميمي، وأبي الفضل الميكالي، كما نجد نقولا عن شرح أبي ريث، وشرح أبي الندى، وشرح البرقي، ونقولا آخر عن أئمة اللغة والنحو، من مثل الخليل بن أحمد، وسيبويه، وابن الأعرابي، والأصمعي، وأبي حاتم، والمزني، وأبي إسحق الزجاج^(٢).

ويشهد المصنف الذي اتبعه أبو الرضا الراوندي في النقل عن الشروح الأخرى بالأمانة العلمية، وهو أهم ما يميز شرحه عن غيره من الشروح التي تشترك معه في كونه مجموعا من شروح أخرى. إذ نجد المؤلف قد "رجع غالبا في شرحه على أن ينسب القول إلى أصحابها، وقد نقل عن المرزوقي في مواطن كثيرة، وسبب النقل إليه إلا في القليل النادر"^(٣).

وهو بصنيعة ذلك قد حفظ لنا نصوصا من "بعض الشروح التي تعد في عداد المفقود؛ إذ لم نجد لها أثرا، وذلك مثل: شرح أبي الحسن البصري، والإسراباذي، وأبي الفضل الميكالي، وأبي الندى، والبرقي، الأمر الذي يجعل لهذا الشرح قيمته وأهميته"^(٤).

ومن مميزات شرح أبي الرضا الراوندي تلك الحواشي التي تدل على حضور ذاته، حين يتصدى للرواية، أو يحلل اللغة، أو يتناول مسائل النحو، وحين يتصدى لتحديد المعنى وتجويد غيرها منبها على أن هذا الشرح من ابتداعه، كما كانت له نظرات نقدية صريحة.

فلو الرضا الراوندي وإن غلب على شرحه كثرة النقل، إلا أنه كذلك كثيرا ما نسمع صوته مبدئا رأيه ومعيا ومناقشا لبعض القضايا التي ينقلها عن الشراح السابقين له، ففي جلب الرواية نراه مهتما بتوثيق الرواية، وتمحيصها، وإظهار الفروق بينها وبين غيرها من الروايات الواردة في الشروح الأخرى التي اعتمد عليها في تصنيفه، ولا أدل على ذلك رجوعه إلى نسخ كثيرة؛ كي يقف على أدق الروايات وأصوبها واليقها بالمعنى الذي قصده الشاعر.

(١) انظر شرح للمصنف لأبي الرضا ورقة (١/٣)، يتلأ عن د/صيلان: حملة أبي تمام وشروحها، دراسة وتحليل، ص ١٨٠، ١٨١.

(٢) انظر د/صيلان: حملة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٨١، ١٨٢.

(٣) انظر: نفسه، ص ١٨١، ١٨٢.

(٤) نفسه، ص ١٨٢، مع بعض التصرف.

وفي جانب الشرح اللغوي والنحوي نجده مع نقله للكثير من قضايا الإعراب من الشروح التي اعتمد عليها من مثل: ابن جني، والاسترادي، ... نجده كذلك يعقب عليها مدلياً برأيه، مجزاً عن مسلكه حول تلك القضايا.

أما جانب النقد فقد سار جنباً إلى جنب مع اجتهاده في تحليل النصوص، وتقييمها، مستشهداً بما جاء في أمثال العرب ومألف كلامهم، وكذلك كلام العجم وبعض الفلاسفة^(١)، كل هذا إن دل على شيء فيلما يدل على واسع علمه، وسعة اطلاعه، وتعدد منابع المعرفة عنده.

٣١ - شرح أبي الحسن علي بن الإمام أبي القاسم زيد بن الحكم البيهقي^(٢) (ت ٥٦٥ هـ):

نكره بقرت في معجم الأدباء^(٣)، لم ألق عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٣٢ - شرح أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري^(٤) (ت ٥٧٧ هـ):

نكره نثر قليل^(٥)، لم ألق عليه.

٣٣ - شرح عبد الله بن إبراهيم الشيرازي^(٦) (ت ٥٨٤ هـ):

نكره صاحب كشف الظنون^(٧)، لم ألق عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) للاضلاع على المشااهد المختلفة لكل جانب من تلك الجوانب، فنظر: عبد الله عبد الرحيم صيلان: محاضرة أبي تمام وشروحه: دراسة وتعليق، ص ١٨٢: ١٨٨.

(٢) هو علي بن زيد بن محمد بن الحمصي، أبو الحسن شهير الدين البيهقي، من سلافة غزيرة بن ثابت الأنصاري، ويقال له ابن هذيل، بلغت مؤرخ، ولد في لفسنة السيلوي (من تولي بيهقي) وتلقه وتكلم واشتغل بطول الحكمة والمصنف والمثلث، وتقل في البلاد، وصنف ٧٤ كتاباً، منها: تمة دمية لتقصير، شرح نهج الملاحة، أصول الفقه، ... وغيره.

نظر في ترجمته: بقرت المسموي: معجم الأسماء (٢٠٨/٥)، وحلمي خيلبة: كشف الظنون (٢٩٨/١)، والوركلي: الأعلام (١/٢٩٠).

(٣) فنظر: بقرت المسموي: معجم الأسماء (٢٢٨/١٣).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنصاري، من علماء الفقه والأدب وترويض الرجال، كان زاهداً عفيفاً، مشتماً للمعاش والمال، لا يقبل من أحد شيئاً، سكن بدمشق وتوفي فيها، قرأ الفقه على مسجد بن الزرار حتى برع، ثم قرأ الألب على أبي منصور الجواليقي، ولزمه ابن السجدي حتى برع، له كثير من تصليفات أهمها: نزلة الألباء في خلق الألباء، الإنباء، الإتصاف في مسائل الفلاس، البيان في غريب إعراب القرآن، شرح المسح الطوال ... وغيره، وتوفي عام ٥٧٧ هـ.

نظر في ترجمته: ابن سبكر الكتاني: فوات الوفيات (٢٦٢/١)، والمصوي: بغية الوعاة (٨٦/٢)، وللتقني: إنباء الرواة (٢/١٧١)، وابن خلكان: وفيات الأعيان (٢٧٩/١)، والوركلي: الأعلام (٢٢٧/٤).

(٥) لمصلح التقني: إنباء الرواة (١٧١/٣)، والمصوي: بغية الوعاة (٨٧/٢).

(٦) لم ألق على ترجمة لعبد الله بن إبراهيم الشيرازي ت ٥٨٤ هـ سوى ترجمة إبراهيم بن علي بن يوسف تهرورستاني، فشيرازي، أبو إسحاق، العلامة المنتظر ت ٤٧٦ هـ، ولعله أبوه، ولد في فيروز آباد بخراسان، وقتل إلى شيراز فقرأ على علمائها، وانصرف إلى الصورة ومنها إلى بغداد (سنة ٤١٥ هـ) فثمر ما بدأ به من الترمس والمعتد، ومن شيوخه: الحسن بن محمد القصص لتتبعي أبو علي الطبري الرحلي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن البرصاوي، ومن تلامذته: يوسف بن الحسن بن محمد أبو القاسم أنزلي، أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الجرجاني، وغيره، ظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة العجة في العدل والشفافية، وسى له التبرير نطق الملك المدرسة النطافية على شاطئ حجلة، فكل يدرس فيها ويدبرها، عاش تهريراً صابراً، وكل حس المجلس، طلق الوجه، فصيحاً سافراً، نطق الشعر، له تصانيف كثيرة، منها: التنبية، والمذهب في الفقه، ونبذات الفقهاء ... وغيره، مات بغداد وصلى عليه التقني المصلي.

نظر في ذلك: ابن خلكان: وفيات الأعيان (١/٤)، والوركلي: الأعلام (١/٥١).

(٧) نظر حلمي خيلبة: كشف الظنون (٢٩٢/١).

٣٤ - شرح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي^(١) (ت ٥٨٤ هـ):

المسمى "إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التتبيه والمبهيج"، ذكره صاحب كشف الظنون^(٢)، وهو مخطوط أشلر بروكلمان إلى مكان وجوده^(٣)، وذكر داحسين نقشة وصفه^(٤).

والكتاب كما يبدو من عنوانه، ما هو إلا جمع بين كتابي ابن جنى - السلفي الذكر - التتبيه في شرح مشكل لبيات العماسة، والمبهيج في تفسير أسماء شعراء العماسة، وفي أصل للكتابين عن كتابه.

أما عن المنهج الذي اتبعه في تصنيفه، فقد ذكر أنه "رتب فيه كتاب المبهج والتتبيه على حروف الفاقية، ثم يذكر ما تضمنه كتاب التتبيه من إعراب وغيره، وما تضمنه كتاب المبهج من ذكر اسم الشاعر، وجعل للمبهيج علامة وهي () وللتتبيه علامة هي (ت)"^(٥).

ومن مقمعة الشارح يتضح لنا أنه قد نزل كتابه على كتابي ابن جنى على العماسة، وصرف جل جهده للتنظيم والتتويب، للجمع بينهما، في حين أن الرجوع إلى أصل الكتابين قد يعسر عنه.

٣٥ - شرح علي بن الحسن بن عتار بن ثابت المعروف بشميم الحلبي^(١) (ت ٦٠١ هـ):

سماء "التمهية في شرح العماسة"، ذكره النقطي في إنباء الرواة^(٢)، ولعله شرح لعماسه هو نفسه، فقد ذكر السيوطي في بحية الوعاة^(٣) أن له كتاباً سماء العماسة، جمعه من نظمه مرتباً على أبواب العماسة لأبي تمام، ولعله كتبه الذي لعله لعمسه كما ذكر السيوطي، لم لقف عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة التي لم تصل إلينا.

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عتار بن محمد، أبو إسحاق بن ملكون الحضرمي، أسكنه لعمري جليل من أهل إشبيلية مولداً وولداً، روى عن أبي الحسن شريح وأبي مروان بن محمد، وأما له اقتباس من مقري، روى عنه ابن حوط، وأما عن خبر خروف والشافعي، من كتبه شرح الملل الرحمي، وانكثت على القصيدة للصبري ... وغير ذلك.

اسطر في ترجمته السيوطي: بحية الوعاة (٤٣١ / ١)، والزركلي: الأعلام (٦٢ / ١).

(٢) حلمي خليفة: كشف الظنون (٦٦٢ / ١).

(٣) نظار: بروكلمان: تاريخ الألب العربي (٨٠ / ١)، حيث ذكر أنه موجود بمكتبة الاسكوريال ثل تحت رقم (٣١٢).

(٤) فطر: داحسين نقشة مقمعة تعقيد شرح العماسة المنسوب لأبي تمام لعمري، ص ٢٠، حيث أورد أن المخطوط يقع في (١٢٤) ورقة، ويحتوي على باب العماسة، ويرتب حسب حروف الهجاء، وفي كل ورقة وجه، وفي كل وجه (٢٢) سطراً، مخطوطة عربية، كتب سنة ٧٠٠ هـ.

(٥) داحسين نقشة: مقمعة تعقيد شرح العماسة المنسوب لأبي تمام لعمري، ص ٢٠.

(٦) هو علي بن الحسن بن عتار بن محمد بن ملكون الحضرمي، ويعرف بكتاب شميم الحلبي، ويكنى بأبي الحسن، أصله من الحلة المروية وتشبه ببغداد وتلقى فيها علومه وأخذ على أبي محمد بن المشفق، وكان شاعراً، لهياً، فلياً، صنّف الكتب، وقد سافر إلى الشام وبها وكثر. ومدح الأكار وأخذ حوازم، واستوطن الموصل لغيره وأبها وفاته ٦٠١ هـ. وفي سبب تتبيه بشميم قبل بقرت لعمري. مسأله لم يسميت بشميم؟ قتله إني لست مدة من صوري لا أكل إلا الطين لتتشف الرطوبة، فكتبت أتي لهما لا أفرط فإذا فرغلت كل بشمه السفة من الطين، فكتبت أكل من أفسط إليه: شته. وفيه لا رائحة له، فكتبت ذلك. وقيل لك بذلك مدة إلى الشتم، لأنه إذا ترك شيئاً من الأكل لتتشاء حلقة فحين يرجع له تقي شته. من أسأله، أو بعد مدة قد اس الفشف، أو الملح اس الشيب العفادي، له تصليف كثيرة، منها منقلب الحكم ومنقلب الأسماء، المنفرد في شرح الجمع، المنفرد في المباح ... وغيره.

نظر في ترجمته: ابن حلكان: وفيات الأعيان (٣٤٤ / ١)، بقرت لعمري: معجم الأسماء (١٢٩ / ٥ - ١٣١)، وابن الصل الحلبي: شذرات الذهب (٦ / ٥)، ورمسا كحالة: معجم المؤلفين (٢٥٧ / ٣)، والزركلي: الأعلام (٢٧٤ / ٤).

(٧) لتسطي: إنباء الرواة (٢٤٧ / ٣).

(٨) للسيوطي: بحية الوعاة (١٥٦ / ٢).

المسمى "شرح الحملة للعلامة عبد الله بن الحسين أبي البقاء العكبري" وهو ليس شرحاً للمسمى المعلوم للشرح بقدر ما هو إعراب لقسم كبير من أبيات الحملة^(٢)، ذكره عبر واحد^(٣).

وقد ذكرت بعض المصادر التي تناولت العكبري أن له "كتاباً حول حملة أبي تمام بلسم" شرح الحملة^(٤) وإن ننكر غيرده، وبعضها لم يذكر من مؤلفاته حول الحملة سوى كتاب واحد ولكنه بلسم "إعراب شعر الحماسة"، بينما نجد من المصادر من يذكر الكتبيين معاً، فهل يعني هذا أن للعكبري كتبتين حول الحملة: أحدهما في شرحها والآخر في إعرابها، أو أنهما كتاب واحد^(٥).

والذي يظهر لي - وأميل إليه - أنهما كتاب واحد ناسم "شرح الحملة"؛ لأن هذه التسمية متواترة عند المؤرخين، ولا يميز من ذلك ما ذكره صاحب "تكت الهميان" من أن للعكبري شرحين أحدهما بعنوان "شرح الحملة" مختص بشرح الأشعار وتعليقها، والآخر بعنوان "إعراب شعر الحماسة" مختص بإعراب أشعارها؛ إذ ليست هناك مسافة كبيرة بين الشرح والإعراب، فشرح أشعار الحماسة يحمل في طياته إعراباً لكثير من أشعارها.

كما أن ما ذكره صاحب "تكت الهميان"؛ ليس له سند يقويه عند من ترجموا للعكبري - وهم كثرة - ولوردوا مؤلفته

وما أرححه وأميل إليه، يقويه قول د/عبدلن - وإن اختلف في تسمية عنوان الشرح - "والذي يظهر .. هو أنهما كتاب واحد اختلف اسماءه وظني أن للنسخة دوراً كبيراً في هذا الخلط وذلك لأن السحرة التي بين أيدينا من الكتاب عنوانها "شرح الحملة"، إلا أن مصمونيها - كما ذكرنا سابقاً - يدل دلالة واضحة على أنها مجرد "إعراب للحملة"، وليست شرحاً لها بالمعنى المفهوم للشرح، ومن هنا كان ورود الكتاب لدى بعض أصحاب التراجم باسم "إعراب شعر الحملة" أوفق والصق بمصموني الكتاب^(٦).

لكن هذا لا يمنع كون العكبري له شرحان على ديوان الحملة، خاصة إذا علمنا أن بعض العلماء قد صنف أكثر من كتاب أو شرح على ديوان الحملة نفسه من قبله، فغنيروزي (ت ٥٠٢ هـ) يروى - كما ذكرنا سابقاً - أن

(١) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين مع النبي أبو البقاء العكبري ثم للخداني الأرحي المصري النحوي الحلبي المعروف صاحب التلخيص، عن مشهور من أخبار لغة والأدب والفتنة، أصله من عكبراً باسم النبي وسكون الكف وفتح الباء، وهي بلدة على دجلة، وقد ولد في بغداد، وبرع في علوم اللغة والتحرير. قرأ بالرواق على أبي بن عسكراً البطلاني، والحريفة على أبي الحجاب، وأبي البركات بن نجاح وفتنه على القاضي أبي بكر الصيرفي محمد بن أبي خازم وأبي حكيم النعماني، وبرع في اللغة والأسول، وحاز لقب السبق في العربية، وسمع من أبي الفتح أبي الطي، وأبي روعة النعماني، وأبي بكر بن شاور، وحضرة وحضرة، وفخر بن شافعة، أسير في سبيل من العلويين قبل أن يصب كتاباً جمع عدة مصنفات في ذلك الفن، ففقدت عليه، ثم بصر بعد ذلك، فكان يقال: أبو البقاء تلمذ تلامذته يعني هو تلميذ لهم فيما يقرمون له ويكتولونه، ومن مصنفات أبي البقاء: استدل في إعراب القرآن، شرح ديوان المتنبي، شرح التلخيص لابن جني، إعراب الحديث، الاستيعاب في علم المصباح ... وغيره. توفي العلامة أبو البقاء في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة ومائة وكان داخلاً من بين وتعد وأورد فتل في ترجمته، ابن حلكل: وبلغت الأعيان (١/ ٢٦٦)، والوسطى: سيرة الوعاة ٢٨١، والتلخيص: سيرة الرواق (٢/ ١١٦)، وابن النسخة الحلبي: شمرات الذهب (١٦/ ٥)، والوسطى: سيرة الوعاة (٢/ ٣٨: ٤٠)، والرواق: الأعلام (٨٠/ ٤).

(٢) من هذا الكتاب نسخة مطبوعة باسم شرح الحملة، وهي محفوظة بمكتبة كورسلي بتركيا تحت رقم ١٣٠٧، وقد كتبت بمطبعة سفي مصل الأعلام في خمس الكلمات، وبعد أوراقها ٢٠٨، وفي الوجه الوراء ٢٧ سطراً، وقد بصفت في المصمم من سنة (٧٢٤ هـ) ومنه نسخة أخرى أيضاً في المكتبة المطبوعة بتركيا، وقد سقطت منها الصفحة الأولى التي تحمل العنوان، ومنه نسخة أخرى في ليدن تحت رقم (١٣٤)، فمشر بروكسل: تاريخ الأدب العربي (١/ ٨٠)، ود/عبدلن: حملة أبي تمام وشرحها دراسة وتعليق، طبع في ١٩٨٠، وداخمي: تشيئة: مقنة تحقيق شرح الحملة لشمس الدين أبي البقاء المصري، ص ١٤.

(٣) انظر: المصادر التي ترجمت له، وانظر كذلك: حاجي خليفة: كشف التنوير (١/ ٦٦٢).

(٤) د/عبدلن: حملة أبي تمام وشرحها دراسة وتعليق، ص ١٩٠.

(٥) د/عبدلن: حملة أبي تمام وشرحها دراسة وتعليق، ص ١٩٠.

له أكثر من شرح^(١)، وكذلك ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)^(٢)، وغير هذا كثير. ومن هنا فبدأ لا نستبعد - أيضاً - أن يكون للعكبري شرحان على ديوان الحماسة، الأول هو "شرح الحماسة"، والثاني "إعراب شعر الحماسة".

وصوماً فإن هذا الكتاب تناول فيه العكبري - كما قل د/صيلان^(٣) - جل قضايا النحو والصرف وأهمها، واعتمد في ملغته العلمية على لغة النحاة والنحو المشهورين من مثل سيبويه، والأخفش، والمازني، وابن الأعرابي، وابن السراج، وأبي زكريا القزويني، والمبردة، وأبي علي القارسي، وابن جني، والرماني، كما أخذ عن شيوخه أبي محمد الخليل، مستهدداً بالآيات القرآنية، وبالشعر العربي، وبشيء من الحديث النبوي، ويبدو أن العكبري قد اطلع على شرح الحماسة للمرزوقي، ونقل عنه في مواطن كثيرة بعض ما يتعلق بالإعراب. ونجده أحياناً يتصدى لمنقشته في بعض مما نقله عنه، موجهاً الإعراب حسب المعنى حيناً، والمعاني على حسب الإعراب حيناً آخر، متعرضاً خلال الإعراب إلى شيء من البلاغة.

ويبدو لنا أن ديوان الحماسة قد صلف في نفس للعكبري هوى - وهو العالم النحوي - أشبع فيه رغبته العلمية النحوية، فحاول من خلال شرحه أن يقدم لنا صورة واضحة المعالم لمذهبه النحوي، وطعمه وأرنه، وما يتصل بذلك من مذاهب النحويين، واللغويين. وإن لم يخل من بعض اللغات البلاغية، واللفظات الخاصة بالمعنى، مما يضفي على الشرح بعداً فنياً وتحليلياً إلى جانب البعد النحوي.

٣٧ - شرح أبي نصر قاسم بن محمد الواسطي^(٤) (ت ٦٢٦ هـ):

ذكره صاحب كشف الظنون^(٥)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٣٨ - شرح أبي يوسف بن الفضل بن فطر الجذري^(٦) (عاش في النصف الثاني من القرن السابع

الهجري) :

يوجد مخطوطاً، بخط المؤلف، في المتحف البروطي^(٧) في (٢٦٠) ورقة.

(١) لطر: ص ١٤٠ من البحث.

(٢) لطر: ص ١٤ من البحث.

(٣) لطر: د/ص ١٤٠ من البحث. حماسة أبي تمام وشروحاتها: دراسة وتحليل. ص ١٩٠ : ١٩٤. مناصاً أراهه بالمشاهد والأشياء. (٤) هو تلميذ أبي قاسم بن عمر بن منصور أبو نصر الواسطي ثم البغدادي النحوي، عالم بالعربية، ولد بواسط سنة ٥٥٠ هـ وتقل بالبلاد حتى برز مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها، ولقد عه إليه الحسن طاهر بن أحمد ابن باشة وبه تخرج وزوجته من لفته، وكان ابن باشة يسميه وبه انتفع. وصلت بمصر سنة ٦٢٦ هـ من تصانيفه: كتاب شرح الجمع، كتاب في النحو رتبته على أبواب الجمل، وشرح من كل باب مسألة ... وغيره، وله شعر لو رد بالقرن فمنازع حسنة منه.

تظهر في ترجمته: محمد بن شاذل الكندي: فوات الوفيات (١٢٨ / ٢)، والمصنوعي: بنية الوعة ٣٨٠. وبقوت المصري: معجم الأدباء (١ / ١٨٥ - ١٩٦) ترجمة رقم (٩١٢)، ورضا كمال: معجم المؤلفين (١٢٢ / ٨)، والزيكاتي: الأعلام (١٨٠ / ٥).

(٥) حاشي حيلة: كشف الظنون (١ / ١٢٢).

(٦) لم نقل له على ترجمة.

(٧) لطر: إفراد سزكين: لتوزيع التراث العربي: ص ٢ / ج ١، ص ١١٦، حيث أشار إلى أنه موجود بالمتحف البروطي، مخطوطات شرقية، تمت ولم (٢٧١١).

المسمى (مقتضى السبله في شرح نكت الحماسة)^(٢)، لم يشر إليه أحد ممن ترجم له أو غني بفكر شروح الحماسة، من مثل صاحب كشف الظنون، سوى أن بروكلمان أشار إلى مكان وجوده^(٣). وهو مختصر من شروح أخرى أشار إليها في مقدمته، التي نحتت فيها بإيجاز عن "قصل اللغة العربية، وترجم بلختصار لأبي تمام، وعدد بحور الشعر مع لحات سريعة حول البحور وتعليل أسمائها، وتبع ذلك حثيث موحز عن النواحي، كما نقل عن أبي ريش ما يبدو أن عند أبيات الحماسة ثلاثة آلاف بيت وسبعمائة، ونقل ذلك أشار إلى الاسم الذي اختاره للشرح، وأنصح عن مسلكه فيه"^(٤). أما عن مصادره في هذا الشرح أو بالأحرى المختصر، ووافقه وأسبله والغاية منه، نذكره في مقدمته التي صر بها شرحه حيث يقول: "وبعد لأن طلبة من الأدباء وصيارفة من العلماء، كلهم هلال العسكري، وأبي ريش، وأبي الحسن السهمي، وأبي عبد الله النمري، وأبي محمد الأعرابي، وأبي علي المرزوقي، وأبي شعلاء النمري وغيرهم، صرفوا على العناية إلى شرح كتاب الحماسة، واحتجوا من غير فلسفة، فلما دوا وأحباوا غير أنهم منوا لطباب الإطناب، وأسباب الإسهاب... وخير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيخل، فاستخرت الله تعالى في تحريه هذا المختصر، وحصلته من الاختيارات كالمختصر، وأثبت به كامل الرويق والزي وطهرته بما يتعلق به من صحاح أبي نصر الجوهري، وسميته "مقتضى السبله في شرح نكت الحماسة"، إذ البليغ سلس الكلام وبند زمانه، لأنه أبو عشرة، حلوه ومره، وقمت قبل الشروع فيه فصولاً، جعلتها لتقرير قواعده أصولاً، ومن الله تعالى أطلب التوفيق لإتمامه، والتحقيق من ابتدائه إلى ختامه"^(٥). (إن شرحه هذا مختصر من شروح أخرى، غلب فيها الإطناب والإسهاب مما دعا إلى اختصار تلك الشروح في شرح موجز مختصر، لا هو بالقليل المخل، ولا بطول المخل، وإلى جانب اعتماد في الشروح اللغوي على كتاب الصحاح للجوهري كما أشار إلى ذلك في المقدمة، نراه كذلك "يبتل عن بعض أئمة اللغة والنحو، من مثل الخليل بن أحمد، والأحفش، والزجاج، وابن السراج، والفراء، والجوابيني، وعن شيوخه أبي اليمس الكندي، ونقل عن تاريخ ابن عساكر، كما أُلح إلى كتابه مرارة الرمان في الحديث عن بعض الشعراء"^(٦). وسبط ابن الجوزي في شرحه لم يلزم في نقله واقتبسه نسبة الأقوال إلى

(١) هو شمس الدين أو المنذر يوسف بن قراو غلي التركي البغدادي، كل والده حسن الدين قراو غلي من مملوكي الورور عون الدين يحيى بن هيرة، مؤرخ من الكتاب الوصف ود. وقد سبط في الجوزي بمصاد عام ٥٨٤ هـ ونشأ بها في كنف أحد أمه الصفي لسي النراج أبي الجوزي، وقد تلقى العلوم عن غيره حتى برع في علوم كثيرة، وقدم دمشق واسطنبولها، ودرس بها وقتاً، وكان في شيبته صلياً ثم تحول إلى مذهب أبي حنيفة، له كثير من المصنفات، من أشهرها كتابه في التواريخ والترجم (مرآة الزمان في تاليف الأئمة) وصحة صاحب النجوم فراهرة بده من أجل الكتاب في مصنفه، وأشار إلى أنه أعاد منه كثيراً، ومن مؤلفاته أيضاً تفسير التوحي في (٢٩) مجلداً كما نقل بليقي، وشرح الجليل الكبير، وعرف سبط ابن الجوزي بصفته شاعراً وعروة وعظه، ودل الخطوة لدى الملوك والسيما لشك المصنف يحيى بن أيوب، وتوفي عام ٦٥٤ هـ. نصح في ترجمته ابن المصنف السبله: شيرات الذهب (٥/ ٢٦٦)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٣/ ٩٤، ١٩٥)، وابن تيمزي بردي الأشاكي: النجوم الزاهرة (٧/ ٢٩)، وابن شكر الكشي: لؤلؤة الوفيات (٤/ ٣٥٦)، وابن خلدون: وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٠)، ورمسا كعانة معجم المؤلفين (١٣/ ٢٢٤)، وقرزكلي: الأعلام (٨/ ٢١٦).

(٢) وقد أورد د. صليان في كتابه، حماسة أبي تميم وشروحاها دراسة وتحليل، فخر من ١٩٥٠، أن من هذا الشرح نسخة منقوشة محفوظة في مكتبة جامعة استنبول تركيا تحت رقم ٧٧٨، وكانت بخط نصفي، وعدد أوراقها (١٩١) ورقة، ومقبس الورقة (١٥ × ٢٥) والسبعة مقسمة من أفرها وقد جاءت إشارة في آخر الجزء الذي مطلع عليه نيل على أن الجزء العاشر قد انتهى ونحوه الجزء الحادي عشر حسب تقسيم انتماء مختلف الزاهد إلى أجزاء صغيرة كل جزء يرب من (١٩) ورقة، ونظر وصفه للمنقوشة في متن من ٩٥ من نص الكتاب ما يبدو من صحة سبه إلى سبط ابن الجوزي وإن لم يرد اسم مؤلف هذا الشرح في صفحة الفهرس من المنقوشة وإنما ورد فيها اسم الكتف بنقل قللاً: "إلا ما لا يلت إلى بعد في شعور الكتف ما يشير إلى أنه من تصليف سبط ابن الجوزي، ذلك لأن الشرح قد تعرض لأبي تمام بترجمة موجزة هي مقدمة الشرح، ثم عقب عليها بقوله "ولد أسنوفيا أمراء في كتابا المصنف بمرلة الزمان في تاليف الأعيان"، ومن المعروف أن هذا الكتاب من تقريب سبط ابن الجوزي، وهو من أشهر كتب التلهم، وقد طبعته لجزء منه في حيدر أباد بالعهد، وعلى هذا الأسفل يدرك ما لا يقل لشك أن هذا الشرح الذي بين أيدينا بعد أحد مصنفات سبط ابن الجوزي"، ومن هذا الشرح نسخة خطية في معهد المخطوطات تحت رقم (٧١٠) لب، مسورة من نسخة جامعة استنبول شقيقة، نشر د. محسن نقشة مقدمة تحقيق شرح الحماسة المنسوب للنمري، من ٢١٠٣، وانتظر كذلك شول بروكلمان. تاريخ الأدب العربي (١/ ٨٠)، حيث أشار إلى مكان المخطوط بالمكتف البوطي في (١١٠٨).

(٣) غزل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (١/ ٨٠)، وأشار كذلك: د. صليان: حماسة أبي تميم وشروحاها دراسة وتحليل، من ١٩٦٠، د. محسن نقشة مقدمة تحقيق شرح الحماسة المنسوب لأبي الشعلاء النمري من ٢١٠٣.

(٤) د. صليان: حماسة أبي تميم وشروحاها دراسة وتحليل، من ١٩٦٠.

(٥) سبط ابن الجوزي: مقتضى السبله في شرح نكت الحماسة ورقة ١٢، نقل عن د. صليان: حماسة أبي تميم وشروحاها دراسة وتحليل، من ١٩٦٠.

(٦) د. صليان: حماسة أبي تميم وشروحاها دراسة وتحليل، من ١٩٦٠.

أصحابها له "كثيرا ما يعمل سبط ابن الجوري نسبة الأقوال إلى أصحابها، الأمر الذي يجعل من الصعب أن نميز ما قرره هو من مخزون فكره لتبين مسلكه فيه، مما نقله عن الآخرين، لكي نتجاوز به على اعتبار أنه لغيره، ويصبح من غير المجدي أن نتبين منهجه فيه وهو من نتاج أحد الشراح السابقين له"^(١). وربما يكون مرد ذلك إلى أن اهتمامه بتلخيص الشروح السابقة له، واختصارها في شرح موجز، قد طغى على اهتمامه بجلب التوثيق ورد الأقوال الواردة في شرحه إلى أصحابها. وأيا ما كان الأمر فإن حرص سبط ابن الجوري على التنصريح بالشروح التي بقى عنها، وكذلك المصدر التي اعتمد عليها، تشهد له بالأمانة العلمية، وإن غفل عن اتباع المنهج العلمي في التوثيق والنقل. لقد جاء شرح سبط ابن الجوري - كما أسلفنا - مختصرا من شروح أخرى موجرا، احتل فيه الحقب اللغوي والشموي نصيب كبير، حتى أصبح يمثل الاتجاه السائد في شرحه، كما ظهر الحقب التاريخي في شرحه متأثرا بيزر في نجه كمؤرخ معروف، وله قدم راسخة في التاريخ، لذا نحدد في الحقب التاريخي يعرض أحيانا لبعض الأخبار التاريخية المتعلقة ببعض الشعراء والشعر، متصديا بالمناقشة لبعض ما أورده الشراح السابقون من أخبار تاريخية، أما باقي الجوانب الأخرى للشرح مثل: روايت الشعر، والمعاني، وجلب النقد والنبلاغة، جاءت قليلة لا تعدو أن تكون مجرد إشارات سريعة وخلاصة، لم تقل ما ناله الحقب اللغوي والحقب التاريخي من الاهتمام^(٢). وعلى العمدة فإن هذا الشرح لا يخلو من فائدة خاصة في الحقب اللغوي، والتاريخي، لكن يؤخذ على الشراح - كما أسلفنا - عدم التزامه برّد الأقوال إلى أصحابها؛ مما أدى إلى صعوبة تمييز آرائه واستنباطها من الشرح، ومرد ذلك - في ظني وكما أسلفت - إلى طغيان اهتمامه بجلب التلخيص - الذي هو هدفه من الشرح - على جانب التوثيق والتحرير.

٤٠ - شرح أبي الحسن علي بن مؤمن المدعي بابل عصفور^(٣) (ت ٦٦٩هـ):

ذكره ابن شلكر الكتبي^(٤)، لم ألق عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة.

٤١ - شرح الحسن بن أحمد الأميري^(٥) (ت ٧١٧هـ):

ذكره غير واحد^(٦).

(١) د.عبدالله حسانة في تلم وشروها دراسة وتحليل: ص ١٩٧.

(٢) السيد من شواهد الأمثلة، قطر: نفسه: ص ١٩٨ / ٢٠١.

(٣) هو علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الاشيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، كان لواء العربية بالأندلس في زمانه وله بالنسبة في عام السيل الكثير ونشأ في بلدته ولحقه عن عظمائها الأجداد وفي أشولها دأب صيته وعلا ذكره وانتست شهرته. قال عنه ابن الزبير: أخذ عن الرباج والشويعين ولا زمه منه، ثم كلف بينهما مفارقة ومقطعة وتصدّر للاشتغال مدة فأنقل عليه الطلبة وكان أصغر السن على السطحة، لا يمل من ذلك ولم يكن عنه ما يؤخذ عنه غير أشول ولا تأمل لغير ذلك وله بالنسبة في سنة ٦٦٩هـ. من مصنفه: "الغريب" المجلد الأول منه في الشعر "والمتن" في التصريف "والفتاح" "للإبل" "والمنقب" "والنقد" "والمداد" "والشرح الجليل" "والشرح المتين" "والغرائب الشعراء" لغيره في ترجمته: ابن شلكر الكتبي، فوات الوفيات (٩٣ / ٩٢)، وابن الصمد الصبلي، شذرات الذهب (٣٠ / ٢٩)، وأثر ركني: الأعلام (٥ / ٢٧).

(٤) ابن شلكر الكتبي: فوات الوفيات (٩٣ / ٩٢).

(٥) هو الحسن بن أحمد أبو علي، الأميري، سعة في بلدته لمراند، الحوي، اللغوي، الأديب الفاضل، وقد احتل في اسم الأب هل هو أحمد أم محمد، وكذلك هل هو أبو علي أم ابن علي، فقد جاء في كشف الظنون ابن علي، ولكن في معجم الأديب، وبيعة الوعة الحسن بن أحمد الأميري أبو علي الشنوي الأديب لوجه رفته، وكلاهما سب إليه شرح الحسانة والظاهر أنه هو المذكور في كشف الظنون وله حروب أبي علي دار علي والشواهد الحسن بن أحمد، واستمر له مدونة كثيرة مشهورة في شمال فارس، من أصل طنوس، تتلمذ على مصر العين الطوسي، وسبب السبب الأميري، ومن تلامذته تاج الدين الأديبي. وكان الأميري فقيها، صوفيا، لغويا، فقيها، يصف إلى ذلك أنه كان عالما في السطق والطب وعلم الكلام، وله تصنيف مفيدة في كل هذه المجالات منها: شرح التصحيح، وشرح الحاشي الصغير، شرح المطالع في السطوط، وغيره لم تذكر لنا كتب التراجم التي ترجمت لأهل الدين شيئا عن والده ويبدو أن والده لم يكن من ذوي الحد والمسلط والسكينة العلمية المرموقة لينذكر وتتناوله الكتب وكذلك لم تمتص من المصنفات التي ولد فيها، ظهر ما جاء في بعضها على سبيل التلميح لا للتصريح وقد كتبت "مروم حول اللغة التي توفي فيها الأميري، وكذلك حول الشعر الذي توفي فيه، إلا في صلب كشف الظنون ذكر وفاته في ٧١٧هـ. فخر في ترجمته، وفوات الحموي: معجم الأديب (٥ / ٨)، ترجمته رقم (٣٠٧)، والسيوطي: بحية الرعة (١٩٩ / ١)، وابن الصمد الصبلي: شذرات الذهب (٢٥ / ٩)، تحت وفات سنة ٧١٥هـ، وابن عمري بردي: الأديبي: لنجوم الزاهرة (٩ / ٢٢١)، ورضا حكمة: معجم المؤلفين (١٩٦ / ٢)، والزرزكي: الأعلام (٢ / ٦١٥)، ولواء ركني: تاريخ التراث العربي: مع ١ / ١ ص ١١٥.

(٦) قطر: فوات الحموي: معجم الأديب (٥ / ٨)، وحموي: حكمة: تحت الظنون (١٩٩ / ١)، والسيوطي: بحية الرعة (١٩٩ / ١)، ورضا حكمة: معجم المؤلفين (١٩٦ / ٢).

أشار فؤاد سزكين إلى مكان وجوده^(١)، فذكر أنه كان ضمن مقتنيات إحدى المكتبات في حلب، في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ويحتل وجود هذا الشرح في الجزائر.

٤٢ - شرح إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بلقب الحاج الفرتاطي^(٢) (ت ٧٦٨ هـ):

ذكره صاحب الإحاطة^(٣)، وذكر أنه لم يكمله، وهو من الشروح المفقودة.

٤٣ - شرح محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد للشهير بلقب زاكور الفاسي^(٤) (ت ١١٢٠ هـ):

المسمى "عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة"، ويوجد مخطوطاً في دار الكتب الوطنية التونسية (القسم الثاني) تحت رقم (٦٤٤٤) وأصله من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب كما هو منصوص عليه. ويقع في (٢٢٨) ورقة، وكل ورقة من وجهين، وفي كل وجه (٢٥) سطراً، بخط مغربي رديء، والقسم الأخير منه مطموس، لم يعرف للنسخ ولا تاريخ النسخ، كما أن هناك نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق (القسم الأول) تحت رقم (٨٦٨٩)، وهو يقع في (٢٣٤) ورقة^(٥).

وهذا الشرح يقوم على "شرح الألفاظ وإعراب بعض الكلمات"^(٦)، فهو بذلك يندرج تحت لواء الشروح النحوية واللغوية التي تعرضت لديوان الحماسة بالتفسير والتحليل.

٤٤ - شرح سيد علي المرصفي^(٧) (ت ١٣٤٩ هـ):

المسمى "أسرار الحماسة"^(٨)، ويبدو أنه لم يتمه، إذ لم يخرج منه سوى الجزء الأول، وهو عبارة عن شرح موجز لمقطوعات من باب الحماسة فقط تبلغ عدتها (١٢٣) مقطوعة، فلم يشرح ديوان الحماسة كاملاً، متبعاً تصنيفاً جديداً لم يعده عند غيره ممن تعرض للحماسة، وهو ما يبدو لنا من خلال مقمته التي صدر بها كتابه، واضعاً معالم واضحة لمنهج الذي لخصه لنفسه حين قال: "ولذلك رأيت أن أرتبه خلاف ذلك للترتيب، مراعيًا في كمال تهذيبه أجمل تهذيب، فقممت أشعالي باب الحماسة لمعين، وجعلتها محصورة في فئتين، أولهما رسمته

(١) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مج ٢ / ج ١، ص ١١٥.
(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم المبري، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج: أئيب فحلبي من كبار الكتّاب. ولد بمرغطة، ثم رحل إلى المشرق، وعمل إلى البرقية، وانتهى بالقبول إلى الأندلس، فاستقل في السفارة إلى الطوائف، حتى أسره الفرنج، فقدمه السلطان بعل كبر. له شعر جيد ونصائب منها: المسألة والمسامحة في تبين طرق الدعاية والمزاولة، تنعيم الأشباح في محادثة الأرواح ... وغيره.
(٣) انظر في ترجمته: أبو الحسن أحمد بن محمد المكناسي: جنود الأندلس في نكاح من حل من الأعلام مدينة فليس، طبع دار المنصور، الرباط ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ص ٨٧، وأحمد الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق تصه ووضع مقمته وجرأه / محمد عبد الله غنم، مكتبة الفلاح بالناظرة، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ص ١٢٤، ولم يذكر وفاته، والزرزكلي: الأعلام (١ / ١).
(٤) انظر: إسماعيل الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة (١ / ٣٤٧).
(٥) هو محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد، ابن زاكور الفاسي، أبو عبد الله، كعب فاسي من صرصر، مولده ووفاته فيها، من مناصبه: إيمانهم من لامية العم، نشر أواخر البعثي فوس أماني بلجوز وتطوان ... وغيره وديوان شعر.
(٦) انظر في ترجمته: باقر المصوي: معجم الأندلس (٧ / ٢٣٠)، والزرزكلي: الأعلام (٧ / ٧).
(٧) انظر: داهمين نشاء مقمة تحقيق شرح الصلوة لمصوب للمعري، ص ٢٢، انظر كذلك: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مج ٢ / ج ١، ص ١١٦.
(٨) داهمين نشاء، مقمة تحقيق شرح الصلوة لمصوب للمعري، ص ٣٢.

(٩) هو سيد من علي المرصفي الأزهر: عالم من علماء اللغة والأدب في الجيل الأول من العصر الحديث، وكل من صناعة كبار علماء الأزهر الشريف وتولى التدريس فيه، إلى أن لاقته منه الشهوة، وكسرت سلطه فاعتكف في منزله بقتاده فمات قبل عليه طلاب الأدب فكل بعد لهم حلفت لئلا يشرع، إلى أن توفي عام ١٣٤٩ هـ ومن أشهر مؤلفاته رغبة الأمل من كتاب الكمال، وقد كان مولدا بالأدب كذا بالشر في مقله وأثاره، ومن هذا المنطلق عمد إلى شرح مولد من كتاب الكمال للمبرد، كما حرص على نشر في حماسة أبي تامل، لائق حولها كتابه الذي بعد موضع حديثنا هنا.

انظر في ترجمته: الزرزكلي: الأعلام (٢ / ١٤٧).

(٨) طبع من هذا الكتاب الجزء الأول ببطبعة في اليوم بصر، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م.

موضوعات أدبية، وتلقيهما رسمته بشعراء الوقت الجاهلية الإسلامية، مقاما الشاعر الجاهلي على الإسلامي، والأمري على العباسي، ملتزما إيراد التصديفة متى عثرت عليها بالتمام، منها في أثناء ذلك على ما صنعت يد أبي نعلم، ولست في تنوير معانيه، وبين مغايرته، متبعا لقوم مدوا أيديهم على ذلك الديوان بالكتابة، وظنوا أنهم يرقوا سهام الصواب وقد أخطوا غرض الإصافة فكثيرا ما يخطئون في أوضاع اللغة ولا ينتبهون، ويخطئون في بيان ما تقتضيه لسان الشعر وما يشعرون، ملتوا كتبهم ببضاعة الإعراب والبناء، وتحقق ما نساء ابن خروف أو انتحاه الفراء، رحمهم الله تعالى وهكذا بحمد الله قد أنصت فيه النظر، وأمنت الفكر، وسهرت فيه طوال الليالي، حتى أحسنت الصنيع فيه على ما بدا لي (وما أبرئ نفسي) معتمدا في رواية الشعر على صدق الرواية، وفي نقل اللغة على ثقة الترياق، نظرا لوضع الكلمة مع صاحبيتها في التركيب، وحملها على ما يناسب من المعاني بشهادة الأساليب، وربما كررت معنى الكلمة حيث وقعت، تقتضت أو تلتزمت، قاصدا ألا يحار الأديب في معانيها إذا هو نظر منها. وغلبة ما أتمناه نفع الأمة بما جمعه أبو نعلم^(١).

ويبدو أن المرصفي في تصنيفه "مؤثر بالبحراني الذي صنف الشعر في حملته حسب موضوعات متعددة بلغت (١٤٧) موضوعا، وقد انتزح المرصفي في تصنيفه الذي تحدثنا عنه أن ينكر الشعراء حسب الترتيب الزمني، بلنا بالجاهليين، فالإسلاميين، فالأمويين، فالعباسيين"^(٢).

وفي شرحه الأبيات، يهتم كثيرا بالجانب اللغوي بشكل واضح حتى طغى على جوانب الشرح الأخرى، كما كان يلتزم أقرب المعاني مع الإيجاز في أدائه لحقيقة، أما في جانب الرواية فنرى فيها بقية لما وراء غير ملانم أو صحيح من الروايات التي يذكرها أبو نعلم أو غيره، معتمدا على أساس من النحو^(٣) أو من اللغة ومعاني الشعر^(٤)، أو على أساس تاريخي^(٥)، وفي بعض المواطن تحده بصوب للرواية نقلا عن رواية اللغة والأدب المشهورين^(٦)، وقد تعرض المرصفي - كذلك في شرحه - إلى بعض المسائل البلاغية: كالاستعارة^(٧)، والمجاز^(٨)، وقد يتعرض لشيء من ألوان اليباع ويعرف به كالاستطراد^(٩)، أما في جانب النقد فتجده أحيانا يجبر عن استحقاقه واستحقاقه لبعض أبيات الشاعر، ويوضح وجه الاستعانة^(١٠)، وفي تنويعه للجانب التاريخي أبرز ما تجده هو تعرض المرصفي لتراجم الشعراء بشكل موجز، وغلبا ما يقتصر في ذلك على ذكر اسم الشاعر ونسبه، وتعيين زمنه، وأهم ما يحدد شخصيته^(١١)، وقد يتعرض أيضا خلال ذلك إلى تصحيح نسبة الأبيات إلى قائلها^(١٢).

هذا ويعد شرح المرصفي من أهم شروح الحماسة في العصر الحديث، إذ أن أغلب الشروح الأخرى - اضي الشروح الحديثة - لا تكون مجرد تلخيص لشروح قديمة، أو إضافة صياغة لها بلباس جديد، مع إضالعات - إن وجدت - قليلة، لذلك سنكتفي بالإشارة إليها دون الخوض في محتواها وتفاصيلها، فلبس من المعدي أن نتبين منهجها، في حين أننا نعلم أنها مأخوذة من غيرها، ومن هذه الشروح:

- (١) نظر مقدمة لسرا المصنف في الصفحة للمرموز لها بحرف (ز).
- (٢) د. صليح. حماسة أبي نعلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢٠٤.
- (٣) نظر: المرصفي: أسرار الحماسة ص ٥٧.
- (٤) قطر: نسه: (٧٧/١) ونظر ما يمثل ذلك (١٧٠/١/١).
- (٥) قطر: نسه: (٧٤/١).
- (٦) قطر: نسه: (٩٦/١)، ونظر ما يمثل ذلك (١٦/١) حيث نقل عن لي صرو بن العلاء.
- (٧) قطر: نسه: (٩٩/١)، ونظر (١٢٠/١).
- (٨) قطر: نسه: (١٢/١)، ونظر ما يمثل ذلك (٢١/١).
- (٩) قطر: نسه: (١٢٤/١).
- (١٠) قطر: نسه: (٦٢/١)، ونظر ما يمثل ذلك (٢١/١).
- (١١) قطر: نسه: لسرا المصنف: (٣٨/١) حيث يترجم قبط شعراء، ونظر (١٢٧، ١٢٨، ١٢٩).
- (١٢) قطر: نسه: (٣٨/١) حيث يصحح نسبة شعر إلى كرويس بن نذاه.

٤٨ - شرح حديث منسوب إلى الألبين "محمد عبد القادر سعيد الرافعي، بينما يرى بعضهم أنه" للمفلور له أستاذنا الشيخ إبراهيم النجموني"^(١).

وقد طبع هذا الشرح عدة مرات^(٢)، وهو عبارة عن اختصار لشرح التذريزي، وهو مطبوع معه، وقد غني الرافعي بتصحيحه.

وهناك شرح باللغة الفارسية، هو:

٤٩ - شرح للأحمدي باللغة الفارسية:

يوجد مخطوطا في طهران^(٣)، في (١٢٠) ورقة، نسخ عام ١٢٥٠ هـ.

٥٠ - شروح مجهولة:

أشار إليها بروكلمان، وفزاد سزكين وغيرهم، ونهبوا على نسخها المخطوطة^(٤).

وبجانب هذه الشروح نجد من الأدباء من يتلمس خطي أبي تمام في حملته إما معارضاً، أو محاكياً، مثل ما نجده من الطبيب المعظّم بن أحمد الأصفهاني. حيث نظم ديواناً عارض فيه ديوان الحملة بيتاً بيتاً، وذلك في عهد ملكشاه السلجوقي، الذي تولى الملك (٤٦٥ هـ : ٤٨٥ هـ)^(٥)، وكذلك ما كتبه أبو حفص عمر بن منقّر بن عبد السلام الصقلي، في مدح "حملة أبي تمام" فكان مؤلفاً حسناً أفاد به^(٦).

وبعد فهذا قليل من كثير خلفه لنا يد الزمان من شروح لديوان الحملة، والتي استطاع الباحث التعرف عليها، ولا زالت بطون الكتب تحوي الكثير والكثير من تلك الشروح، التي تحتاج لكثير من الجهد والهدوء للوصول إليها، وكشف اللثام عنها، إلى جانب ما يرتد منها مخطوطاً كاملاً أو مجزئاً في مكتبات العالم المختلفة.

وما تزال عجلة المطابع تنور لتخرج لنا شروحا جديدة لديوان الحملة، الذي شغل الناس في المشرق والمغرب، حتى أن للحملة كانت "من أوائل الكتب التي طبعت في أوروبا، أو العالم الإسلامي، أو العالم العربي، فقد طبعها فرافنج في بون، في جزين عام ١٨٢٥ م - ١٨٤٧ م، وطبعت لأول مرة في مصر، في مطبعة بولاق عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٧٠ م، ثم توالى طبعها بعد ذلك، ولما ترقف حتى يومنا هذا"^(٧).

ويمكننا من خلال العرض التاريخي السابق أن نقف على بعض الملاحظات، هي:

(١) انظر: عبد السلام هارون، مقدمة تحقيق شرح ديوان الحملة للبرزوقي: ص ١٥.

(٢) سها مطبعة طهوف، مصر سنة ١٢٢٢ هـ.

(٣) يواد سزكين. تاريخ ترقف للعربي، مع ٢ / ج ١، ص ١١٧.

(٤) انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (٨٠ / ١)، ولؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مع ٢ / ج ١، ص ١١٦، د/حميد نشة:

مقدمة تحقيق شرح الحملة المنسوب للعربي، ص ١٦.

(٥) انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (٨٠ / ١)،

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الدبل والتكملة لكتلي الموسول والسلة، تحقيق لإميل صلي، دار

التقنة، بيروت، ١٩٦٥ م، (٤٢١ / ٥)،

(٧) د/الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصطلح الأدب العربي، ص ١٢٧.

١ - هذه الكتب المشار إليها ليست كلها شروحا بالمعنى المفهوم للشرح، لكن منها - أيضا - ما هو قلم على يد بعض الشروح.

٢ - صندا من هذه الشروح صنت عليه الأياد، فضاغ مع ما ضاع من تراث أمنا العربية والإسلامية، مثل: شرح أبي رياش، وشرح أبي العلاء المعروف باسم "الرياشي المصطنعي"، وشرح أبي هلال العسكري، وشرح أبي النثي.

وعندنا آخر مخطوط، وهو على نوعين: أحدهما: مجهول الهوية، والآخر: معلوم الهوية والنسب، ولكنه بخس إلى من يريل عنه غبار الزمن، مثل: شرح أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني، وشرح القسوي، وشرح الأستراباذي.

أما الأخيرة، فهي تلك الشروح المطبوعة المتداولة، بين الدارسين و القراء، مثل: شرح المرزوقي، وشرح النيرزي، وشرح أبي عبد الله النمري... وغيرها مما سبق ذكرها.

د - يمكن تقسيم هذه الكتب والشروح قسمين رئيسين:

القسم الأول: هو تلك الشروح التي - إن شاء الله - ساعتمد عليها في هذه الدراسة؛ لقيمها الفنية أولا، ونبره ووقوفي عليها ثانيا، ولأنها تنتمي إلى حقل الدراسة المنوط بها البحث نلثا. هذه الشروح والكتب هي:

- شرح أبي عبد الله النمري، ورد أبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود العنجداني.

- شرح ابن جني: انتبيه على شروح مشكل أبيات الحملة.

- الشرح المنسوب إلى ابن فارس.

- رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة لأبي هلال العسكري.

- شرح المرزوقي.

- شرح الأعلام الشنتمري.

- الشرح المنسوب إلى أبي العلاء المعري.

- شرح الخطيب النيرزي.

- شرح سيد علي المرصفي.

- شرح الشيخ بهاء الدين بن تاملن.

أما القسم الثاني، فهو خاص بتلك الكتب والشروح التي تجلوزتها، ولم أعتمد عليها في هذه الدراسة؛ إما لأنها مفقودة - أو هكذا يظن - وهي: شرح أبي بكر الصولي، وشرح أبي جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي التحوي المعروف بابن النحاس، شرح أبي ريش، شرح النيمري المفقود، شرح الأمدني، شرح الشمطلي، شرح أبي هلال العسكري، شرح أبي الندي، شرح الهروي، شرح الخطيب الإسكلي، شرح ابن سيده، شرح الميكالي، شرح الساماني، شرح أبي عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخبزي، شرح أبي بكر عاصم بن أبوب اللوي البطلوسي، شرح أبي العلاء المعري المعروف باسم "الرياشي المصطنعي"، شرح ابن الدميك، شرح أبي المحسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس البيهقي، شرح أبي الحسن علي بن الإسلام أبي القاسم زيد بن الحاكم البيهقي، شرح الشيرازي، شرح علي بن الحسن بن عترة بن ثابت المعروف بشميم الحلبي، شرح الواسطي، شرح ابن عصفور، شرح إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الحاج الفرنطلي.

وإما لأنها ليست لها من القيمة الفنية ما يضطرني للبحث فيها، وخير دليل على ذلك ما ذكره د/حسين نشة عن شرح عبد القادر الراقي إذ يقول "لا يوجد فيه كبير فائدة"^(١)، وهذه الشروح - إلى جانب الشرح السابق - شرح سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي.

وإما لأنها خارج حقل الدراسة المنوط به البحث - كما يرى الباحث - كشرح الهمذلي.

و إما لأنني لم أستطع الوقوف عليها كشرح النيمري المخطوط وشرح أبي الرضا الراوندي، وشرح ابن الأثيري، وشرح أبي إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي الإشبيلي، وشرح أبي البقاء العسكري، وشرح أبي يوسف بن الفضل ابن نظر الجزري، وشرح ابن عصفور، وشرح الاستراباذي، وشرح ابن زاكور الفاسي، وشرح مولوي كبير الدين أحمد، ومحمد غلام رباني، وشرح المولوي فيض حسن، وشرح للأحمدي باللغة الفارسية.

لوتلك الشروح المجهولة.

٣ - الشروح التي ستعتمد - إن شاء الله - عليها هذه الدراسة، متقلدة للقيمة الفنية، فمنها ما هو عالي الطبقة كشرح المرزوقي، ومنها ما هو متوسط الطبقة كشرح التبريزي، ومنها الذي تأخرت رتبته مثل الشرح المنسوب إلى ابن فارس.

٤ - تغلوت لأجل هذه الشروح بين كبير ضخم مثل شرح ابن سيده، ومتوسط مثل شرح التبريزي، وصغير مثل الشرح المنسوب إلى ابن فارس، وكذلك تغلوت مناهج أصحابها، ومناهجهم الأدبية، ومن هنا اختلفت القيمة الفنية لهذه الشروح.

لكن الملاحظة الجديرة بالوقوف عندها هي اهتمام النقاد والأدباء بصفة عامة بشرح المرزوقي لديوان الحماسة، وإقبالهم عليه منذ ظهوره، حتى تعددت الدراسات القيمة على هذا الشرح دون غيره، فكان التركيز الأكبر للباحثين المهتمين بديوان الحماسة بل والمهتمين بالفن القديم منصبا عليه، إلى جانب مكفة الشرح الكبيرة، وقيمته الفنية العظيمة، تأتي مقامه المهمة، التي أثرت الدراسات النقدية، وأصالت للعديد من المفاهيم والمصطلحات الخاصة بالقرن القديم، ولعل هذا ما دعا الدكتور عز الدين إسماعيل إلى أن يقول، وهو بصدد الحديث عن الحماسة:

(١) د/حسين نشة: مقامة تحقيق شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، ص ١٦.

"وأكثر هذه الشروح تداولاً بين الناس هما شرحا التبريزي والمرزوقي، ولكلا الشرحين مميزاتهما الخاصة، وإن كان الميل إلى تفضيل شرح المرزوقي، فشرح المرزوقي - وإن كان أقدم وأسبق - هو أولى الشروح، وفيه يتصدى المرزوقي باقتدار لبيان المعنى واستقصائها، معتمداً في هذا على ذوقه الأدبي المدرب، وخبرته الواسعة بالشعر العربي. هذا في حين يخلب على شرح التبريزي طبع التحليل اللغوي، والاهتمام بمسائل الانتقال والتصريف، مع العناية بالخلفيات التاريخية التي تشرح منسدة النص الشعري، ويبقى بعد كل هذا لشرح المرزوقي لمضيلة المقدمة النقدية الرائدة التي تصدره، والتي نالت فيها المرزوقي كثيراً من فضلياً الأديب، وحدد - للمرة الأولى - مفهوم عود الشعر وفصل القول في عناصره"^(١)، بل ودفع بعض الباحثين بالقول عن شرح المرزوقي للعمامة بأنه "شرح لم يحظ بما حظيت به مقدمة المرزوقي نفسه"^(٢).

وبعد كانت تلك هي الشروح التي اعتمدت عليها وسوف أتناولها - إن شاء الله - بالشرح والتحليل في الأبواب والفصول التالية.

...

(١) د/ع شمس إسماعيل: المسافر الأدبية والحرية في التراث العربي، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠ م، ج ٢، ص ٩٦.
(٢) د/ع صبرة: شرح المرزوقي الطرية والإجراءات، السديان لشعر والإعلان، التمهيد، ص ١١.

الباب الأول

القضايا النقدية في الشروح

- الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى
- الفصل الثاني: قضية الأخذ بالأبهي
- الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

obeikandi.com

الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى

obeikandi.com

الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى

لقد شغلت هذه القضية - ولا تزال - حيزاً كبيراً من اهتمام النقد القدامى والمحدثين على السواء، وهي تعد "نتيجة حتمية من نتائج التفكير النقدي والعقدي الذي ساد في القرن الثالث الهجري، وهي صورة حذينة من صور التفكير المنطقي الجامد والنظرة الشكلية للشعر"^(١).

حيث خضعت هذه القضية منذ ظهورها لأراء النقاد وتباين آرائهم، حتى "إن العلماء، من قدامى ومحدثين - على كثرتهم، وعلى طول ما عالجوا هذه القضية - لم يتفقوا على رأي واحد، تطعن إليه النفوس المطيعة إلى معرفة الحقائق على وجهها الصحيح الصريح"^(٢)، وأن هك من انتصر لللفظ على المعنى، ومن انتصر للمعنى على اللفظ، وهناك من رضي بالمسارعة بينهما^(٣) "لقد فصل القدماء بين اللفظ والمعنى، وكذلك فصل بينهما بعض المحدثين، وكثت أكثر عبارات القدماء تدل على أن المتكلم يستحضر المعنى في ذهنه - أولاً - ثم يبحث له عن لفظ يؤديه به"^(٤). وغني عن البيان أن الاهتمام بهذه القضية امتد إلى الشراح أيضاً، ولما لا وهم يعنون من نقاد الشعر ومحلّيه على كلفة مستويته الفنية والأدبية ... إلخ.

وتعد اشعار حملة أبي تمام مجالا خصباً لإثراء هذه القضية سواء على الجانب النظري أم التطبيقي، وقد تصدى شراح ديوان الحماسة باقتدار لبيان أبعاد هذه القضية في النصوص الشعرية وتحليلها، معتمدين في هذا على فوهم الأدبي المدرب، وخبرتهم الواسعة بالشعر العربي، ولعل المرزوقي هو أبرز من يتحلى فيه هذا الاتجاه ويمثله، خاصة والذي يتأمل شرحه لتبوان الحماسة "بروحو من الرجل السعي وراء تجلية معنى النص عن طريق اللغة والنحو، يبعث منه - كما يبدو في صنيعة - بأن النص عبارة عن مجموعة من العلاقات والطرانق تنتظمها اللغة، وما دام الأمر كذلك وجب على النقاد ألا تغرب عنه تلك الحقيقة، وأن يدرك - إلى جانب ذلك - أن لمس صل لديه في تقويم العمل الأدبي أو النص للشعري أن يلحظه من باب، فالركيزة الأولى - إذا - لشوح النص، وكشف القناع عنه أن يجتهد العالم أو الأدبي في إزالة ما يغطي النص من ضبابية تكتنفه أو يحوم تلبده حتى يبدو مساقراً أمام ذهنه، ويمكنه - بعنذ - أن يطير إلى حيث يرجو من مصلح، أو أن يضفي على النص من رواء ما يزيد جمالا أخفاً، وروعة أسرة ..."^(٥).

وللمرزوقي رأي في بنية النص الشعري ألقه إليه مقارنته بين النثر والشعر وتخصه خواص الشعر الشكلية القلقة على الوزن والقافية ووحدة البيت الذي ينتج عنه حصر المعنى الشعري في حدود المدى الذي يسع بنيته، مما مكّنه من الوعي بتلازم خالصتي التكثيف والغموض في الشعر "لذلك وجب أن يكون للنص في أكثر الأحوال في المعنى، وأن يبلغ الشاعر في تطيفه، والأخذ من حواشيه، حتى يوسع اللفظ له، فيؤديه على غموضه وخفقه، حدّاً يصير المدرك له والمشرق طيه، كالقفز بخبرة اختتمها، والظفر بدقنة استخرجها"^(٦).

(١) د. العربي حسن درويش: النقد العربي القديم "مقاييسه واتجاهاته وإنشائه وأصله ومصيره" مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٦٧.

(٢) د. محمد طلي حسن المصري: لقضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي، القاهرة، مكتبة ودية، ١٩٢٠ هـ ١٩٩٩ م، ص ٢٠.

(٣) تشر: د. يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ١١٢، ص ١٢٨، في حديثه عن مذاهب فتد في أسئلة فننظ والمضى.

(٤) د. محمد علي حسن المصري: لقضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي، ص ٢٠.

(٥) د. تقي محمد أبو عيسى: تضاداً الأدبية والفنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، دار المعارف بمصر، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، ص ١٠٩، ١١٠.

(٦) انظر: مقدمة شرح المرزوقي لديوان الحماسة: ٥.

ولعل ما يضيف إلى المرزوقي وزناً بالإضافة إلى هذه النظرات التي كتبت خلاصة للاستيعاب العميق لتتاج سابقه من النقد، صياغته نظرية عمود الشعر العربي الصياغة النهائية، كما أصبحت فكرة مشكلة اللفظ للمعنى في حد ذاتها أصلاً مهماً من أصول عمود الشعر عند العرب^(١).

قد عكست شروح ديوان الحماسة - جميعها - هذا الاهتمام باللفظ شعراء الحماسة ومعقبيهم، وهو ما سيأتي لنا من خلال العرض التالي:

المبحث الأول: اللفظ:

اهتم البلاغيون والنقاد العرب باللفظ ولا يعني ذلك أنه الأسس ولا قيمة للمعنى، بل الأصل "إصالة المعنى" و"تحسين اللفظ" واللفظ والمعنى مرتبطان^(٢)، وقد انعكس هذا الاهتمام - أيضاً - بصورة واضحة على شراح الحماسة، فكانت اللغة في شروحهم، من أهم الوسائل التوضيحية لتحديد ماية اللفظ ومطلوه، فهي من العوامل الأساسية في فهم الشعر وتفسيره معاً، لذلك وجنناهم نشاط في تحديد "الرواية" لغوياً، ذلك التحديد الذي كان فرصة للدخول إلى علم اللغة بكل أبعاده، ومن جميع أبوابه، ولقد كتبت روايتهم المتعددة مجالاً للقول لا من حيث الرواية وتحديدها فحسب، ولكن مجالاً رحباً لتحديد أصل اللفظ وتوضيح ما طرأ عليه من تغييرات؛ لإتاحة الدقيق في أداء المعنى، والبيد الذي لم يوفق الشاعر في اختياره، لبيد المعنى الذي أراد، وذلك وفق منبج واضح يتيبه الآن فيما يلي:

أولاً: البحث المعجمي:

لقي هذا اللون من البحث عند الشراح عناية كبرى، فهم يبدأون بالجزء وينتجون إلى أن ينتهوا إلى الكل، ويتوسلون بالجزئيات للوصول إلى الكليات، وهذا هو المنهج الذي حار عليه معظم من تصدوا لشرح شعر الحماسة من العلماء كابن جني، وابن فارس، وأبي هلال العسكري، كما نال حنفاً مهماً من اهتمامات المرزوقي والتبريزي والأعلم الشحمري.

ولننظر - مثلاً - في قول أبي النخش:

ونثينة الأرجاء طاب منة الصوى خفت بأبي النخشا فيها زغبنة

فقد قرره ابن فارس معجمياً قتلًا: "النقبة: البعيدة. الأرجاء: النواحي، واحداً: رجا. والصوى: الأعلام. والطلسة: أنثى لا يهتدى لطريقها. يقال: طريق طلسم، وطلسم: إذا طمسه الريح. خنت، تخدي، خدياً، ووخنت، تخد، أخنت تخدي، مثلاً: مضت تمضي. ووخنت تخد، مثلاً: وعدت تعد، فأبدا أمرت الناقة من الوخدان، قلت: تخدي، كما تقول من الوعد، عدي. وإذا أمرت الناقة من الخدان، قلت: أخدي. كما تقول للمرأة: امضي إذا أمرتها بالعمضي والركتب: جمع ركوبة: وهي النوق التي تعد للركوب"^(٣).

(١) انظر: ترح المرزوقي ديوان الحماسة: ٩-١.

(٢) أبو هلال العسكري: الصناعات الكتابية والشعر، بتحقيق / محمد علي الجبوري، محمد أبو النخيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧١ م، ص ٦٩.

(٣) ابن فارس: المعجم، لخبر أبي تمام، تحقيق د. هادي حسن حمودي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، ص ١٠٦، ١٠٧.

وفي سبيل كشف الشارح عن مفهوم اللفظة وتحليلها، ملك عدة طرق^(١) يمكن إيجازها في الآتي:

- في إطار سعي الشارح إلى تحديد دلالة المفردة ومضاهي المعجمي فإنه يستعين في سبيل ذلك بالشواهد المختلفة من شعر ونثر، أو بما اعتقته العرب في استخدام المفردة وبما يتصل به من أحوالها. فمن أمثلة الاستعانة بالشواهد النثرية من قرآن كريم ما أورده أبو هلال العسكري في تفسير لفظة (دعا) في قول الطوقية:

دعا دغسوة يؤم الشترى قال مالك ومن لا يخب عند الخليفة يكلم

"رواه هذا الشيخ: لا يجب بكسر الحيم. والصواب: فتح الجيم: (لا يخب)، وأول البيت يدل على ذلك وهو قوله: (دعا .. دل مالك)، فالمراد: أنه استغاثهم، فلم يغثوه، وتركوه لأعدائه، فكلموه، حتى قتلوه. والكلم: الجرح، ومن استغاث فلم يغث، جرح. والدعاء (ها هنا) : الاستغثة والاستعانة، ومنه قول الله تعالى: "ادعوا شهداءكم من دون الله" (البقرة / ٢٢). أي استغيثوهم، ولم يرد الشاعر أن هذا الرجل لم يجب الداعي المستغيث؛ فكلم، ومن لا يجيبه يكلم؛ لأن هذا قلب المراد، وعكس المعنى"^(٢).

ومن شواهد القرآن الكريم وكلام للعرب ما أورده ابن جني في تفسير لفظة (عز) في قول دريد بن الصمة:

وعبذ نغسوت تخجل الطير خوئة وعز النصاب: جنو قبر عيسى

"عزه أي غلبه، تقول للعرب: قد عزني الشعر والقول أي: تعز علي، وقال الله تعالى: "وعزني في الخطاب" أي علبني، وهو متعد كما ترى، وليس قولهم في الدعاء "أعزك الله" منقولاً من هذا، لأنه لو كان منقولاً منه لوجب بالنقل أن يتعدى إلى مفعولين، ولم يسمع هنا في نثر ولا نظم أكثر من مفعول واحد، فهو إذن من عز الشيء يعز إذا اشتد وصلب، ومنه: الأرض المراز لصلابتها"^(٣).

ومن القرآن الكريم كذلك والمثل ما نجده عند النسي في تفسير لفظة (جاء) في قول بعض بني قيس:

فجئنا أعبد لهم لأفعد مئتهم ونفعد نجاء إلى ذوي الأخفاد

"وقوله: "ولقد جاء"، أي: يضطر، يقول: "أجاءه إلى كذا وكذا"، أي اضطره إليه. قال الله عز وجل: "أجاءها المخلص إلى جذع النخلة" (مريم / ٢٣)، ومن أمثال العرب: "شر ما أجاءك إلى مخة عرقيب"، يقول ربما اضطر الإنسان إلى عدوه، فلذلك داريتهم"^(٤).

ومن شواهد الحديث الشريف والمثل وكذلك الشعر ما أورده المرزوقي في تفسير لفظة (هم) (و) هاتين

في قول سعد بن نقيب بن مازن بن عمرو بن تميم:

إذا هم لم تزد غزينة هم ولم تأب ما يأتي من الأعر هاتين

(١) نقلا عن السيد حمدان: لتخليا البلاغية والفنية في شروح لتمام على شعر أبي العلاء، ص ٢٢٩ : ٢٤٨، المنسخر فقط خلا الشواهد وتطبيق عليها.

(٢) أن دلال السكري: رسالة في ضبط تحرير مواضع من المصنف: ص ١٤٧، ١٤٨.

(٣) ابن جني: تنبيه على شرح أمثال أبيات المصنف: ص ٢٢٠، جملة (١٦٣).

(٤) النسي: معاني أبيات المصنف: ص ٥٩، المصنف (٥٧).

الفضيلة النقية: المصل الأول: خشية اللفظ والمعنى: اللفظ

"الهم: ما تحيل لفظه وإيقاعه فكرك. والهمة: اسم للحالة التي تكون عليها في ذلك. ويقال في المثل لمن يحير بطول الأمل: "هم وبهم بك". ومنه المهمات، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول. وهذا طريقة الفلك لأن الرجوع عن الرأي إلى غيره طريقة من يتدبر العواقب فيترك الشيء إلى الشيء لما يرجوه من حسن الملب. فقال: إذا هم هذا الرجل بشيء أنفذ عزيمته ولم يردعها، ولم يفل ما يقطعه خفقا. ومثله قول الآخر: (الوالد)

جَمْعُ نَوْزٍ لَا يَزُولُ عَنْ دَفْعِهِ وَلَا يَتَّبِعِي عَزِيمَتَهُ أَتَقَاءُ

ويقال: ردعته فارتدع، أي كفتته ورددته ردعا. ومنه الرداع في العلة وهو النكس، يقل ردع ردعا وردعا. والهيئة تكون من الذعر ومن الإجلال جميعا، ويقال للجان حبوب وهوية، وللهاء للمبالغة، وللحشم مهبب، وفي الحديث: "الإيمان هبوب". ويقال: تهيبت الشيء وتهييني بمعنى، لما كان لا يلتبس، ومثله من المقلوب كثير^(١). وغير ذلك من الشواهد الفثرية.

أما الشواهد الشعرية فكتبت حاضرة بكثرة في كفاة للشروح، وإن تفلوت معدلاتها بين الشراح، أثلم أبو حلال العسكري والتمري، وسأكتفي هنا بنموذج أو نموذجين.

يقول أبو حلال العسكري في تفسير كلمة (نكر) في قول الشاعر: (الطويل)

وَلَا الذُّهْرُ مِمَّا يُخْبِتُ الضُّمُوتَ مُقَتَّبٌ وَلَا الْغَيْثُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ الْخَشْيُ ثَائِبِرٌ

"يقول: إن صدر الحي، أو لم يصبر، فإن الميت لا يبعث، بعد الموت، في الدنيا. بحث على الصبر، ورواه هذا الشيخ: (ولا الحي إن لم يصبر الحي نكر)، وهذا أعجب شيء سمعناه؛ لأن الحي لا يحتاج إلى الثبور، وإنما الميت ينثر، يقال: (نثر الله الموتى ونثروا هم)، وقال الأعشى: (السرير)

حَشَى يَفْلُوْا الثَّامِنَ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْغَيْثِ الثَّائِبِرِ !"^(٢)

وفي قول العريض أحد بني أبي بكر بن كلاب: (الطويل)

هَيْثُونَ فَيْثُونَ إِيْمَنَ نُوْوَ غَزَمِ
إِنْ يُسَاقُوا الْغَيْثُ نَضُّوْهُ وَإِنْ خُيِّرُوا
وَأِنْ تُؤْتَتْهُمْ لَأَيُّوْا وَإِنْ شُيِّعُوا

يقول المروزي: "والأيسار: جمع اليسر، وهم الذين يجتمعون في اليسر على الجزور عن الجذب والتعطى فيجلبون القاذح عليها، ثم يفرقونه في الفقراء وأرباب الحاجة والضرراء. ويقال: يسر إذا أجل قنحه، فهو يسر ويسر. قل: (الطويل)

إِذَا نَمَرُوا لَمْ يُوْرِثِ الْيَمْسُ بَيْتَهُمْ لَوَاجِشٌ يَغْفِي بَفْرَها بِالْمَصَابِقِ

وقال أبو ذؤيب: (الكامل)

فَكَمَا أَتَى بِبَابِ نَمَةٍ وَعَلَمَهُ نَمَرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْنَعُ

(١) المروزي: شرح ديوان الحماسة: ج ١ ص ٧١، ٧٢.
(٢) أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة: ص ٢٠٠، ٢٠١.

والمنحى أنهم يرجعون إلى سجدة خلق وسلامة طبع، موقرون في مجالسهم، متكرمون في عاداتهم وشؤونهم، متعطون على الفقراء زمن الجذب بميسرهم، يمسون المكارم ويمرونها بعد ابتساقها، ولا يظنون عنها؛ وأن هذا الخصال لم يورثها عن كلاله، وأن آباءهم على ذلك درجوا وتقضوا. ثم قال: إن يسألوا الخير يعطوه، ويريد منهم لا يتقاعون عن البذل في الحقوق والنواب، ولا يحجون إلى استخراج ذلك منهم بالعنف والاستقصاء بل يخرجون منها إلى أصحابها والمطلبين بها؛ وإن جربوا عند جهد البلاء، واشتمل الشدة والبلاء، وحملوا أكثر مما يلزمهم، وأل ما ينهض به حالهم، طابت أفعالهم، وحسنت أفعالهم، ومن اتقى يتقرب إليهم، أو تودد لهم، لأنوا له، واتقوا لما يريد من حيثهم. وإن أودوا وأخرجوا انتشفوا عن أضرار شر - وهو جمع الضرر، وهو الشد لا يطلق - وإن كانوا في أنفسهم وسجلاتهم غير أضرار، إلا أنهم إذا جنوا إلى الشر والحوا زادوا على الأضرار. وقوله شهروا أي هجروا. ويقال: فرس شهيم، أي حديد نشيط بكى؛ ومنه الشهيم. ويقال شهيم الرجل، إذا دعر أيضاً، ويرجع في المنحى إلى الأول^(١).

ومن أمثلة ما ساقه الشراح في تفسير المفردة اعتماداً على عادة العرب في استخدامهما، أو على ما قصل من أحوالهم، ما أورده المرزوقي في شرحه لقول زفر بن الحارث الكلبي:

فَلَمَّا قَرَعْنَا الْقُبُورَ وَالْتَبَعَ بَنِيضُ أَهْلِهَا أَنْ تَقْرَأَ

"الشاعر اعترف بأن أصل أولئك بنيع، كما أن أصلهم بنيع، التبع خير الأشجار التي يتخذ منها التسي وأصلها، كما أن العرب شرها وأرخاها، فجعلت العرب تضرب المثل بهما في الأصل الكريم والتهيم، حتى إن بعض المحققين قال:

هَهِهِاتِ أَبْنَى الْبَيْتِ مَسْفُوحَةٌ وَإِنْ نَبَغَ الْفَخَارُ مِنْ غَيْرِهِ

فيقول: لما قرعنا أصلهم بأصلنا أبت العبدان من التكسر. والمنحى أن كلامنا أبي أن يتيزم عن صاحبه. فالعبدان مثل للرجل، والتبع مثل للأصل^(٢).

- وقد يستعين الشراح ويستشهد في إطار بحثه المعجمي بالمحركات التفسيرية لأصحاب اللغة - (المنحى) في قول عروة بن الورد:

مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِهِ يَخْزُوهُ بِمَنَاحَتِهِمْ زُجْزُ الْمَنِيحِ الْمُسْتَهْزِ

"قال الحليل: هو الثامن من الفداح. وقال أبو عمرو: المنحى والسفيح والوحد فداح لا انصباء لها، وإنما يكثر بها للفداح فهي تجل أبداً، وقال الأصمعي: للمنحى الذي لا يعت به^(٣).

- وفي أثناء ذلك قد يورد الشراح اختلاف العلماء فيفصل بينهم ويرجع بين أقوالهم، من ذلك مثلاً ما أورده المرزوقي في تفسير لفظة (أبزي) في قول بعض بني قحسب (مرة بن عدا):

فَهَلَّا أَعْدُوْنِي يَبْتَلِي تَلَا فَوَا إِذَا الْخَصْمُ أَهْزَى حَاتِلِ السَّرَاسِ أَتَقَبْ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (٢ / ١٥٩٤).

(٢) نفسه: (١٥٦ / ١).

(٣) نفسه: (٤٢٣ / ٢)، يقول: ولكن لتتبر الوضن الوجه، الذي يبدل جهده ويبتذل نفسه في طلب غناه ويقصر سعيه على ما يبلغ به غرضه ليتبر على اعتقه عقلاً ومغوراً، ولم يجره حلاً بعد حاله، ويكره عليه وقتاً بعد وقت يزر هذا التبع في خروجه ومع ذلك يرد.

(٤) نفسه: (٤٢٣ / ٢).

"قوله: تنادوا دعاء، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره، ولكنه أكد معلقته فصلح لذلك. يقول: ملا جعلوني عدة لرجل مثلي، فقد بعضهم بعضاً وقد جاءهم الخصم متأخر العجز مثل الرأس منحرفاً ... وقال الأصمعي: البري: تأخر العجز. وقال غيره: هو إشراف وسط الظهر على الإمت. والبيت يشهد للأصمعي"^(١).

• وفي بعض الأحيان كان يكتبي بأن يورد اختلافاتهم دون تفصيل أو ترجيح بين أقوالهم، كما جاء في تفسير لفظه (تنهسه) في قول علقمة بنت عبد المطلب:

فَإِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ
وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ

"والنهن: أخذ الشيء بمتنم فيك. ويروي: تنهسه بالسين معجمة. وكان الأصمعي يقول: النهن والنهنس سواء، وهو أخذ اللحم بالتم. وخالفه أبو زيد فقال: النهن بالسين أخذك الشيء بمتنم فمك. والضمير في قوله ضباغه يعود إلى القاع"^(٢).

وقول آخر في ابن له (محرز بن المكبر):

لَا تَعْلَمُ فَمِثَالُ مَاءٍ وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ

"يخاطب لائمة عائلته في التوفر على ابنه حنذج واختصاصه إياه واستخلاصه ... فيقول: لا تلوميني في أمر حنذج، إن حنذجاً وليت هذه المساعدة متساويان عدي. وقد قيل في ليث عفرين: إنها هي التي تصيد الذباب وثباً، فثبته في كيدته ومكره به، وقد وصف الخبيث المنكر بالفر والعفوية وعفري، ويقال أيضاً للأسد عفر وعفري. وقيل هو أشد عفارة واستعفر للأن. وحكى الأصمعي أن ليث عفرين دابة كالحراب يتحدى الراكب ويضرب بفتبع. وقيل عفرين: موضع نسب إليه، وقيل عفرين: فعلين من العفر، وهو التراب، لأن علفة الأسد أن لا يصيب من فريسته حتى يعفره، يشهد لذلك قول الآخر في صفته:

وَلَا تَأَلَّ فَمِثَالُ مَاءٍ وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثَالُ مَاءٍ

ونذكر بعضهم أن ليث عفرين كقولهم: ليث ليوث، لأنه يقال للمنكر الداهية عفر، ويوصف به الأسود والرجال. ويكون على هذا عفرين جمع جمع السلامة كالأثوريين، ومر بي أن قولهم ليث عفرين يستعمل في المدح والتم وسواء: مصدر في الأصل وصف به"^(٣).

فالشراح - في كل ما سبق - "يخصص تحليله المعجمي لمقولات صرفية متواضعة عليها يسعى إلى أن يتعرف من خلالها على الوحدة المعجمية في انتمائها المقولي"^(٤).

(١) العروكي: شرح ديوان الحماسة. (١ / ٢١٤).
(٢) الراجح: ملة شمس وسقطهم وقال المليل: الرعاية. الرجل الذي لا لواء له، ومنه رعاي الناس.
(٣) المحفل: المصروع على الحالة، وهي الأرض. والتنازع المستوى من الأرثور.
(٤) العروكي: شرح ديوان الحماسة. (٢ / ٧٤٣).
(٥) ذكر الحليل في حنذا في اللغة: ملة طيبة تنبت الثوا من لسان.
(٦) العروكي: شرح ديوان الحماسة. (١ / ٢٦٩).
(٧) دالمد الوري: شرح الشعر عبد الحرب، من الأصول إلى القرن ١٤ هـ / ٢٠ م "مراصة سفكروية"، دار الكلف الطبعة، ليبيا، ط ٢٠٠٩، ص ٦٤.

القضايا النقدية **===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== اللفظ**
 - وفي إطار معي الشارح إلى تحديد دلالة المفردة بكل دقة، فقد يتوقف عند مفردة ما ويسوق معانيها المتعددة مع إيراد الشواهد المختلفة.

فقد توقف النمري عند كلمة (ستر الله) في قول آخر:
 رَبَّنَا بِمَنْزِلَةِ اللَّهِ بَنِيَّاهَا غَمَّشِيَّةُ آزَامِ الْكُنَّاسِ زِيمِ (الطويل)
 قتلا: "ستر الله" ما هنا، الإسلام، وما حجز بينه وبين الفجور، ومن ظن أن "الستر" ما هنا ستر البيت الحرام وغيره، فقد أخطأ وهذا كقول زهير:
 السَّيِّئُ مَنْزِلُ الْفَاجِئِ شَبَابٌ وَلَا يَلْفُكُ أَثَرُ الْخَيْبِ مِنْ مَنِّهِ (الكامل)
 فالستر، ما هنا، الحياء وما حجز من الفاحشات لا غير^(١).

- وقد ينكر الشارح مترادفات الكلمة التي تحمل الدلالة لنفسها:

له (اسبطرت) في قول عمرو بن معد يكرب:
 وَنَحْنُ رَأَيْتُ الْخَيْبَ زَوْجًا قَاتِلَهُمَا جِسْمًا زَوْجٌ خَلْبَتٌ فَانْطَبَرَتْ (الطويل)
 بمعنى "امتنت"، والسبطر والسبط بمعنى واحد^(٢).

- وقد يشير الشارح في سياق تفسيره للفظ إلى سبب تسميتها باسمها، فالحجاز سمي بذلك "لأنه يفصل بين الغور والشام وبين البادية"^(٣)، "ولمّا سمي الثقل عبثاً لأنه من عبث المتاع أعوزه عبثاً، ثم يسمّى المتاع عبثاً، فهو كالتنقض والنقض. وكثير استصله حتى تسمحوا به فيما يدخل من الثقل على القلب ولا يحمل على الظهر"^(٤)، والمطية ضد النمري هي "ما امتطيته، أي ركبت مطاء، وهو الظهر، يراد به البحر، ويقال: بل سميت "مطية"، لأنه يمتطى عليها في السير، أي يمد"^(٥).

- وفي سياق توضيحه لمعنى اللفظة ورفع الغموض والإشكال عنها فإن الشارح بلغت النظر إلى عكس مظاهرها أو مضادها، كما جاء مثلا في قول خطاب بن المعلى:

أَنْزَلَنِي إِلَى الْكَهْزِ غَالِي خُفْيِهِ مِنْ شَابِغٍ غَالٍ إِلَى خَفَضِ
 "يقول للدهر حكيم معروف، وطريق مألوف، في رفع الوضع، وحط الرفع، فلجري حكمه على، وأنزلني عن رتبة عالية إلى منزلة منخفضة، والخفض: ضد الرفع، وهو مصدر وضع موضع المفعول. يريد إلى مكان منخفض"^(٦).

(١) ثنوي: معاني لمات الصماعة: من ١٨٦، العملية رقم / ٥٢٢.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصماعة: (١٥٧ / ١).

(٣) نفسه (١٤٩٩ / ٢).

(٤) نفسه. (٨٢٨ / ٢).

(٥) ثنوي: معاني لمات الصماعة: من ٢١٢، من ١٤٠.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان الصماعة: (٢٨٥ / ١).

• وقد ينقص الشارح دلالة اللفظ على مختلف الروايات التي جاء بها لما في ذلك من أهمية بالغة في فهم الشعر وتحديد المعنى وتوضيحه، وهذا أمر سبقت الإشارة إليه.

فقد ألفت الشراح إلى اختلاف دلالة اللفظ وبالتالي المعنى الإجمالي للبيت لاختلاف الرواية في قول أبو حذابة التميمي:

خاض السردى في العذي فمنا بمنصليه **والخزئل تغلثك ثنسي الضوت بالئجم**

"يقول: دخل قديماً في مكتشفة أعدائه الهلاك بمنيفه، لا ينقبض ولا يحجم، والخزل عراض على لجبها، تعلقها في أثناء الموت. والعلك: المضغ. ويقال: في لسهه عولك، أي بمضغه ... يقال: ثنيت الشيء ثنياء ثم يسمى المثنى نيا ... كقوله قال: والويل تمضغ مثنى الموت، أي مضاعفه، ملجمة. وهذا حسن. وبعضهم روى والخزل تعلق تن الموت، وإنش: حطام اليبس، والمضغ ما تنمعه. وفي هذه الطريقة قول الآخر:

خضنا إليه العنوت في أيما بنا خنزر الشفار جفونئ الأزن (١)

• والشواهد والأمثلة التي يأتي بها الشارح بغرض رفع الإبهام والقبوض عن اللفظ شعراء الحماسة، قد يستطرد فيتعرض لبعض الألفاظ بالتحليل والتفسير، ويسوق عليها الشواهد المختلفة أيضاً.

ولنأخذ - مثلاً - صنيع ابن جني في تفسير قول عتبة بن ربيعة المازني:

فقالوا : غريب طارق طوخث به مشون الغنابي والخطوب الطوائخ

"ويرى - طرحت له، والطوارح: وكان قيله: المطارح. وذلك أنه جمع مطروح، وتكسیر مفعل - مفاعل بحذف أحد العينين ونقر الميم في أوله، لكنه جاء على حذف الزينة من معله فكأنه جاء على طاح فهو ططح، فكسر ططح على طوائخ كقول الله تعالى: "وأرسلنا الرياح لواقح" (الحجر / ٢٢)، أي: ملاتح، لأنها تلقح السحاب. وقيل: لا، بل هي تفتح أي تجن بالماء، فكأنها هي الحامل" (٢).

ولم يقتصر جهد الشراح عند مجرد الكشف عن غريب الألفاظ والمعاني، بل تجاوز ذلك ليأخذ شرح معاني الألفاظ ضد بعض الشراح بعداً تأويلية خاصة وهم "علماء موسوعو العلم والثقافة، غزيرو للتأليف والتصنيف، جمعوا بين علوم شتى، وثقافات عدة، وكثفت حصيلتهم رائعة. في مختلف العلوم الدينية والدنيوية، والأفكار الكلامية والفلسفية، إلى جذب اهتمامهم الواسع، وشغفهم العظيم بعلوم اللغة والأدب، ومحصولهم الوفير من الشعر العربي على اختلاف عصوره ومذاهبه، وموضوعاته، وتعدد شروحه وتباين اتجاهاتها ومناهجها" (٣)، مما انعكس على شروحهم التي "أظهرت مدى تعمقهم في اللغز والتذكير" (٤)، فالشارح منهم في سبيل تفسيره الألفاظ "يقلب النقط قلباً دقيقاً .. وينقله في أحيان كثيرة من وضعه الحقيقي إلى وضع مجازي .. وينكر معانيه المختلفة حسب أوضاعه في الكلام" (٥)، في سبيل الوصول إلى المعنى المراد وتحليله وتوضيحه.

(١) للمزوني: شرح ديوان الحماسة (٢ / ٦٨٨ - ٦٨٩).

(٢) فن حلي: انتبه على شرح مشكل أبيات المعصية: من ٣٨١، حمادة ولم (٢٢٢).

(٣) تألفت جمال الصري: شروح الشعر الجمالي، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٨١ م، (١ / ٢٩٨).

(٤) نفسه: (١ / ٢٩٩).

(٥) نفسه: (٢ / ١١٢).

ولقد أخذ هذا التلويل أشكلاً عدة^(١) يمكن إيجازها في الآتي:

أ- تلغى الدلالة على المراد دون تعيين أو ترجيح، مما يشير إلى أن معنى البيت يحتملها جميعاً، كما في (التواتر) في قول حبيب بن سحيب:

بَطْرِدُ لَنْدِنْ صَخَاخِ فُغُونِيَّةٍ وَبِي زَوْقِي عَضْبُ يَغْدُ الْقَوَابِيْمَا
وَيَنْضَاءُ مِنْ ثَمَجِ ابْنِ ذَاوُدَ تَقَرَّةٍ تَخِيْرُهَا زَوْجُ الْفَأَمِ الْغَلَابِيْمَا

الذي فيه "التواتر": أعلى البيض؛ وقونس الفرس منه، وهو العظم الذي تحته العصفوران. هكذا قال أبو عبيدة. وقال الأصمعي: هو والعصفوران سواء^(٢).

ب - الدلالة على المراد باستقصاء وجوهه المحتملة مع التفصيل والاختيار دون تعليل؛ فـ (قريع الدهر) في قول ثابت ثرا:

فَإِذَا قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا غَائِبٌ خَوْفٌ إِذَا مُدُّ مِنْهُ مَنْجَرٌ جَائِبٌ مَنْجَرٌ

"يحتمل وجهين: يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، ويكون من قرعت الشيء أي اختارته وخصصته بقرعتي، ويقال هو قريعهم وقريعهم وقريعهم بمعنى واحد. ويجوز أن يكون بمعنى من قرعه الدهر بنواتبه حتى جرب وتبصر. ويكون قريع في الوجهين فعلاً في معنى مفعول. ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر لعل الدهر، ويكون لي هنا الوجه قريع في معنى فاعل، لأنه يقرع الناقة أي يضربها. وما تنقم أحسن"^(٣).

و (النجوم) في قول بعض بني أسد:

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَفَنَنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

"يقول: لو شئت لأطلقت عنان فرسي فنجوت، وكنت بحيث لا يوصل إلي، ولا يقدر علي. وقوله "مكان الفرقدين من النجوم"، قال قوم: أراد بالنجوم منازل القمر ومسيرها في المحرى، والفرقدان بمعزل عن المجرى وعن القمر، ولا يلتقي أبداً الفرقدان والقمر.

قال أبو ريشة رحمه الله يقول: لو شئت لكنت مكان الفرقدين من صالحي، وكذا قال: "من النجوم"، فميز بها، لأنه يقال لولد البقرة الوحشية "فرقد"، قال طرفة:

فَمَنْخُولَتِي مَذْعُورَةٌ أَمْ لَرَجْدٍ

وهذا القول لحب إلي"^(٤).

(١) نقل عن د. مصطفى طهاني عبد الرحيم: تيارات لتقد الألفي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٧٩ : ١٨٠. علا الشواهد، ونشر كمال: د. السيد حمدان: تصانيف البلاغة والنقبة في شروح التتماء على شعر أبي العلاء، ٢٥٦ - ٢٥٩.

(٢) الفريزوني: شرح ديوان الصائغ: (٥٩١/١).

(٣) نفسه: (٧٦/١).

(٤) شعري: معنى ليك الصائغ: ص ٥٠، ٥١، المصنعة رقم ٣٩.

ج - استقصاء الوجوه المحتملة مع التفصيل والاختيار المطلق، هذا الاختيار مع التعليل اعتمدوا فيه على مقاييس مختلفة، أهمها:

- الاعتماد على المعرفة بسبق النص ووحدة الأسلوب؛ فنكر (الرداء) في قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للسموءل بن علقما اليهودي:

إِذَا الْغَزَاةُ لَمْ يَنْتَمِنِ مِنَ الْكُؤُوعِ عِزُّهُ لَكَمْ يَدَاؤُا يَنْتَبِرُ بِهِ جَمِيْلٌ

"ما هنا مستعار، وقد قيل: رداء الله رداء عمله، فجعل كناية عن مكافأة العبد بما يعمل، أو تشبيه به، كما جعله هذا الشاعر كناية عن الفعل نفسه. وتحقيقه: فأى عمل عمله بعد تجنب اللوم كان حسناً ... وليس هنا من قول عمرو بن معد يكرب.

لَمِنْ الْجَمْعِ مَالٌ بِمِثْلِ زَرْبٍ فَاغْلَمْ فَإِنْ زُرْتُ بِزَرْبِا
فبعتت أنه يريد بالرداء الثياب بسبيل، فاعلمه"^(١).

- ومنها الاعتماد على صيغة الشعر؛ كما نلاحظ في تفسير (من) في قول زياد الأعجم: (الطويل)
وَمِنْ أَتَمُّ إِنَّا نَمِينَا مَنْ أَتَمُّ فَرِيحُكُمْ مَنْ أَوْ رِيحِ الْأَعَابِرِ

فبحور فيها أن تكون بمعنى (الاستفهامية) وكذلك (الموصولية)؛ إلا أنها للأولى أقرب حرياً على عدة العرب في صناعة الشعر. يقول ابن حني. "أجرى نمينا مجرى نقيضه علمنا وعرفنا فاستعمل الاستفهام بعدها، وعلف عه، والعرب تجري الشيء مجرى نقيضه كما تجريه مجرى نظيره، ألا تراهم قالوا: شيعلى كما قالوا: حورلى. وريلى كمعشلى، وجعل كعلم، ولوم ككرم، وقالوا: كثر ما بقولى كقوليم: فلما بقى: وهو كثير جداً. ويحور أن يكون من موصولة أي نسبنا الذي هو أنتم كترامة من قرأ (تماماً على / الذي أحسن) والأول الوجه ليطابق الاستفهام قبله، هكذا موجب صناعة الشعر"^(٢).

هذا التفصيل والاختيار - معك كلان أم غير معك - كلان من الشراح "تق طاهرة بمعرفتهم لدلالة اللفاظ ويصرهم بمواقفها، وحسنهم بما كلان يسعى منها ..."^(٣)، الأمر الذى يمكننا الوقوف عليه بسهولة من خلال ما أورثناه من أمثلة.

هـ - مناقشة الدلالات الواردة من شرح المعاني مع التوجيه والتفصيل. وقد سبق أن أوردت عدد الأمثلة في انتاء الحديث عن المعاني المعجمية.

أما التحليل فيقصد به "تعمق الإشارات الغريبة والبعيدة التي يجوس خلالها معنى الكلمة"^(٤)، وهو أظهر ما يكون عند النمرى، من ذلك تعليقه على بيت زفر بن الحارث:

مَنْفَتَاهُمْ خَامَسَا مَنْفَتَوْا بِمِثْلِهِا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْخَوْبِ أَمْنِيَا

(١) الرزولي: شرح ديوان الصامة: (١/ ١١٠، ١١١).

(٢) ابن حني. التنبيه على شرح إيهات الممننة. ص ٣٧٧، للمصنف رقم ٣٢٩.

(٣) د. أحمد صيد. أبو الملاء للقد الأديب. دار المعارف بمصر. ط ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م. ص ٢٧٦.

(٤) د. مصطفى عليان: تورات اللغة الأديب في الأسس في ترقن الحسن للهري: ص ١٨١.

"هذا البيت يحتاج إلى فصل تامل، فإليه لم يرد بقوله: "على الموت أصبراً" إلزاماً بالشجاعة لهم، ولكن يقول: استحر القتل فيهم فصبروا عليه. فهذا وإن كان مدحاً لهم، فللذي فعل بهم هذا أولى بالصمدح، وأحرى أن ينسب إليه الصبر، ولو أن فئة قتلنا فئة، وكان القتل في إحداهما أعم، لكن لنا أن نقول: هؤلاء أصبر على الموت. والخرص أن تلك اللفظة أنتك وتشجع.

فإن قال قائل: كيف يسوغ أن يدعى أن القتل فيهم أعم، بعد أن سألوا بينهما في قوله: "استقناهم كلنا مستقونا بمثلها"؟ قيل له: "الكس" ها هنا القتل والموت، فيقول: قتلوا منا وقتلنا منهم، كقولك: "ضربت وضربت"، فلا يدري أي الضربين أكثر. فلما قال: "ولكنهم أصبر على الموت"، علم الخرص ولهم المقصد^(١).

"ومن التحليل: تخليص المعنى، خاصة إذا كان اللفظ من المشترك الذي يدل على معنيين فأكثر دلالة متسوية"^(٢)، كلفظ (المنيع) في بيت عروة بن الورد:

فطبلا على أغانيه يزجرونه بمناعتهم زجر المتبج العظيمة

إذ أن "المنيع" ها هنا، قدح مشهور بالغزو، يستلزم فيضرب به، ثم يرد إلى صاحبه، و"المنيع"، المعاربة، ولذلك سمي "منيعاً"، وهو "فعل"، في تلويل "مفعول"، قال عمرو بن قميئة:

نغول بالزناج الجبال منيعها

و"المنيع"، في موضع آخر، قدح تكثر به القذاح لا غم له ولا غم عليه، وفيه يقول الشاعر: (البسيط)
تغر لميهم برماخ الخط مناجية كثر الملبض منيعاً بين ألسان
و"المنيع"، لا حظ له، وكلما برز رده شبه تكرير الطعن به، وقوله: "يزجرونه بساحتهم"، أي: يغزوه في عقر دارهم وحر بلادهم، فهو أبدا يزجر ويصاح به، كما يزجر القذح إذا ضرب به^(٣).

وقد يكتفي الشارح بالإشارة - مقتصرة - إلى المعنى الواحد المقصود، ويحصر عن هذا بقوله: "والمعنى ها هنا"، أو "المراد ها هنا".

من ذلك - مثلاً - تفسير الشري لمقطف (الإمد) في قول دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية: (الطويل)
وتفريج منة ضربة القوم صنفنا وطول السمن ذؤن غصن منهد
بقوله: "أراد بالإمد ها هنا، الظلماء..."^(٤).

وكذلك تخليص المعنى إذا كان اللفظ المفسر من الأضداد، مثل لفظ (الجلل) في قول الحارث بن وعة:
الذهلي الوطة:

فلين غطوت لأظفون جلا وإلن منطوت لأظفون خطبي

(١) الشري: معني البيت السام: ص ٤٠، ٤١، صافية رقم (٢٨)، وقتلوا أنفسنا: ص ١٢٢، صافية رقم (٢٢٠).

(٢) دهمصلي حبان: تبارك لتد الأبي في الأتلس في ترون الفلس: ص ١٨٢.

(٣) الشري: معني البيت السام: ص ٨٨، ٨٩، صافية رقم (١٤٧).

(٤) تنص: ص ١٦١ صافية رقم ٢٧٤.

"و" "الحال" هنا العظيم وقد يكون الحقيق، وهو من الأضداد^(١).

ولفظ (الجون) هو الآخر من الأضداد، فهو يظي الأسود في قول ملحمة الجرمي: (الطويل)

وَنَاتِ الْخَبْرِ الْجُونُ يَنْهَضُ مُفِيحًا مَنَهَضِ الْمَذَلِّ قَتْلُهُ الْمُوجِبِ السُّفْهِ

"والجون ! الأسود هنا، وجعله كذلك لا رتوته وكثرة مقه " (٢).

"ولحق بالتحليل ما نص عليه الشراح من طريقة العرب في استخدام بعض الألفاظ"^(٣)، والشواهد على ذلك

كثيرة أكثر مما سبق أن أوردته منها^(٤).

أما التوجيه فإلى "يتصد إلى الإيابة عن المعنى المحدد والقيق للكلمة، وتوجيه معنى الشاعر في ضوئه

سلامة أو عدم صحة"^(٥). فقد استخدم أبان بن عجة بن العيار لفظ (البيض) التي بمعنى السيف استخدماً

غير دقيق، في قوله: (الطويل)

بِيضٍ خَفَالٍ مَرْفُفَاتٍ قَوَاطِيعٍ بِسَاوَدٍ لَهَا أَسْرُهُ وَخَوَاتِيمُهُ

لأن "دارد عليه السلام إنما سرد الدروع لما لئن الله العديد له معجزة لا السيوف ... وقبل فيه إته قدر أن

الأمر في نسبة السيوف والدروع إلى دارد على موافق لحمله"^(٦).

وس التوجيه كذلك ما قلّم به الشراح من تصويب ما ذهب إليه غيرهم من الشراح واللغويين السابقين "لما

وقعوا فيه من خطأ في تفسير بعض ألفاظ البيت على نحو يؤدي إلى اضطراب المعنى"، ويبدو ذلك واضحاً عند

شرح لفظ (الوفر) في قول الأثير النخعي: (الكامل)

بَقِيَتْ وَفَرِي وَأَخْرَفَتْ عَنِ الْفَلَاحِ وَلَقِيَتْ أَضْنَانِي بِوَجْهِ غَبُوسٍ

يقول الثمري: "الوفر" المال. وفي كتاب النيمري: "الوفر، ها هنا شعر البدن"، وهذا بطل، لا الوفر

شعر البدن، ولا ذا موضعه إن كان لفة. وهذا قسم لا إخبار"^(٧).

هذه هي أهم المسائل التي عرض لها الشراح في أثناء بحثهم للمعنى في الألفاظ وهي تعكس مدى ما

يتمتع به الشراح من فهم واسع مدرك لأسرار الكلام، مكنهم من التعبير عن آرائهم وتوجيهاتهم بأسلوب رصين

مشرق، وعبارات دقيقة، وألفاظ مختارة منتقاة.

(١) الأعلام للشمسري: تبلي هر المعنى، ص ٣٢٠.

(٢) المرواني: شرح ديوان الحماسة (١٨١٠ / ٢)،

(٣) دلمصطفى عيسى: تبارك الله "الأي في الأئلس: ١٨٢.

(٤) قطر الرسالة ص ٧٦ وما بعدها.

(٥) دلمصطفى عيسى: تبارك الله "الأي في الأئلس: ١٨٢.

(٦) المرواني: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٦٣٥)،

(٧) شمري: معنى أبيات الحماسة ص ٢٢، تحميرة رقم (٢٥)،

ثانياً : تنقو ونقد للفظ شعراء الحماسة وتراكيبهم:

توسع شراح الحماسة في تناول الألفاظ بالشرح والتحليل، حتى شمل إلى جانب الألفاظ التراكيب التي وردت في نصوص النحويين، والكشف عما تنطوي عليه من دقائق تعبيرية، وتناولها والحكم عليها من خلال:

١ - التاريخ لبعض الألفاظ والتراكيب^(١):

وهي لون من الإحالة المرجعية، يلجأ إليها الشارح إنشاء لتأويله لفظ أو تركيب معين، بغرض تبسيطه، واستبصار ما به من دلالات. ومن التراكيب والمفردات التي استوفيت للشرح، تلك التي كان يستخدمها القدماء ثم أقر الشعراء الاستخدام نفسه بعد الإسلام واستعملوها على حقلها^(٢)، كعمارة القدماء - مثلاً - في نكر (الهامة والصدى). ولنتفكر في تعليق المرزوقي على نكر (الهامة) في قول مسقع العسري:

سلامة بنى عمرو على حيث هانم
أولاد بنو خير وشعر كثرها
جمنان النوى والقنما والسنن
جمنان ومعرورف ألم ومنقبر

"ونكر الهامة على عادة العرب، في زعمهم أن عظام الموتى تصير هامة تطير"^(٣)، إذ أن "العرب تزعم أن الرجل إذا قتل فلم يثر به، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة والصدى، ويزعم بعضهم أنه يتولد من الشماغ، فلا يزال يصيح: اسقوني، اسقوني إلى أن يثار، وقال ذو الإصبع اللخمي:

ينا عسرو إلا تدع شئني ومنقبرتي
أضربك حيث تقوى الهامة اسقوني

فيذا متعارف عليه عند العرب، إلا أن الدين يبطله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حمة ولا عرى ولا صفر"^(٤).

ونكر (الصدى) في قول نوبة:

ونسوئي نيناسي الأختية منلنت
نسنت شليم البشاشة أو زقنا
عسري ونوبسي قزنة ومنسلناج
إلهها صندى من جالب الغير منسلناج

بقول النعمري: "قوله: "سلمت تسليم البشاشة"، أي لمرئي سلامها ورد إلي الروح فرددت السلام عليها، أو رده عليها صدي، إن لم لنشر فارده أنا. و"البشاشة"، الطلاقة. و"الصدى"، نكر اليوم. والعرب تزعم أن الرجل إذا قتل خرج من رأسه طائر يصيح "اسقوني، اسقوني"، إلى أن يدرك ثراه. وهذا يطل على ما ذكرت لك قبل"^(٥).

وهناك تراكيب على عادة العرب في الاستخدام ووردت في أشعار الحماسة، مثل وصف الفاعل

والمفعول بالمصدر، كما نلاحظ في بيت سعد بن نضب بن مازن بن عمرو بن تميم:

إذا هم ألقى نين غزيمه غزيمه
ونكس عن نكر العواجب جقنا

(١) د/السيد حمدان: التقضا البلاغية والتعبية في شروح القدماء على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٧.

(٢) نفسه: ص ٢٥٧.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١/ ١٩٠).

(٤) النعمري: معاني أبيات الحماسة: ص ١٦٦، ١٦٧، المعجمة رقم (٤٦٣)، وقطر لمسة: ص ١٢٢، معجمة رقم (٢٥٢).

(٥) نفسه: ص ١٧٧، المعجمة رقم (٥١٩).

"قوله: 'اللقى بين عينيه عزمه'، أى جعله بمرأى منه لا يعقل عنه ... والمعنى أنه إذا هم بالشئ جعله محسب عيبه إلى أن ينفذ فيه ويخرج منه، ويصير في حقب من الفكر في العواقب ... وسمى المعروف عليه عرما على عادة العرب في وصف الفاعل والمفعول بالمصادر"^(١).

٢ - تأصيل التعبير وتحقيقه^(٢):

يعد الشراح أيضا إلى تأريخ التعبير وتأصيله، في محاولة للربط بين ملثور التعبير وواقعه، بغرض "إسطة الثلم عن مقاصد الشاعر ومراميه، واستكناه ما قد تتطوي عليه مشاعره"^(٣).

وترخر شروح الحماسة بالكثير من التوضيحات لما يعترى الأنفاظ والتعبيرات من تغييرات، بلجأ إليها شعراء الحماسة تما لأنواقهم وحالتهم النفسية ومذهبهم الفني، فجاءت تعليقات وتبريرات الشراح - أكثرها - متوافقة مع ما ذهب إليه الشعراء، فكثيرا ما نجد من الشراح من "يتلمس لهم الأعذار ويدافع عنهم، وقد يخرع لهم الأساليب البنية والفسية التي تشع لهم قصورهم وتمسح تقصيرهم، ويحوز لهم الاحتمالات التي قد تخرجهم من نطاق الصعف، ومصادر الرلك كما أنه لا يدالع عن الشعراء نظريا - بالقول - بل عمليا وفعليا مستشهدا مجوزا لما يمكن أن يقدم ويفل في هذا الصدد، ثم يقدم الحيتيات النفاعية التي تبرنهم من هذه المألوق الفنية التي وقعوا فيها"^(٤).

ولعل "حرص الشراح على التذكير بالقاعدة التي يزكها قول "الحماسة" من أهل اللغة وإحلفه بلشاعر المحدث وهو يجترئ على تلك القاعدة أوقعا في التأول، إما يحشد ما اتفق له من قران تشهد على براعته في الحجاج والمساخطة، وإما يتمحل أعذار وإهبة مصطنعة قائمة على الشك والتفخيم"^(٥).

هكذا دافع الشراح عن شعرائهم، وخلصوهم من ملثوقهم، وما خالفوا فيه عرف اللغة والنحو، فنهضت قران الحجاج لدى الشراح على آلية القياس حينئذ، والسماع حينئذ آخر، فما لم يصح على أحدهما صح على الآخر، وعاية تلك المرواحة هي "تبرنة ساحة الشاعر من الخطبة"^(٦)، وقد سلك الشراح في سيل ذلك عدة مبل، عدوا فيها إلى وصف المعيار ثم سوق الاستعمال ثم تذييل هذا أو ذاك بالتبرير، والتي يمكن استعراضها في^(٧).

أ - السماع:

بلجأ الشراح إلى القرينة السماعية التي يزكها للتواتر لتبرير ما ذهب إليه الشاعر مما قد يظن أنه مخالف للقياس اللغوي، مثل الإبقاء على ما حقه الحذف، في قول بعض شعراء بلعتر، واسه تربط من أب (السيط) لا يسمألون أخافهم جين يثملهم في الثابتات غلى ما قال بزها

يقول التبريزي: "والرهان البيئة قال بعضهم برهان فعلان من البره وهو القطع، وكال أبو الفتح: برهان صبا فعلان كقراطس وقرفلس وليست نونه زائدة يدل على ذلك قولك: برهنت له على كذا، أي أمت النيل

(١) المروفي. شرح ديوان الحماسة (١ / ٧٣).

(٢) د: تشيد حماد. لتقصيدا البلاغية والنقدية في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٩.

(٣) د: دعد له عد فرهم حبيل. حماد أي قلم وشروحا، دراسة وتحليل، ص ١١٠.

(٤) د: لحمد حماد المصري. شروح اشعر الحافلي، صاعف فتراج (٢ / ٢٢٥).

(٥) د: لحمد الزبرني. شرح الشعر عد العرب، ص ١٨٥.

(٦) لسه ص ١٨٦.

(٧) حماد لسماد البلاغية والتجة في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٩ ٢٧٣. العناصر لفظ غلا قشوام والتطبيق حليا.

عليه، ونظيره دهقان هو فعلال بذليل قولهم: تدهقت وليس في الكلام تفعلان وقد كان القيلس في نون برهقان ودهقان أن تكونا زائنتين جملا على الأكثر، ولكن ورد السماع بما أرغب عن القيلس، فتروك لذلك ومعنى البيت: أنهم إذا دعوا إلى الحرب أسرعوا إليها غير سائلين من دعاهم لها ولا باحثين عن سببها؛ لأن الجبان ربما تعامل بذلك فتبطلوا عن الحرب^(١).

ب - القياس:

ولما الشارح إلى القياس عندما نغوزة القرينة السماعية، وذلك "إما باعتباره مبررا في حد ذاته .. وإما بعد مقارنات بين الصيغة المنكرة سماعا وصيغ أخرى يجمعها بها القياس"^(٢)، مما قد يظن احتراء على قاعدة اللغة، مثل وضع المستقبل موضع الماضي، في قول جابر بن حريش:

ولقد آتانا بما سئمتُ بخائبٍ نزعى القبرُ فغابنا فالأمتُ لرا

يقول المرزوقي: "قوله " آتانا " حكاية الحال، وما يستمر ويتصل من الأفعال إذا أريد فيه الإخبار عن الماضي قد يؤتى بلفظ المستقبل فيوضع موضع بناء الماضي، على ذلك قوله:

ولقد أمتُ غنى اللبيم نسبي فمضيت ثمت فلت لا يقبني

ألا ترى أنه قال امرؤ، ثم قال لمضيت ثمت فلت، كذلك هذا قال ولقد آتانا، ثم جاء في آخر البيت قل: إذ لا يخلف حدودنا كف النوى"^(٣)، وفي بعض الأحيان يتسدى الشارح في طريق الاعتذار لشعرانه، فيكلف هذا القيلس، تولا لذلك الزال من هؤلاء الشعراء وتبرره: بتضع هذا بالمثل التالي الذي يقول فيه اشعري عن بيت نوبة: (الطويل)

نلوؤي لئلى لى السمام فصنعت بطرفى لئلى لئلى الفوسن القواشع

"الكشاحة"، العداوة، و"كوشع" "قواعل"، وهذا جمع لم يكت للمذكر إلا في أحرف ثلاثة منها: "قارس وقوامس، وهالك في الهواك"، إلا أنه جمعه على لفظ المعين وتثنيها، لا على معناها في هذا الموضع وتكبره"^(٤)، وهذا تكلف من الشارح في القيلس حتى يتمس للشاعر عزرا في استخدام هذا الجمع على هذه الصيغة، ولعل هذا ما قصد به بقوله: "وإن أراد بالعين التي هي الرقبة، تساء برأقته، أو عيوننا على الحقيقة، كان حنئا، ولم يحتج إلى تحمل حجة لقواعل"^(٥).

أما إذا خالف الشاعر القيلس فإن الشارح يتلمس له الأعداء والمبررات، ومن أهمها:

• الضرورات الشعرية:

تعد الضرورة الشعرية من المصطلحات التي لقيت غلبة من اللغويين أكثر من النقاد والبلاغيين، فنكروها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فون أن يسميها^(٦)، ونكروها ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)^(٧)،

(١) لشعري: شرح ديوان العمسة: (٥ / ١)، وانظر ابن حنبل: شرح مشكل أبيات العمسة: ص ٢٠، حاصية رقم (١).

(٢) دالحم الزهراني: شرح الشعر عند العرب، ص ١٨٥.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان العمسة: (١ / ٥٩٢، ٥٩٣).

(٤) لشعري: معاني أبيات العمسة: ص ١٧٧، ١٧٨، العمسة رقم (٥١٩).

(٥) نفسه: ص ١٧٨، العمسة رقم (٥١٩).

(٦) تخر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق/أحمد شلكر، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢ م، ص ١٠١.

(٧) لطر: ابن عبد ربه: المعتمد، تحقيق/محمد سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٣ م، (٥ / ٣٥٤).

الضحايا الثقيلة الفصل الأول: خشية اللفظ والمطى اللفظ

وابن وهب (ت ٢٣٨ هـ) ^(١)، والمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) ^(٢)، والقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) ^(٣)، ورأى العسكري (٣٩٥ هـ) أن الضرورة تشيخ الكلام وتذهب بمقته ويتبين أن تجتنب، وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية ^(٤).

وتلح شراح الحماسة أسلافهم من اللغويين والنقاد في مفهوم الضرورة، ففصلوا القول فيما يجوز للشاعر في الضرورة من الفروج عن قواعد اللغة والنحو والصرف؛ إذ كثيراً ما يعمد إليها الشاعر لتبجح له احترائق قوانين الشعر، والاجترار على قواعده، فيفتح من خلالها "باب التجاوز ويتسرب الشك ويستحكم" ^(٥).

وقد نعتت أشكال وأنواع الضرورات الشعرية التي لجأ إليها الشاعر لتبرئة ساحته من الخطأ؛ بلعنف لزيادة أو بشعر، كتلك المروية التي سمع الشاعر إلى رفع ما حقه النصب، مثل ما وقع في قول مد بن مالك: (مروءة لكنك)
مَنْ مَنَنْتَ غَنَمَ نِيرَانِهِمَا فَاتَّابَا بَيْنَ قَتْلَيْنِ لَا يَسْرَاحُ
 فقله لا يراح، الوجه فيه النصب، ولكن الضرورة دعت إلى رفعها، وقل سيويبه: جيل لا كلين هاها فرفع به الشكوة، وجعل الخير مضمرًا. ومثله: (الرجز)

بين الجحيم حين لا تستصرخ

كأنهما قالوا: حين ليس عندي مستصرخ ولا يراح عندي في الحرب. وهذا يقل في الشعر ولا يكثر. وجعل غيره يراح مبتدأ والخبر مضمرًا؛ وإنما يحسن ذلك إذا تكرر، كقول القائل: لا درهم لي ولا دينار. ولا عبء لي ولا أمة. إلا أنه جور للشاعر الرفع في النكرة بعد لا وإن لم يكرر، لأن أصل ما ينفي بلا الرفع، فكأنه من باب رد الشبهة إلى أصله. ويقال ما يرحت من مكن كذا، أي ما زلت يراحاً ويدروحاً. وما يرحت أفعل كذا يراحاً، أي أقمت على فعله، مثل ما زلت أفعله. واليراح الأول في المكن، واليراح الثاني في الرمان، ولا بد له من خبر ^(٦).

أو تحريك ما حقه البناء (جول) في قول ابن رالان السنبسي: (البسيط)
لَسْنَا رَأَتْ مَفْشَرًا قَلْبُكَ خَنَ وَلِثْمُهُمْ قَالَتْ مُغَاذُ أَهْمًا ذَا نَمَلْتُمْ بِجَلَا
 "والأصل في بجل البناء على السكون، ودعت الضرورة إلى تحريكه فحركه بالفتح، وكان الواجب إذا حرك الكسر فيه. ومثله قول الآخر: (البسيط)

ونعم إن قُتُمتَ نضاً

لأن نعم أيضاً مبني على السكون فحركه للضرورة بالفتح كما ترى ^(٧).

(١) قطر أبو العباس إسحاق بن إبراهيم بن ساهل بن وهب الكاتب: الرمان في وحوه البيل، تقديم وتنسيق/عفي محمد شرف، مكتبة التحليل، القاهرة، ١٩٦٩ م، ص ١٦٣.

(٢) انظر: المرزباني: الموشح في ملحة العلماء على الشعراء، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، ١٣٤٢ هـ، ص ١٤٤.

(٣) انظر: القاضي الجرجاني: الوسيلة بين المتسي وخصومه، تحقيق/علي محمد الجباري، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١ م، ص ٤٥٢.

(٤) انظر: أبو هلال العسكري: الصناعات: ص ١٥٠.

(٥) دأحمد الزبيري: شرح الشعر عند العرب، ص ١٨٦.

(٦) المرواني: شرح ديوان الحماسة، (٥٠٦/١).

(٧) نفسه: (٦٠٨/١).

أو سأنثيث ما حقه التذكير، كقول جواس:
جَنُتَمَ مِنَ الْخَجَرِ الْبَصِيرِ نِيَاظُهُ وَالشَّامُ تَكْثُرُ كَهْلُهَا وَقَتَاها
نجدته قد "لثت الشام للنقدية"، وإنما هو ذكر^(١).

وليس استخدام الشاعر للضرورة الشعرية - دائما - دليل على قصوره وضعفه، بل إنه قد يدل - في بعض الأحيان - على قوته ونبوغه، وابتداعه وانتكاره، وهو ما تتميز به جامع الحماسة نفسه، فلقد "شعر المعري والتبريزي أن هذا الابتكار والشعر على القوالب والعبارات العربية الجاهزة المألوفة جلق مميّز لشعر أبي تمام، وركن أساسي من أركان ما يسميه أبو العلاء "مذهب الطائي"^(٢).

ومن هنا يمكننا أن نفهم لماذا استحسن المرزوقي صورة اللفظة التي ركب فيها الشاعر الضرورة. فطر إليه يقول عن بيت المعدل بن النرخ المعجلي "التصيدة من المنصفات":

أَنَا تَرْجِسَانِ الثَّارِ فِي إِيْنِ أَبِيكَمَا وَلَا تَرْجِسَانِ إِيْنِ اللَّهِ فِي جَنْبِ الْخَالِدِ

"وقطع همزة ابني نزار ضرورة، كما قل الآخر: (الطويل)

إِذَا جَاوَزَ الْأَثْنَيْنِ سِرًّا فَتُتُّ بِنَسْتٍ وَإِثَارِ الْوُثَاةِ قَمِينٌ

ويركبن هذه الضرورة في الأكثر الأعم إذا كتبت الألف في اسم، وذلك أن أنثت الوصل بلها الأفعال دون الأسماء حتى يمكن حصرها إذا لم تكن في مصدر، فلذا كان كذلك فالمعتاد في ألفات الأسماء التلح، فعلى ذلك يستحسن قطعها فيها، وإن كتبت في الوصل للضرورة"^(٣).

التعليق:

وهو "أن يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظاً أو معنى"^(٤). "وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل: ترجيح أحد المعطوبين على الآخر أو إطلاق لفظه عليهما؛ إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"^(٥). وقد لجأ إليه الشراح كثيراً لإزالة شبهة المخالفة عن لفظ شعراء الحماسة وراكبيهم فنزل الشاعر: (الطويل)

وَلَا نَقْرُ الْوَرَحْمَنَ يَوْماً وَلَيْلَةً مُتَّفَعَاتٍ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةً الْبَصِيرِ

لحمن البيت "... غلبة الليلة على اليوم، ولذلك وقع التأريخ على الليالي دون الأيام من حيث كتبت أثيلة أول الشهر، هذا مذهب العرب، وإن كان غيرهم مخالفاً فيه"^(٦).

وقول آخر: (الوافر)

فَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الْإِزَالِ إِلَّا الْوُثَاةُ بِزَيْدِي أَوْ خِيَالُهَا الْكَذُوبُ

(١) ابن حسي: تنبيه على شرح مشكل ليوت الحماسة، حاشية (٢٢٢)، ص ٣٧٤.
(٢) الهادي المعجلوني: مقال بحول خصائص الشروح العربية على ديوان أبي تمام، مجلة لصور، لثامره، ترشأ النقدي ج ١ (مع ١٤ / ١٤).
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٧٣٨، ٧٣٩).
(٤) حوام انترطلفتن: مناهج البلاغة وسراج الأنباء، تحقيق د/محمد الصوب بن حوجة، تونس، ١٩٦٦ م، ص ١٠٣.
(٥) تركشي: الرعل في طوم ترقن: تعقبق لعمد أو الفصل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ديت ٢٠٢٣.
(٦) ابن حسي: تنبيه على شرح مشكل ليوت الحماسة، ص ٤٤٤.

لـ "أنت الخيال لأنه شبيه بها ، فلكد الشبه بينهما يتقوئه ليكون مثلها مؤشاً" (١).

- وجود نظائر للاستعمال في القرآن الكريم:

فمن ذلك استعمال شبيب بن عوانة (وراه) بمعنى (قدام) في قوله: (الطويل)
فَوُتِنْتُ فِي الْأَرْضِ الْقَضَاءِ لِعَفْنُهَا وَلَكِنْ أَتَيْتُ أَبَوَيْهِ مِنْ وَرَائِهِمَا
"وراء بمعنى قدام هنا، ومثله في القرآن: "وكان وراءهم ملك" (الكهف / ٧٨) " (٢).

ج - التاويل:

وهو منحى يتخذه الشارح في اتجاه نوع من التفسير لما بعد خروجاً بالنص من مجل المستعمل
المشهور. حتى "يكتب الشرح طبعاً تويرياً يجعل الشارح لا يكو - وهذا في الحد من "تسيب" النص و"عقلانيته"
بررر نور المطبق في حفايا من خلال رصد "الأهلة" وحشد "القرائن" قصد الإقناع، ووسائله في ذلك (التنبير)
(والتنكير) (والتحري) (٣).

من تلك التفسير الذي لورده الشارح لحمل شاعر الحملة اللفظ مستقلاً وإن أراد المضي. في قول ابن
رأون سبي

إِنَّمَا تَزَى مَالَنَا أَتَمَحَى بِهِ خَلَلٌ فَقَدْ يَكُونُ قَسِيماً يَرْتَقِي الْخَفْلَا

بالتوّل. "وقوله "فقد يكون" جعل اللفظ مستقلاً وإن لوراد المضي، لاستمرار الحال على طريقة واحدة
وقد مضى مثله. ويحور أن يكون حكى الحال، كتوله تعالى: "وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد" (الكهف / ١٨) (٤).

د - كون الاستعمال المخالف في القافية:

فقد يصطر الشاعر مع التنقية إلى استعمال لفظ بعينه نون غيره من الأنماط مع أنها جميعاً من واحد
واحد (٥). وهو ما يعول عليه الشارح لتبرير اضطراب الشاعر إليه مثل "خيرها بلاء" في قول آخر: (الطويل)

فَاغْضُضْهُنَّ الطُّغُولِي مَنْأَمَا وَخَيْرَهَا بَلَاءٌ وَخَيْرُ الْخَيْبِرِ مَا وَخَيْرُ

إله "كل الواجب في مقابلة الطولي أن يقول والخوري بلاء، لو خوارها بلاء، فعلى به الوزن عن تخير المفعلة" (٦).

هـ - كونه يحقق الإيجاز وعدم التكرار:

وهو ما نلاحظه في تعليق المرزوقي على بيت صلم بن صيد لله: (البسيط)
وَأَمَّا غُفْرٌ قَبْرٌ وَقَبْرٌ فَكُنْتُ أَفْرَضُهُمْ مَبْتَلًا وَأَيْقَمُهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ

(١) من حني التنبيه على شرح مشكل لمبات الحملة - ص ١١٢.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان العمامة (٢٢٤ / ١).

(٣) دالعمد الزهرني: شرح الشعر عند العرب، ص ٣١.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان العمامة (٦٠٩ / ١).

(٥) انظر: دالسيد محمدان: التصايا البلاغية والتنقية في شروح لعمامة على شعر أبي العلاء، ص ٢٦٩.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان العمامة - حماسة (٧٢١) (١٦٤٨ / ٢) (١٦٤٩).

فقد قل: قوله: (لو عد قبر وقبر) المراد به والأصل فيه: لو عدت القبور قبرا قبرا، إلا أنه اختصر الكلام وحذف القبور ورفع قراً على أن يقوم مقام الفاعل، فلما رفعه وأزاله عن سنن الحال في نحو قولهم: بعث الشاء ثمة ثمة، وقضت المال درهماً درهماً، وصمت رمضان يوماً يوماً، رد حرف العطف، وإما قلت هذا لأنه من مواضع العطف، لكنهم اتسعوا في الحال لعلم المخطئ. وقال سيبويه: إن الغالب على هذا الباب كله أن يكون اتصاله من إحدى الجهتين: الحال أو الظرف، لأن الاتساع مذهب على هذا الحد والجواز لم يكن إلا فيهما. والظرف كقوله: لقينه يوم يوم، وصباح مساء، وملجأتهما. قال: والإفراد في هذا الباب لا يجوز حماية على المعنى الذي يتضمنه التكرار. وإن قيل: هل يجوز على ما بينت: لو عدت القور قبر وقبر، على البذل، وكذلك بين حسابه باب وباب؟ قلت لا يجوز ذلك، لأن القصد والغرض من الكلام، وقد أجرى على مقدم، التفصيل والتلخيص، ومن الإبدال على ما ذكرت لا يبين ذلك. ومع ذكر القبور يحذف من الاسمين المترجمين عن الحال بعده. لا يجوز بعث الشاء ثمة ثمة؛ فذلك هذا، على أن يبي الحال والظرف يحتملان من التوسع ما يضيّق عنه أكثر أبواب الإعراب ويجوز، وإذا كن كذلك لم يجوز تجاوزهما بالاتساع فيهما إلى غيرهما. ألا ترى أنه لو قل: لو عد قبران كنت أكرمهما ميتاً، لم يحز، ولم يبين منه ذلك المعنى، وإن كان المعطوف والمعطوف عليه إذا قلت جاءني رجل ورجل بمثلية جاءني رحلتان. ومعنى البيت: لو عدت القبور متنوعة مفصلة - وإنما يعني أسلاف من قدم عليه في الآن والدخول خذولة وصومة - لكنك أكرمهم أباء، وأشرفهم بيوتاً^(١).

و - كون الاستعمال المخالف قد أجازه بعض علماء اللغة:

فلو القول الطهوي قد استعمل (فوارس) لجمع (فارس) في قوله: (الوافر)
فمست نفسي وما ملكت يميني فوارين ضمت قوا إليهم تظنوني
"وفوارس مثلاً في الجموع عند سيبويه، لأن فواصل إنما تكون جمع فاعلة في صفات ما يعقل دون فاعله واستدرك على سيبويه هالك في الهولك. وبيت للفردق: (الكامل)
وإذا الرخـمـال رافاً يديـهـم وأرـيـهـم خـضـع الزفـفـاب زوافين الأبيـصـاب
وبيت عتبة بن الحارث:

(الوافر)

ومثلي في غوانيكم قليل

وقال أبو العباس المبرد: هو الأصل في جميعه، ويجوز في الشعر^(٢).

ز - كون الاستعمال المخالف يحل في التخلف في التطق:

وهو ما يمكن أن نلمح في أكثر من موضع، من ذلك مثلاً ما وحموا به قول العباس بن مرداس: (الوافر)

ونـضـريه الوافـد دةً بهـلـلـي هـلـلـي لا غـيـر لـلـي ولا نـيـر

(١) المروزي: شرح ديوان الصمدية: (١١٢٢ / ٢).

(٢) نفسه: (٣٩ / ١).

"وقوله (الهراوي) جمع هراوة، وورنه فعلل هراشي، لأن فعلة وفعالة يشتركان في هذا البناء من التكسير . تقول : صحيفة وصحائف ، ورسالة ورسائل ، إلا أنهم فروا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فصار هراء، فاجتمع همزة وألفان فكله قد اجتمع ثلاث ألفات أو ثلاث همزات، فلبدلوا من الهمزة واواً فصار هراوى. فإن قيل: فلا أختلف منه الياء، كما فعلته في مطايا وما أشبهها؟ قلت: أرادوا أن يظهر في الواو كما ظهر في الواحد ليميز بنت الياء عن بنات الواو"^(١).

ح - كون الاستعمال المخالف لغة جائزة أو جيدة أو لصيقة أو خاصة:

يقيم الشارح تحليله لتعامل الشاعر مع اللغة على "محورين أساسيين هما المعيار والاستعمال: المعيار بما هو سمة أو مجموع السمات التي تمكن من تمييز عنصر ما عن سائر العناصر الأخرى على نحو من الضبط دقيق؛ والاستعمال بما هو متكون من مجموع السمات غير المميزة التي تند عن القاعدة. ومن ثم أمكن اعتبار المعيار ما تواضعت عليه المجموعة اللغوية والاستعمال ضرباً من التعامل مع اللغة قد لا يراعى فيه بعض ما أجمعت عليه تلك المجموعة من مقاييس وضوابط . فيكون "الخروج" الذي قد يثير حفيظة المتشددين وقد يدفع بالبعض الآخر إلى ثقله وتبريره"^(٢).

ومن هذا المطلق دافع الشراح عن لغة شعراء الحملة، وردوا كثيراً مما قد يتوهم أنه قد يواخذ عليهم، فـ (مكعب) في قول رجل من تميم:

أَبْنَيْتُ الْفُحْنَ فِي مَنْغَابٍ عِظْفِي نَفْسِي لَا تُفْهَازُ وَلَا تُفْهَاعُ

"إذا أعربته منعه الصرف، لأنه علم، فلحصول التعريف فيه والتثنية مع كثرة الحروف يمنع الصرف. والشاعر تعميماً، وهذا لغة قومه. وإذا بنيته على الكسر أجربته محرى حذام، لأنه مؤنث معدول معرفة، فلمشابهته بهذه الأوصاف حرك ونزال ينشئ، وهذه اللغة حجازية. واشتقق مكعب من مكبت إذا صيبت. ويقال في صفة الفرس: هو بحر ومكعب"^(٣).

و (الفتى) في قول سعد بن مالك:

إِلَّا الْفَتَى الْصَّبَّاءُ الْبُحْرِي الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ الْفُحْنُ

"ارتفع على أنه بدل من التخييل، وهذا لغة تميم، ولغة سائر العرب للنصب فيما كان كمن استثناء خارجاً وإن كان جلياً بعد النفي، لأن كونه ليس من الأول يبعد البديل فيه. والنصب كان جلياً على كل وجه"^(٤).

فـ (الفتى) يجوز أن يرفع على أنه بدل من التخييل ، ولكن المشهور أن يكون منصوباً على الاستثناء على لغة سائر العرب، وكلتا اللغتين مقبولتان.

(١) المبرورفي: شرح ديوان الصفة. (١١٥٥ / ٢).

(٢) دالمند الوبرلي: شرح الشعر ضد العرب، من ١٨٤، ١٨٥.

(٣) المبرورفي: شرح ديوان الصفة (١١٠ / ١).

(٤) تسمه: (٥٠٢ / ١).

ط - كون الاستعمال المخالف قد جرت به عادة المتكلمين:

كما يتضح من تعقيب انثريزي على قوله (عام أولاً) في قول آخر: (الكامل)
 وما أئوها العام الذي فُتِرَ فُتِي أئتت البـداغ لبـذفر عام أولاً
 "وقوله عام أولاً مما ألف منه كثرة الاستعمال فوصف بصفة لم توصف بها نظيره على التعارف،
 والمراد بهذا أنه لم يقل شهر أولاً ولا حول أولاً ولا سنة أولى وإنما خص هو بذلك؛ لكثرة الاستعمال ولأن دلالة
 الحال وتعارف المتكلمين سوغ الأجراء على ما ألف فيه"^(١).

ي - كون الاستعمال المخالف قد كثر تردده في الكلام:

كما في لفظ (تدبرا) في قول جابر بن حريش: (الكامل)
 إذ لا نغاف خـنوجنا فـذف الثـوى قـبـل النـناد إقامـة وثـذرا
 فالقياس فيه أن "يقال ما بالدار ديار - وداري، ومنه قوله : (الرجز)
 لَبَثَ قَبِيلًا يَلْحَقُ الدَّارِيُونَ
 والأصل في تدبر الولي ولكنه بنوه على ديار، لأنهم له بكثرة تردده في كلامهم"^(٢).

كذلك ما وقع في جمع (مصيبة) على (مصطب) في قول آخر: (الطويل)
 وإن خـذت كاتـ جـبع مـصـتاب مـؤفـرة تـأتي بالمـصـمة الظـهر
 "المصطب: جمع مصيبة، وهي مفعلة، وشبه مدتها بمدة فعلة، وجمعت جمعها، والقياس مصلوب وقد
 جاء ولكنه في الاستعمال دون مصطب. وهذا مما شذ في القيلس، أعني مصطب. ومصلوب شاذ في الاستعمال
 مطرد في القيلس"^(٣).

٣- التطور المجازي لبعض الألفاظ^(٤):

للمجاز عند العرب قاعدة، عداها المقاربة والمناسبة في التشبيه والاستعارة، وهي ما لا أشار إليها
 المرزوقي بقوله: "وبذلك الأمر تقرب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به، ثم يكتفي فيه بالاسم
 المستعمل لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعمل له"^(٥).

ولقد أغاض الشراح النظر في أشعر الحملة، تشقيقا وتأويلا، وتوقفوا كثيرا عند أصل المعنى وما
 صلا إليه؛ فالوهي، وهو الحرب في بيت عمرو بن الإطيلة: (الكامل)
 والقـاتـلين لـذى الـوهـى أقمـرهم نـي العنـيـة مـن ذراة الوائـل

(١) انثريزي: شرح ديوان الحملة: (١١١ / ٣).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (٥٩٣ / ١)، ٥٩٥.

(٣) نمسه: (١٨٧٦ / ٢).

(٤) د/الصبيح حمدان: تصانيف اللغوية والنغمية في شرح شعراء النعماء على شعر أبي العلاء، ص ٢٧٤.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: ص ١١.

أصله "الجبلة والصوت، ثم كثر استعماله فصار كناية عن الحرب..."^(١).

وبغيرها من الشواهد المتواترة في كثير من الشروح.

ومن صور التطور المعاصري كذلك التي لقيت عناية بعض الشراح، ظاهرة التغليب، وإن لم يتم التصريح بها في بعض الأحيان، خاصة تغليب الصفات على الأسماء، فـ (أبيض) في قول زينب بنت الطيرة ترقى أخاها: (الطويل)

نَضَى وَزَيْشَادُ ذَرِيَمَنْ مَفَاضِلُهُ وَأَبْيَضُ هَذِيْبًا طَوِيْلًا خَمَاتِلُهُ

صعدت على السيف، بقول المرزوقي: "وأبيض، أي وسيفاً... وجعله طويل الحمل طويلاً لقوامه"^(٢).

٤ - وجه الخصوصية والعلة في الاختيار بعض الالفاظ والتعبيرات دون غيرها^(٣):

شعر الحماسة ببيع المعاني متفق العاطفة، علم بالرفقة والحلاوة، مستوفي الجمال الفني، وقد دعا هذا الشراح إلى الإعجاب به، وبدقة اختيار الشعراء اللفظهم وتعبيراتهم، فجنوداً تلقىهم الأبيية في سبيل الكشف عما تطوى عنه الالفاظ والتعبيرات من جملة تعبري في الصور الشعرية والمضمون.

وحين يريد أن يتلمس العناصر والمغيب التي اعتمد عليها الشراح في تحديد معالم الخصوصية والاختيار وتغليب، يحدها تتمثل في:

- ذوقهم الفني، على نحو ما نجد من قول المرزوقي في أثناء شرحه هذا البيت: قال آخر، ويقال إنها

لأبيط شر^(٤) (الطويل)

يَنْقُلُ بِمَوْمِئَةٍ وَيَنْصَبِي بِغَيْرِهَا جَحِيْشًا وَيَنْزُوْزِي ظُنُوْزَ الظَّهَالِبِ

"إنما قل بمسي بخيرها ولم يقل ببيت، لأن قصده إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياض نهاره مفارقة، ولو قل ببيت لم يبين منه ذلك"^(٥).

والبراء بن ربيعي الفصيح في قوله:

ثَنَاتِيْهُ كَمَا تَهَا ذُوَاتِيْهُ فُؤَمِيْهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأُمْتَلِغُ

"إنما قل ذؤابة قومهم ولم يقل ذؤائب قومهم، لأنه عدم شيئاً واحداً، فلتنصرهم واتفق أمرانهم"^(٦).

- حسهم اللغوي مثل ما نلحده في قول المرزوقي عن بيت قيس بن ربيعة السبسي: (الطويل)

عَسَى طَيْسٌ مِّنْ طَيْسٍ يَغْزِي هَذِهِ مَسْطَطِي غُلَّتِ الْكَلَى وَالْجَوَاتِي

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (٢ / ١٦٣٤).

(٢) نفسه: (٢ / ١٠١٨).

(٣) انظر: د. السيد حسنة: التسلسل البلاغي والتقنية في شروح النماذج على شعر أبي العلاء، ص ٢٧٥ : ٢٨٢، انظر فقط خلا الشواهد وشطيق عليها.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٩٥).

(٥) نفسه: (١ / ٨٥٠).

"عسى لفظه وضعت للترجي والتأمل، إلا أنها تؤخذ بأن الفعل مستقل مطموع فيه، فيجب أن يستلزم له، وإن كانت من أفعال المقاربة. وبهذا يبين عن لفظه كاد لأن كاد لمشاهدة الفعل فهو يلي الفعل بنفسه تقول كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، بذلك على هذا أنه كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، بذلك على هذا أنه قال ستطعن ثلاث الكلى والجوانح. لما كان من شرط عسى أن يجيء بعده أن ايذاناً بالاستقبال جعل هذا بدل أن السين، لأنه أشهر في الدلالة على الاستقبال، وإنما قال عسى طين من طين لأن الجذاب الذي أشار إليه والقتال، كان بين بطنين منهما" (١).

خيرتهم للخصه مثل ما أورده التبريزي عن خصوصية (الصفراء من الجراد) في بيت آخر: (الكامل)
فَقَاتَمَا طَائِرَاتٍ يَلْبِسِي بَغْدَدَ صَفْرَاءُ عَارِضَتَهَا زَيْجَرُ جَرَادِ
"إنما خص الصفراء من الجواد لخفتها في الطيران وهو نكر الجراد وإنما تنقل الأتلى لما فيها من السره وهو بيضها يقل سرات تسرا سرا إذا أنثرت وأسرأت تسريه قبل أن تنثره فإذا نثره رز الجراد وعز" (٢).

كما بين التبريزي السر في اختيار شهري جمادي والمحرّم في بيت المتوكل اللبثي: (الطويل)
فَإِنْ نَسَّيْنَا أَفْئِدَةَ الشُّهُورِ شَهَادَةَ تَنْبِيٍّ جُمَادَى غَنَمٌ وَالْمَحْرَمُ
وهو أن "جمادى من أشهر القحط والضر والمحرّم من أشهر الحزم" (٣).

تتأقنهم ومعرفتهم بالأخبار والمشهور وكذلك الأمتل والمقور ومذاهب العرب.

فمن أمثلة اهتمامهم على المعرفة بالأخبار والمشهور خصوصية (المعجم) في بيت ملحة الجرمي: (النطويل)
كَمَلْنِ قُرْدِي زَوْجَهُ طَبِخْتُهُمَا بَطْنِي مِنْ الْجُمُولِ كُتَابُ أَغْنَمِ
فالشاعر "خصهم لأنهم حينئذ كانوا أحق بالكتابة وأسبغها" (٤).

ويبرر لنا أهمية اختيار اللفظ المحدد، ومدى ملاءمته للسباق الوارد فيه، من خلال تعليق المرزوقي على قول
فيس بن الحطيم الأوسي:
يَهْوُونَ غَلِيٍّ أَنْ تُرَدَّ جِرَاحُهَا غَيَّوْنَ لَأَوَاسِيٍّ إِذْ خَبِثَتْ بِلَاعُهَا
حيث بين السر في خصوصية: (الأواسي) (النساء)، و سر اختياره لها دون الرجال، بما يشير بتقافته
الواسعة ومعرفته بالأخبار والمشهور عن العرب، فقلنا: "الأواسي: النساء المداويلت للجراح، والقفل منه لسوت.
ويقال للرجل الآسرن والأسمة. وإنما ذكر النساء لأنهم يلغون من الصناعات، ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر
النساء أحياناً، إذ لم يكن في غلبة بعيد من الشرف" (٥).

(١) المرزوقي: شرح ديوان المسلس: (١ / ٩٦).

(٢) التبريزي: شرح ديوان المسلس: (٣ / ٦٥).

(٣) نساء: (٤ / ١٤٤)، والمرزوقي: شرح ديوان المسلس: (٢ / ١٧٧٩).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان المسلس: حماسة (٧٨١)، (٢ / ١٧٤٩).

(٥) نساء: (١ / ٦٨٥).

وتعليق النمرى على قول آخر:
رَبِّعْتُ إِذَا لَمْ تَرَوْهُمُ الْبَازِلُ ابْتِهَاجًا وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمَنْسُومِ مَدِخَلٌ
حيث يقول: "إنما خص البازل لتجربتها، وكثرة ولادتها، وتواتر حنينها، ولذلك قالوا: "لا أفعل كذا وكذا ما حست النيب"، وهي المسان من النوق، وهي ها هنا التي ولدت ولدا واحدا، وهي أثل رنمنا، وأثل إشفاقا، ولولا عجز البيت، لساغ أن يريد بالبازل ها هنا المرأة المسنة" (١).

أما ما اعتمدوا فيه على معرفتهم بالأمثال فيُضَح من قول المرزوقي عن خصوصية (ريح الأعاصير) في قول زيلد الأعجم:
(الطويل)
وَمَنْ أَتَى إِيَّا نَمِينًا مَنْ أَتَى نَمٍ وَبِخُذْكُمْ مِنْ أَنْ رِيحُ الْأَعَاصِيرِ
"وقوله من أي ريح الأعاصير، والأعاصير: جمع الإعصار، وهو الغبار الساطع المستدير، وفي المثل "من كنت ريحا فقد لاقيت إعصاراً". وإنما خصها بالذكر لأنها تسوق غيثاً، ولا تدر سحاباً، ولا تلقح شجراً، لضرب المثل بها لئلا الانتفاع به. وهذا كما قال الآخر: (طرفة)
(الطويل)
وَأَنْتَ عَلَى الْأُنْجَى شِمَالٌ عَرِيَّةٌ ثَامِيَةٌ تَسْزِي الْوَجُوهَ بِلِيلِ
وهم يجعلون الريح كلية عن النولة، فيقال: فلان هبت له ريح، وكأنه جعل دولتهم لا تجدي ولا ترد نفعاً، بل تنوى وتحر شراً" (٢).

ومما اعتمدوا فيه جرياً على عادة العرب: تعليق التبريزي على قول مرة بن محكان النخعي:
(البيسط)
تُثْمِنُ النَّخْلَ عَنْهَا وَفِي بَارِكَةٍ كَمَا تُثْمِنُ غُلًّا قَاتِلٌ مِنْ نَبَا
"قال أبو محمد الأعرابي لو قال قتل لمن قال ثمنش الجلد عنها وهي باركة ولم يذكر وهي مضطجعة وليس شيء من الحيوان يسلخ إلا مضطجعا قيل له من عادة العرب أنهم إذا نحروا الفاقة وخشوا أن تضطجع ردها الرجل من جفتها حتى تموت وهي باركة وذلك أن جزرهم ليأها وهي باركة مستوية هو خير من جزرهم ليأها وهي مضطجعة على جنبها فإذا ماتت جزلوها والجزل أن يحزوا أصل العنق ما بين المنكبين حتى تسترخي العنق ولم يقطعوه كله وقد فصلوه ثم يكتنفها الرجل فيكتنف السنام رجلان وذلك أن يكون أحدهما من جنبها من شق والآخر من الشق الآخر والآخران من قبل الكتفين والآخران من قبل المعز فتلاثة من جانب وثلاثة من جانب والسايق واحد وهي باركة" (٣).

وكذلك المعرفة بمعادات الشعراء وأساليبهم، حيث تلغ آخر، الشعراء في مخاطبة المرأة قللاً: (الطويل)
مَنْبِي الطَّارِقِ الْمَقْصُورِ مَا أَمْ مَا لَيْكِ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قَبْرِي وَمَجْزِي

(١) النمرى: معنى ابوات الصلصة، ص ١٥٥، ١٥٦، حاشية رقم (٤٣٥).
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصلصة، حاشية (٦٦٦)، (١٥٣٦ / ٢)، (١٥٤٠).
(٣) للتبريزي: شرح ديوان الصلصة (٦٢ / ٤).

القضايا الثلاثة ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== اللفظ

أَبَسَلُ وَخَيْرُي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقَبْرِ وَأَبْذَلُ مَعْرُوفِي لَهُ ذَوْنُ شَنْغَرِي

وهو "إنما خاطب امرأة على عاقبتهم في نسبة الملامت بسبب التنذير والإسراف والتوسع في الإنفاق البهين، وإقامة الحجاج والجدال في الانصباب إلى جوانب الخسارات معهن. ويجوز أن يكون التبجح عندهما بما يحمد من خصاله، وتلك خصها بالخطاب"^(١).

- حنهم البلاغي، والاستدلال على صحة الاختيار بالمذهب الفني للشاعر، وما تسفر عنه لمصائب الشاعر من فصاحة وبلاغة.

وإذا تعرض الشراح خلال ذلك لمختلف ألوان البلاغة وفنونها من بيان ومعان وبديع، على نحو من تناولهم للتشبيه، أشاروا إلى أطراف من تعلق خصوصية بعض الألفاظ والتراكيب، مبرزين بذلك مواطن الجمال في تعبير الشاعر وأساليبه. يقول المرزولي في معرض شرحه لقول ملحمة الجرمي: (الطويل)

خَلَّى الشُّنَارِيخُ الْأَوَّلَى مِنْ صَيِيرِهِ شَنْغَارِيخُ مَنْ يُبْتَلَى بِالطُّولِ وَالْفَرْضِ

"اشتمارخ: الأعلى. والصبير: السحاب الأبيض. ولبنان: جبل. شبه أعلى السحاب بأعلى هذا الجبل وأنوفه التي تنتم منه، وقال "الأولى" تخصيصاً لما كان من صييره خاصة، وقال "بالطول والعرض" ليبين وجه التشبيه"^(٢).

- وقد يكون اللفظ أو التركيب المختار أبلى في الدلالة على المعنى أو الغرض؛ نعم أن (خصوم) في بيت

صمارة بن عقيل:

وَأَمَّا إِذَا أَتَيْتَ لَنُتَاءً وَوُخْوَؤَةً فَأَتُوكَ يَلْفَزْنِي أَلَدُ خُصُومٍ

بناء للمبالغة شبه شلى (خصيم) إلا أنه "أبلغ من خصيم، لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين"^(٣).

٥. المقم والمقنن من الألفاظ^(٤):

إن اهتمام الشراح بتحديد خصوصية بعض الألفاظ والتعبيرات، لم تكن لتقف عند حدود التعليل ومن ثم التفسير والتوضيح، بل كان الأمر يتطرق بهم - في بعض الأحيان - للدخول في مفاصل أخرى، خاصة بتقييم أداء الشاعر، ومدى توفيقه في اختيار الألفاظ والتراكيب، وما عليه من ساذج وجوب؛ زيادة في الإيضاح والتفسير.

ومن أهم السمات التي أشار إليها الشراح وحثوا على أهمية توافرها في الألفاظ ما يلي^(٥):

(١) المرزولي: شرح ديوان العمدة: جملية (٦٨١)، (٢/ ١٥٧٥، ١٥٧٦).

(٢) نفسه: جملية (٨١٩)، (٢/ ١٨٠٨).

(٣) نفسه: جملية (٥٩٧)، (٢/ ١٤٢٣، ١٤٢٤).

(٤) د. السيد حمدان: قضايا البلاغة والفنية في شروح القصائد على شعر أبي تمام، ص ٢٨٢.

(٥) اتلا من د. السيد حمدان: تصانيف البلاغة والفنية في شروح القصائد على شعر أبي تمام، ص: ٢٨٢ - ٢٩٦، فخلص قسماً منها.

أ- خفتها في النطق:

استرعى انتباه الشراح المواضع التي كان يلجأ فيها شعراء الحملة إلى التخفيف عن طريق حذف بعض الحروف؛ توخيا للتسهيل، كحذف الهمزة من (اسألي) في قول آخر: (عبد الله بن العمينة) (الطويل)
سألي البائسة القضاء بالأجرع الذي به البائن هل خيئت أطلال داريك
"سلي، أصله اسألي فحذف الهمزة تخفيفاً وأقيت حركتها على السين فصار اسلي، ثم استعنى عن همزة الوصل لتحرك ما بعدها فحذفت فصارَت سلي. وهذا كما نقول في الأحمر إذا خفته: لأحمر. ومن قال الحمر يقول: اسلي فيبقى ألف الوصل"^(١).

أو عن طريق إسقاط بعض حروف الكلمة - غير الهمزة - استقلالاً لها، هذا الاستقلال في الطق قد يكون بسبب اجتماع حرفين متشابهين، فـ (تشوقيني) في قول رجل من بني كليب:
وقئت نأفقي طرنا وثنوقاً إلى من بالحنين تشوقيني
"حذف فونه استقلالاً لاحتماع بوفين، والأصل تشوقيني. ومثله في الحنف قول الآخر: (الوافر)
يسوء الغلليات إذا فليتي

يريد فليتي"^(٢).

أو قد يكون استطراداً للاسم بصلته، كما في قول العنيد بن الفرخ العجلي "القصيدة من المنصفت":
فما كنا الأرض الأثدا لو ترعزعا ترعزع ما بين الجنوب إلى السد
"وقوله الأثدا أو ترعزعا حذف النون استطراداً للاسم بصلته. وعلى هذا قوله: (الأخطل) (الكلث)
أبسمي كليب إن غمسي الأثدا فتلا التألوك وفقتا الأغلا"^(٣).

ب- الدقة في الاختيار:

وذلك بأن "يختار للمعنى اللفظ الذي هو به لخص وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية"^(٤)، وقد تعرض الشراح - أثناء إضاءة هذا الجانب - لتوضيح مواضع الكلام، وتحديد محلها الدلالي والبلاغي في لءاء المعنى، مما يعكس "حسا لدنيا في الإفصاح عن أسرار الأنفاظ والكشف عما تتطوي عليه من دلفق تعبيرية"^(٥)، مثل ما نجد في شرح المرزوقي لقول جعفر بن علية الحارثي:
فقتنا لهم تلغم إذا بغد غيرة ثقابن صرعى نوءها مثخمايل .

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة حماسية (٥١٠)، (١٣٠٧ / ٢) .

(٢) نفسه، (٢٩٤ / ١) .

(٣) نفسه، (١ / ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠) .

(٤) عبد التاهر المرحلي، دلائل الإعجاز، قرطه وعلق عليه/محمود محمد شكري، دار المعنى، حدة، ط ٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٣٥ .

(٥) ج. ح. حمزة أبي تمام وشروحها دراسة ونمط، ص ١٠٦ .

حيث يقول: "واختار أن يتول 'متخايل' لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء، على ذلك قولهم تداعى البناء، إن كان أجزاء النهوض يخلل بعضها بعضاً فلا يكمل، وكثفه أكر عليهم الاشتراط والتحكم والإحساء منهم إلى ذلك" (١).

وخصوصية الاختيار تلك، تعتمد على دعائم تقوي من أحقية اللفظة المختارة في أداء المعنى دون غيرها من المفردات والألفاظ منها حسن التعبير الموجز والتركيب الشديد في المعنى الذي يدور في خلجات الشاعر، وكذلك مدى مناسبتها للسباق الواردة فيه "وهل يتصور أن يكون بين اللفظتين تعاضل في الدلالة حتى تكون هذه أعل على معناها الذي وضعت له من دلالة صاحبها على ما هي موضوعة له حتى يقال إن رجلاً أعل من فارس، فلذا لا تتفاضل الكلمتان المفردتان إلا بالنظر إلى الممكن الذي تقعان فيه من نظم الكلام، ولا تجد أحداً يقول هذه الكلمة فصيحة إلا وهو يعتبر مكتبتها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها" (٢).

ف (القرارة) التي يعني بها القبر — مثلاً — هي قول الضبي: (الكامل)
أُنْصِي بِأَنْ تُصْبِحَ زَيْهَبِينَ قُرْبَانِي زُلْجَجِ الْجَوَابِ قَفْرَهَا مُنْخَوِ
هي والقرار واحد إلا أن "نحول الهاء وسقطها في أسماء المواضع كثير نحو دار ودارة ومكان ومكة ومربق ومرقية فإذا دخلت الهاء يكن اخص" (٣).

ولكن الشراح في الوقت ذاته، عفاوا على شعراء الحماسة في بعض المواضع عدم دقهم في بعض ألفاظهم، لأن هناك ما هو أدق منها وألحق بالسباق.

تلفظ (نزوع) في قول آخر: (البسيط)
لَا يَمْتَنِعُكَ خَفَضُ الْفَيْشِ فِي سِي دَغِي نَزُوعٌ نَلَمِي إِلَى أَهْلِي وَأَوْطَانِ
"بروى نزاع نفس وهو أجود لأن للنزوع اشتهاه في الكف عن الشيء والنزاع في الشوق وإن كان جلقاً ولوع أحدهما موقع الآخر في الشوق" (٤).

ومما يعاب على شعراء الحماسة استخدامهم المشترك دون قرينة، فـ (تكالفاً جميعهم) في قول قلعة من مسلمة الحنفي:

فَأَتَتْهُمْ حَتَّى تَعَاظَى جَعْفُهُمْ وَالْخَيْلُ فِي مَنَاسِلِ الدُّمَاءِ تَغُومُ
قد تحتمل "تكافؤوا لهزموا، وهذا من الكسفة؛ فبذلك الشيء لوجهه، ومنه كفأت الإناء، إذا قلبته، ويجوز أن يكون من الكسفة: التظير والمثل، ويكون المعنى تكاثروا في مدائحهم ومقوماتي، أي تسابوا حتى لم يفضل أحد منهم على الآخر في ذلك، وعلى هذا ما روي في الخبر: "المسلمون تتكالفوا بمنزهم" (٥).

(١) العروالي: شرح ديوان المسألة: (١ / ٤٦، ٤٧).

(٢) عدد قصائد المرحلي: دلائل الإعجاز، ص ٣٥.

(٣) العروالي: شرح ديوان المسألة: (٢ / ١٠٤١).

(٤) التبريزي: شرح ديوان المسألة: (١ / ١٤٧).

(٥) العروالي: شرح ديوان المسألة: (١ / ٧٦٧).

وكذلك كلمة (سخامي) في قول ابن السكيت:
 نغمري لأد كائنات فجأج غريضة (الطويل)
 ونزل منطامي الجناحين أدهم
 قد تحتمل الأسود وقد تحتمل الريش اللين تحت الجناح، فهي لفظة مشتركة استعملها الشاعر دون قرينة،
 ولكنها على الوجه الثاني أرجح "لأن قوله أدهم قد دل على الظلمة" (١).

ج- الوضوح وعدم الغموض:

إن وضوح الكلمة وعدم غموضها أمر ضروري كي يتلقى المستمع النصوص الشعرية، ويستجيب لها بسرعة، بإدراك ووعي وانتباه، دون وجود صعوبة في التلقي والاستيعاب، إلا أن بعض الشعراء يجنحون - إما عن قصد أو غير قصد في بعض الأحيان - إلى الغموض والإبهام في أشعارهم، مما يشدد أمر تبسيط النص الشعري وتبيله على الشارح ومن ثم على المتلقي ذاته.

ومن هنا رحنا نلحظ كالمروزي "لم يفسح المجال للحديث عن الغريب، ولم يكن يهتم كثيراً بشواذ اللغة، ولم يجنح إلى الإسهل في المستل اللغوية العويصة، لأن هدفه هو التقريب والتسهيل من جهة، ولأنه كان يحرص على المتعة الفنية الناتجة من قراءة الشعر" (٢).

وبعض شعراء العمالة كلوا بضمون أشعارهم بعض الغريب من الألفاظ على الرغم من إيتارهم لوضوح الألفاظ والتراكيب، مما أوقع الشراح في الحيرة والتربد من تحديد معنى الشاعر، ومقصده.

مثل ما ورد في قول أوطاة بن سمية:
 ونحنن نكمو غم غلى ذات يميننا (الطويل)
 وزايسمي، فيتنا بغضة وتناقم
 يقول النمرى: "وقال أكثر أهل العلم: لا ندري ما الزايمي ها هنا" (٣).

د - أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح والمعهور:

يعتمد الشراح إلى ما تواضع عليه العرب في الاستعمال، كمقياس لصحة الكلمة، وفصلتها، فالشارح "يخضع تحليله المعجمي لمقولات صرفية متواضع عليها يسعى إلى أن يتعرف من خلالها على الوحدة المعجمية في استعمالها المقولي" (٤)، وبذلك نجد أن "التحليل المعجمي يتم وفق مقولات الصرف المعروفة مما يدل على أن البحث في معنى الكلمات مشروط بمدى التطبيق والضوابط الصرفية. فالشارح هو في وجه من وجوه علم علمي ضابط يحد من تسبب المعنى المعجمي، وذلك بتقيده ببنية الكلمة وما تقتضيه من خصائص شكلية وقوالب اشتقاقية" (٥).

(١) المروزي: شرح ديوان الصنعة: (١ / ٧٦١).

(٢) دالمند جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، صانع لتتراج (٢ / ١٧٠).

(٣) الصري: معاني أبيات المعاني: حسانية رقم (١٣٧)، ص ٨١.

(٤) دالمند المروزي: شرح الشعر عند العرب، ص ٦٧.

(٥) نفسه: ص ٦٧.

وشراح شعر ديوان الحماسة كقوا - في الغالب - يأترون المسموع المشهور وما عليه الجمهور، ويرفضون ما سواه، والتقليد يأتي في المرتبة الثانية بعد السماع. وقد احتكم الشراح إليه واحتجوا به في مواضع كثيرة سبقت الإشارة إلى نماذج منها^(١).

وقد تحقّب الشراح شعراء الحماسة في ما خالفوا فيه هذا العرف فيما يخص^(٢):

- ضبط الكلمة:

مثل تحريك دال (قدي) في قول رجل من كلب:
فَأَتَيْتُ لَا أَمْنَى عَلَى إِيْمَسِرْ هَالِكِ قَدِي الْآنَ بِنَ وَجُدِ عَلَى هَالِكِ قَدِي (الطويل)
والأجود إذا أضفيت قد إلى الياء أن يقال قندي فتزاد النون ليمسكون الدال كما قالوا عني ومنى
فشدوا النون رغبة في بقاء السكون وقيل زيد الخيل:
وَلَوْلَا قَوْلُهُ يَا زَيْدُ فَنَدَنِي إِذَا قَامَتِ نُورُوزَةُ بِالْمَنَالِي " (الوالر)
والمراد أن قوله "يا زيدا" هو الذي جعله النون.

- تصريف الكلمة:

دافع المرزوقي عن الصمة بن عبد الله التبريزي في اختياره لفظة (ربا) بدلا من (روى) في قوله: (الطويل)
خَنَنْتُ إِلَى زَيْبَا وَنَلَمْتُكَ بِأَعْدَتِ مَرْزَاكِ مِنْ زَيْبَا وَنَسَبْنَاكَ مَخَا
"ربا" اسم امرأة، فإن قيل: فلا قيل روى، لأن فعلى إذا جاء اسما من بنات الياء بقلب ياءه واوا، على هذا
الفتوى والشروى والتوى والبقوى؟ قلت: إنه سمي به منقولاً عن الصفة، وفعلى صفة يصح فيه الياء، على هذا
قولهم: خزيا وصديا وربا كله تليث رباب في الأصل، كما يقال عطشان وعطشى، ثم نقل من باب الصمات إلى باب
لسمية بها فترك على بنائه^(٣).

- إعراب الكلمة:

وهو مما لولاه الشراح اهتماما كبيرا، حتى ليعد من أبرز المجالات التي جالوا فيها، وتتبعوا فيه الشعراء،
من ذلك - مثلا - ما علق به المرزوقي على هذا البيت لمزيد بن حمل، وقيل زياد بن منقذ: (البيط)
لَيْسَتْ خَلِيْمُهُمْ إِذَا يَفْعَلُونَ أَرْبُوزَةً إِلَّا جَزَاءُ قِسْمِ التَّيْسِمْعِ وَالْجُذْمِ
بقوله: "وقوله إلا جواد رفعة والوجه الجيد التصيب، لأنه منقطع مما قبله، لكن بني تعميم يرادون مثل هذا
على البذل. وهذا يشبه بدل الخلط لهذا ضعف في الإعراب"^(٤).

(١) انظر ما سبق في الحديث عن تلمس السمع.

(٢) نقل عن د. السيد حنظل: قضايا البلاغة والكتابة في شرح قصائد على شعر أبي العلاء، ص. ٢٩٢، ٢٩٣. المنصر قد خلا لشواهد.

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٥٧/٣).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حاشية (١٤٤)، (١٤١٥/٢)، (١٤١٦).

(٥) نفسه (١٤٠٢/٢).

- دلالة الكلمة:

فَتَبَرُّمُهُ بِنِ الطَّغُولِ لَمْ يَوْفُقْ فِي قَوْلِهِ:
لَفْطَرِي بِزِيمٍ جَدَّدَ بِسَابِ إِبْرَمِ مَخْرَبِي أَغْنَى غَالِيَسِهِ التَّيَارُفَانِ مَشْثُوفُ
لأن "الريم الطيبي الخالص البيضاء وأغن في صوته غنة والفتة صوت يخرج من الأنف وهو صفة للريم لا للمرأة شبه المرأة به ثم نعتة والمشوف المجلو وهو من صفت الريم أيضاً وكان الأجود أن يكون من صفت البارق وهو فارسي معرب أصله بارة وهو السوار"^(١).

- لغة الكلمة المشهورة:

لقد تعرض شراح الحماسة كذلك للالفاظ التي استخدمها الشعراء وهي مرفوضة في الاستعمال، أو غير مقبولة.

له "المعنى" في قول آخر في امرئتين تزوج بهما:
بَتَّيْتُ فُلُومَ زِيَانَمَ لَهَا قَتِيرِي وَإِسْمُ تَبَكِّ الْعُنَاقِي
"هو جمع المعزى على وزن المعزى ، وهو طرف العين الذي يلي الأنف، وهو مخرج النسيم. فلذلك جعل الفعل لها. وفي هذه النظرة غنة لغات:

ماتى على وزن المعزى وجمعه أمقى، وماتى على زنة قلبي والجميع موافى. وحكى أبو زيد ماتى والجمع موافى. وقال لمرز القيس في المعزى:

شَفَّتْ مَاتِيَهُمَا مِنْ أَخْز

وحكى يعقوب "في المنطق" عن الفراء أنه ليس في كلام العرب مفعلاً بكسر العين إلا حرفان: مأكلي العين، ومأوي الإبل، وهذه النظرة على اختلاف اللغات قد صلتها مسألة، وتكلمت في وجودها، وبينت خطأ من وزن مأكلي العين بمفعول بكسر العين"^(٢).

حيث نجد الشاعر قد خالف العرف الفصيح والمشهور في استخدامه قوام غير صحيح، قد أخطأ في الوزن عليه.

وكتلك ما أورده المرزوقي في تعليقه على بيت الشاعر:
لَسَيْنَ كَانَ يُهْدِي تَرْزُدَ لَتِيَابِهَا الْغُلَى لَتَقْفَزَ مِثْلِي (تَبَنِي لَفْطَرِي

الذي عد فيه "أقر" مبني على "قُر" المرفوض في الاستعمال، معللاً ذلك بالقول: "وإنما قلت هذا لأن قفرا كان حكمه أن يكون فعلة على فقرة، ولم يجز منه إلا اقتر. وشرط فعل التعجب وما يتبعه من بناء التفضيل إلا

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصفة: (١/ ٧٠٣).

(٢) نفسه: (١٨٦٨/٢، ١٨٦٩).

يجيء إلا من الثلاثي في الأكثر، وما كان على فعل خاصة، وإذا كان كذلك فافتقر لا يصح أن يكون مبنيًا على افتقر ولكن على افتقر^(١).

- بنوثة الكلمة:

مثل حُتِفَ عمرو بن كلثوم نون (ن) في قوله:
فَمَا أَكَلَبَ الْإِلَهِامُ بَلْعَالِي عَثْنًا بِمَوَى جُنْمِ أَذْوَابٍ مُحْدَرَةٍ لَمَسَةِ التُّمَلِ (الطويل)
وقوله "ملعل" أراد من المل، فجعل الحنف بدلاً من الإدغم لما التقى بالنون واللام حرفان متقابلان، الأول متحرك والثاني ساكنٌ سكوناً لازماً^(٢).

ومثله ما جاء في قول ابن ميادة:
وَمَا أَلَسَ مِنْ أَشْيَاءٍ لَا أَلَسَ قَوْلُهَا وَأَنْفَعُهَا نُفْرَيْنَ خَشَوَالِهَا (الطويل)
تَمْتَعُ بِهَذَا الزُّنُوعِ الْفُصُورِ فَإِنَّهُ زَهِيْنٌ بِالْزِيَامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ
فـ "قوله مل أشياء أصله من الأشياء، وجعل الحنف بدلاً من الإدغم لما تعذر إتيانه في المتقاربين، وقد مر مثله مستقصى"^(٣).

ولقد نزع الشراح في تحليلهم أشعار الحملة إلى إزالة ما يعيب استعمال الشعراء للحنف مما خالفوا فيه القياس، لما لم يصح من أشعارهم على القياس فهو يصح على كثرة الاستعمال، مثل حنف (اللام) و (الهمزة) من أصل الكلمة في قول:

وَيْلٌ لِمَنْ لَذَاتِ الشَّيْبِ مَصْرُوعَةٌ مَعَ التَّنْزِيلِ يُطَاغَى التَّغْيِيفُ الشَّيْبِ
وَلَقَدْ وَظَّلَ الْقُلُوبَ الْفَتَى فَوْنٌ هُنَا وَلَقَدْ كَانَ لَوَلَا الْقُلُوبَ طَلَاغٌ أَنْجَدِ

حيث يعلق المرزوقي على هذا الحنف بقوله: "اللفظ (ويل) إذا أضيفت يغير اللام فالوجه فيها النصب، تقول: ويل زيد، والمعنى ألزم له زيداً ولاءً، فإذا أضيفت باللام قيل: ويل لزيد، فعكسه أن يرفع فيصير مع ما بعده جملة، مبتدئ بها وهي نكرة لأن معنى الدعاء منه مفهوم. والمعنى: الويل ثابت لزيد. كنه عدد محصلاً له، كما يقال: رحيم لله زيداً فيجعل اللفظ خبيراً. وإذا كان حكم ويل هذا وقد ارتفع في قوله (ويلم لذات الشيب) فمن الظاهر أن أصله ويل لأم لذات الشيب، فحنف من أم الهمزة، واللام من ويل، وقد أبقى حركة الهمزة على اللام الجارة، فصار ويلم. وقيل: ويلم، كما قيل: الحمد لله والحمد لله إتياناً إحدى الحركتين الأخرى، وقصد به مدح الشيب وحمد لذاته بين لذات المعاش وقد طع لصلحيه الكثير، وهو كثرة المال، فاجتمع الغنى والشيب له وهو سخي مفر مما يكسبه نكراً جميلاً، وصيغاً عالياً"^(٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحمزة: (١٣٥/٢).

(٢) نفسه: ص ١٦٠، (٤٧٦/١).

(٣) نفسه: ص ٥٥٢، (١٣٥٥/٢).

(٤) نفسه: ص ٤٤٨، (١٦٠٢/٢).

ومثله تعليقه على قول قراد بن حنش الصاعري: (الطول)

لقومى أرغى للفنى من عصابة من الناس يا خبارى بن غسبر وشوذا
وأتم معاء يعجب النمان رها بأبدى تجوى شديدي ونزها
تظفيع أطياب البيوت بحاصب وأكذب شمرى وزفها وزغوها
فويلها خيلة بهاء وشارة إذا لفت الأعداة لولا صدورها

"وقوله فويلها خيلة انتصب خيلاً على التمييز، وحذفت الهمزة من أم في قوله ويلها لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هنا بقياس. واللفظة تفيد التعجب" (١).

أو حذف (الياء) و(الآلف) في قول عمرو بن حكيم: (الطول)

خيلسى أنمى خب خرقاء غابدى فبلى القلب بشة وفرة وض
ولو جازتسا الغام خرقاء لم تزل على جنبنا ألا يصوب زيب

"وقوله لم بدل جزمه مرتين لأنه كان نبالي، فدخل الجازم عليه فحذف له الياء فصار لم نبالي، ثم لم بعد أن طلب تخفيفه لكثرة في الكلام، فالتقى ساكنان: الآلف واللام، فحذفت الآلف لالتقاء الساكنين، فصار لم ومثل هذا لا ينقل" (٢).

هـ - فصلحتها:

لفصاحة الكلمة شروط وقواعد تواضع النقاد عليها، وأسهبوا في الحديث عنها (٣)، ومخاها "سلامتها من تنافر الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفة قواعد اللغة المستقراء من استعمال العرب" (٤)، ومع ذلك نجد أن "لنصحاء المتأين في أشعارهم ما لم يسمع من غيرهم" (٥)، فـ "مع هذه الصرامة التي سادت أوساط اللغويين والنحاة الأوائل، نرى - في إعجاب - من نادى منهم بعدم الالتزام الحرفي بقواعد اللغة وما إليها كعلي بن الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) فضلا عن بعض الشعراء، كعلي الطيب المصنعي" (٦)، معنى هذا أن لفصاحة الكلمة معيار وضوابط قد يجترأ عليها الشاعر لا للاضطرار إليها، بقدر ما هو يقصد الاتساع والزيادة، لم بمعنى آخر "قد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا للاضطرار إليه، ولكن للاتساع فيه، وتفاق أهله عليه فيحذرون ويترقبون" (٧).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٥٩٦)، (١٤٣٠ / ٢).

(٢) نفسه: حماسة (٥٩٠)، (١٤٣١ / ٢).

(٣) انظر: ابن سنان الخنكري: مر الناصحة، صححه وعق عليه/عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٢ هـ، ١٩٥٣ م، ص ١٠٠-١١٦، وعبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لجمال الدين تروني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١٢٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، (١٠/١)، ولتكنشلي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية للعلمة لتتأليف والترجمة والطباعة والنشر ووزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٤ م، (٢٠٤/٢، ٢٠٣٧، ٢٤٥، ٢٤٨).

(٤) محمد الطاهر ابن عثرون: شرح النشئة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م، ص ٣٢.

(٥) تقاضي الجرحي: الوسيلة بين المقيبي وخصومه، تحقيق/علي محمد الحاروي، محمد أبو الفتح إبراهيم، منظمة إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥ م، ص ٤٥٢.

(٦) دلفني محمد أبو عيسى: اتصالا أدبية وشعرية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، ص ٩٩٦.

(٧) تقاضي الجرحي: الوسيلة بين المقيبي وخصومه، ص ٤٥٠.

وتعرض الشراح لهذا الجذب يؤكد حرصهم على "تبيين مواطن الفصاحة، وأسرار الجمال اللغوي والتعبيري، وإبراز مدى نجاح الشاعر في توصيل رواه النفسية إلى الناس، ومقدرته على اختيار وسقل التعبير التي تطبيق حمل تجربته، عند التعبير عما يجيش في صدره" (١).

فإذا كانت الكلمة المختارة أنصح من غيرها، ينوه الشراح إليها، لكن دون تفصيل. فكلية (رصد) في بيت امرأة أخرى: (أم السليك) (الرملة) والمنايا رضى رضى لفتنى خيئت منى

الذي "بعضهم يرويه: والمنايا رصد كنه جمع الراصد لكون المنايا جمعاً. والأول الأصح وأجود" (٢).

وتد تكون الكلمة المختارة أقل فصاحة من نظيراتها في روايات أخرى، مما يستلزم التتويه إليها أيضاً، بدون تفصيل أحياناً، كما جاء في كلمة "أرض" في قول أبي الغول الطهري: (الوافر) ولا يزغون أكناف الهوى إذا خُصوا ولا أرض الهوى دون

"بروى: ولا روض الهوى، وهو أنصح" (٣).

وبتفصيل أحياناً أخرى، كما جاء في كلمة (أرجيته) في قول ربيعة بن مقروم: (الكامل) أُرْجِيَتْ عَنِّي فَابْصُرْ فَصَدَّ وَكَوْنُ رَيْسُ فَوْقِ السَّوَابِ مِنْ غِل

"نكر بعض المتأخرين في أرجيته، أن الرواية الصحيحة "أوجيته" وما عده تصحيف. قل. وهو أنقله من الوحى، وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله يزعمه: "وكويته". والمعنى أنقله ورفته رازحاً كزوح الفرس الوجى. ثم أشد قول طرفة مؤنساً به: (الطويل) وقوم تشاهوا عن أذاني بعدما أصاب الوجى منهم فثائن المتأج

... والرواية الصحيحة "أرجيته" و"أرجيته" وهما لختان، والهمز أنصح. قد قرئ: "ترجى من تشاء منهم" و"ترجى". ويروى: "أوجيته". ويروى: "أرجيته" والمعنى تتقارب في الكل" (٤).

ومما يتل الفصاحة مخالفة الاستعمال القرآني وإن كثر استعماله في مواضع أخرى؛ مثل حذف حرف العطف (الوار) في قول المتنم بن رباح: (الطويل) من مبالغ عني متاناً رسالة وشجته أن قوما خذا الحق أودعا

إذ لو قال قوما وخذا الحق، فلي بحرف العطف كما قال الله تعالى: "كم فأنذر. وربك فكبر" كئن أنصح. وقد جاء مثله بغير الملقظ كثير (٥).

(١) د/محمد حمد الحري: شروح الشعر الجاهلي: سماج الشعراء (١٩٠ / ٢).

(٢) المزوي. شرح ديوان المعلقة: (١١٦ / ١).

(٣) نفسه: (١٣ / ١).

(٤) نفسه: (١٤ / ١).

(٥) نفسه: (٢٨٢ / ١).

أ. تجنب التكرار:

والتكرار من الألوان البلاغية التي تعرض لها البلاغيون قديماً تحت مسمى التكرير أو التكرار^(١)، والتي لم يستحسنها كثير من الشراح سواء أكان هذا التكرار باللفظ أم بالمعنى؛ لذلك يراهم يعيرون على الشاعر تكراره لثبات المعنى في النص، مما دفع بعضهم إلى أن يختار أو يقترح رواية تتلافى التكرار الذي لا يؤدي إلى زيادة في المعنى. ولنتأمل على سبيل المثال بيت بعض شعراء بلعبرين:

إذا لَقِيتُ بِمَنْ مَنِي مَفْشَرٌ خُشْنٌ عِنْدَ الْخَيْظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَأَسَا (البيضا)

فقد قال عنه المرزوقي: "وقوله إِنْ ذُو لَوْثَةٍ تعريض منه بقومه ليغضوا ويهتاجوا لنصرته. وهو في البيت والتعجيج أحسن من التصريح، كما أنه في الذم والهجو كذلك. وهذا بعض الناس رواه إِنْ ذُو لَوْثَةٍ وزعم أن ذُو لَوْثَةٍ ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مهين، والواجب أن يقول إِنْ الْقَوِي لَأَنْ، واللَوثة هي القوة. والرواية الصحيحة هي ضم اللام من اللوثة. واللفظة ما ذكرت من التعريض بقومه. ولأن يكون طرفا البيت متناولين بمعنىين متقابلين، أحسن من أن يكونا مبيّنين لمعنى واحد"^(٢).

أو قد يقترح توجيهها كما جاء في تعليق المرزوقي في بيت آخر:

وَيُنْفِثُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلْ أَتَى لَيْلَى شَفِيعَهَا (الطويل)

يقول المرزوقي: "معنى البيت: خبرت أن ليلي أرسلت إليّ ذا الشفاعة في بلبيها، تطلب به جاهاً عندي، مستكنية عن ذكرها في الشعر وعن إتهامها وما يجري مجراه. ثم قال: هَلْ جَعَلْتَ نَفْسَهَا شَفِيعاً. فتولاه (بشفاعة) حنف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، الفعل الذي يقتضيه هَلْ دل عليه شفيعها، أو قال: هَلْ جَعَلْتَ نَفْسَهَا شَفِيعاً. ولكن أقرب في الاستعمال، إلا أنه قصد إلى التخييم بتكرير اسمها"^(٣).

وتد ينزع الشارح - أيضاً - في التفسير إلى ما قد يحنب النص تكراراً لا فائدة منه، فـ (ما) في قول شاعر

الحملة:

وَلَقَبْنِ عَرَبِيٍّ مِنْ هَوَاكِي صَبَابَةٍ كَمَا كُنْتَ الْفَلَسِ بِثَلَبٍ إِذَا تَأَسَا مُظْلَقٌ (الطويل)

"الأجود أن يكون "ما" موصوفة غير موصولة، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تقدير الذي، والقصد إلى تشبيه صبابية مجهولة بمثلها، والتقدير عرت صبابية تشبه صبابية كنت أكلدها فيك في ذلك الوقت. كأنه شبه حاله ليها بعد ما مني به بحاله من قبل"^(٤).

(١) انظر: انفراد: معلى التران، عالم الكتب، بيروت وأثر المصرية لتأليف والترجمة، مصر، دت (٢٣٤٢/٣ ، ٢٨٧/٣)، وأبو عبيدة: محقق التران، خلق عليه د. إبراهيم مزكي، ط٢، مطبعة الفقهية، مصر، ١٩٨١م (١/ ١٢٢)، والجلند: البيان والشبين، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (١٠٤/١)، وابن كتيبة: تلويل مشكل التران، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الشرا، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣ هـ (٢٣٢ - ٢٣٥)، والبلالاني: إصباح التران، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٧م، ص ١٦٠.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (٢٦٠ ، ٢٥٠ / ١).

(٣) نفسه: (٢ / ١٢٢٠ ، ١٢٢١).

(٤) نفسه: (٥٥ / ١).

فقد اختار الشارح تفسير (ما) وتوليها على الوصفية بدلا من الوصلية حتى لا تكون بمعنى الذي فيقع في البيت تماثل في التشبيه، ويكون هناك تكرار لا فائدة منه، ولا يضيف جديدا للمعنى.

ونحو ذلك تفسير التبريزي كلمة (النقع) في قول قتادة من مسلمة الحنفي: (الكامل)
لَمَّا تَلَّكَ الصَّغِيرُ وَالْخُضْفُفُ الْقَفَا وَالْخُزْلُ فِي تَلْعِ الْعَجَاجِ أَرْوَمُ

"النقع الأجود أن يكون مصدر نقع الشر والصوت والموت إذا كثر وارتفع، وأن عل به عن العبار، ومعنى رجع الغبار ما أثر منه، قال أبو هلال: النقع والعجاج واحد فأضلف لاختلاف اللفظين، وأحود من هذا أن يقل النقع ما كُتِف من الغار وثبت، مأخوذ من قولهم ماء نقع وسم نقع أي ثابت، والعجاج ما يستطير منه فأضلف أحدهما إلى الآخر لاختلاف المعنى" (١).

ب- تجنّب الحشو:

اصطلح البلاغيون على أن الحشو هو "الكلام المملوء بالدعاء، والمبالغة التي لا تتطلبها المعركة" (٢)، أو "هو الزائد الذي لا يعتمد عليه ولا فائدة منه" (٣)، وقسمه المعري (ت ٣٩٥ هـ) على ضربين: منموم وآخر محسود، والمنموم هو "إسحاق في الكلام لنفلا لو أستطنته لكان الكلام تاما" (٤)، وأما الضرب المحسود، فهو حشو ملبح، وهو ما أطلق عليه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام (٥).

ويفيد الشراح من إنجازات أسلافهم وتصوراتهم لمصطلح الحشو وأثره في المعنى، فإبراهيم بن وهب بهذا الحشو المحمود في أكثر من موضع، من ذلك مثلاً تعليق المروزقي على بيت آخر: (الطويل)

وَتَقَرَّرُ عَنْ قُلُوبٍ غَابَتْ حَدِيثُهَا وَعَنْ جَبَلِي طَرِي وَعَنْ فَرْزَنِي بِصُر

"وقوله "عدمت حديثها" دعاء لنفسه وعليها، وهو من الحشو الحسن. ومثله في الدعاء وحسن الموقع قول

الأخر: (السريع)

إِن الشُّمُورَ تَتَلَقَّهَاتِيْنَ وَيَلْقَهُنَّ أَلَا قَدْ أَخُوَجْتُ نَذِييَ إِلَى تَرْخُفَانِ" (٦)

كما أضح الشراح عن تأثير هذا الحشو في المعنى، وبيان مقاصده، والأسلوب المتوخى في ذلك، فلفظ

(فاعلن) في قول المرار بن سعيد :

إِذَا شِئْتَ بَوْنَا أَنْ تَمُوتَ غَاشِيَةً فَبِالْجَنِّ مِنْذُ لَا بِالنَّعْرِ وَالشُّمِّ
وَلِأَجْنَمِ خَبَرٍ فَاعْلَنْ مَنَظَرَهُ مِنْ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ مِنْ ظَلَمِ

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١٣٨ / ٢).

(٢) فطر: محدي وهب، وكامل المهنس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتة لبنان، ١٩٨٤ م، ص ١٥٠.

(٣) سطر: جبر عبد البر، المعجم الأدبي، دار لطم الملايكة، بيروت، ١٩٧٩ م، ص ٩٤.

(٤) أبو هلال العسكري: الصنائع، ص ٤٨.

(٥) فطر: نفسه، ص ٤٩.

(٦) المروزقي: شرح ديوان الحماسة: حلبية (٨٧٤)، (١٨٧٢ / ٢).

"حشو. فإن قيل: كيف اختير هذا البيت بهذا الحشو، والمتكلم إذا استعمل في كلامه مع المخاطب أعلم وأسمع وما يجري مجراهما، عد ذلك منه عيا؟ قلت: إن هذه النظرة في هذا المكان محتاج إليها في عمدة المعنى المقصود، وإن ما أشرت إليه إنما يكون زوائد وفضولاً لا يحتاج إليه، فإذا وصل المتكلم بها كلامه مستعيناً بها عد منه خطأ وعيا، وهو في هذا المكان وصاء بلفكر فيما أورده والتبيين له، وبمعرفة الحلم ووقته حتى يدري كيف يأخذ به. فقله: فاعلمن، فاعرفن، ومفعوله محذوف، والمراد فاعلمن الحلم ومخبرته، فاطلق. رجع فيما أشار به مطلقاً، واستثنى في كلامه فقل: إلا أن تغر من ظلم بركبك، وحضيمة تتالك، فإن الجهل في ذلك الوقت أرجع في الاختيار من الحلم، إذ كان صمم الشر بالشر أقرب، ودفع الجهل بالجهل أحلم"^(١).

ج- الإيجاز:

والإيجاز هو "أن يكون اللفظ أقل من المعنى، مع الوفاء به"^(٢)، كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب، ويعتبر الإيجاز هو البلاغة^(٣).

وهو على قسمين: إيجاز قصري، وهو "تلييل الألفاظ، وتكثير المعاني"^(٤)، ويسمى كذلك إيجاز البلاغة، والقسم الآخر: إيجاز الحذف، ويكون "بحذف بعض الكلام، تخفيفاً لقوة الدلالة على معناه"^(٥).

ولم يخرج الشراح عن دائرة من سبقهم في تحديد مفهوم الإيجاز، عند وفولهم على بعض أنواعه بالشرح والتحليل، ونظراً لأن الإيجاز يتكس منه علاقة تركيبية جديدة، تحتاج مملكا تكويلاً ملتويًا، وفق حلقتين "حلقة" فهم "تخص الشراح، وحلقة "إفهام" ترتبط بالمتكلم"^(٦)، توجه الشراح إلى بسط المعنى الشعري للمتلقى، موضحين موضع الحذف فيه والفرص منه، منقحين عن الشعراء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، مفسحين عن المعنى الذي قد تتخفى وراء الحذف.

من ذلك - مثلاً - اتجاه الشاعر نحو الاختصار في الكلام، بحيث يعبر قليلاً عن كثيره، وتقدير الجمل المحذوفة، ولتأمل قول المرزوقي - في شرحه - في بيت شاعر الحماسة: (حسان بن نسيبة) (الطويل) منمنماً نغزاً قزلي الفؤوم يبتكز ونسيبة بأسيابهم خنفسى فؤوى فتقطعرا "في الكلام اختصاراً، كنهه قل: ابتكروه بالأسيلف وضربوه حتى سقطه فحنف ضربوه"^(٧).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (١-٤)، (١١٩٩/٢).

(٢) دالحمند مطلوب، ودالحمند حسن العيون: البلاغة والتشبيح، حلقة الموصول، مطبع دار الكتب، الموصل، ١٩٨٢ م، ص ١٧٩.

(٣) دالحمند مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢ م، (١/ ٣٤٤).

(٤) أبو حلال العسكري: للمصنفين، ص ١٧٥.

(٥) بدر الدين بن مكي: المصباح في المعاني والبيان والمبدع، حققه وشرحه ووضع فهرسه د/ محلي عبد الجليل يوسف، لشاهرة، مكتبة الأدباء، ١٩٨٩ م، ص ٧٤.

(٦) دالحمند المرزوقي: شرح الشعر عند العرب، ص ٣٥.

(٧) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (١١٢)، (١/ ٣٣٩، ٣٣٨).

ولا يتألى اهتمامهم بالإيجاز وتنديهم له، اهتمام كذلك بالإطناب، وليس أدل على تقدير الشراح لقيمة الإيجاز والإطناب معا في الكلام، من قول المرزوقي في معرض حديثه عن الفرق بين الإطناب والإيجاز "من عرف الفرق بين الإطناب والإيجاز، وبين التطويل والتقصير، وعلم أن الإطناب تفخيم وتكميل، كما أن الإيجاز تخليص وتهذيب، وأن التطويل زيادة على الكفاية، وذهب عن غاية الحاجة، كما أن التقتصي قصور عن الحد المرتاد، ووقوف دون مدى المراد، حمد الإطناب والإيجاز لما نالهما من سهول البلاغة، وحم التطويل والتقصير بما فقههما من أسلم الفصاحة"^(١).

د- سلامة اللفظ وحسن الطبع:

نل يكون الكلام سهل اقتلوله، ميسر الإدراك. وفيه جانبية الصنق والبسطة وموافقة الفطرة واستحبة الطبع، إلى جانب "السلامة من التعقيد المعنوي أو السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ: إما لتصور في معرفة اللغة وإما لفظة كاستعمال اللفظ الدال على الأعم في حين إرادة الأخص"^(٢)، فإذا ما خالف اللفظ تلك المواصفات خرج عن شروط الإحاطة عن البلغاء "كان يكون اللفظ وحشا، أو غير مستقيم، أو لا يكون مستعملا في المعنى المطلوب، فقد قل عمر رضي الله عنه في زهير: لا يتبع الوحشي ولا يعاطل في الكلام، أو يكون فيه زيادة تعسد المعنى أو نقصان، أو لا يكون بين أجزاء البيت إلتئام..."^(٣).

وقد أثنى الشراح على ذلك الملمع فيمن تعرضوا لهم من الشعراء، بتضح ذلك في تطبيق المرزوقي على

قول المقع الكندي: (الطويل)

ولا أخصب الجفد الفـيـم غـيـهـم ولـيـنـ تـسـيـمـ القـسـومـ منـ وخبـلـ الجـفـدا
لهمـ جـنـ مـاليـ إنـ تـسـانـعـ لـيـيـيـي وإنـ قـلـ مـاليـ لـمـ أـفـلـهـمـ بـقـدا
وأنـسيـ لـغـيـدـ الحـزـبـ مـادامـ نـاـيـلا وما شـيـومـةـ لـيـيـ غـوـيـها شـيـبـةـ الجـفـدا

"أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت. والمعنى أنه متى استعطوه عطف عليهم، وإن استقلوه أقالهم وأسرع الهيئة لهم، غير حامل الضنن واللجاج معهم، ولا معتدًا انتهاز الفرص فيهم، لما اكتن من عرادي الحقد عليهم... فليتمل الناظر في هذا الباب وفي مثل هذه الأبيات، وتصرف قلبها فيها بلا اعتصاف لا تكلف، وسلاسة ألفاظها، وصحة معانيها، فهو عفو الطبع، وصفو القرض"^(٤).

ومثله قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحرثي، ويقال إنه للسموه بن عليا اليهودي: (الطويل)

غلوتنا إلى خير الظهور وخطنا لوقت إلى خير البطون نزلون

حيث "يصف ترددهم في شرف المصعد والمنحدر، وكرم العنصر والمتحول، كما ذكر طهارة المنكح والمولد، وجلالة المعلى والمستقر، فيقولك علونا في خير الظهور، أي حصلنا في أعلى المراتب من ظهور أكرم

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢/ ١٨٨٥).

(٢) محمد الطاهر بن عثمان: شرح النخبة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص ٧١.

(٣) المرزوقي: نغمة شرح ديوان الحماسة، ص ١٥.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة - حماسة (١٣٨)، (٢/ ١٨٨٥).

القضايا التقليدية: الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى

الأبناء، وحدرنا منها لوقت معلوم - يشير إلى وقت الظهور - نزول إلى خير البطون من لشرف الأمهات. والمعنى لنا كرام الأطراف. وهذه الأبيات إذا توصلت أدى التكامل منها إلى سلامة للفظ والمعنى من كل معيب. وحصول الغفلة والجلالة لها في كل جانب وبليغ" (١).

هـ - ملامحة الألفاظ للغرض المقصود:

وهو ما عبر عنه الثعالبي بقوله: "ولا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقم الألفاظ على رتب المعنى، فلا يكون عزك كلفخرك، ولا منحك كوعبك، ولا هجلك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة هجلك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب كل ما مرتبه وتوفيه حقه، فخلط إذا تغزلت، وتغنم إذا انتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعها، فإن المدح بالشجاعة والبأس، يتميز عن السبح بالبلابة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والهدوء، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أمك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه" (٢).

لما شارح يكشف عن اهتمام الشاعر بالتلازم بين الألفاظ وموضعها؛ طلباً للتانسجم المعنوي، "إن الراوي / الشارح لم يركّز نظره عند الزاوية اللغوية المعجمية بل فطن للقصد الذي رعى إليه الشاعر؛ لأن هذا الشاعر يتعامل مع العلامات اللغوية باعتبارها رموزاً ذات سياق يخلق عليها معاني من عنده، فيزعزع الثابت ويؤسس شعرياً للمتحول اللغوي. إن الشعر هو فعل في اللغة بلغة وعلى الشارح أن يتناول حط تلك السيرة في نظامه واسطه" (٣).

وقد نبه الشارح على ذلك في أتمار شعراء الحماسة، فالتوا عليهم لأنهم تلمسوا بين الألفاظ والغرض المقصود منها، كما علوا عليهم مخالفتهم هذه الملامحة. ويشرح ذلك من تطبيق المرزوقي بالشاء على بيت آخر: (البسيط)
يَوْمَ ارْتَدَّ عَلَيَّ بَرْخَلِي قَبْلَ سَلَمٍ بَرْخَلِي
ثُمَّ صَرَفْتُ إِلَى بَضْوَى لَأُظْهِرَ لَهَا خُنُوجَ الْفَوَابِي وَهُوَ مَعْقُولٌ (٤)

إذ يقول: "قوله (ثم صرفت إلى بضوى) تنميط لبيان حاله فيما انعكس عليه من قصده، وفسد من همه، فقل: ثم رجعت إلى بعيري لأخبره في إثر الظفان الباكرة، وهو مشهود بعقلة لم أحله. وهذا غاية ما يقال في انحلال العقدة، واسترخاء الممكة، وسوء الضبط وتقلب القلب ... وقد سلك أبو تمام هذا المسلك فقل: (البسيط)

أَضْمَتْنِي بِبَرْزَمِ أُولَامٍ فَصَرَفْتَهُمْ
نَاوَا فَنَلَّيْتُ لَوْشَكِ الْبَيْنِ مَلَّتْهُ
أَظْلَمَ الْبَيْنِ حَتَّى إِذَا رَجَعْتُ
كُوِّمَاتٍ مِنْ شَفِيهِ الْبَيْنِ مَا غَلَا (٥)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١١٩ / ١).

(٢) الثعالبي: بنية الشعر في معلن أهل العصر، شرح وتحقيق د. محمد محمد عبد الله، بيروت، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٣ م، ص ٤٠.

(٣) د. أحمد الزمراني: شرح الشعر عند العرب، ص ٩٩.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (٥٨)، (١٢٢٦ / ٢)، ومعنى أبهة أهجمه، والضمير: الشعر المهزول، والممدوح: مراكب ضياء الظلمة.

(٥) نفسه: حاشية (٥٨)، (١٢٢٦ / ٢).

وفي موضع آخر وجه ابن جني ألفاظ أحد الأبيات بما يتلائم مع الفرض المقصود الذي قصده الأعرج
المعنى وهو قوله:

لا جزع اليوم على قرب الأجل

إذ "لا يجوز أن يكون معنى على هنا مخاها في قولك جزعت على كذا، أي أشقت عليه، لأنه غير
الغرض المقصود، ألا ترى أن معناه لا جزع اليوم من الموت، على أن الأجل قريب منا، فإذا قرب منا ولم
نجزع منه لما ظنك بنا إذا بعد صا" (١).

و - الموازنة بين اللفظ:

وهي من شروط جودة الأسلوب، ويريدون بها المناسبة من طريق الصيغة "ليست القوّة الصوتية للكلمة
في سمتها الذاتية بل فيما تحدثه من علاقات انجاء مع غيرها" (٢).

وقد حمد الشراح في إطار سعيهم إلى توضيح هذا الجانب إلى التعامل مع المعنى تحديداً تبسيطاً وكشفاً
من ذلك تعليق العزوقي على قول رويث بن كثير الطائي:

يأتيها الزكيب المزجي منبسطه متائلي بشي أسد ما هذه الصوت

"وإذا قال ما هذه الصوت، والصوت منكر، لأنه قصد به إلى الصبغة واللحبة. وهذا كما قال حاتم: (الطويل)

لناوي قد طال التجنب والهجر وقد غرشي في طلائعهم الغد

يريد المعذرة، وكما قال الآخر: (الطويل)

وكان ضجتي فون من غنيت أنكي ثلاث شخوص فابيان ومغص

فلت الشخص لأنه قصد بها إلى النفوس. وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع بعضهم يقول: جاءته
كتبي فلتقتها. قال أبو عمرو: قلت: أتقول جامته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لما كتبت
للشخص شخصاً لشخص النساء لث العند" (٣).

وقول غلاق بن مروان: (الطويل)

فأضحت زفير في الممتين التي مضت وما بقى لا يذغون إلا الأسماء

"أنت الفعل لأن المراد بذكر زهير الثقيلة بلسرها" (٤).

(١) ابن جني: انشبه على مشكك لبيت لمعلمة، ص ١٠٨.

(٢) د. أحمد الزودري: شرح أسرار عبد العرب، ص ٦١.

(٣) د. روافي: شرح ديوان المعلمة، ١ / ١٦٦، ١٦٧.

(٤) د. روافي: شرح ديوان المعلمة، ١ / ١٦٦، ١٦٧.

و من باب أن بعض الشيء يقع عليه اسم جميعه، نجد أبو الفطيم أبو عبيدة في قوله: (المتقارب)
وسائقٌ مثلاً هذا خنفساً خنفساً الجسد أو أخصاً^(١).

كـ "لنت والمخلخل منكر لأن المخلخل من السق، والسق مؤنثة، وبعض الشيء إذا أطلق عليه اسم الكل
اجري في الأحوال مجراه إلا أن يمنع منع. وهذا كما قل الآخر: (الطويل)

كما شرفت صنن القاة من الدم

لأن صدر القاة قتلة، كما أن المخلخل يقال له السق"^(٢).

هكذا يبين على الشاعر - كما كشف الشراح - أن يراعي هذا الجنب لأنه "إذا كان الشعر مستكراً،
وكانت اللفظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مقلداً لبعض كان بينها من التقارب ما بين أولاد العلات"^(٣).

ز- موازنة العرف العربي الصحيح في التأليف والإعراب:

وهو ما حرص الشراح على إبرازه أثناء تحليلهم للنصوص وتعرضهم للأنماط المستعملة لما له من أهمية
في إدراك النية النحوية على وجهها الصحيح، ومن ثم تحديد المعنى المقصود، إذ "أن في ضبط الجنب النحوي
تأميلاً للشارح من زلزال الفهم وانحراف التحويل لذلك فهو مدعو إلى اتّمسك من العلوم النحوية ليزيح ركاب الغموض
عن المعنى الثوري وراء علاقات تركيبية متشابكة بل متعقبة حد الإبهام. فالشارح لا يكتفي بهم الكلمة حدوداً إذ
عليه كشف معانها توزيعاً أي في شبكة علاقاتها، وهو درب لا تضيقه إلا معارفه النحوية الراسخة ولا أدل على
ذلك في هذا المقام من تعويل الراوي / الشارح على العلاقة الإعرابية وصولاً إلى المعنى"^(٤).

وقد أفصح كثير من الشراح عن مدى ما للقواعد النحوية والتوجيه اللغوي من أهمية في استقامة المعنى
ولمصاد، فمن ذلك ما نجده في شرح قول الأبي السلمي: (الطويل)
فأصنبح في لحد من الأرض ميتاً وكانت به خيا شبيب المصاخب

حيث يقول المرزولي: "قوله "في لحد" موضع نصب على أن يكون خبر أصبح، وانتصب "ميتاً" على
الحال، وكذلك قوله "حيا" انتصب على الحال. ولا يجوز أن يكون "لحد" في موضع الحال وميتاً خبر أصبح، لأن
ميتاً من المصدر في مقابلة حيا من المجرى، ولا يكون ذلك إلا حالاً، فذلك يجب أن يكون ميتاً، وإلا اختلفا ولمد
المعنى"^(٥).

(١) المرزولي: شرح ديوان الصمد: (٢ / ١٨٨١)، الركب: لعل لشمع الذي عليه لحم الفرح من المرأة ومثل الذكر من الرجل والتمتع:
المهواة بين العالين. والخنس والخنس والكاح نظير، والسنن: التوبة.

(٢) المرزولي: شرح ديوان الصمد: (٢ / ١٨٨٣).

(٣) الجمل: ديوان الصمد: (١ / ٦٦).

(٤) دالم: ديوان الصمد: شرح الشعر عند العرب، ص ٧٤، ٧٥.

(٥) المرزولي: شرح ديوان الصمد، ص ٢٨٠، (١ / ٨٥٧، ٨٥٨).

لذلك وجدناهم حيناً يثنون على شعراء الحملة لأنهم التزموا هذا العرف بصورة أو بأخرى، كتكبير (دنيا) - مثلاً - في قول المثلث بن رباح المري:

إِنِّي مُفْلِمٌ مِمَّا مَفْلَسَتْ فُجَاءَةً لَأَجْرًا لَأَجْمَرَةٍ وَتَنِيًّا تَنَفُّعٍ

"كان الواجب أن يقول ومنفعة لدنيا حتى يكون لفظاً لثول ودنيا فعلى وحققا أن لا تستعمل إلا مضافة أو مألوف واللام كقولك الصغرى وصغراهن، إلا أن العرب استعملتها نكرة وهي تفتيت الألفى وسميت لدنوها" (١).

وليس التزم الشعراء بهذا العرف وحده ما بلغت إليه الشراح، بل مخالفتهم كذلك، فكما أثروا عليهم فقد علوا عليهم أيضاً في مواضع خالفوا فيها هذا العرف الفصيح؛ من ذلك قول رجل من بني أسد:

وَمِمَّا أَنَا بِالتَّنْقَبِ السَّيِّئِ وَلَا السَّيِّئِ إِنَّا صُنْدُ عَطِيٍّ ذُو الْعَوْدَةِ أَخْزَبُ

"كان يجب أن يقول: ولا الذي إذا صد عنه ذو المودة بحرب، حتى يكون في الصلة ما يعود إلى الموصول، لكنه لما كان للتصد في الإخبار إلى نفسه وكان الآخر هو الأول، لم يبدل بورد الصمير على الأول وحمل للكلام على المعنى، لأنه من الإتيان. وهو مع ذلك قبيح ضد السحوين، حتى إن أبا عثمان المازني قال: لولا اشتها مودة وكثرة لوددته، ومثله:

(الرجز)

أَنَا الَّذِي مَنَعْتَنِي أُمِّي خَيْزَرًا" (٢).

وغيرها الكثير من الشواهد التي تعرض لها الشراح بالنقد والتحليل، منوهين عن كيفية تعامل الشاعر مع اللغة على محورين أساسيين هما المعيار والاستعمال، والوقوف على ما وافقهما وخالفهما من المفردات والتراكيب التي ساقها واستخدمها الشاعر في أشعاره، والتي تم التطرق إلى الحديث عن أشكال منها مسبقاً قصد: الضرورات الشعرية والسماع والقبول، وتوضيح آراء الشراح فيها، وتعليقهم عليها.

ج - فصاحة التركيب:

يقول المرزوقي في مقدمته النقدية النفيسة التي صدر بها شرحه لديوان الحملة: "فمن اللغاة من يقول قتر الأنفط وغرر ما كجواهر العقود ودررها فبنا وسم إغفالها بتحسين نظومها وحلي أعطائها بتركيب شذوها، فراق مسموعها ومضبوطها، وزان مفهومها ومحفوظها، وجاء ما حرر منها مصفى من كدر العمي والخطأ، مقوما من أود اللحن والخطأ، سالماً من جنف التكليف، موزوناً بميزان الصواب، يروج في حواشيه رونق الصفا لفظاً وتركيباً - قبله الفهم والتذ به السمع. وإذا ورد على ضد هذه الصفة صدئ الفهم منه، وتاذى السمع به تاذى الحواس بما يخلقها" (٣).

(١) الشيرازي: شرح ديوان الحملة (٤ / ٦٦).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (١ / ٢١٧).

(٣) ناه الله ص ١٦.

وهو ما نفهم منه أن فصاحة الكلام حاصلة بالاتباع من فصاحة اللفظ فللكلام لا يكون فصيحاً إلا بفصاحة كلماته وفصاحته تراكيبها عند اجتماعها، "فلما فصاحة الكلمات فلأنها أجزاء الكلام، فمن أن تكون الأجزاء فصوحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً" (١)، ومعنى هذا أن ما ينطبق على اللفظ من شروط ينطبق كذلك على التركيب مع بعض الإضافات التي تميز الكل عن الجزء، والمجموع عن المفرد.

وقد أثرنا نفياً إلى فصاحة الكلمة وشروطها (٢)، أما عن فصاحة الكلام وتراكيبه فيقول عبد القاهر الجرجاني: "من المعلوم أن لا معنى لعبارات البلاغة والنصاحة والبيان التي ينسب فيها الفضل والمزية إلى اللفظ دون المعنى غير وصف الكلام بحسن دلالاته وتمامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأحق بأن تستولى على هوى النفس وتتل الحظ الأوفر من ذل القلوب؛ ولا جهة لاستكمال هذه الخصال غير أن يؤتى للمعنى من الجهة التي هي أصح لتأنيته ويختار له اللفظ الذي هو به أخص، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية" (٣).

وقد كشف الشراح عن فصاحة التراكيب التي استعملها شعراء الحماسة، وأظهروا إعجابهم بها وتقديرهم لها كما يتبدى لنا من خلال تعليقاتهم وتحليلاتهم؛ فـ (نستوفد النبل) في قول بعض بني بولان من طيبي: (المسرح) نستوفد النبل بالحق طيب ونص طاء نفوسنا بتبث غلى الفهم "من تصحيح للكلام، كله جعل خروج النار من الحجر عند صدمة النبل استيقاداً منهم، والوقد، توسعوا فيه حتى قيل قلب وقاد، فحين قيل: هلا قل نستدح النبل، فكان أصح؛ قلت: الذي قاله أفصح؛ وقد قيل زدت مبقاد، إذا كان سريع الوري" (٤).

وقول عمرو أيضاً: وقاد أجندع بجذبي بهبنا . خنثز الخنوث وبني نفزوز "هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقيامه حنثراً وحنامة، وإلى حرأته وتهوره وفقاً وأصالته، ثم يكون عارفاً بولت كل منها، وبالحالة المرجبة لاختياره بعضها. وأجمع رجلى، أي أستحث فرسي. وهو من فصيح الكلام، ومن الصارة التي تصور المعنى" (٥).

وفي قول القائل الكلابي (أملت له) في بيته: فلتنا رنثنا رنث أنة غنثر منثنه . أملت لنة كففسى بلذني مغموم "أي من أحله كفى بلذني، من فصيح الكلام، ويليق الكنايات" (٦).

(١) محمد الطاهر بن خالون: شرح النعمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام: ص ٣٢.

(٢) انظر: ص ٩٠ من الكتاب.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وحقق عليه بهمود محمد شكري، دار المنشي، جدة، ط ٢، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٣٥، وللمزيد عن فصاحة التركيب وشروطه، انظر: في مثل المعلمي: ص ١٣٠-١٣٧، وبعد النعمان الصديقي: بحره الإيضاح: ١/١ وما بعدها، والتفتتني: صبح الأعشى: (٢٥٤/٢، ٢٥٥، ٢٦٠).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣١)، (١٦٥ / ١).

(٥) نعمة: حماسة (٣٥)، (١ / ١٨٢، ١٨١).

(٦) نعمة: حماسة (٤٣)، (٢٠٢ / ١).

كثفت هذه هي أهم الجوانب والمسائل الخاصة باللفظ وتراكيب شعراء الحملة، التي تعرض لها الشراح بالنقد والتحليل.

وهكذا خلق الشراح في أجواء النصوص الشعرية لديوان الحملة، وأظهروا عن عمق ثقافتهم، وتبحرهم وفهمهم للكثير من الخصائص الفنية الدقيقة التي تشمل عليها اللغة بمفرداتها وتراكيبها، وليس أدل على ذلك من تحليلاتهم وتعليقاتهم التي كشفت عن كثير من خفيا معاني الشعر وأسرار الكلام. منوهين عن مظاهر تميز شعراء الحملة على المستوى الفني، معبرين عن ذلك الإعجاب والترحيب بتعليقات وعبارات مختلفة.

المبحث الثاني: المعنى:

اهتم الشراح بتوضيح معاني البيت الشعري، وحرصوا على ذلك كل الحرص حتى لا يبدو وكأن معنى البيت هو الهدف النهائي الذي يحشد الشراح من أجله كل طاقاتهم اللغوية والدلالية والبلاغية، بشكل جعل معه شراح كالمرزولي يزخر شرحه - بالإضافة إلى ما سبق - "بالتفقت كثيرة إلى المعاني الثقوية في الألفاظ والتراكيب، أو ما يسميها الحراشي (معنى المعنى)، وهذا المعنى الثقوي هو الذي يعطي للشعر مذاقه الخاص، فالمعنى الأول أو أصول المعاني قد تحصل أن تكون مفتاحاً نلح من خلاله إلى علم انصر، لكن الاكتفاء بها قد يبيت لنص كما فعل المرزوقي أحبنا مع بعض القاصد، وإن فلن دور أصول المعاني أن نقودنا إلى معنى المعنى، ثم إلى إحياءاته لتستج هذه العناصر الثلاثة معاً شكل المعنى الذي يتميز به الشعر عن النثر" ^(١). هناك عناصر قارة في شرح المعنى عثرنا عليها عند الشراح جميعاً، الذين قامت عليهم الدراسة، وأبرز تلك العناصر اهتمام الشراح بتوضيح معاني البيت الشعري، وميلهم إلى سلخ البيت عند تفسيره، بنثر معنى البيت الشعري، ورد المعنى إلى لُبنه و هي أسباب "تاريخية موصولة بالقول الشعري على محور العلاقة المرجعية ولكنها متصلة عنه على محور العلاقة الإتشقية" ^(٢)، إلى جانب العديد من العناصر التي سيكشف الحديث التالي إحاطة اللطام عنها، والتي من أهمها:

أولاً: نشر المعنى:

عند معظم الشراح إلى نثر معنى البيت حتى "يتاح فهمه في إطار منحنى تبسيطي واضح، وليس له من فضل إلا المحاكاة بعبارة تبدو أحياناً أطوع من عبارة الشاعر، وهي محاكاة للمعنى بالتلخيص والتوسيع" ^(٣)، وغالباً ما يستقون ذلك بقولهم: "والمعنى"، أو "أي"، أو "معنى البيت"، أو "المراد"، أو "يريد"، أو "كأنه يقول"، أو "يقول"، أو "معناه"، إلى غيره من كلمات وصارفات تزدي نفس المعنى.

كما جاء في شرح بهاء الدين عبد القادر بن لقمان في بيت بعض شعراء بلعبر واسمه فروط بن أنيف: (السيط)
لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَيْتٍ لَيْسُوا مِنْ الشُّرَافِي شَسِيٍّ وَإِنْ هَانَا
"والمعنى أن الشاعر يسم قومه بالجن أي ليسوا في شيء مع كثرتهم إذا دعى الأمر السازل وإن كان هيباً" ^(٤).

وفي نثرهم للمعنى يحول الشراح - في كثير من الأحيان - على الجانب المعجمي، فتراهم يمهّدون بتفسير الألفاظ وتراكيب البيت معجمياً، ونظراً لأن "التعويل على الجانب المعجمي وحده قد لا يتيح تطويق المراد من المعنى" ^(٥)، فليهم قد يكتفون - في بعض الأحيان - بنثر معناه فقط.

(١) د/أحمد صبرة: شرح المرزولي النظرية والتطبيق، ص ٩٩.

(٢) نفسه: ص ٩٤.

(٣) د/أحمد الوبارني: شرح الشعر عند العرب، ص ٩٤.

(٤) بهاء الدين عبد القادر بن لقمان: الرسالة النقدية وبتعميرة لبني الماسية، ص ٥.

(٥) د/أحمد الوبارني: شرح الشعر عند العرب، ص ٩٩.

وإذا كان البيت مزروح المبنية، تختلف بنيته السطحية عن بنيته العميقة، اتخذ منحى التحليل المعنوي طبعاً تلويلياً "إذ يحتمل الشاهد أو النص أكثر من قراءة، ولكن الشارح ينصص على واحدة دون أخرى وفق قاعدة النقدية". لذلك لا محيد للشارح عن الانطلاق من المبنى لاكتشاف المقصد مما يدل على أن اعتماد الأبنية التحيرية هو وحده الذي يؤمن السبيل إلى المقاصد و بقي الشارح عثرات الفهم"^(١)، بهنك الوصول إلى مستوى الكشف عن المقصد. وهذا الأمر اأثر به النمرى بخاصة، فترن عند شرحه لكثير من الأبيات معاماً على المستويين السطحي والعميق.

ومثل واحد هنا يكفى للدلالة على المراد: نقول الهذيل بن متبعة:
وإذا شُبهت الجلاب فمـألفـة فـرقت منـجـيـنـا إلى جزائـبـه

شرح النمرى البيت السليق قائلا: "الجلائف"، السنون، و"السنة" عند العرب الحبب. وقوله: "فرقت" صيغتنا إلى حويلته، أي شذت في قرن، وهو حل يلقى في عتني البعيرين فيكونان معاً، والعرب إذا حارب البعير عدهم أورد وبعده، فلما بعدى الإبل على مذهبهم. يقول: نحن لا نفرق ناقة ابن عمنا الجربى من نقتنا الصديقة، مشاركة له واحتلاطاً. وهذا مثل، وإنما المعنى: أنا نخلط فقره بخلفاء وعنه بسمينا، وطالعه بصالحنا"^(٢).

ويمكن أن نلاحظ من هذا الشرح بعض الملاحظات التي تميز بها شرح النمرى بشكل خاص، وهي:

- إن النمرى مقتصد جداً في التفسير المعجمي للأنظ البيت وتراكيبه.

- عرض المعنى مثلاً بعد الانتهاء من التفسير المعجمي، وقد يقدم التفسير المعجمي في أثناء نثره المعنى.

- قدم المعنى السطحي للبيت مسوقاً بقوله: "يقول"، وقد حاكى فيه المبيت الشعري، وسائر الشاعر في كثير من ألفاظه وتراكيبه. ثم أتبع المعنى السطحي بالعميق، مسوقاً بقوله: "وإنما المعنى".

- أجرى النمرى على المعنى لونا من التوسيع، وهو ضرب من التوليد الدلالي ينطلق مما يمكن تسميته بالمعنى النواة، في اتجاه أشكال من التوسعة تتمثل في معان فروع هي الوحدات المعنوية الدنيا التي تؤثت فضاء الدلالة مضمتة متضقرة"^(٣).

- افتتح النمرى اهتماماً كبيراً بنثر المعنى مقارنة بالتفسير المعجمي للألفاظ.

وإذا كل النمرى قد حرص في تفسيره للمعنى إبراز المستوى السطحي والعميق له، وما يتصل به من تلويلات، فإن من الشراح من لم يبعد كثيراً عن ذلك المملاك سوى ما قد تجده من التوسع في بعض القضايا اللغوية، أو البلاغية، والأخبار، مع بعض اللمحات التي تقصع عن مقصد الشاعر، أو تشير إلى بعض العيوب المتصلة بشعره من حيث الأنظ والمعاني، ومنهم من لم يلزم نفسه بتقديم تفسير سطحي أو عميق للمعنى، وانصب جل اهتمامه على الجائب المعجمي في تفسير الأبيات والاشصوص الشعرية.

(١) دألمعد الوردني: شرح لشعر عبد العرب، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (٧١٥)، ص ٢٢٦.

(٣) قنطر - لأحمد الوردني: شرح لشعر عبد العرب، ص ٩٨.

إن تعامل للشرح مع المعنى على هذه الصورة، قد اتخذ "بعدها تفسيرها تعليميا سمي الراوي / الشارح بمقتضاه إلى محلكة المعنى بطريقته الخاصة"^(١).

ثعبا: توضيح المعنى:

إن عرض المعنى بأساليبه المختلفة هو عبارة عن روافد شتى تبرز فيه شخصية الشارح ومدى إدراكه لمعاني الشعر، ولكن مصبها هو المعنى "فالشرح الذي يقف دون المعنى وإن أسهب صلحه في التوابعات الفنية يظل محدد استعراض لغوي مجالي معزول. إن المعنى هو قلب الشرح ومداره فعليه تُمدد الإفادة ويُبنى المتصد"^(٢).

إن عين الشارح لا تسدر عن المعنى الشعري وأساليبه توضيحه، وإن ضن - في بعض الأحيان - على تلك الأساليب بالوقفة الوئيدة، إلا أنه يضمها شرحه - أحيانا - دون الإشارة إليها، فهي عنه في حكم السديمي أو المسمي.

ومن أم تلك الطرق والأساليب التي لجأ إليها الشارح - بالإضافة إلى الجلب المغمي الذي لا يتيح تطويق كامل المعنى - في توضيح المعنى:

أ- التمهيد للمعاني يلبضاح الجو العام للنص من خلال ذكر متطلبات التفصّل وسبب قول الشعر^(٣). وذلك بالبحث فيما وراء النص، وما حوله، والاستعانة بهما في توضيح معنى الشاعر ومقصده، وهو ما حرص عليه الشراح حرصا شديدا؛ فكلوا بذكرون على رأي كل قصيدة مناسبتها وسبب إنشائها. وربما فعلوا ذلك في أثناء شرحها، كما فعل ابن فارس - مثلا - عند شرحه أبيات الحمصية رقم (٥٠)، إذ قال: "وقال رجل من بني تميم، وهو جد النضر بن شميل، وطلب منه ملك من الملوك فرسا يقال لها: سكب، فمنعه إياها"^(٤).

وقال شعري مثيّرًا إلى مناجة الحمصية رقم (٦٨) في أثناء شرحه لها بقوله: "وقال بعض بني أسد في بنو اقتلوا عليها"^(٥)، أو قوله في الحمصية رقم (٢٦٥) في أثناء شرحه لها بقوله: "وقال أبو خراش يرثي أخاه، وينكر نجة ابنه خراش"^(٦).

وقد يكون هناك إشارات ولمحات كثيرة في الأبيات لا يستطيع فهمها من داخل القصيدة نفسها، وإن لا مناص للشارح من اللجوء إلى التاريخ لإضاءة هذه الإشارات واللمحات والكشف عما غمض فيها. فالشارح من خلال ذلك "يحاول فك رموز النص التاريخي، وكشف ما غمض فيه من إشارات، وهذا يساعده في النهاية على تقديم إضاءة كافية للنص"^(٧).

(١) د/لمد الوبري: شرح الشعر عند العرب، ص ١٠٠.

(٢) نفسه: ص ٨٩.

(٣) د/سيد حسان: لتضاهي البلاغة والفنية في شروح التمام على شعر أبي الملاء، ص ٣١٩.

(٤) ابن فارس: كتاب المعنى: ص ٧٣.

(٥) شعري: معاني أبيات الحمصية: ص ٦٦.

(٦) نفسه: ص ١١١.

(٧) د/لمد صبرة: شرح المروزي النظرية والإجراء عند ص ٣٩.

من ذلك ما شرحه المرزوقي، والتبريزي، وابن فارس، من ملايات يوم الهيرير^(١)، فكشف الشراح عن بعض أحداثه.

وفي ذلك شرح المرزوقي قول الربيع بن زياد العبيسي:
وَقُلْنَا فَوَاطِنَ زَمْعٍ الْهَرِيرِ ————— بِرْ إِذْ مَالِ سَرْجِكُ قَامَتْ تَقْنَا
"يوم الهيرير، معروف، وإنما قل: كنا فرسان هذا اليوم، لما كان عرف من جبل بلاتهم، وحسن ثيابهم فيه ووفاتهم، ولينكر بتريزهم حين نكسوا على أعقابهم، وقصروا من شلوهم، ونكر ميل السرج مثل، وقول "حرير" يشهد لنك ويكشفه حين قل:
(الكمل)
قُلْنَا بِلُجْنَانِ إِذَا تَأَخَّرَ مَنْزِلُهُ ————— هَلْ أَتَتْ مِنْ شَرْجِي الْمَنْشُورَةِ نَاجِ
والمراد: اضطراب الأمر وقتل الراي، وتمكن الخوف والدهش من المنهزم ونزوله عما بهم بركوبه"^(٢).

والشارح لم يكتف برصد ألفاظ الأبيات وتراكيبها معجمياً لو تفسير معانيها، بل امتد تحليله ليشمل ما ارتبط بهذه الأبيات من أحداث شكلت معانيها، فكشف عن علاقة هذه المقطوعة - وعددها ستة أبيات - بلحدث هذه للموقعة، حيث حمل ما سبق ذلك من أبيات تمهيد لها حين ذكر نار الفتنة التي أشعلها قيس بن زهير حتى إذا استمرت وتأججت، هرب وترك الشاعر يصطلي بها، ثم وصف شجاعة الشاعر وقومه وإقدامهم، ولينكر بتبريرهم حين نكسوا على أعقابهم، وقصروا من شلوهم، بما يوضح معالم هذه الأبيات ويجند خلفيتها الحربية والعسكرية.
ب- إيضاح الجوّ الخاص لكل بيت^(٣).

كما فعل أبو رياش في شرح هذا البيت: (جري بن كلب)
فَلَا تَغْلِبْتَنِي يَا ابْنَ كَوْزٍ فَإِنَّهُ ————— غَذَا الثَّامِلُ مَذْ قَامَ الثَّيْبُ الْخَوَارِنَا
إذ قال: "هذا رجل ملأه ابن كوز أن يزوجه ابنته في سنة و"السنة"، الجانب، فرده وقال له: قد غذا الناس البنات مذ قام النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أيضاً أغزو هذه، ولولا ذلك لكنت أئدها كما كفت الجاهلية تفعل"^(٤).

والمرثي في بيت هشام أخو ذي الرمة:
تَغْرُبُ نَسْتٌ عَنْ أَوْقَاسِي بِفَيْلَانٍ بَنَدَفْ ————— عَزَاةٌ وَجَفْنُ الْغَيْنِ مَلَانٌ مَشْرَعْ
"هشام هذا فجح بأخيه أروى، ولقي عليه زمناً مقسماً لألام الفجعة به، ثم أصيب بعده بفيلان - وهو ذو الرمة - ..." ^(٥).

(١) "يوم الهيرير" هو أحد أيام مولدة صيف، مل وأعلمها، اقل فيه خلق كثير من أصحاب مملوكة رصي له عنه، للعرب نظر محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد السجواني: أيام العرب في الإسلام، دار الجول، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٢٦٣ وما بعدها.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٤٨٦ / ٢.
(٣) د. مصطفى عليان: ثبوت تشد الأبي في الأندلس في تترن الفارس البحرى: ص ١٨٥.
(٤) التبري: معاني أبيات الحماسة ص ٦٤، حاضرة رقم (٦٢).
(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٨١٢ / ٢ وما يليها.

وما ذكره المصنف عن قول ثعلب شراً:
القول بالخبران وقد صغرت لهم وطايي ويومي ضئيل الخضر مغسور .
(الطويل)

من حديث بالقول: " نقول للحيان " يريد لبني لحيان بن هنبل بن مدركة ابن اليلى. وهذا حديث جرى بينه وبينهم يوم رسده. وكان يشتر عسلا في غار لهم بكتيه كل علم حتى إذا ما جاء هو وأصحابه وتلى في الغار أغاروا عليهم فافغروهم وولتوا على قم الغار. فحركوا الحبل ثم قالوا له اصعد. فقال ألا أراكم. قالوا بلى. قد رأينا. قل فعلام اصعد. أعلى الطلاقة أم على الفداء. قالوا لا شرط لك قال: فأراكم قتلتي وأكلتي حناني. لا والله لا أفعل. وكان قبل ذلك قد أعد لذلك المضيق مخرجا نقب في الغار نقبا من خلفه، فجعل يصب العسل في ذلك النقب حتى بلغ منتهاه. ثم عمد إلى زق فشد على صدره. ثم لصق بذلك العسل. فم يبرح يتزلق عليه حتى خرج سليما لم يصبه شيء. وكان بينه وبين موضع القوم مسيرة ثلاث ليل فذلك حيث ما نظم في قوله (أقول للحيان. وقد صغرت لهم وطايي) ^(١).

والبكاء والمرأة في قول لسود بن زمعة منكراً:
أتبكي أن يمشي لها بصير
فلا تبكي على بغير وفان
ألا قد ساد نفوذهم رجالات
ولولا نفوذهم لنزف لهم نسوانا
وتمنعها من النجوم السهود
على نذر تقاضت الخدود

أبان عنهما المرزوقي بما يوضح معالم الآيات وما اتصل بهما قتلان: " كان السبب في قول الأسود هذا الشعر أن فريشاً كتبت حرمت البكاء على أنفسهم لقتلى بدر، فلما شمت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم، وكان الأسود قد قجع بابنه زمعة، إذ كان من قتلى ذلك اليوم، فالتفتي بالناس في ترك البكاء عليه، ففطن أن كتبت له مشربة فتزده ومضى إليها فسمع بكاء امرأة فقال لأصحابه: انظروا فإن كان البكاء قد حلل، حتى تبكي نحن أيضاً زمعة، فارجع إليه وقول: إنه بكاء امرأة ضل لها بعير. فقال هذا الشعر منكراً لبكائها ومستعظماً " ^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فمن الأهمية بمكان بيان مناسبة الآيات لأثرها في إيضاح المعنى وإلا " فيجب ينقلى فهم هذه الآيات - وما مثلها - ما لم يكشف عن مناسبتها !!! أحب أن هذه الآيات بصورتها العلة دون تحديد قد تنبئ على بعض الإقحام ، ولعل هذا ما دعا "المرزوقي" إلى تهيتها للعقول قبل أن يعضي إلى المعنى على النهج الذي يترسمه ويقو أثره " ^(٣).

مما يؤكد بدوره أهمية إيضاح الشراح للإشارات والتلميحات الخاصة بالآيات في إزالة اللبس والغموض الذي قد يعترى معاني بعض الآيات، ويحق المتلقي في فهمها واستيعاب محتواها.

(١) المصنف: أسرار المعنى، ص ٦٥ .

(٢) المرزوقي: شرح ديوان للمصنف: ٢ / ٨٧٣ وما يليها.

(٣) قمتي محمد أبو عيسى: تشنبا الأبيات والتقنية في شرح المرزوقي لديوان المعنى: ص ١٧٢ .

ج- ايضاح كل رمز في البيت يحمل في طياته إضماراً خفياً أو تكلفاً فُرقاً^(١)، كان يقوم الشارح - في أثناء شرحه - بتوضيح ذكر الشيعة مثلاً، أو بتوضيح فكرة فلسفية أو منطقية، أو بكل ما من شأنه أن يساعد في فهم المعنى الذي أراده الشاعر^(٢).

من ذلك التعليق على البكاء بعين واحدة في قول الصمة بن عدائه القتيبي: (الطويل)
بَكَتْ غَيْتِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زِيَرْتُهَا غَنَ الْجَهْلُ بِغَدِ الْعِلْمِ أَسْبَلَتْهَا مَعَا
ابن بوصح انشراح هذا الأمر بقوله: "بلغ من حزن مَعم بن نويرة على أخيه مالك، أن بكاه بعينه الموراء، وأما البكاء بإحدى العينين فممتنع على الإنسان، والله أعلم بهم وبغيرهم من الخلق"^(٣)، وهذه فكرة منطقية حسب انشراح تحليله لبنت شاعر الحماسة؛ خدمة للمعنى وكشفاً له.

ومن الأفكار العقلية التي وظف فيها الشارح ثقافته في العقائد والفرق في توضيح المعنى، ما نحذه في تعليق أبي العلاء المعري على قول قطري بن النجاء: (الكامل)
ثُمَّ أَصْرَفْتُ وَفَدَ أَصْبَيْتُ وَنَمَ أَصْبَيْتُ جَذَعُ الْبَصِيرَةِ فَصَارَ الْإِفْخَامُ
جد انتريزي يقول: "ومعنى البيت ما ذكره أبو العلاء المعري، وهو أنه يريد أنه مذ كان لم يرل شجاعاً وبإدماهِ قارح لأنه قديم، ويعني بقوله "جذع البصيرة" أنه كان فيما سلف لا يرى رأي الحوارج، ثم تبصر في آخر امره، فعلم أنهم على الحق لقتبعيم، فبصيرته جذعة: أي محدثة لم تطل عليها الأيام، وذلك أن هذا الرجل كان خارجاً سلم عليه بالحلالة ثلاث عشرة سنة"^(٤).

وقد يكون من ذلك وجود بعض الإشارات التي توحى بأن الشارح كان متعلقاً مع كل البيت مستكراً ما حدث لهم بأيدي الأمويين والعباسيين على السواء فربما "ما يتضمنه البيت من معنى أخلاقي عقدي وجد صده لدى الشارح"^(٥).

من مثل قول المرزوقي بعد شرح بيت الحصين بن الحمام: (الطويل)
ثَفَلَقَ هَانَا مِنْ أَنْبَاسٍ أَعْرُةٍ غَلَبَتْهَا وَهَمٌ كَانُوا أَعْقُ وَأَظْلَمُوا
"ويروى أن يزيد ابن معاوية - لا رحمه الله - تمثل بهذا البيت لما وضع بين يديه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما"^(٦).

(١) د. مصطفى عليان. تراجم الله الأبي في الإنشراح. ١٨٥.

(٢) د. السيد حمدان. التحليل البلاغي لرسالة في شرح أبي العلاء: ص ٣١٩.

(٣) شعري معلى. لبك الصمة. ص ١٦٣، ١٦٤. المعلقة رقم (٤٦٠).

(٤) التبريزي. شرح ديوان الصمة (١ / ١٣٢).

(٥) د. أحمد الوائلي. شرح شعر عبد الوهاب، ص ٢١٥.

(٦) امر. رمي. شرح ديوان الصمة: ٣٩٢/١.

د - الاهتمام بالنّية بوحدة المعنى في الأبيات الشعرية موضوع التحليل، فقد قرّن المحلّون من النقاد البيت في حالة شرحه بما يتصل به من الشعر من قبل ومن بعد ، جلاء للمعنى وإعراجا عنه بدقة^(١).

فتجد الشارح يقول - مثلا: هذا البيت تفسير ما قدمه، أو هذا تفسير قوله، أو يبين من البيت الثاني معنى البيت الأول، أو هذا كإيهام لما تقدم، والكشف عما أجمل ... إلخ .

وقد أكثر من هذا النهج المرزوقي في شرحه، وكان وسيلة من وسائل دفاعه عن كثير من أبيات الحمسة ضد ما يشوبها من أشكال التجني والالتباس.

من ذلك - مثلا - دفاعه عما قد يعترض بيت عروة بن الورد من شبهة تكرار معنى ما قبله: (الطويل)
 قلتُ بقومٍ في الكيفِ ترؤخوا غشبةً بقتا جندنا وان زُح
 تنالوا البقي أو تبتلوا بفلوبفم إلى مستراح من جنام منزع
 لينتفع غشدا أو يصيب زغبنة ومبلغ نفسم عجزها بلل منزع
 بقوله: " قوله "بلغ" تفسير ما قدمه، ويشير بقوله "عجزاً" إلى قطع الموت لأن المجتهد في طلب الشيء إذا حال أجله دون أملة فقد أعجز، إذ كان قد فعل ما عليه، وقوله "أو يصيب زغبنة" إشارة إلى نيل الغنى. ولرعب: اتساع الشيء، ومنه بطن زغب. وقوله "ومبلغ نفب عجزها مثل منحج" أي من أعجز فيما يطلبه، أصله أو فقه، فقد أنجح. وهذا الكلام وإن كان ظاهره وظاهر صدر البيت الأول أنه يتكرر به المعنى الذي قدمه فيه، فليس الأمر كذلك، لأنه ذكر في الأول لبلاغ النفس من الموت حداً يربحه، ولم يبين من فعل ذلك: هل أنجح أو لا. وفي الثاني يبين أن المعنى في طلب الشيء كالمصحح، وله إذا استغرق وسعه في طلب ما بهم به ثم حال موته حقل قد أعدر " (٢).

وهو ما نجد صداه عند كثير من الشراح الآخرين الذين اعتمدوا هذه الطريقة في توضيح وتفسير الكثير من أبيات شعراء ديوان الحمسة، في إطار أدراكهم للوحدة المعنوية بين الأبيات، ويمكن مطالعة ذلك في هذا المثال التالي الذي شرح فيه التبريزي البيت الثاني من قول آخر (وهو إسحق بن خلف) وعلق عليه: (البسيط)
 تهوى خيالي وأهوى مؤتمها شلفاً والموت أقزم نزل عسى الخزم
 أخشى فتاظنة عم أو جفاء أخ وكنت أبقي غنيها من أذى الكيم
 بقوله: " هذا تفسير قوله أهوى مؤتمها شلفاً، يقول: أشق من مغالطة عم لها، أو جفوة أخ تلحقها، والكلم جمع كلمة، ومعنى أذى الكلم: الأذى الذي يلحق من الكلم أي: ما كنت أسمعها كلمة تؤنيها، فضلا عن الغلظة والجفاء"^(٣).

وفي قول بعضهم:
 قل غاراً إذا ضيقت ضيقتي ما كان عني إذا أعطيت منجودي (البسيط)

(١) دلمطلي علق: نبرات الشد الأسى في الأندلس: ص ١٨٦.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحمسة: (١ / ١٦٥).

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحمسة: (١ / ١٥١).

جَهْدُ الْمُتَقَبِّلِ إِذَا عَطِيَ ثَابِتَةً وَمُتَقَبِّلٍ لِمَا فِي الْبَيْتِ سَيِّئَانِ فِي الْجَوْدِ
يقول المرووقي: "وقد تبين من البيت الثاني معنى البيت الأول، واعتداه من التثنية الذي يعطيه إذا صاف صاف"^(١).

والمرووقي كذلك شرح بيتاً قبيصة بن جابر:
ثَلَا الْجَبَصَتَانِ مِمَّنْ أَجْبَلِ وَسَلَفِي وَثَرَقَاتُهُمَا غُرُورٌ تَتَخَالِي
وَتَتَغَاءُ الثُّلُثِي مِنْ عَهْدِي غَالِي جَمِيعَاتُهَا بِأَطْرَافِ الْفَوَالِي
بقوله: "هذا كالبیان لما تقدم، والكشف عما أجمل، لأنه أتبع ما وصف من أخلاقهم وعزم، نتحصن بلذمهم
وتنعم حالهم، فقال: لنا جبلا طينياً أجاً وسلمى، وبواحي الشرق منهما، دعوى صحيحة لا يضعفها انتحال، ولا
يوهنها كذاب"^(٢).

هـ - توضيح المعنى بالإشارة إلى ما يرتبط به من أمثال العرب وعاداتهم ومذاهبهم وأساطيرهم^(٣)، فالشارح
في سبيل كشف المعنى وفسره قد "لحق لحظة مكثته للبيت الشعري أو الأبيات إلى الاستشهاد بما هو خارج
عن النص .. يلود بشواهد متباينة المشارب تجسم بجلاء تنوع الأطر المرجعية التي تدير تعامله مع الشعر"^(٤)،
وبغير ذلك من المرجعيات الثقافية والمعرفية، والتي تحتاج من الشارح إضافة إلى ضرورة التسلح بمتيقن
العارف والاطلاع، أن يمتاز بحس أنبي مرهف، وألوب في رأي، يصل إلى الذهن والقلب والإحساس معا.
وقد تميّز في هذا الجانب كلٌّ من النعمري والمرووقي على وجه الخصوص.

نمّا يتصل بالأمثال، ما علق به التبريزي على قول الشماخ يروي عن عمر من الخطاب، وقال أبو ريثم
الذي عدي أنه لمزود أخيه وقال أبو محمد الأعرابي هو لجزء بن ضرار أخيه:
لَمَنْ يَسْمَعُ أَوْ يَرْفَعُ جَنَاحِي نَعَانِي لِيُنْذِرَكَ مَا قَدَّمْتُ بِالْأَمْنِ يُسْمَعِي
"أي من يكلف لحاقك كان مسبوقاً وضرب جناحي نعلمة مثلاً لأنه يضرب به المثل في خفة العدو فيقولون
أعدى من الظليم"^(٥).

ومما يتصل بعادات العرب ما وضع به النعمري - وغيره - قول ابن أخت تليط شرّاً:
خَلَيْتِ الْخَمْرَ وَفَاتَتْ خَرَانَا وَبَلَّيْتُ مِمَّا أَلْمَسْتُ تَجِلُّ
كانت العرب إذا قتل لها قتل ندرت أن لا تشرب خمرًا، ولا تمش طيباء، ولا تغسل رأساً، ولا تقنع امرأة، حتى تفرك
أشار. يقول: فقد أدركت ثأري، فعلت لي الخمر بعد أن كنت حرمتها على نفسي. وهذا كقول لمرى اللتين:
خَلَيْتِ لِي الْخَمْرَ وَفَاتَتْ أَنْزَعَا عَنْ شُرْبِهَا فَمِي شَطَطٌ شَاغِلٌ"^(٦)

(١) المرووقي: شرح ديوان الحماسة. حماسة (٧٩٤)، (١ / ١٧٦٢).

(٢) نفسه: (١ / ٧٩٠).

(٣) د. السيد حمدان: التساهل الشاعرة وشقبة في شروح استمارة على شعر أبي تمام المروقي، ص ٣٢٢.

(٤) د. أحمد الوردني: شرح الشعر عند العرب، ص ١٠١.

(٥) التبريزي: شرح ديوان الحماسة (٦٥ / ٣).

(٦) النعمري: معاني أبيات الحماسة: الحماسة رقم (٦٦٦)، ص ١٢٢ / ١٢٣، وانتظر: نفسه. الحماسة رقم (٢٤٨)، ص ١٣٨.

وقول عاتق الطائي:
وَقَدْ يَتَرَكُ الْغَمَزُ الْفَتَى وَطَفَانَهُ إِنْ هُوَ أَمْسَى خَلْبَةً مِنْ نَمِ الْقَصْدِ
" كانت العرب إذا أجدبت وقل زادهاء عمدت إلى البعير فضصته، واستخرجت من دمه بقدر الحاجة، ثم أسنته إلى النار ليجمد وينضج فتأكله، إلى أن حرمه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال الأعشى وقد لحق الإسلام: (الطويل) فَلَا تَأْخُذْ مِنْهَا جَبِيذًا بَلْغَبًا^(١)."

ومما يتصل بمذاهب العرب التي تعكس صورة حقيقتهم وعاداتهم وتقاليدهم، أو أساليب خطيبهم، أو استعمالهم اللغوية، أو تعبيراتهم وصورهم الشعرية، ما نجده في شرح قول آخر: (الطويل)
وَأَنَا تَذْخِلُو الضِّيفَ بَنَ غَيْرِ غَمَزَةٍ مَخَافَةَ أَنْ يَضْرِيَ بَنَا فِيْهِ مَوَدٌ
وَنُثْلِي عَلَيْهِ الْفَلَكُ جَذَ حَبْلِهِ وَنُثْبِي لَهُ الْجُرْمَانِ ثَمَمَ ثَرِيذٍ

" قال أبو العلاء: هذا البيت يروى لحقم الطائي ويقال أنه أراد بالضيف الأسد وهذا لا يمتنع من مذاهب العرب لأنهم يسمون كل طارق ضيفاً حتى جعلوا الأسد كالضيف وكذلك اليم قال الشاعر: (الطويل)
تَضِيفُنِي وَفَنَا فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ إِلَى الرَّيْذِ شَيْءٌ مِنْ يَذِي الْأَمْصَاغِ
فَلَسَمَ تَلَفٌ لِلْمُدَى ضَيْفًا بِفَقْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ غَرْثَانِ جَانِغِ

وقال المرتضى:
وَأَنَا أَضْنَا الْأَزَّازَ بِطَدِ شَبَابِنَا غَرْثًا عَلَيْهَا أَطْلَسَ الْكُؤُوبُ بَنَانِ
نَبْنُتُ إِلَيْهِ فَلَمَدُ مِنْ شِبَابِنَا خِزَاءٌ وَفَا فُخْشِي عَلَى مَنْ أَجَالِنِ
فَإَضَى بَيْنَا جَذَلَانِ سَتَفَضَ رَأْسُهُ قَنَا آبَ بِالثَّوْبِ الْغَنِيِّ الْمُغْزِ الْبَسَنِ

وقال الفرزدق:
فَبِيتُ قَمَدَ الرَّيْذِ نَيْبِي وَبَيْتُهُ عَلَى ضَمُوهِ ثَابَ شَرَّةٌ وَثُخَانِ

وسموا المال ضيفاً لأنه يجيء ويذهب ومن ذلك قول القائل:
وَقَنَا نَثْلِي الضِّيفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا مِنْ الضِّيفِ إِنْ كَانَ الْمُصْخِخِ الْمُشْنَعًا^(٢)

إن وضع الشارح الإصبع على طرائق العرب اللغوية وأساليب خطيبهم خطوة مهمة لاستشراف عوالم الدلالة وأفق المعاني عامة، وفي أشعار ديوان الحملة خاصة، كما اتضح من المثال السابق وينضح أكثر من المثال التالي الذي شرح فيه المرزوقي قول المرار النقصي: (الطويل)
قَبِيَا مَوْكِدِي نَسَارِي أَرْغَاغَا لَعَلَّهَا ثُطْبِيءَ بِسَنَائِ أَجْزَنِ اللَّؤْلُيِ مَقْبَرِ

" وإنما قال قيا مولدي ناري على علقهم في جمل مزاولي الأمور الثنين للثنين. على ذلك قول الآخر:

تَرَى جَاوِزِيَهُ بَرْغَدَانِ^(٣)

(١) تنمر: معنى لبيت الحملة: الصلبة ولم (٦٢٢)، ص ١٩٨.

(٢) الفرزدق: شرح ديوان الحملة: (١٧١ / ٤)، ص ١٧١.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (١٧٢٢ / ٢).

و- توضيح المعنى بالإشارة إلى بعض اللمحات التفسيرية لأصحاب المعاني^(١)، كما يتضح من شرح بيت آخر: (بعض بني تميم الله)

وَنُطْلَعُ مِنَ الْأَبْطَالِ عَنْ أَبَائِنَا وَعَلَى بَصَائِرِنَا وَإِنْ لَمْ تُصْبِرْ
"معنى البيت: إنا ندافع عن حرمنا وحريمنا، وعلى ما يعترض في الوقت، نفعل ذلك وإن لم نبصر عاقبة الأمر، ولم نتبعها بالفكر فيها، وتأمل نتائجها، لنعلم موانعها، وهذا شأن الفلك فيما يعثونه من أحكام الحرب وينقونهم، ويقتلونهم من أسباب الحذاب والنزاع ويدرمونه... وسمعت بعض أصحاب المعاني يقول: المعنى إنا نقاتل الأبطال حرياً على عادة الناس عند نظرم لأعدائهم وبينهم، في الذنب عن الحرم والعشرة والشرف، وعلى الأبدان والاعتقادات والبصائر، وإن لم نصر وحياً واحداً من هذه الوجوه نقاتل أيضاً، لأن هذا المثل والقتال"^(٢).

وما رواه الترمذي في قول عبد الله غنمة الضبي يري بسطاماً:
لَكَ الْمَرْزَاقُ مِنْهَا وَالصَّفَا وَخُفَّتْكَ وَالْأُشْبِيْطَةُ وَالْفُضُولُ (الوادر)

"حكى ابن السكيت عن الأصمعي في المعاني أنه قال: "المربع"، ربع الخنيفة، و"الصنفا"، جمع "صفي"، وهو أن يصطفي الرئيس لنفسه شيئاً دون أصحابه، مثل الفرس، وما لا يستقيم أن يقسم على الجيش. و"المسول"، مقابلاً تقى من العيمة، مثل معبر أو بعيرين أو فرس، والجيش كثير، فلا بد من كيف يقسم ذلك عليهم"^(٣).

ثالثاً: تعنى المعنى:

شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً في شروح ديوان الحماسة، بحيث تمتلئ تلك الشروح بعشرات الأمثلة التي انتبه فيها الشراح إلى احتمالات المعنى في البيت الواحد في سبيل تعمق المعنى وإبرازه. إن عمل الشراح لا يقتصر - على هذا الممكك - على نسخ الصورة ومحاكاتها، بل يتجاوز ذلك إلى تفكيكها، ومن ثم تحليلها، وصولاً إلى المعنى المتخفي وراء حجب المعجزة، وانطلاقاً من ذلك نجد أن "الراوي" / الشراح يطل الصورة فيردها إلى ضربيين من المواضع الأولية والطارئة ومداى العنول بغية إزاحة الغطاء عن المعنى. و يبدو الراوي في ذلك أجد شارحين: شارح يحلل بقلة متناهية العلاقة بين المواضعين فيبدو المعنى شغيفاً بترأى، وشارح يتجاوز تحليل تلك العلاقة إلى رصد وجه الشبه كشفاً للمعنى بعد أن لاح بُخناً غير شغيف. وفي الحالتين يفتسي الشرح بضروب القراءة فتنبسط المعاني وتوسع"^(٤).

(١) د/المجد حمدان: لتضاهي الفلاحة وقضية في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء المبري: ص ٣٢٥.

(٢) المرواني: شرح ديوان الحماسة حاصلة (١٩)، (١٣٤ / ١١)، (١٣٥).

(٣) الترمذي: معاني أبيات الحماسة: المسندية رقم (٣٥٦)، ص ١٤٦.

(٤) د/المجد المرواني: شرح أشعر عبد العرب ص ٨٨.

١- وقد سلك الشراح سبلا مختلفة من الاحتمالات والتأويلات في تعريفهم المعنى العميق ومثله. منها (١):

أ- ما كان فيه التأويل معقداً قريباً مجاوزاً لظاهر العبارة إلى الفحوى والقصد مباشرة، ولهذا المنحى طلع تأويلي قريب الموضوعة، يبدو فيه المعنى - كما سبق أن ذكرنا - شفيهاً بترادف. وهذا الجانب يتميز به التعري بخامسة. ويمكن التوقف عند شرحه قول الأقرع بن معاذ، يصف إبلاً: (السيط)

ثُمَّ لَقَّ الْجَبَّازُ شُرَّتَا وَهْسِي خَائِبَةً وَلَا يَبِيْتُ عَلَى اغْتَابِهَا فَيَسْتَم
"الشرب"، الماء بعينه، ويرد به ما هنا اللين، و"الحتم"، العطشان الذي يحوم حول الماء. يقول هذه الإبل تروي الحار وهي عطاش، تسلفه الري قبل ربه. وقوله: "ولا يبيت على اغتاقها فسم"، أي لا يتم عليها أن لا تنحر، و"السم" البسر، يقول: نحن نسقي لبنها وننحرها ولا يمنعنا هذا عن هذا (٢).

فهو بغوص على القصد: فـ "الشرب" يعني "الماء بعينه"، لكن الشاعر استعمل ذلك للدلالة على "شئ"، لينتج مع ما رمى إليه الشاعر من قصد، فطن إليه الشارح وأوله تأويل قريب المثلث، سهل الإدراك، يتناسب مع معنى البيت "نحن سقي لبنها وننحرها ولا يمنعنا هذا عن هذا".

ب- بما كان فيه التأويل متحذاً، ولديه استقصاء لوجود المعنى المحتملة. ولكن من غير ترجيح ولا تفضيل.

قد يحتمل البيت الواحد معنيين أو ثلاثة أو أكثر، أو قد يكون البيت في مستواء السطحي غير مستواء العميق. فما يحتمل معنيين قول محمد بن عبد الله الأزدي: (الضويل)

لَا أَنْفَعُ ابْنَ الْعَمِّ يَنْشِي عَلَى شَيْءٍ فَإِنْ يَلْغَبْنِي مِنْ أَذَى الْجَنَّةِ دَاغٍ
"اشعاع حرف الشيء. وبمشي في موضع الحال. والبيت يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون المعنى إذا أنشئ ابن عمي على بلاءٍ وشي يحاف عليه منه، وبخشي عطشه فيه، فبقي لا أنفع في صدره تحاملاً عليه ليحجمه، ولا أزع به فيه لأعرقه. ويجوز أن يريد: إذا انحرف عني مبلحراً لي ومشى على جقب من المزاورة معي لا أنفرد، ولا لقم استحاشه بما لثير من كوامن غيظه، وإن بلغني الدواهي عنه، وقلبيت الشدائد من الشدائد به. أي لا أنتهز الفرصة في مكاشفته وإن اتصل بالسوء تعرضه، ودام فيما يمن اعتراضه" (٣).

وقول رجل من بني عقيل: (الوافر)

فَقَسَمْتُ يَوْمَ الزُّلُوعِ غَنَمَكُمْ وَإِنْ خَالَتْ مَثَلُهُ الشُّبُهَاتِ
"قوله معنيين أي مصرفين. ويقال: عد لهم عنك، أي اصرفه. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى مصروف السيوف عنكم إبقاء عليكم، وكرامة لاستئصالكم، وإن خالت نصالها قد تقلت من كثرة ما قارع بها الأعداء. ويجوز أن يكون المعنى: مصرفها وإن قلتمت بكم وفيم، لأن القدرة تذهب الحفيظة، ولأن ما يجمعنا يدعو إلى النفاق، والأخذ بكم بالحسن" (٤).

(١) دلمستني عابن: نبرات النقد الأسمى في التأويل: ١٤٨، ١٤٩. الخامس فقط خلا للشواهد واشتليق عليها.

(٢) شعري: معلى أبيات الحماسة المعاصرة رقم (٧٧٤)، ص ٢٣٥.

(٣) المروزي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٣٧)، (٤٠١/١).

(٤) تلمس: حماسة (١٢)، (١٠٠/١).

ومما يحتمل ثلاثة معان قول أعرابي يخطب امرأته: (أنيف بن قتره) (الطويل)
شربت فمّا إن لم أرعك بضرة بضرة بضرة منهنّ في الضرب طيبة الشرب

"قوله: "شربت فمّا" قسم يحتمل ثلاثة وجوه: إحداهما: أن الدم حرام في الإسلام، فكأنه قال: أتيت حراماً، "إن لم أرعك بضرة"، أي أزعك، والوجه الثاني: أن العرب كانت إذا انتطح رادها واضطرت، فصنت البحر فأخرجت من دمه بمقدار الحلجة، فلحنه إلى النار واكلته... والوجه الثالث: أن يقول: أخذت الدية فشربت من ألبعها، فكأنني قد شربت دماً" (١).

ومما يحتمل أكثر من ثلاثة معان قول شاعر الحماسة: (موسى بن جابر) (الطويل)
فما نغزرت جنّي ولا فلي ميزري ولا أضبحت طيبري من الخوف وقفا
"وهذا يحتمل وجوها: يجوز أن يريد لم ينخل لما أتيت وأخبرت أصحابي الذين هم كالجن، ولا هل لسبي الذي هو كالمرد، ولا دعر جاني فصار طيبري واقعة، ويكون الأول كقول الآخر: (الطويل)

عنيّ جنيان خجّنة عقر

وتشبيه اللسان بالمرد وحد السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد. وقد قيل في "نشرت جنّي" إنه مثل لفلنقه وبدراته، ويكون هذا كما وصف امرؤ القيس فرسه بالمرح وحدة القلب قل: (الطويل)

به طائف من جنّة غير متعب

وإن نكره المبرد مثلاً لصلاحه، وإن نكره الطير مثلاً لصيته ونكره الذاهب في الناس. ويجوز في هذا الوجه أن يريد به نكاهه ونشأته وشهامته، فقد قيل في ضمه: هو ساكن الطائر، وكان على رءوسهم الطير. ويجوز أن يشير بالجن إلى ما يدعيه الشعراء من أن لكل واحد منهم تبعاً من الجن يستعين به فيما يجز به، ويجعل المراد بالمرد في هذا الوجه للسان لا غير. ويجوز أن يريد بالطير سراياه وطوائف خيله التي يطيرها للغارات والإرتقاء، وتجسّن الأخبار وغيرها" (٢).

ومما معناه في المستوى السطحي غير معناه في المستوى العميق، قول بشر بن الخيرة: (الطويل)
لما غمّ منهل وأثبثني لوزية ثبثم إبلن السدّ فزجّم نوابه

"قوله "مهلًا" معناه رفقا ودع المجلة... وفي هذا بعض التواعد والتلفظ وإن كان ظاهره أنه يستعطف المهلب ويعرفه أن الدهر ذو غير وذو ألوان فلا يؤمن بولنقه؛ وأنه قد يحتاج إلى المستقى عنه لحادثة تحدث. فيقول: ادخري لوزية تنزل، وهي المصيبة أو النكبة، ولا تطرحي اغتراراً بالأمن، فإن الدهر كثير التولف، وشوك التحول" (٣).

(١) النمر: معاني أبيات الحماسة: الحماسة رقم (٨٧٢)، ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) النمر: شرح ديوان الحماسة: الحماسة (١٢٨)، ص ٣٧٤/١.

(٣) ص. ٧٣، (٢٦٦/١).

وإذا كان البيت يحتمل أكثر من معنى، فلي الشارح بخير معاقبه على احتمالاتها المختلفة، على مختلف الروايات، كما في شرح قول حميد بن يسري:

(الطويل)

فَمَا زِلْتُ خُلِّيَ جَنْبِي الْفُؤَادُ عَنْهُمْ أَطْرَفَ عَيْني فَارِيتَا ثُمَّ فَارِيتَا

"يقول: لم أزل يلبس ذلك اليوم أدفع في جوانب مجالي وأطراف أرضي، الفارس بعد الفارس، إلى أن تغشى الظلام فحال بيني وبينهم، وستر كلاً منا عن صاحبه ... ومن روى "أطراف فرساً والحق فارساً" فالمعنى أسوق فرساً وأزودهم عني، وقد ألحق في الطرد الواحد بعد الواحد فأصبيه"^(١).

ومن خلال ذلك يمكن ملاحظة أن الشارح "يستثمر معرفته اللغوية في إدراك الفروق الدقيقة التي تكون عليها الكلمات في الأبيات، واللغة العربية كلفة لغة أخرى تضيق ألفاظها أطمع محل الدلالات المتسع يوماً بعد يوم، فيمكن للفظ الواحد أن يحوي من المعاني ما قد يكون متعارضاً في بعض الأحيان"^(٢). وقد تكون احتمالات المعنى لدى الشارح قلقة على "أسس من القرائن النحوية، أو من التطورات الدلالية التي تطورا على اللفظ، أو من فترة بعض الصور على الإيهام بمعان مختلفة"^(٣)، وكل هذا يساعد في كشف شخوص المعنى، وأمن اللبس والخلط.

ج- ما كان فيه التأويل متعدد الاحتمالات مرجحاً دون تعليل، مثل ما تجده في تأويل قول بعض بني قيس بن ثعلبة:

(البيسط)

بِضْ مَفَارِقَنَا نَفْثِي مَرَاوِجَنَا نَأْسُو بِمَوَالِينَا أَثَارَ أَيْسِدِينَا

"هذا البيت قد فسر على وجوه، أما ذاكر منها ما خطر ببالي: قيل: "ببض مفاوِجنا"، أي: لا ننس فيها، والعرب كلها سمر، وبنا وصفوا بالبياض، فلما يراد به شفاء والطهارة. وقيل: أراد لنا لنا عيداً سواناً، وإذا كان للمفروق أبيض، فذلك الجسد. وهذا وجه لا يحسن إلا أن يكون معرضاً يقوم. فيقول: لنا عيداً مثلكم. وقيل: بل يزعم أنهم قد شابوا وحكتهم التحارب. وهذا وجه مشهور، ولكنه ضعيف جداً، فإن فيهم الأشيب والأمرء، على أن له أن يغلب الشيب على المرء، إذا كانوا أكثر عدداً وأكبر عقولاً ... وقيل: يريد بقوله: "ببض مفاوِجنا"، يريد من الطيب والذي اختاره من هذه الوجوه، قول من قال: إنه لا ننس فيها"^(٤).

د- ما كان فيه التأويل متعدد الاحتمالات مرجحاً ومقتلاً، فيعد أن يشير الشارح معاني البيت على احتمالاتها المختلفة، ويرجح منها ما يعتقد أنه أليق بسبق النص ومتممه. ومن الترجيح والاختيار من أوجه الاحتمالات المعنوية المختلفة التي يطمح للشارح إلى أحدها مع ذكر سبب الترجيح، ما تجده في تأويل قول بشر بن أبي (الطويل)

سَمِعْتَنِي مَنَافِي السَّمِيقِ إِنْ كُنْتُ سَابِقًا وَنَقُصْتُ إِنْ زُكْتُ بِكَ الْفَضْلَانِ

"هذا يحتمل وجهين: أحدهما أنه جعل الخطب لصلح الفرس على المجاز والسعة، والمقصود الفرس، فيقول: تمنع من سبق إن سبق - وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لطم دلهن. وقد فم ذكره - فإن خنت فتمك بك

(١) الرزولي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٨٤)، (١/١٧١).

(٢) د. محمد صبرة: شرح الرزولي، التطرية والإجراءات، ص ١٠٨.

(٣) نفسه: ١١٢.

(٤) حميد بن يسري: الحماسة: الحماسة رقم (١٤)، ص ٢٤، ٢٥، ٢٦.

القضايا الفنية **===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى =====** المعنى

وبرزت ثقباً أنتي عليك. ويكون قوله "زلت بك القمان" على ما فسرناه من قولهم تدحّ ولول، إذا كان خفيفاً. فهذا رجاء. والتلقي أن يترك الخطاب على ظاهره وحده، فيكون المعنى: سيمنع منك العتق عليه من الخطر بسبق فرسك، فلن لم يثبت قنمك عند التقاضي به، وفي النضاع عن نفسك فيما يراد من ظلمك وبرام من مضحك قنلت أيضاً. وهذا لقرب وأشباه بالتصمة^(١).

وقد يستند الشراح في استشفاف إحياءات المعنى، ومن ثم الميل إلى ترجيح أحدها إلى معطيات شعر الشاعر في مذهب العرب وما حوت به العادة، أو غرض الشاعر.

فمن الترجيح والتعليل بمذهب العرب وما جرت به العادة في أشعارهم، ما ذهب إليه الشريزي في قول
الحرف بن وطة الذملي:

أَنْ يَأْبُوا نَحْلاً بِفَيْرِهِمْ وَالشَّيْءُ تَحْجُفُزُهُ وَقَدْ بَثَّيْ

"يقول إذا ظلمتهم فلا تأمنهم أن ينتقموا منك فتشتفي أعدائك منك فتكون كمن أصلح أمر غيره وهو كقولهم فلان يحطب في حبل غيره ... كله قل لا تأمن أبر قوم ظلمتهم نخلًا لغيرهم يقال أبرت النخل وأبرته إذا ألحقته، وقال بعضهم معناه إن ظلمتمونا تحولنا عنكم فلا يكون لكم بعثنا مقام فتحوّلوا أو يملككم العنز فيكون ما أبرنا نحن وأنتم ليم دوننا ودونكم، وقال أبو العلاء قد اختلف في معنى هذا البيت فقيل أراد أنه يدارقهم ويهبط هو وقومه أرضاً ذات نخل كان لغيرهم فيفدونهم عنه ويلجرونه كأنه يتهدمهم بترجله عنهم لأنّ ذلك يؤديهم إلى النخل واسندلوا على هذا الوجه بقوله في القصيدة:

فَوَضَّ خِيَانَتَكَ وَالشَّيْءُ بَثَّيْ بِأَيِّ عَيْنِ الْغَائِبِيكِ بِالظُّلَمِ

وقيل بل يريد أنه يحاربهم فيصلحهم لغيره فبجلهم كالنخل التي قد أبرت إذ كان عندهم يقال غرضه منهم إذا أعتقه عليهم، وقيل بل عني أنه يسبي نساءهم فتوطأ فيكون ذلك كالآبار الذي هو تلتيق النخل، وهذا الوجه أشبه بمذهب العرب مما تقدم لأنهم يكنون عن النخلة بالمرأة قال الشاعر يخاطب امرأة:

أَلَا إِنَّا نَخْلَةٌ مِّنْ ذَاتِ عِزٍّ عَيْنِيكَ وَزَخْزَعَةُ اللَّهِ السُّلَامِ
مِنَ الْبَاقِ الْبَاقِ عَيْنِيكَ فَخُذْوْنِي هِنَا مِّنْ ذَاتِ يَكْرَفَةِ الْبَرَامِ
وَلَوْ أَنَّ بَعْدَ أَكْثَرِ اللَّهِ بَاقِ إِذَا فَوَ لَمْ يُخَالِطْهُ الْخَرَامُ^(٢).

وقد يبينون توجيههم للتأويل، وتعضيلهم للمعيار المشهور المطروق من المعنى، كما في قول بعضهم:

أَفَلَا تَنَالُ إِن لَّمْ أَرْغَبْ بِضَرَةٍ بَيِّدَةٍ مَهْزُوزِ الْفَرْطِ طَبِيبَةِ النَّشْرِ

"أكلت دماً يجري مجرى اليمين وإن كان لفظه لفظ الدعاء وأكل الدم يسوغ عند الإشفاء حلى الهلكة والمعنى إن لم أفرغك بمرأة حنة السالفة طيبة الراححة لفلانتي الله بما يحل معه أكل الدم وبروى أن قتل هذين البيتين أعرابي وكان تزوج امرأة فلم يوافقها فقيل له أن حمى دمشق سريعة في موت النساء فحملها إلى دمشق وقال

(١) للمزدلفي: شرح ديوان المعلقة: حماسة (١٥٣)، (١٥٣/١)، (١٥٤)، (١٥٤/١)، (١٥٤/٢)، (١٥٤/٣)، (١٥٤/٤)، (١٥٤/٥)، (١٥٤/٦)، (١٥٤/٧)، (١٥٤/٨)، (١٥٤/٩)، (١٥٤/١٠)، (١٥٤/١١)، (١٥٤/١٢)، (١٥٤/١٣)، (١٥٤/١٤)، (١٥٤/١٥)، (١٥٤/١٦)، (١٥٤/١٧)، (١٥٤/١٨)، (١٥٤/١٩)، (١٥٤/٢٠)، (١٥٤/٢١)، (١٥٤/٢٢)، (١٥٤/٢٣)، (١٥٤/٢٤)، (١٥٤/٢٥)، (١٥٤/٢٦)، (١٥٤/٢٧)، (١٥٤/٢٨)، (١٥٤/٢٩)، (١٥٤/٣٠)، (١٥٤/٣١)، (١٥٤/٣٢)، (١٥٤/٣٣)، (١٥٤/٣٤)، (١٥٤/٣٥)، (١٥٤/٣٦)، (١٥٤/٣٧)، (١٥٤/٣٨)، (١٥٤/٣٩)، (١٥٤/٤٠)، (١٥٤/٤١)، (١٥٤/٤٢)، (١٥٤/٤٣)، (١٥٤/٤٤)، (١٥٤/٤٥)، (١٥٤/٤٦)، (١٥٤/٤٧)، (١٥٤/٤٨)، (١٥٤/٤٩)، (١٥٤/٥٠)، (١٥٤/٥١)، (١٥٤/٥٢)، (١٥٤/٥٣)، (١٥٤/٥٤)، (١٥٤/٥٥)، (١٥٤/٥٦)، (١٥٤/٥٧)، (١٥٤/٥٨)، (١٥٤/٥٩)، (١٥٤/٦٠)، (١٥٤/٦١)، (١٥٤/٦٢)، (١٥٤/٦٣)، (١٥٤/٦٤)، (١٥٤/٦٥)، (١٥٤/٦٦)، (١٥٤/٦٧)، (١٥٤/٦٨)، (١٥٤/٦٩)، (١٥٤/٧٠)، (١٥٤/٧١)، (١٥٤/٧٢)، (١٥٤/٧٣)، (١٥٤/٧٤)، (١٥٤/٧٥)، (١٥٤/٧٦)، (١٥٤/٧٧)، (١٥٤/٧٨)، (١٥٤/٧٩)، (١٥٤/٨٠)، (١٥٤/٨١)، (١٥٤/٨٢)، (١٥٤/٨٣)، (١٥٤/٨٤)، (١٥٤/٨٥)، (١٥٤/٨٦)، (١٥٤/٨٧)، (١٥٤/٨٨)، (١٥٤/٨٩)، (١٥٤/٩٠)، (١٥٤/٩١)، (١٥٤/٩٢)، (١٥٤/٩٣)، (١٥٤/٩٤)، (١٥٤/٩٥)، (١٥٤/٩٦)، (١٥٤/٩٧)، (١٥٤/٩٨)، (١٥٤/٩٩)، (١٥٤/١٠٠)، (١٥٤/١٠١)، (١٥٤/١٠٢)، (١٥٤/١٠٣)، (١٥٤/١٠٤)، (١٥٤/١٠٥)، (١٥٤/١٠٦)، (١٥٤/١٠٧)، (١٥٤/١٠٨)، (١٥٤/١٠٩)، (١٥٤/١١٠)، (١٥٤/١١١)، (١٥٤/١١٢)، (١٥٤/١١٣)، (١٥٤/١١٤)، (١٥٤/١١٥)، (١٥٤/١١٦)، (١٥٤/١١٧)، (١٥٤/١١٨)، (١٥٤/١١٩)، (١٥٤/١٢٠)، (١٥٤/١٢١)، (١٥٤/١٢٢)، (١٥٤/١٢٣)، (١٥٤/١٢٤)، (١٥٤/١٢٥)، (١٥٤/١٢٦)، (١٥٤/١٢٧)، (١٥٤/١٢٨)، (١٥٤/١٢٩)، (١٥٤/١٣٠)، (١٥٤/١٣١)، (١٥٤/١٣٢)، (١٥٤/١٣٣)، (١٥٤/١٣٤)، (١٥٤/١٣٥)، (١٥٤/١٣٦)، (١٥٤/١٣٧)، (١٥٤/١٣٨)، (١٥٤/١٣٩)، (١٥٤/١٤٠)، (١٥٤/١٤١)، (١٥٤/١٤٢)، (١٥٤/١٤٣)، (١٥٤/١٤٤)، (١٥٤/١٤٥)، (١٥٤/١٤٦)، (١٥٤/١٤٧)، (١٥٤/١٤٨)، (١٥٤/١٤٩)، (١٥٤/١٥٠)، (١٥٤/١٥١)، (١٥٤/١٥٢)، (١٥٤/١٥٣)، (١٥٤/١٥٤)، (١٥٤/١٥٥)، (١٥٤/١٥٦)، (١٥٤/١٥٧)، (١٥٤/١٥٨)، (١٥٤/١٥٩)، (١٥٤/١٦٠)، (١٥٤/١٦١)، (١٥٤/١٦٢)، (١٥٤/١٦٣)، (١٥٤/١٦٤)، (١٥٤/١٦٥)، (١٥٤/١٦٦)، (١٥٤/١٦٧)، (١٥٤/١٦٨)، (١٥٤/١٦٩)، (١٥٤/١٧٠)، (١٥٤/١٧١)، (١٥٤/١٧٢)، (١٥٤/١٧٣)، (١٥٤/١٧٤)، (١٥٤/١٧٥)، (١٥٤/١٧٦)، (١٥٤/١٧٧)، (١٥٤/١٧٨)، (١٥٤/١٧٩)، (١٥٤/١٨٠)، (١٥٤/١٨١)، (١٥٤/١٨٢)، (١٥٤/١٨٣)، (١٥٤/١٨٤)، (١٥٤/١٨٥)، (١٥٤/١٨٦)، (١٥٤/١٨٧)، (١٥٤/١٨٨)، (١٥٤/١٨٩)، (١٥٤/١٩٠)، (١٥٤/١٩١)، (١٥٤/١٩٢)، (١٥٤/١٩٣)، (١٥٤/١٩٤)، (١٥٤/١٩٥)، (١٥٤/١٩٦)، (١٥٤/١٩٧)، (١٥٤/١٩٨)، (١٥٤/١٩٩)، (١٥٤/٢٠٠)، (١٥٤/٢٠١)، (١٥٤/٢٠٢)، (١٥٤/٢٠٣)، (١٥٤/٢٠٤)، (١٥٤/٢٠٥)، (١٥٤/٢٠٦)، (١٥٤/٢٠٧)، (١٥٤/٢٠٨)، (١٥٤/٢٠٩)، (١٥٤/٢١٠)، (١٥٤/٢١١)، (١٥٤/٢١٢)، (١٥٤/٢١٣)، (١٥٤/٢١٤)، (١٥٤/٢١٥)، (١٥٤/٢١٦)، (١٥٤/٢١٧)، (١٥٤/٢١٨)، (١٥٤/٢١٩)، (١٥٤/٢٢٠)، (١٥٤/٢٢١)، (١٥٤/٢٢٢)، (١٥٤/٢٢٣)، (١٥٤/٢٢٤)، (١٥٤/٢٢٥)، (١٥٤/٢٢٦)، (١٥٤/٢٢٧)، (١٥٤/٢٢٨)، (١٥٤/٢٢٩)، (١٥٤/٢٣٠)، (١٥٤/٢٣١)، (١٥٤/٢٣٢)، (١٥٤/٢٣٣)، (١٥٤/٢٣٤)، (١٥٤/٢٣٥)، (١٥٤/٢٣٦)، (١٥٤/٢٣٧)، (١٥٤/٢٣٨)، (١٥٤/٢٣٩)، (١٥٤/٢٤٠)، (١٥٤/٢٤١)، (١٥٤/٢٤٢)، (١٥٤/٢٤٣)، (١٥٤/٢٤٤)، (١٥٤/٢٤٥)، (١٥٤/٢٤٦)، (١٥٤/٢٤٧)، (١٥٤/٢٤٨)، (١٥٤/٢٤٩)، (١٥٤/٢٥٠)، (١٥٤/٢٥١)، (١٥٤/٢٥٢)، (١٥٤/٢٥٣)، (١٥٤/٢٥٤)، (١٥٤/٢٥٥)، (١٥٤/٢٥٦)، (١٥٤/٢٥٧)، (١٥٤/٢٥٨)، (١٥٤/٢٥٩)، (١٥٤/٢٦٠)، (١٥٤/٢٦١)، (١٥٤/٢٦٢)، (١٥٤/٢٦٣)، (١٥٤/٢٦٤)، (١٥٤/٢٦٥)، (١٥٤/٢٦٦)، (١٥٤/٢٦٧)، (١٥٤/٢٦٨)، (١٥٤/٢٦٩)، (١٥٤/٢٧٠)، (١٥٤/٢٧١)، (١٥٤/٢٧٢)، (١٥٤/٢٧٣)، (١٥٤/٢٧٤)، (١٥٤/٢٧٥)، (١٥٤/٢٧٦)، (١٥٤/٢٧٧)، (١٥٤/٢٧٨)، (١٥٤/٢٧٩)، (١٥٤/٢٨٠)، (١٥٤/٢٨١)، (١٥٤/٢٨٢)، (١٥٤/٢٨٣)، (١٥٤/٢٨٤)، (١٥٤/٢٨٥)، (١٥٤/٢٨٦)، (١٥٤/٢٨٧)، (١٥٤/٢٨٨)، (١٥٤/٢٨٩)، (١٥٤/٢٩٠)، (١٥٤/٢٩١)، (١٥٤/٢٩٢)، (١٥٤/٢٩٣)، (١٥٤/٢٩٤)، (١٥٤/٢٩٥)، (١٥٤/٢٩٦)، (١٥٤/٢٩٧)، (١٥٤/٢٩٨)، (١٥٤/٢٩٩)، (١٥٤/٣٠٠)، (١٥٤/٣٠١)، (١٥٤/٣٠٢)، (١٥٤/٣٠٣)، (١٥٤/٣٠٤)، (١٥٤/٣٠٥)، (١٥٤/٣٠٦)، (١٥٤/٣٠٧)، (١٥٤/٣٠٨)، (١٥٤/٣٠٩)، (١٥٤/٣١٠)، (١٥٤/٣١١)، (١٥٤/٣١٢)، (١٥٤/٣١٣)، (١٥٤/٣١٤)، (١٥٤/٣١٥)، (١٥٤/٣١٦)، (١٥٤/٣١٧)، (١٥٤/٣١٨)، (١٥٤/٣١٩)، (١٥٤/٣٢٠)، (١٥٤/٣٢١)، (١٥٤/٣٢٢)، (١٥٤/٣٢٣)، (١٥٤/٣٢٤)، (١٥٤/٣٢٥)، (١٥٤/٣٢٦)، (١٥٤/٣٢٧)، (١٥٤/٣٢٨)، (١٥٤/٣٢٩)، (١٥٤/٣٣٠)، (١٥٤/٣٣١)، (١٥٤/٣٣٢)، (١٥٤/٣٣٣)، (١٥٤/٣٣٤)، (١٥٤/٣٣٥)، (١٥٤/٣٣٦)، (١٥٤/٣٣٧)، (١٥٤/٣٣٨)، (١٥٤/٣٣٩)، (١٥٤/٣٤٠)، (١٥٤/٣٤١)، (١٥٤/٣٤٢)، (١٥٤/٣٤٣)، (١٥٤/٣٤٤)، (١٥٤/٣٤٥)، (١٥٤/٣٤٦)، (١٥٤/٣٤٧)، (١٥٤/٣٤٨)، (١٥٤/٣٤٩)، (١٥٤/٣٥٠)، (١٥٤/٣٥١)، (١٥٤/٣٥٢)، (١٥٤/٣٥٣)، (١٥٤/٣٥٤)، (١٥٤/٣٥٥)، (١٥٤/٣٥٦)، (١٥٤/٣٥٧)، (١٥٤/٣٥٨)، (١٥٤/٣٥٩)، (١٥٤/٣٦٠)، (١٥٤/٣٦١)، (١٥٤/٣٦٢)، (١٥٤/٣٦٣)، (١٥٤/٣٦٤)، (١٥٤/٣٦٥)، (١٥٤/٣٦٦)، (١٥٤/٣٦٧)، (١٥٤/٣٦٨)، (١٥٤/٣٦٩)، (١٥٤/٣٧٠)، (١٥٤/٣٧١)، (١٥٤/٣٧٢)، (١٥٤/٣٧٣)، (١٥٤/٣٧٤)، (١٥٤/٣٧٥)، (١٥٤/٣٧٦)، (١٥٤/٣٧٧)، (١٥٤/٣٧٨)، (١٥٤/٣٧٩)، (١٥٤/٣٨٠)، (١٥٤/٣٨١)، (١٥٤/٣٨٢)، (١٥٤/٣٨٣)، (١٥٤/٣٨٤)، (١٥٤/٣٨٥)، (١٥٤/٣٨٦)، (١٥٤/٣٨٧)، (١٥٤/٣٨٨)، (١٥٤/٣٨٩)، (١٥٤/٣٩٠)، (١٥٤/٣٩١)، (١٥٤/٣٩٢)، (١٥٤/٣٩٣)، (١٥٤/٣٩٤)، (١٥٤/٣٩٥)، (١٥٤/٣٩٦)، (١٥٤/٣٩٧)، (١٥٤/٣٩٨)، (١٥٤/٣٩٩)، (١٥٤/٤٠٠)، (١٥٤/٤٠١)، (١٥٤/٤٠٢)، (١٥٤/٤٠٣)، (١٥٤/٤٠٤)، (١٥٤/٤٠٥)، (١٥٤/٤٠٦)، (١٥٤/٤٠٧)، (١٥٤/٤٠٨)، (١٥٤/٤٠٩)، (١٥٤/٤١٠)، (١٥٤/٤١١)، (١٥٤/٤١٢)، (١٥٤/٤١٣)، (١٥٤/٤١٤)، (١٥٤/٤١٥)، (١٥٤/٤١٦)، (١٥٤/٤١٧)، (١٥٤/٤١٨)، (١٥٤/٤١٩)، (١٥٤/٤٢٠)، (١٥٤/٤٢١)، (١٥٤/٤٢٢)، (١٥٤/٤٢٣)، (١٥٤/٤٢٤)، (١٥٤/٤٢٥)، (١٥٤/٤٢٦)، (١٥٤/٤٢٧)، (١٥٤/٤٢٨)، (١٥٤/٤٢٩)، (١٥٤/٤٣٠)، (١٥٤/٤٣١)، (١٥٤/٤٣٢)، (١٥٤/٤٣٣)، (١٥٤/٤٣٤)، (١٥٤/٤٣٥)، (١٥٤/٤٣٦)، (١٥٤/٤٣٧)، (١٥٤/٤٣٨)، (١٥٤/٤٣٩)، (١٥٤/٤٤٠)، (١٥٤/٤٤١)، (١٥٤/٤٤٢)، (١٥٤/٤٤٣)، (١٥٤/٤٤٤)، (١٥٤/٤٤٥)، (١٥٤/٤٤٦)، (١٥٤/٤٤٧)، (١٥٤/٤٤٨)، (١٥٤/٤٤٩)، (١٥٤/٤٥٠)، (١٥٤/٤٥١)، (١٥٤/٤٥٢)، (١٥٤/٤٥٣)، (١٥٤/٤٥٤)، (١٥٤/٤٥٥)، (١٥٤/٤٥٦)، (١٥٤/٤٥٧)، (١٥٤/٤٥٨)، (١٥٤/٤٥٩)، (١٥٤/٤٦٠)، (١٥٤/٤٦١)، (١٥٤/٤٦٢)، (١٥٤/٤٦٣)، (١٥٤/٤٦٤)، (١٥٤/٤٦٥)، (١٥٤/٤٦٦)، (١٥٤/٤٦٧)، (١٥٤/٤٦٨)، (١٥٤/٤٦٩)، (١٥٤/٤٧٠)، (١٥٤/٤٧١)، (١٥٤/٤٧٢)، (١٥٤/٤٧٣)، (١٥٤/٤٧٤)، (١٥٤/٤٧٥)، (١٥٤/٤٧٦)، (١٥٤/٤٧٧)، (١٥٤/٤٧٨)، (١٥٤/٤٧٩)، (١٥٤/٤٨٠)، (١٥٤/٤٨١)، (١٥٤/٤٨٢)، (١٥٤/٤٨٣)، (١٥٤/٤٨٤)، (١٥٤/٤٨٥)، (١٥٤/٤٨٦)، (١٥٤/٤٨٧)، (١٥٤/٤٨٨)، (١٥٤/٤٨٩)، (١٥٤/٤٩٠)، (١٥٤/٤٩١)، (١٥٤/٤٩٢)، (١٥٤/٤٩٣)، (١٥٤/٤٩٤)، (١٥٤/٤٩٥)، (١٥٤/٤٩٦)، (١٥٤/٤٩٧)، (١٥٤/٤٩٨)، (١٥٤/٤٩٩)، (١٥٤/٥٠٠)، (١٥٤/٥٠١)، (١٥٤/٥٠٢)، (١٥٤/٥٠٣)، (١٥٤/٥٠٤)، (١٥٤/٥٠٥)، (١٥٤/٥٠٦)، (١٥٤/٥٠٧)، (١٥٤/٥٠٨)، (١٥٤/٥٠٩)، (١٥٤/٥١٠)، (١٥٤/٥١١)، (١٥٤/٥١٢)، (١٥٤/٥١٣)، (١٥٤/٥١٤)، (١٥٤/٥١٥)، (١٥٤/٥١٦)، (١٥٤/٥١٧)، (١٥٤/٥١٨)، (١٥٤/٥١٩)، (١٥٤/٥٢٠)، (١٥٤/٥٢١)، (١٥٤/٥٢٢)، (١٥٤/٥٢٣)، (١٥٤/٥٢٤)، (١٥٤/٥٢٥)، (١٥٤/٥٢٦)، (١٥٤/٥٢٧)، (١٥٤/٥٢٨)، (١٥٤/٥٢٩)، (١٥٤/٥٣٠)، (١٥٤/٥٣١)، (١٥٤/٥٣٢)، (١٥٤/٥٣٣)، (١٥٤/٥٣٤)، (١٥٤/٥٣٥)، (١٥٤/٥٣٦)، (١٥٤/٥٣٧)، (١٥٤/٥٣٨)، (١٥٤/٥٣٩)، (١٥٤/٥٤٠)، (١٥٤/٥٤١)، (١٥٤/٥٤٢)، (١٥٤/٥٤٣)، (١٥٤/٥٤٤)، (١٥٤/٥٤٥)، (١٥٤/٥٤٦)، (١٥٤/٥٤٧)، (١٥٤/٥٤٨)، (١٥٤/٥٤٩)، (١٥٤/٥٥٠)، (١٥٤/٥٥١)، (١٥٤/٥٥٢)، (١٥٤/٥٥٣)، (١٥٤/٥٥٤)، (١٥٤/٥٥٥)، (١٥٤/٥٥٦)، (١٥٤/٥٥٧)، (١٥٤/٥٥٨)، (١٥٤/٥٥٩)، (١٥٤/٥٦٠)، (١٥٤/٥٦١)، (١٥٤/٥٦٢)، (١٥٤/٥٦٣)، (١٥٤/٥٦٤)، (١٥٤/٥٦٥)، (١٥٤/٥٦٦)، (١٥٤/٥٦٧)، (١٥٤/٥٦٨)، (١٥٤/٥٦٩)، (١٥٤/٥٧٠)، (١٥٤/٥٧١)، (١٥٤/٥٧٢)، (١٥٤/٥٧٣)، (١٥٤/٥٧٤)، (١٥٤/٥٧٥)، (١٥٤/٥٧٦)، (١٥٤/٥٧٧)، (١٥٤/٥٧٨)، (١٥٤/٥٧٩)، (١٥٤/٥٨٠)، (١٥٤/٥٨١)، (١٥٤/٥٨٢)، (١٥٤/٥٨٣)، (١٥٤/٥٨٤)، (١٥٤/٥٨٥)، (١٥٤/٥٨٦)، (١٥٤/٥٨٧)، (١٥٤/٥٨٨)، (١٥٤/٥٨٩)، (١٥٤/٥٩٠)، (١٥٤/٥٩١)، (١٥٤/٥٩٢)، (١٥٤/٥٩٣)، (١٥٤/٥٩٤)، (١٥٤/٥٩٥)، (١٥٤/٥٩٦)، (١٥٤/٥٩٧)، (١٥٤/٥٩٨)، (١٥٤/٥٩٩)، (١٥٤/٦٠٠)، (١٥٤/٦٠١)، (١٥٤/٦٠٢)، (١٥٤/٦٠٣)، (١٥٤/٦٠٤)، (١٥٤/٦٠٥)، (١٥٤/٦٠٦)، (١٥٤/٦٠٧)، (١٥٤/٦٠٨)، (١٥٤/٦٠٩)، (١٥٤/٦١٠)، (١٥٤/٦١١)، (١٥٤/٦١٢)، (١٥٤/٦١٣)، (١٥٤/٦١٤)، (١٥٤/٦١٥)، (١٥٤/٦١٦)، (١٥٤/٦١٧)، (١٥٤/٦١٨)، (١٥٤/٦١٩)، (١٥٤/٦٢٠)، (١٥٤/٦٢١)، (١٥٤/٦٢٢)، (١٥٤/٦٢٣)، (١٥٤/٦٢٤)، (١٥٤/٦٢٥)، (١٥٤/٦٢٦)، (١٥٤/٦٢٧)، (١٥٤/٦٢٨)، (١٥٤/٦٢٩)، (١٥٤/٦٣٠)، (١٥٤/٦٣١)، (١٥٤/٦٣٢)، (١٥٤/٦٣٣)، (١٥٤/٦٣٤)، (١٥٤/٦٣٥)، (١٥٤/٦٣٦)، (١٥٤/٦٣٧)، (١٥٤/٦٣٨)، (١٥٤/٦٣٩)، (١٥٤/٦٤٠)، (١٥٤/٦٤١)، (١٥٤/٦٤٢)، (١٥٤/٦٤٣)، (١٥٤/٦٤٤)، (١٥٤/٦٤٥)، (١٥٤/٦٤٦)، (١٥٤/٦٤٧)، (١٥٤/٦٤٨)، (١٥٤/٦٤٩)، (١٥٤/٦٥٠)، (١٥٤/٦٥١)، (١٥٤/٦٥٢)، (١٥٤/٦٥٣)، (١٥٤/٦٥٤)، (١٥٤/٦٥٥)، (١٥٤/٦٥٦)، (١٥٤/٦٥٧)، (١٥٤/٦٥٨)، (١٥٤/٦٥٩)، (١٥٤/٦٦٠)، (١٥٤/٦٦١)، (١٥٤/٦٦٢)، (١٥٤/٦٦٣)، (١٥٤/٦٦٤)، (١٥٤/٦٦٥)، (١٥٤/٦٦٦)، (١٥٤/٦٦٧)، (١٥٤/٦٦٨)، (١٥٤/٦٦٩)، (١٥٤/٦٧٠)، (١٥٤/٦٧١)، (١٥٤/٦٧٢)، (١٥٤/٦٧٣)، (١٥٤/٦٧٤)، (١٥٤/٦٧٥)، (١٥٤/٦٧٦)، (١٥٤/٦٧٧)، (١٥٤/٦٧٨)، (١٥٤/٦٧٩)، (١٥٤/٦٨٠)، (١٥٤/٦٨١)، (١٥٤/٦٨٢)، (١٥٤/٦٨٣)، (١٥٤/٦٨٤)، (١٥٤/٦٨٥)، (١٥٤/٦٨٦)، (١٥٤/٦٨٧)، (١٥٤/٦٨٨)، (١٥٤/٦٨٩)، (١٥٤/٦٩٠)، (١٥٤/٦٩١)، (١٥٤/٦٩٢)، (١٥٤/٦٩٣)، (١٥٤/٦٩٤)، (١٥٤/٦٩٥)، (١٥٤/٦٩٦)، (١٥٤/٦٩٧)، (١٥٤/٦٩٨)، (١٥٤/٦٩٩)، (١٥٤/٧٠٠)، (١٥٤/٧٠١)، (١٥٤/٧٠٢)، (١٥٤/٧٠٣)، (١٥٤/٧٠٤)، (١٥٤/٧٠٥)، (١٥٤/٧٠٦)، (١٥٤/٧٠٧)، (١٥٤/٧٠٨)، (١٥٤/٧٠٩)، (١٥٤/٧١٠)، (١٥٤/٧١١)، (١٥٤/٧١٢)، (١٥٤/٧١٣)، (١٥٤/٧١٤)، (١٥٤/٧١٥)، (١٥٤/٧١٦)، (١٥٤/٧١٧)، (١٥٤/٧١٨)، (١٥٤/٧١٩)، (١٥٤/٧٢٠)، (١٥٤/٧٢١)، (١٥٤/٧٢٢)، (١٥٤/٧٢٣)، (١٥٤/٧٢٤)، (١٥٤/٧٢٥)، (١٥٤/٧٢٦)، (١٥٤/٧٢٧)، (١٥٤/٧٢٨)، (١٥٤/٧٢٩)، (١٥٤/٧٣٠)، (١٥٤/٧٣١)، (١٥٤/٧٣٢)، (١٥٤/٧٣٣)، (١٥٤/٧٣٤)، (١٥٤/٧٣٥)، (١٥٤/٧٣٦)، (١٥٤/٧٣٧)، (١٥٤/٧٣٨)، (١٥٤/٧٣٩)، (١٥٤/٧٤٠)، (١٥٤/٧٤١)، (١٥٤/٧٤٢)، (١٥٤/٧٤٣)، (١٥٤/٧٤٤)، (١٥٤/٧

'أبيات وقال أبو العلاء يجوز أن يريد بقوله شربت مما أي إن لم أره بضرة فشربت مما لأن الدم لا يشرب ولا يتمتع أن يعني بقوله شربت مما أن يصبه جنب وحاجة فيفتقر إلى شرب الدم كما كتبت العرب في الجاهلية إذا أشد عليهم الزمان فصدوا النوق وشربوا نساء ما وخطبوها بغيرها فاكلوها ولا يبعدان يعني بالدم دم الحية لأنه عندهم كالدم قال الشاعر:

أَسْوَدُ وَغَيٍّ لَا قَتْلَ أَسْوَدٍ خَلِيشَةٍ ثَمَانِئًا عَلَى سَرْدٍ نَمَاءِ الْأَسْوَدِ
(الطويل)

وأحد الوجوه أن يكون الغرض بقوله شربت مما أي قتل لي قتيل فأخذت الإبل في دية فشربت البنية فثني أشرب دم ذلك القتل وهذا المعنى كثير في أشعار العرب قال الشاعر:

أَبَا الْعَوَفِ إِنَّ الْإِبِلَ يَنْقَعُ رَسْلَهَا وَكَأَنَّ دَمَ الثَّارِ التُّمَيْرِي أَنْفَقَا
ثَبَكِي عَلَى رِيَا إِذَا الْخَيْلُ أَصْنَفُوا وَتَتَرَكُ رِيَانَ الْقَتِيلِ الْمُضِيغَانِ الشَّيْخَ فَاشْرِبْ مِنْ دَمِ
إِذَا صَبَّ مَا قَسِي الْوُطْبُ فَاغْلَمَ بِلَانِهِ الشَّيْخُ أَوْ ذَعْبُ الشَّيْخِ (١)

ومن الترحيح والتعليل بغرض الشاعر، ما أول به المرزوقي قول الراعي:

فَبَاتَتْ تَغْدُو الثَّجْمُ فِيهِ مُسْتَحِيرَةٌ سَرِيعٌ بِأَيْدِي الْأَكْلِبِ جُنُودُهَا

"قوله باتت تعد النجم إخبار عن أم حنزر بن أكرم. والمستحيرة: المستحيرة لامتلائها أي في مرقاة أو نردك تحيرت، فهي من صفاتها وكثرة سمها نرى فيها نجوم السماء. وقيل: شبه الراعي الفلخات التي كتبت على رأسها من كثرة النسم بالنجوم. ويجوز أن يكون أراد أن هذه القدر مرتفعة الشل، عالية الأمر، فابته كتبت تعد النجوم فيها لما اضممت منها كقفا بلغت النجوم في علوها، لأنها لم تر مثلها قط. وهذا هو الوجه عدي، لكون قد غصن من أمه جراه على ما قاله وانكره" (٢).

وقد يستعين الشارح في ترحيحه للمعنى المختار على معطيات شعر الشاعر في معانيه، كما في قول حصين بن حمام المرني:

وَلَمَّا رَأَيْتَا السَّمِيرَ قَدْ حَبَلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يُؤْمَأُ ذَا ثَوَائِبٍ مُظْلِمًا

"قوله ذا كواكب هو مأخوذ من قولهم أراد الكواكب نهاراً وهو شيء نطقوا به في الدهر الأول بريدون شدة الأمر وعظم الخطب قل طرفه:

إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَتَوَلَّيْتُ مَتَاعِي وَتَوَلَّيْتُ السَّمِيرَ بِجُذُرِي بِأَنْظُرِي
(الرمز)

وقال الفرزدق:

لَغَضَرِي لَقَدْ سَأَلَ ابْنُ يُوسُفَ مَنِيْرَةً لَوْ أَنَّكَ تُجْوِمُ اللَّيْلَ مَظْهَرَةً تُجْزِي

وادعي بعض الناس أن ذلك أول ما قيل في يوم حليلة لأن الغبار ثار حتى حجب الشمس فظهرت للكواكب وهذا كذب ظاهر لأن الغبار إذا ستر الشمس فهو للنجم أستر ويجوز أن يكون ضربهم هذا السائل مأخوذاً من كسوف

(١) التبريزي: شرح ديوان الصمدية: (١٧٦/٤).
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصمدية: حاشية (٦٣٩)، (١٥١٠/٢)، (١٥١١).

- ١٢٠ -

الشمس لأن النفس في كل زمان يعظمون ذلك وإذا كثفت وذهب ضوءها رؤيت النجوم ويحتمل أن يكون أصل ذلك في الحرب وهو أشبه ما يقال لأن الألسنة تشبه بالنجوم قال الأفوه:
(الرمل)
جَحَفْتُ أَنْ أُرْزِقَ فِيهِ قَبْرُوءَةً وَنَجَّوْهُ سَنَظَرِي وَتَسْبِيحِي^(١).

كما أن الشارح قد يستند في ترجيعه إلى ملائمة المعنى للسباق الدلالي للبيت، ومدى معرفته بالسباق العلم للنص الشعري، أو على ذوقه الفني وحسه النقدي.

فمن التأويل اعتماداً على المعرفة بالنص الشعري متكامل لا إلى البيت بمفرده، ما ذهب إليه المرزولي في قول عقيل بن علفه:

(الوافر)
وَلَمَّا سَمِعْتُ بِسَنَابِلِي جَارَاتِي يَتَبَيَّنِي أَغْشِيَابِي رَجَاءً أَمْ شُكُّهُنَّ

"يحتمل وجهين: أحدهما أن يتجسس بعنفه في جاراته، وأنه لا يتطلب مفارقة القيمين بين، بمرصداً للتمكن منهن، فيكون ذلك باعثاً للسؤال عن رجالهن، ليفتم الخلوة بهن. والثاني أن يريد رفع الطمع عن جبرته، وقلة الفكر في تتبع أحوالهن، عند حضورهم وغيبتهن، إذ لم يكن همه في التول منهم، ومشاركتهن فيما يتجدد لهم من خير، فعل المسف للمطلع الدنية. ويكون هذا كما قال الآخر:

(الكامل)
وَإِذَا أَتَيْتُ مَنْ وَجَّهَهُ بِطَرِيقِهِ لَمْ أَطْلُبْ مَعَهُ مِمَّا فَرَّاهُ خَبَائِصِهِ

(الوافر)
وهذا أوجه. لأن ذكر العفة قد جاء من بعد.
وَلَمَّا سَمِعْتُ بِصَادِي عَنْ بَيْتِ جَارِي مَسْنُونِ الْفَرَسِ غُشْرَةَ السُّؤُودِ

هذا يشهد لما اخترناه في تفسير ما قبله، فيقول. وإذا دعيت للجار إلى بيتي بكرمني ببره ويشركني في خيره، لا أنصرف عنه والتمع فيه بحاله، والاستظام للحقير من ماله وطعامه على حده، أنصرف العير عن الماء وقد غمره الورود"^(٢).

(الطويل)
وما جاء في شرح النمرى لبيت آخر:
أَلَا قَالَتِ الْفَصْمَاءُ نَوْمٌ لَيْسَ هَا كَبْرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعَا

"قال أبو رياح رحمه الله: قلت له: كبرت، ولم تجزع المصماء من الشيب مجزعا، أي: لم تجزع حين الجزع، فلمي ثبت في وقت المشيب، وهذا عندي: كقولك للرجل وقد رأى رأيا مخطئاً: "لم تر رأيا". وكما قال امرؤ القيس:

(الطويل)

نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِحُتَيْكَةِ مَنْظَرٍ

وجاز أن تكون المرأة قلت له: كبرت، ولم تجزع ليها الرجل من الشيب، أي: ما أيسره عليك. والبيتان اللذان يليه يقويان هذا"^(٣).

(١) التبريزي: شرح ديوان العمسة: (٢٠١/١).

(٢) المرزولي: شرح ديوان العمسة: حماسة (١٣٦)، (١٠١/١)، (٤٠٢).

(٣) نمرى: معاني أبيات العمسة: الحماسة رقم (١٠٦)، ص ٧٥.

وكما جاء لحننا في شرح النمرى لقول آخر: (مجنون ليلى) (الطويل)
فِيَارَبِّ إِنْ أَهْلَكَ وَلَمْ تُرِزْ هَامَتِي بِنَيْتِي، أُنْتُ لَا قَبْرَ أُعْطِشُ مِنْ قَبْرِي

"الهلمة"، ها هنا هلمة الرمس. يقول: إن مت ولم أرو من ليلى بما يروى به المحب من الحبيب، من قلة أو نظرة أو عدة، لا يكن قبر أعطش من قبري، وجعل "المعش"، للتعبير لحلوله فيه وهو عطشان، كما نقول: "هذا بيت كريم"، وأنت تريد صاحبه ... وقد فسر قوم هذا البيت تفسيراً آخر لا وجه له ها هنا عندي. قالوا: "الهلمة"، فكر النوم، والعرب تزعم أن الرجل إذا قتل قتل ثم يثلى به، خرج من رأسه طائر يسمى الهلمة والصدى، ويزعم بعضهم أنه يتولد من الدماغ، فلا يزال يصيح. استقوني، استقوني = إلى أن يثار ... وهذا التفسير لا يحتل البيت، من أجل أن الشاعر لم يرد أن تقتل به ليلى كما تقتله، وبقي الأبيات يدل على ما ذكرته. والتفسير هو الأول لا غير^(١)، وهو ما يؤكد أن الشراح وضعوا في اعتبارهم خلال توجيههم للمعنى وحدة الأبيات وترابطها.

ومن ترجيح الشراح وتعليله اعتماداً على عوقه الثنى، وحسه النقديها أوّل به للنمرى قول عبدة بن الطبيب (الطويل)
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَابِدٍ قَزَحْتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَزَحَّيَا
"قال علي بن سليمان الأخفش في هذا البيت: أي عليك سلام الله ورحمته أبداً، من أجل أن الله عز وجل إذا شاء الرحمة، فجعل مشيئة الرحمة ظرفاً، وقال ثعلب قريباً من ذلك. والذي عدي أن هذا تقولك: "أصلنا من البيت ما شاء الله أن يصينا، ورأينا من الخير ما شاء الله أن نرى"، وأنت تريد الكثرة والمبالغة: أي عليك سلام الله كثيراً، وكذلك تقول للرجل: "أصفا من لكدة ما شئت"، وإن كان لا يشاء أن يصيب لكدة، قال لؤس بن حجر (الطويل)
وَلَمْ تَلْهَيْهَا بِتِلْكَ التَّكَلِيفِ أَتْهَىهَا خَصَا شَيْئْتُ مِنْ أَقْرَبِيَّةٍ وَتُخَرِّدُ
وقال أبو الرمة: "ما رأيت لنفس من أمة بني فلان، سألتها عن البيت فقالت عينا ما شئت". فهذا مذهب العرب"^(٢).

وقد بني الشراح توكليدهم للمعنى، وترجيحهم له على أساس صحة المعنى أو استحسانه، أو مدى مراعاة الشاعر جفت الصلغة، فمن الأول قول عروة بن أذينة:
(البيط)
إِلْفَانِ يَهْجُمَا لِلْبَيْنِ فَرْقُوه وَلَا تَتَلَانِ طُغُولُ الدَّهْرِ مَا أَجْهَمَا

"البين يقع على وجوه: أحدهما أن يكون مصدر بلى وبين وبينونة. والثاني أن يكون ظرفاً، تقول: بين القدم كذا، وهو لشبين يتبين أحدهما عن الآخر فصاعداً. والثالث أن يفيد معنى الوصل، على ذلك قوله تعالى: "لقد تقطع بينكم" ألا ترى معناه تقطع وصلكم، ولا يصح أن يكون المراد تقطع افتراقكم، لفساد المعنى. وعلى هذا قولهم: سعى فلان لإصلاح ذات البين من عشيرته، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق. والذي في البيت هو الثالث، لأن المعنى: هما متحابان قد ألف كل منهما صاحبه، والذي يهمهما ويحبهما للوصل ما يخشى تحقه له من الشرقة، فخوفها منها وفكرهما فيها، ولا يكتسبان ملاماً من اتصال طول الدهر"^(٣).

(١) لحري: معاني لبيت الصلغة: الصلغة رقم (١٦٣)، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢) نصح الصلغة رقم (٢٦٦)، ص ١١٤، ١١٥.

(٣) السرواني: شرح ديوان الصلغة: ص ١٩٩، (١٩٩٤ / ٢).

ومن التلقي قول برح بن سهر الطائي:
 وَمِنْهُمْ أَلَا يَجْنَعُ الْفَزُو بَيْنَنَا . وَفِي الْفَزُو مَا يُلْقَى الْعَدُو الْمُبَاغِضُ
 "المعنى: وفي العز يحتاج إلى الصديق المخالف، إذ كان إنما يلقي فيه العدو المبغض. فهذا وحده. ويجوز أن يكون المعنى: وفي الفزو قد يلقي العدو المبغض فكيف الصديق المواد. والأول أشبه وأجود"^(١).

يتضح لنا مما سبق أن الشراح خلال وقوفهم أمام صور المعنى المختلفة للبيت الشعري، يقتضون لها عدة احتمالات، ليس مراد الشاعر ومتصده، لكن التعميد فيها يتمثل في فترة الشاعر على إنتاج صورة معنوية بالإيهامات، مما يصعب الأمر على الشراح في توجيههم وترجيحهم للمعنى المقصود، وهو ما انعكس بدوره على تعليقاتهم وتفسيراتهم التي يصدرون بها تأويلهم لما ذهبوا إليه. فزاهم يقولون: كما مر بنا - احتراراً: (هذا عندي)، (يحتمل أن يقال ..)، (يحور أن يكون ..) .. إلخ، وكلها تعليقات تدل على الظن والتخمين، وكذلك تسر عن إدراك الشراح لمدى صعوبة تحديد مراد الشاعر ومتصده من المعنى، وما صنيعهم هذا إلا محاولات اجتهادية تقل للصحة والخطأ.

٢- اتجاه الشراح نحو الطابع المنطقي التحليلي الذي يقوم على طريقة الجدل والمناظرة، من خلال إثارة السؤال كوسيلة إلى تأكيد المعنى الذي ذهبوا إليه، ومن ثم تكررت عباراتهم: (ولقل أن يقول ... قالوا ...) إلخ، ثم يسعى الشراح بعد ذلك إلى إيضاح المعنى وبيّنه، مع الاستعانة بالشواهد الشعرية التي تثبت في معناها مع معاني بعض الأبيات التي يشرحها، وكصد من ذلك تثبت المعنى الذي ذهب إليه. ولعل "عليهم الترتي من إثارة السؤال والحوار عنه هي توجيه ما كان متلخص المعنى في ظاهره، موزع ما قد يحيط به من إيهام وغوض"^(٢). كما في بيت عمرو بن مخالة: (الطويل)
 فَنَا نَأْن لِي لَمَنْ مَنِ الْهَبِ خَفِظَةٌ يَعْدُ وَجَبْنُ قُلُوبَهُمْ نَهَبُ أَشْفَرَا
 "الأشقر"، ها هنا أحد شئئين: رجل أو فرس. فلن عنى الفرس ضعف المعنى، والمراد فارسه، فاستضى بذكر الفرس عن ذكر فارسه، كقولك أغارت الخيل. قال الشاعر: (دريد بن الصمة) (الطويل)
 تَنَادَوْا فَلَمَّا أَلَا : أَرَبْتَ الْخَيْلُ قَارِبِنَا فَقُلْتُ : أَغْنَدُ اللَّهَ ثَلَبُكُمْ السَّرْدَى

ولقل أن يقول: لم خص الأشقر دون غيره، على أن الأشقر أسرع الخيل. قالوا: "شعرها سراعها، وكعتها صلابها"، ولكنه ضعف على هذا أيضاً. وإن عنى رجلاً أشقر، كان المعنى أبلغ وأسوغ، من أجل أنه يريد بالأشقر عبداً أو رجلاً حضرياً أو عجمياً، وهؤلاء الثلاثة منمومون عند العرب. والشقرة عيب عندهم، وهم يقولون: "إذا كنت غريباً فلا يك أشقر"، ويسمون الفرس "الحمراء"، ويرون أن كل أشقر عبداً، وقال عمرو بن الأختم (البسيط)

وَالرُّؤْمُ لَا تَعْلُكُ التَّبْخُضَاءُ لِلْعَرَبِ

يقول كلهم نهب من لا خير فيه، ولا قدر له ولا هبة فيه"^(٣).

(١) السروالي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٠١)، (١/٦١٨).
 (٢) السيد حمدان: تنقيح البلاغة والنقد في شرح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٣٣٥.
 (٣) الحري: معاني أمهات الحماسة: الحماسة رقم (٦٢٧)، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

رابعاً: نقد المعنى:

سار الشراح خلال تصديهم لمعاني أبيات الحماسة وفق مجموعة من القواعد والمعايير النقدية التي كتبت سبيلاً لهم في الكشف، ومن ثم للحكم على مدى إجادة الشاعر وإخفائه في استخدامه لتلك المعاني.

وأهم هذه القواعد يمكن إدراجها فيما يلي:

أ- تلخيص المعاني^(١):

من خلال تحديد أصل المعنى، وما طرأ عليه من تغييرات، لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقول إنه للسمرق، ابن علي اليهودي في قوله:

(الطويل) وما مات منّا سيّد خُشِفَ أنفُسُه ولا طُلُ منّا حُرْتُ كان قُتِلَ

" يقول: لم يمضَ رَيتُ منّا على فراشه، بل مات مئةَ كريمةٍ في الحرب تحت ظلال السيوف والرماح، ولا أبطل دم قَتِيبٍ منّا حيث كان، وعلى يد من اتفق. وهذا غاية ما يتحمد به القَتْلُ وأبناء الحروب، حتى إن بعضهم اعتذر عن مات على فراشه فقال:

(الطويل) بخمسٍ من مِيتاتك لا يَنتُمُ أنبا فَران مَبِتْ عَلى مِثال

وفي هذه الطريقة قوله:

(الخفيف) كُتِبَ القَتْلُ والقَتْلُ عَلى عَلى القاتِلاتِ جِزْرُ السُّبُولِ

وقوله: مات حتف أنفه يقال إن أول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم، وتحتيته: كان حتفه بأنفه، أي بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نزوع الروح، لا دفعة واحدة. ويقال خص الأنف بذلك لأنه من جهته ينقضي الرمي. ويقال: ظل دمه يطل بطلاً، إذا أهدر^(٢).

كما أبان الشراح عن المعاني المشهورة المطروقة ونهوا عليها، كما في قول آخر:

(السبب) إلا يَكُنْ وَزَقِي غَضّاً أراح بِهِ لِلْمُتَجَبِّينَ فُتَيْتِي نَزِيْنُ الغُودِ

"... الورق المال من الإبل والورق الكثير الورق يقال رحت له أراح أي ارتحت وقيل الأريحي

أعطني من هذا وذكر الورق كناية عن المال في كلامهم كثير قل زهير:

(السبب) وَلَيسَ مَتاعٌ ذِي فَتَوى ولا زَجيم يُؤنسا ولا مُفَليم مِنّ حُبابِ وَزَقا

لما استعار الورق للمال وصله بالخطب تحسباً لكلامه وكذلك هذا لما كنى عن معروله بالورق وصله بالعود إذ الآن العود أهدر وعن الاحتراز للخير يحصل الندى^(٣).

(١) دالليد حماد: قضايا البلاغة والنقدية في شروح التسماء على شعر أبي فعلاء، ص ٣٢٧.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١٥)، (١١٧/١).

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٦٨/٤).

وقد يناقش شعراء الحماسة غيرهم من الشعراء في تداول المعنى هذه المناقشة قد تكون بالمخالفة، أو التضاد، أو العكس، أو النقل، أو القلب، أو التفصيل ... إلخ .

لننظر للمخالفة قول آخر: (بلعاء بن قيس)
بِضْرَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مَخَالَسَةً وَلَا تَعْلُتُهُ جَبْنًا وَلَا فُرْقًا

" يقال تعجلت الشيء، أي تكلفته على عجلة. ويقال أيضا أعجلته واستعجلته وتعجلته بمعنى. والخلص: أخذ الشيء مخفلة، وقيل الاختلاس أرحى من الخلس. ويقال هو لك خلسة، كما يقال نهزة وفرصة، يقول: عشيته سيفاً بان ضربه ضربة هكذا. فلما قوله لم تكن مني مخالسة، فهو خلاف قول الآخر: (الفند الزماني) (الهزج)
وَقَدْ أَفْضَلْتُ لِي مَخَالَسَةً لَا زَنْدِي لَهَا نَسَبِي
وقول الهذلي:

وَقَطْعَةً خَلَسِي قَدْ طَعْتُ مَرْثَةً

لأن قصد الشاعر هاهنا إلى أنه تناول من خصمه ما تناول بثنت وقوة قلب لا كما فعله الجبان. وتم يتكرر تمكنه من خصمه على شدة احتراز منه حتى تناول ما تناول خلساً. وقد وصف الشجاع بالمخالس والخبس. وكذلك المصارع. ومن منحه خصمه ثم ذكر غلبته له كان أبلغ في الانتصار به، فأعرف فرق ما بين الموضعين. وقوله: "ولا تعجلتها جبناً ولا فرقاً" يؤكد ما ذكرناه. وانتصاب "جبناً" على أنه مفعول له، وهو الذي يسمى مصدراً لعله والمعنى: ولم تكلف عجلتها لضعف قلبي ولا لخوفي من صاحبي. وضربة الجبان أحجل وأسرع " (١).

وقول الكروم بن زيد:
لَنْبَنُ فَرْخَتِ بِي مَخْبِلٌ عِنْدَ ثَنِيَّتِي فَكَيْدُ فَرْخَتِ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْفَوَاهِلِ

" يقول: إن كفت هذه الثقيلة سرت بي عند كبرتي، واستكمال رأيي وتجربتي، لحق لها ذلك، فقد استشرت بي عند ولادتي، وحين هنتت بقتمني. والقوايل: جمع القليلة، وهي التي تقبل الولد عند الولادة. واللام من قوله لنن دخلت موطنه للقم، وجواب القسم المنوي لقد فرحت. وهذا خلاف قول الآخر: (الطويل)
وَفَخِيءَ بِي قَوْمِي وَنَا إِنْ قَالَتْهُمْ وَأَعْنَيْتَ لِي قَوْمِي وَلَيْسُوا بِثَنِيَّتِي" (٢)

وقول آخر:
إِذَا مَنَزَ الْفَوْمَ لَمْ أَبْصِرْ طَسْرِيَقَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَوْءٌ مِنَ الْقَمَرِ

قوله لم أبصر طريقهم يريد أنه لا حيلة له بلادهم وهذا خلاف قوله: (زهير بن أبي سلمى) (البسيط)
قَدْ جَعَلَ الْمُتَبَغُّونَ الْخَوْزَ قِي هَرِمَ وَالْمُتَأَلِّونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طَرْفًا

(١) المرواني: شرح ديوان الحماسة جملية (٩)، (١/٦٠، ٦١).
(٢) نسخة حموية (٦٠)، (١/٦٢٦).

كله عهدهم لللفظ في كلامه^(١).

ومن التضاد قول سعد بن نساب بن ملز بن عمرو بن تميم:
وَأَهْلُ غَنٍّ نَارِي وَأَجْفَلٌ هُنْهَا لِيَرْجِي بِسَنْ بَأْيِي الْمُنْمَةُ خَاجِنَا

الذهول. ترك الشيء متعلية له ومتساليا عنه، ومنه اشتقاق ذهلي. يقول: إذا ضلقت المنزل في حتى يصير دار الهوان
انتقلت عنه، وأجعل خروجه وقية للنفس من العار البالي، والظن اللاحق. وهذا قريب من قوله: (مجزوء الكامل)

وإذا غابك منزلي فتخول

وهو ضد المعنى الذي يقصدونه بالثبات فيه والصبر عليه، من الإقامة في دار الحفظ والافتخار به. لأن
الانتقال ثم هو الجالب للعار، كما أن الإقامة هنا هو الحالب. فمن ذلك قوله: (الحاضرة) (الكامل)
وَنَجِيمٌ فِى دَارِ الْجَفَاظِ وَيُوَيْثَا زَمْتَا وَيَنْظَعُ دَنَ غَزَمَا يَلْأَزِعُ

ومنه قوله: (سلامة بن جندل)
يَقَالُ مَخْبِ مِنْهَا أَنْتَ لِمَرْتَبِهَا وَإِنْ تَعَاذَى بِبَنِي قَسْلٍ مَخْطُوبِ

ولم يصدقه قوله: (عدي بن خفاف)
نَارُ الْهَيَاقِ لِيَنْ رَأَهَا نَارُ أَفْرَجَلٍ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَزْخَلِ

وقول الآخر: (سعد بن نساب)
وَلَسْتُ بِمَخْتَلٍ زَانٍ فَمُضِيْمَةٍ مَخَافَةٌ مَوْتٍ إِنْ بَنَا تَبَتِ الدَّارُ^(٢).

وقول أبو خراش برقي أخاه، وذكر نجاته ابنه خراش:
بَلَى، إِنِّهَا تَفْقَهُو الْفُكُومَ وَإِنَّمَا تُؤَكِّلُ بِالْأَتَى وَإِنْ جِئْتُ مَا يَنْصِي

"قوله". "وإنما توكل بالادنى"، أي نحن موكلون بالحقن على من أصابنا قبله، وهذا ضد قول أخي
ذي الرمة: (الطويل)

فلم تنبني أولى المصينات بخذه^(٣).

وقول بشر بن أبي جزيمة:
لَفِئْدٌ مَتَمِنَتْ جَفَدَتْكُمْ آلُ جَنِيمِ وَأَخْمَانُكُمْ فِى الْخَيْ غَيْمِ بِسَمَانِ

"السمان"، جمع "عمود"، وهو الفصيل. يقول: هي سمان من أجل لكم تؤثرونها بقليل على من يطريكم
من جبار وضيف، وعلى أنفسكم أيضا، فالحسابكم هزلى لذلك، والحسب لا يوصف بالسمن والهزال، إلا على
الاتساع. وهذا ضد قول الآخر: (الوافر)

(١) التويزي: شرح ديوان الصفة: (١٧٣/٤).

(٢) التويزي: شرح ديوان الصفة: حنية (١٠)، (٦٩٠، ٦٨/١).

(٣) التويزي: معنى البيت الصفة: حنية رقم (٢٦٥)، من ١١١، ١١٢.

فَمَا نَبْكَ لِي مِنْ غَيْبِ لَيْلِي جَزَانُ الْكَلْبِ مِنْهُ زَوْلُ الْفَصِيلِ

يقول: كلبى جبان لا ينزع ضيقه، وفصيلى مهزول، لأنى أوتر صدفى عليه بلبلين، ويروى: "سمين الكلب"، يقول أضر أم الفصيل فيأكل الكلب أمها فيسمن" (١).

ومن العكس قول مسجاح بن مباح:
أَفْذُ طَوْفَلَتْ لِي الْأَفْأَقِي خَنْسِي بَلِيثٌ وَقَدْ أُنْصِي لِي نَوْ أَبِيذُ
وَأَفْأَتِي لَا يَنْأَتِي نَهْأَتِ وَلَيْسَ كَلَمًا يَنْصِي يَفْأَوُذُ
وَشَهْرٌ مُسْتَهْلٌ يَفْذُ شَهْرٍ وَخَزْلٌ يَفْذُ خَزْلٌ جَبِيذُ
وَمَفْأَوُذُ غَزِيْرُ الْفَأْذِ نَبَاتِي شَيْئُكُ وَتَبْأَمُولُ وَبِيذُ

"إذا تأمل الناظر ما اقتضه هذا الشاعر في هذه الأبيات على قتها، من امتحانه بالكبرة والمن، وتراجع القوة بمأخذ الدهر، ومع التجوال في البلدان، ومقاساة الشقاء في الحل والترحال، والتقل في الأحوال، ثم مرور الأيام وكرورها بما لا يسر عليه، إلى أن رفع الطمع عما كان تجمعه يده ونفض اليد مما كان يشده قبضه، ثم المصطب في الكامل البارع، وتعلق الرءاء بالطفل الدارج وحد حوشه على العكس مما وصفه امرؤ القيس في قوله: (الطويل)
أَلَا أَنْظِمَ مَسْبَاخًا أَيْهَا الطَّلَلُ الْهَمَالِي وَهَلْ يَنْظُنُّ مَنْ كَانَ فِي الْفَصْرِ الْخَالِي
وَهَلْ يَنْظُنُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ غَوْدِي ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالِ
وَهَلْ يَنْظُنُّ إِلَّا خَلْسِي مَخْلُذُ كَبِيرُ الْهَنْدُومِ مَا يَبِيثُ بِأَوْجَالِ
تَقْلَعُهَا فَبِهَا عَجِيْبٌ" (٢).

ومن التلب قول آخر: (جثمة بن قيس)
إِذَا لَفَظِيَتْ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا
"تُبَحِّثُ قَلْبَهُ عِنْدَ الْمَرْأَةِ الَّتِي خَلَعَهَا، بِسَهْلَةٍ جَدْبَةٍ، وَتَرِكَ الْمُنَاقَشَةَ فِي اسْتِخْرَاجِ حَقِيقَةٍ، وَسَمَاعَةِ نَفْسِهِ بِمَا يَمْلِكُهُ، فَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُ قَوْمِي فَارْجِعِي إِلَيْهِمْ سَأَلْتُ عَنِّي، وَمُسْتَخْبِرَةٌ حَالِي وَمُعْتَمِدَةٌ عَلَى مَا تَسْمَعِينِي مِنْ قِصَّتِي وَأَمْرِي، فَكُلِّي بِقَوْمِي عَالَمًا بِي وَبِخِلَاقِي. وَقَوْلُهُ "كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ" مَقْلُوبٌ وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ: كَفَى بِقَوْمِي خَبِيرًا بِصَاحِبِهِمْ، وَيَعْنِي بِصَاحِبِهِمْ نَفْسَهُ" (٣).

ومن الثقل قول بعض شعراء بلعبر في وصف قومه: (قريط بن أنوف)
يُخْبِرُونَ نَبِيْرَتَهُمْ حَتَّى إِذَا خُذَتْ شَبَبُوا لِنَوْفِدِ تَابِ الْخَرْبِ نَبِيْرًا
"وهذا المعنى هو مثل ما اختر به غيره في صفات نفسه قل: أَيْبُرُ مِنْ الْمَشْرِقِ لِي يَفْأَوُذُ فَكَيْفَ الْقَبْرِ إِذَا مَا انْجَبَرِ
(المقارب)

(١) النمرى: معنى أوليت الحملة: حماسة رلم (٦٠٨)، ص ١٢٣.

(٢) المرواني: شرح ديوان الحماسة: (١٠٩/١)، (١٠١٠).

(٣) نسه: حنبة (٧١٤)، (١٦٣/٢).

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا اهتملوا زادوا على كل هفيع.
ألا ترى أنه قال:

شَبُّوا بِمَوْقِفِ نَارِ الْحَرْبِ بُيُوتَنَا^(١).

أما ما فصله شعراء الحملة مما نجده عند غيرهم مجعلاً، فيمكن أن نقف عليه في قول آخر: (الطويل)
وَأَنسَى لَأَمْسَتَنِي رَأْبُكَ أَنِ يُزْنِي مَعَانِ زَيْدٍ مِّنْ جَانِبِ السَّوْدِ أَفْرَغَا
وَأَنَّكَ مَهْنَا تُغَطِّ بِطَنِكَ مَنُؤُنَهُ وَفَرَجَكَ نَسَالَا مُنْتَهَى السُّنْمِ أَجْنَعَا
"وصف حسن أبيه في مواكبة رفيقه ولفه، وأنه لا يستأثر بما يعجب من الزاد، ولا تظهر منه نعمة
وحرص، بل يستحي من أن يرى ما يلي يده من الزاد خالي المكان. وليس لأحد أن يقول إن ابتعاضه يؤدي إلى
انتباض أكله، وذلك مخوم، وإنما المحمود أن ينسبط في الأكل وينسبط من أكله وذلك أنه قد بين الغرض في البيت
الذي بعده، لأنه قال:

وَأَنَّكَ مَهْنَا تُغَطِّ بِطَنِكَ مَنُؤُنَهُ وَفَرَجَكَ نَسَالَا مُنْتَهَى السُّنْمِ ...

فين أن إبقائه جفنه من الزاد مشغولاً ليس مع حاجة إليه، ولا عن إمسك يؤدي إلى ما ذكرته، فيصير ذلك
سبباً في انتباض من يواكله، وإما يريد ما يحري به من عادة التلن من إظهار الشراء والذهاب فيه إلى حد السرف، حتى يمد
يده إلى ما يلي غيره، ويتحصى ليدني التلن. وهذا ظاهر ... وقد ألم بهذه الطريقة المرقش قتال في الغزل. (الطويل)
وَأَنسَى لَأَمْسَتَنِي فَطَنَتُهُ جَانِبَنَا لَمِيمَنَا وَأَسْتَجِي فَطِيمَتُهُ طَاعِمَا
وَأَنسَى لَأَمْسَتَجِيكِ وَالْخَسْرُ بَيْنَنَا مَخَافَتُهُ أَنَّ تَلْسِي أَخَا لِي لَاجِمَا
ألا ترى أنه لحمل ما فصله هذا الشاعر في قوله. استعجب طاعماً، وحتماً. ما مع اليمع بيه وبين صاحبه " (٢).

ومن التناصّل بالمثال، ما جاء في قول آخر:

بَعَثَهُ خَوْضٌ مِّنْ أَوْدَى يَأْخُوتِهِ زَيْبُ الزَّوْجَانِ فَأَنَسَى يَنْضَةُ الْمَلْدِ

"هذا الكلام فيه تنية إلى شدة فاقته إلى من ينسب عنه، وتأكد جزعه لما فقه من الصيلة بإجورته، فيقول لكنه حوض
رجل فرق الدهر بيه وبين من كان يعثر به، ويدفع الظلم والهزيمة عن نفسه بمكفه، فأمسى لا باصر له، ولا دفع نوبه، كبسة
البلد. وقد قيل في بيضة البلد: إنه أراد بيض التعم، لأنها سينة للهداية، فتضع بيضها في موضع، ثم تتركه صلاً عنه تضييع،
وربما تذهب وتحمض بيض غيرها تطن أنها بيضها. وقد ضرب المثل بها فقيل:

كَثَارَةُ نَيْضَتِهَا بِمِثْلِهَا وَفَرَجُهَا بِمِثْلِهَا وَفَرَجُهَا بِمِثْلِهَا وَفَرَجُهَا بِمِثْلِهَا

وقد قيل: إن بيضة البلد هي الكلمة البيضاء تمشق عنها الأرض - وهي النقع - فقطزه الماشية، وتتقره
العافية، ولذلك قيل: لعل من قنع بقاع. وكما ضرب المثل ببيضة البلد في الدل ضرب المثل بها في العز أيضاً. وقد معنى
ذكرها. وأنشطني بعضهم لأخت عمرو بن عبد ود قرني لهاها، وكان أسير المؤمنين طيه السلام قائله: (البسيط)

(١) المبرور: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١)، (٢٥٠ / ١).

(٢) لسه: حماسة (٧٥٨)، (٧٥٨ / ٢)، (١٧١٤).

القضايا النحوية ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== المعنى
 لو كان قاتل عنو غيّر قاتله بكتبة ما أقام الحروخ في جدي
 لكن قاتله من لا أعاب به وكان يدعى قديما بيضة البلب
 والمراد إذا مدح أنه لا نظير لها، ولا أخت معها، فالنعامة تطيف بها إسغافا عليها ... وبيضة الإسلام:
 جماعتهم. ويقال تفرى بيضة الأرض عن بني فلان، إذا تملأوا وكثروا. وبيضة الخدر قد تقدم القول فيه^(١).

كما "كلن وضوح المعنى وغوضها من التخييرات التي على بها نقدة المعاني في تأصيلهم لها"^(٢)، كما
 في قول يحيى بن زياد:
 نقضا بك الأيام حتى إذا أتت ثريدك لم تستطع لها عك مذفعا
 "يجوز أن يريد بالأيام نواب الأيام وأحداثها فحذف المضاف وأقم المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يريد
 الأيام أنفس الأحداث، فسماها أباشا كما تسمى الوقعت بها، وكما قال ابنه عز وجل: "تلك الأيام نداولها بين الناس"^(٣).

"وكنك لمن تصعبد المبالغة حتى حد الإفراط كان وجها بيتنا من وجوه اهتمامهم بالتخير الطارئ على
 المعنى الأصلي"^(٤). فشاعر الحملة في قوله:
 أبوا أن يبيخوا جازهم لعدوهم وقد ثار نفع السموت حتى تفتوا

"بإزا الفعل لبني التيم. بقول: امتنعوا من أن يخلوا بين جيرانهم قبيلة كلب وبين أعدائهم حمير، وقد ارتفع
 غبار الموت حتى التفت في الحور. وأراد بالجار والعن الكثرة، إذ كان المراد بهما القبيلتين، وإنما أضاف النفع إلى
 الموت تهويلا، ويجوز أن يريد بالموت الحرب. وتكثر: تنوع من الكثرة، يريد تراكم الغبار والتفتقه. وهذا الذي
 أشار إليه بقوله تكثر من اتراكم، جملة بعضهم كالسحاب، وجملة بعضهم يد صين الشمس حتى ظهرت له الكواكب، وحتى
 صار الشهاب بسببه كالثلج. وتجاوز المتبني جميع ذلك، حتى بلغ حدا من الإفراط مستتبعا فقال:
 غلبت منابها غلبها جبروا لو تفتي غلبا عليه أمنا

(للكامل)
 وإذا أردت بالموت السبة يكون المراد: كان الموت آثار الراجح في سلب الغوس حتى كلف في الهواء. وهنا مثله^(٥).
 وهكذا يتضح لنا أن الشارح يعتمد في أغلب مواضعه على "فكرة الأصل المعنوي المشترك بين الأبيات،
 فلا يلتفت إلى التركيب المشتركة، ولا أشكال المعاني، ولا الصور، وقد تند عنه أحيانا إشارات عن التأثير المشترك
 للأبيات على المتلقي من خلال المبالغة مثلا"^(٦).

(١) المرواني: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٦٧)، (١/ ٨٠٣، ٨٠٤).

(٢) د/مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأدب العربي، ٢٠٠٨.

(٣) المرواني: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٨١)، (١/ ٨١١).

(٤) د/مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأدب العربي، ٢٠٠٩.

(٥) المرواني: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١٣)، (١/ ٢٢٨).

(٦) د/محمد مسرة: شرح المرواني، نظرية والإجراءات، ص ١١٦.

ب - النموذج الجمالي في الوصف^(١):

عند الشراح في إطار عنايتهم الفارقة بالمعنى إلى الوقوف وقفة تأمل أمام الوصف؛ ليستشفوا ما وراءه من أسرار جمالية، وهو أمر نابع من إدراكهم لأهمية الصورة في إبراز المعنى المقصود، وتقريبه للمتلقى، "لتصوير ركن أساس في الشعر ينهض على حركة سير عاتة من المحدر إلى المحسوس، فالشارح مدعو إلى اكتشاف تلك السيرة طلباً لمعنى القول وتيقظاً لمقاصده"^(٢)؛ لذلك نراهم يتقنون كثيراً عند صفات السيف، والحبل، وقر الوحش، والرماح، والأسنة، وغير ذلك مما جاء في شعر شعراء الحملة، كما ننهوا على مدى مواضعها أو مخالفتها لما تعارف عليه العرب وأثر عنهم وورد في أشعارهم، فاستحسنوا الموافق، واستنبحو المخالف.

فمما أشوا عليه لأنه وافق ما تعارف عليه العرب وصف الكتف بالكثرة في العند في بيت لبيد بن ربيعة انتهت من طين:

أبى لهم أن يفرقوا الضمين أنهم بثو ناتي كانت كثيراً عبالها (الطويل)

"هذا الكلام من صفة الكتف وأن يعرفوا في موضع المفعول لأبي وماعلة قوله أبهم بنو بقر وقوله كفت من صفة الشق والسق المرأة الكثيرة الأولاد يقال ثقت ثقت ثقتنا وأصل الثق الاقتلاع كلها اقتلعت ما في رحمتها اتلعا وفي القرآن "وإذا بقنا الحل فوقهم كنه ظلة" أي اقتلعناه من أصله فجعلناه كالمظلة على رؤوسهم وكثرة العند مما ينفخ به يقول مع لهم معرفة لضيم كثرة عندهم أي أبي لهم أن يضاموا كثرة عندهم وحل العبال كناية عن الأولاد وهو جمع عبل كجيد وجيد"^(٣).

وكذلك وصف الرماح بالسمر في قول أبو عطاء السدي:

نفرتك والخطي نخطب نبتنا وقد نهلت بنا المنقلة السمر

"المنقلة، الرماح المروسة، والشتاب، خشبة ترم بها الرماح، وجعلها سمرًا، من أجل أن الرماح إذا أهدت من العلة وقد أدركت وتم بصحتها كفت سمرًا، وذلك أصلب لها وأحسن، وإذا عرقلت كفت سمرًا لا خير فيها"^(٤).

ومنه أيضًا وصف الفارس بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ في قول آخر:

خفيف الحساب نسمال الفزافي وغنذا للصخاب غنم غنم

"يقول: خير الناعي بموت الزبير، فقلت معظمًا لشوقي، ومغصًا للتأثير بمكفه: إنك تذكر موت قريع أهل الحجاز وأهل نجد ومختلهم، ومن لا تحق القوة بالاتفاق إلا له. وقوله خفيف الحذا وصفه بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ، وذلك مستحب من الفرس"^(٥).

(١) د/سيد حميد: تصليبا البلاغة والتفتية في شروح لتتمة على شعر أبي العلاء، ص ٢٤٥.

(٢) د/العبد الوهبي: شرح الشعر عند العرب، ص ٨٣.

(٣) شذيري: شرح ديوان المعلمة (٨٨/١).

(٤) الشري معلى: البيت المعلمة المعلمة رقم (٧)، ص ١٧.

(٥) المرواني: شرح ديوان المعلمة حميدة (٢٤١)، (١/١)، ص ٩٨١.

وطول عنق الفرس وعظم البركة فيه مما يستحب منه، يقول الحرث بن حماد الشيباني: (السريع)
وَتَقْتَبِرِي نَشْتَهُ بِسِي أَجْرِي - مُسْتَقِمُّ الْبُرْكَ كَالرَّكِبِ

" زعموا أن الراكب هاهنا فسيلة لم تنقطع من أمها وبجوز أن يعني طول عنق الفرس وأنه يوازي الراكب على ظهره ويكون هاديه هو الذي يستند البركة فيكون الكاف من قوله كالراكب في موضع رفع بفعلها ولا يمتنع أن يكون الفعل للبركة والكاف في موضع نصب والبركة والبرك الصدر وقيل هو وسط الصدر وهو حيث انضمت الشهتان من أعاليهما وعظم البركة مما يستحب في الفرس وأراد أنها عظمت حتى كفتها قد استنعمت أي تقنعت ونتم واستنعم وتلخر واستأخر سواء وقال بعضهم معناه أنه مشرف الصدر أشراف الراكب وقيل كالراكب يقول هو من أشرافه كفته راكب لا مركوب ومن هاهنا أخذ أبو تمام: (الطويل)
أَنَامَ إِذَا تُدْعَى بِرُكْلٍ إِلَى الْوُغَى رُكْلُهُمْ زَيْدٌ سِي خَالَتُهُمْ زَيْدٌ بِ
يصفهم بطول القامات " (١).

وكما امتدح الشراح الموافق من الوصف وأثنوا عليه، فقد عتفوا المخالف منه وأزروا عليه، كما جاء في وصف اتساع الطعنة بالنهر، في قول قيس بن الخطيم الأوسي: (الطويل)
مَلَأَتْ بِهَا كُلِّي فَانْهَزَتْ فَتَقَنَّا يُسْزِي فَاتَبْنَا مِنْ ذَوْبِنَا نَسَا وَرَاءَهَا
"المعنى شددت بهذه الطعنة كفى ووسعت خرقها حتى يرى الققم من دونها الشيء الذي وراءها ... ومعنى أنهرته: وسعته حتى جعلته كنهر سمعاً. والنهر نفسه سمي بذلك لاتساعه. ومنه المنهرة، وهي فضاء بين بيوت الحي يلتقون فيه كملتهم. وفي هذا الوصف سرف مستنكر وخروج عن القصد مستهجن" (٢).

هذا وتزخر شروح الحماسة بالعديد من الصفات التي الملح إليها الشراح في مواطن عدة، ونوهوا عن رأيهم فيها إما استحساناً أو استقباحاً، وذلك وفقاً لصفات النموذج والمثل في الشعر العربي الذي استضاء الشراح به في كثير من الصفات التي حرروها، والتحليلات التي أصنروها.

ج - تناسق المعنى (٣):

إن المتتبع لشروح الحماسة يدرك مدى اهتمام الشراح بوحدة المعنى في الأبيات الشعرية، فلم يكن ويكهم - كما أشرنا سابقاً - أن يجعلوا معنى البيت بمفرده هو غاية في ذاته، بل وسيلة ينفخون بها إلى أهدافهم التي تتمثل في الكشف عن معاني الأبيات ككل، كوحدة واحدة، وبيان مقاصدها "حيث لا انفصام بين شرح بيت وآخر، وإنما شرح

(١) لترويز: شرح ديوان الحماسة (١ / ٧٤).

(٢) لترويز: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣٦)، (١ / ١٨٤).

(٣) دلتجيد حمدان: التناسق اللفظي والنغمية في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٣١١.

البيت لبنة في بناء المعنى الكلي المقطوعة أو القصيدة^(١)، بحيث توشك أن تكون القصيدة "كاثيبت والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه وتقالنا"^(٢).

وكما أشار الشراح إلى الأبيات التي تلتمح فيها المعاني بحيث تصبح وحدة متكاملة، أشاروا كذلك إلى تلك الأبيات التي فقدت هذا التعلق والتواصل في المعنى، من خلال تنويهم - خاصة المرزوقي - ببعض المعاكذ والعيوب التي إن وقعت في شعر الشاعر أدت إلى ذلك الانفصال والانفصال في المعنى، أهمها^(٣):

١- التناقض وعدم استواء المعنى:

يدعم الأسلوب الأدبي مجموعة من الصفات الإيجابية التي يجب أن يتحلى بها العمل الأدبي؛ لتندم المعنى، وتثير الشعور، وتبعث في النفس أفكاراً تتناسب الموضوع، مثل "مطابقة الصوت للمعنى، وتناسب أجزاء الكلام، وتطبيع الجمل وتقبلها، واستيفاء معانيها إلى غير ذلك..."^(٤)، أو ما يمكن أن نعبر عنه بالقول: استواء المعنى وعدم تناقضه.

وعدم التزام الشعراء باستواء المعنى وتناسقه، من العيوب التي أخذها النقاد عليهم، لاسيما إذا أتى بمعنى آخر يخالف روح واتجاه المقطوعة أو القصيدة التي ينظمها، مما يوقعه في التناقض وعدم الاستواء في المعنى.

ومن أجل ذلك كان قول سنان بن القحل:

وَقَبْلَكَ زَيْدٌ خَصْمٌ قَدْ تَنَسَّأْنَا ظَنِّي لِمَا هَيَّجْتُ وَلَا دَعَوْتُ (الوافر)

سليماً من التناقض والفساد، حيث يرى المرزوقي أنه "تبه على حسن ثباته في وجه الخصوم، وتمرنه بمجانبتهم كديماً وحديثاً، وتحككه بهم على احتفال منهم في مناولته ملاقاً وانفاً، فيقول: وقد بلبت قبلك قوم لدر نالوا علي وتعاونوا، فلم أجزع لما منيت بهم جزعاً فلحشاً، ولا استصرت عليهم غيري ضد دفاعهم مستصراً مكروهاً. والهلع: انحس الجزع. وتماثوا: هو تماطوا من قولهم هو مليء بكذا، فإن قيل: كيف قل هلع، وقد قل فيما قبله: فكنت أبكي من الظلم المبين أو بكيت وهل الهلع إلا البكاء والجزع؟ قلت: إن الهلع هو الجزع الفلحش الذي يظهر فيه الخضوع والافتقار، فهذا هو الذي انتضح منه، وزعم أنه لا يظهر عليه. والبكاء الذي ذكر أنه شاركه أو كاد يشاركه قد بينا أنه كان منه على طريق الاستكفاف والامتعاض؛ فإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشع وتذلل، ولا اتقياء واستسلام، وسلم الكلام من التناقض والفساد"^(٥).

(١) د/لحم جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢٣٢).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، مقسمة لشرح من ١٠.

(٣) د/مصطفى طربل: تبارت اقتد أدبي في الأندلس، ٢٢٢، ٢٢٣، مع إضافة بعض العنصر من قبل المؤلف.

(٤) د/لحم جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢٣٩).

(٥) - - ١٠. شرح ديوان الحماسة حلبية (١٩٢)، (١ / ٥٩١).

٢- عدم استواء الترتيب المنطقي للمعاني:

لذلك نوه المرزوقي بمرعاة عمرو بن معد يكرب هذا الترتيب، ولتى عليه، ووجه به تفسير بيته: (مجزوء الكامل)

مَا إِن جَزَعْتُ وَلَا هَلَفْتُ مَثَّ وَلَا يَكْرِي بِغَسَايِ زُنْدَا

"وقد أعطى الترتيب حقه لأنه ارتقى فيه من الأدون إلى الأعلى، إذ كان قوله ما إن جزعت وإن كان مستصلاً لجميع أنواعه مفيداً للأدوان، وقد جاء بعده ولا هلفت ...^(١)، فمروى عن معد يكرب في البيت السابق تصاعد في حزنه من الأدنى إلى الأعلى، عندما جعل الجزع أولاً الذي يمثل درجة أنفى من الهم، فكأنه قال: ما حزنني طيه حزناً هيناً قريباً، ولا فظيماً شديداً. وهذا نفي للحزن راساً"^(٢).

وعدم مراعاة هذا الترتيب قد يؤدي إلى فهم الرواية، والتنبية على عدم صحتها، وهو ما أشار إليه

المرزوقي في معرض تعليقه على بيت سعد بن مالك: (مجزوء الكامل)

وَالْقَسْرُ بَغْدَادُ الْقَسْرُ إِذْ كَمِيزَةِ النَّفْسِ دُمٌّ وَأَنْطُخَا

"بين ما يحتاج إليه الصبار من الأعمال في الحرب، كما بين الآلات التي من شرطه استحصالها فكأنه قال: ويبقى لجاحمها الكر بعد الفر في وقت يكره فيه الإقدام والتقدم، والنطاح والتجرد. وبعضهم يروى هذا البيت في غير هذا الموضع، والحواسب هذا الترتيب"^(٣).

وقد لا يبالي الشاعر بمرعاة الترتيب المنطقي للمعاني إذا أمن الالتباس، كما جاء في قول المساور بن هند: (الكامل)

وَأَنْتَ بِنَ شَيْخَا لَدَّ تَخْلِي صُلْبُهُ يَنْشِي فَيَقْفُضُ أَوْ يَكْسِبُ فَيُطْرُ

"يقول: ورأين شيخاً منحني الصلب، محدوب الظهر، يمشي مشية القمصر إذا استمر في المشي، أو يتعثر فيسقط لوجهه. وكان الواجب أن يقول: أو يطر فركب، لأن العشار قيل المقوط للوجه، لكنه لم يبال بتغيير الترتيب، لأنه من الالتباس، وهذا دون ما يجيء في كلامهم من التلب، مثل قوله: (المبدي)

كَمَا أَصْلَعْتُ وَخَشْبَةُ وَهَذَا

وكتول امرئ القيس: (الطويل)

كَمَا زُلْتُ الصَّفْوَاءَ بِالْمُتَرَّلِ "^(٤).

٣- عدم الإبراء المنطقي للمعاني:

يقول التبريزي معلقاً على قول شاعر الحملة: (المنمرح)

جُئْتُ شَيْخِي الْبُرْءَا أَهْلِي عَنَدَكَ أَسْمَتَا قَبِي الْفَدَا وَالْخَلَا

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (٢١)، (١٧٩ / ١).

(٢) نفسه (١٧٩ / ١).

(٣) نفسه حماسة (١٦٧)، (٥٠٣ / ١).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (١٥٥)، (١٦٠ / ١)، (١٦١)، وتظهر كذلك: اس جلي. (انتبه على شكل البيت الحماسة حماسة (٣٥٠)، من ٣٩٣.

"قال أبو هلال هذا الشعر معيب المعنى ألا ترى أنه ذكر الممدوح فقال أنك تطلق الأسرى حتى تمنى الطليق أنك تأسره وتطلقه ولا أعرف كيف يتمنى الأسر ثم الإطلاق وهو مطلق معاني وأن أراد له يتمنى ذلك لأنه يجد صدك إحساناً فلم لا يتمنى الإحسان مع الإطلاق ويتمناه مع الأسر وبات يتمنى مفتوح يجوز أن يخلطه من كل وجه" (١).

٤ - عدم المقارنة في المعنى:

فبيت السموأل بن عديا:
لَشُنْ قَمَاءَ التَّمَنُّنِ مَا لِي بِصَابِنَا كَهَامٍ وَلَا أَيْنَا بِغَدُ بِخَبْلٍ
قال: "أبو هلال هذا البيت معيب لأن الكهوم والمضاء لهما من ماء المزن في شيء وكان ينبغي أن يقول ونحن كماه الزن صفاء أحلاق وبطل أكف أي ونحن سيوف لا يعترها كهوم ولا يشبهها كلول" (٢).
د- طرفة المعنى وغرابته (٣):

يقول المرزوقي في هذا المعنى: "ولد كان يتنق في أبيات قصائدهم - من غير قصد منهم إليه - اليسير النزر، فلما انتهى قرض الشعر إلى المحدثين رأوا استغراب الناس للنبيع على اقتنائهم فيه أولعوا بتورده إظهاراً للاقتدار، ودهلها إلى الإعراب، فمن مفرط ومقتصد، ومحدود فيما يليه ومنموم، وذلك على حسب بوض الطبع بما يعمل، ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلف، فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الإعراب، لميلته في السبك، واستوانه عند الفحص، ومن مال إلى الثاني لدلالته على كمال البراعة، والانداد بالغربة" (٤).

ويبين هذا بوضوح عند المرزوقي في شرحه، فقد تعرض لنكر نماذج من شعر هؤلاء الشعراء، وتمثل فيها طرفة وغربة المعنى عند كل منهم، مستحسناً إياها، معجبا بها. ويوضح هذا بالمثل التالي؛ يقول زفر بن الحارث الكلابي في الصبر على القتل والنزال:
(الطويل)
مَنْثَبَاتُهُمْ خَامِنَا مَنْفُونًا بِمَيْثَبَاتِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْغَنَوتِ أَصْنَبَرًا

"يقول: فلينامهم بمنال ما بدعونا به من سبي كلهم الموت، لكن القتل كان فيهم أعم، ولهم أشمل. وحمل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه. ويقرب أن يكون قول الله تعالى: "فما أصبرهم على النار" على هذا الوجه. كان النار حقت عليهم ووجبت، بما كان منهم من المعصية، فجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه، ولذلك قال بعض المفسرين في معناه: ما أعلمهم يعمل أهل النار. كان إصرارهم على ذلك العمل كالصبر منهم على النار. ورد الآية إلى البيت وإجراء القول فيها على هذا الحد غريب حسن" (٥).

(١) شيرازي: شرح ديوان العمارة (١ / ٩٢).
(٢) بضمه. (١ / ٥٩، ٦٠)، وانظر: أبو مالك العسكري: (الحناعين): ص ١٤٦، حيث يقول معلقاً على البيت: "ليس في قوله: ما في نصيبنا كهام". من قوله: "كهام المرن" في شيء، إذ ليس بين ماء المرن والنصب والكهوم مقاربة، ولو قال: وسمن ليوث الحرب، أو لولو الصلابة ولحمته ما في سناننا كهام، لكن الكلام مستوي. أو لمع كهام المرن صفاء لخلل وصل لكف لكل جبا".
(٣) دال على حداد. التصانيف الثلاثة. وندبة في شرح التمام على شعر أبي العلاء، ص ٣٥١.
(٤) المرزوقي: شرح ديوان العمارة، مقدمة لشرح، ص ١٢.
(٥) بضمه. حاشية (٢٨)، (١ / ١٥٦).

وكما في قول رويشد:
فَمَا فَنَوَقُ ذُلَّ بَتَّخْ ذِلَّةُ وَلَا تَخَسُّتَ فَوْضَ عَفْمَ مَوْضِغِ (المتقارب)

"قوله لما فوق ذلكتمك طابق وتحت وفوق فيه، وهو غريب حسن يريد: لا مرتبة في الذل أعلى من مرتبتكم، فجاء الغاية للتصوير ولا موضع أشد تأخرًا وانحطاطًا في العز من موضعكم، فجاء المنزل الأخس الأدنى. وقوله غير السداد، يريد به تنطق النطق غير السداد" (١).

إلى آخر مثل هذه الأمثلة والنماذج الشعرية التي تنتشر بين أرحاء شرحه.

هـ - التكرار (٢):

يحرص شراح الحماسة كل الحرص على "توضيح نوعية الكلام وضروريه الفنية ووسائله المؤدية للمعنى. بما يتصل ومقتضى الحال" (٣). ومن تلك الوسائل والأساليب التكرار، وهو وإن لم يستحسنه كثير من الشراح - كما أسلفنا (٤) - إلا أنه ليس كله معيب، خاصة إذا علمنا أن هذا الصرب يتصل في جانب ما ينوع من الإيقاع الدلالي. كانت العرب تستحسنه إذا حدث تغير في الصيغة أو الأسلوب، بشكل يعكس المعنى جديدًا في كل مرة يتكرر فيها "فانتعلاود تجسمه المعنوي بدل المباني إذ ينطق أن يدرج الشاعر في سلك النظم كلمات مختلفة علامتها مُجَدِّدٌ معنيها حدُّ التطابق. وقد كانت العرب تستحسن ذلك .. فكان الشاعر يوهج بالمختلف على مستوى الدال ليفاجئ المتلقي بالمتوالت على مستوى المنطوق في شكل عدول لا منتظر، وهو ما قد يمثل سبب استحسان العرب لهذا الضرب من الإيقاع الدلالي" (٥). وقد حاول كل من المرزوقي والتبريزي - وهما الشارحان اللذان عُنِيَا أكثر من غيرهما ببلراز هذه الظاهرة في أشعارهم - من خلال نظروتهما الفنية العميقة، تتبع المتغيرات وأوجه الخلاف التي طرأت على المعنى المكرر في مرثاه المتعددة، ومن أهم مظاهر هذا الخلاف:

— المخالفة: كنول تلطب شراً:
إذا فمؤة فبمسي غلغمم ثهللست نؤاوجد أفواه الغنايا الضواجك (الطويل)

"قوله في عظم قرن إذان بقه لا يتعرض له إلا من يقاربه بلأا وشدة ونسبة التهلل إلى التواحد مجاز وسعة وهذا كما يقال سر فلان بكذا حتى صار لكل سن له ضحك وقد سمي ما ينو من الأسنان عند الضحك الصواحك وقوله إذا هزه في عظم قرن أي إذا هزه وضربه به ضحك الموت وهو مثل فكأته قال إذا هزه لعظم قرن وقد تقام حروف الصفات بعضها مقام بعض إذا لم يشك ويضلل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به ثلث في عظمه فهزه فيه أي حركه ليتخلص منه والتهلل الضحك شبه بتهلل البرق ولمعقه وهو خلاف قوله والموت خزيان ينظر" (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦١٩)، (٢ / ١٤٧٠، ١٤٧١).

(٢) دالاليد حمدان: لغزها بلاغة والفنية في شروح التمهات على شعر أبي العلاء، ص ٣٠٢.

(٣) دالاليد جمال العمري: شروح لشعر الحاملي، منافع الشراح (٢ / ١٨٦).

(٤) انظر: ص ٦٢ من الكتاب، حيث الحديث عن تحبب تكرار الأسطر.

(٥) دالاليد التبريزي: شرح الشعر عند العرب، ص ٧١، ٧٢.

(٦) التبريزي: شرح ديوان الحماسة (١ / ٤٦)، ولطيف المقصود هو قول تلطب شراً: (١ / ٤٠) (الطويل)

وكما توقف الشراح أمام معاني شعراء الحملة المكررة بين مقطوعاتهم وقصدهم المختلفة، فقد توقفوا أيضا عند المعاني المكررة داخل القطعة أو القصيدة الواحدة سواء أكان سابقاً أو لاحقاً؛ فالمعنى الذي أجمله آخر في قوله:

(الطويل)
وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ طَرْفَكَ رَابِداً لِقَتُّكَ نَوْمًا أَثْقَلَكَ الْمَنَاقِبُ

مفصل في قوله:
رَأَيْتُ الَّذِي لَا قُلَّةَ أَتَتْ قَابِزَ عَلَيْهِ وَلَا غَنَى بَنِيهِ أَتَتْ صَابِزَ
وهو ما عبر عنه المرزوقي بقوله: " وقوله (رأيت الذي) تفصيل لما أحمله قوله (أثعبتك المنابر) " (١).

إن ما أثبتنا من معايير وأسس لميت إلا نبذا - تحفل الشروح بالكثير منها - على سبيل التمهيد لتعامل الشراح مع المعنى الشعري، وقد بدا غرضهم الأساسي تطويع المعنى الشروح وترويضه، تبرز فيها تمكن الشراح بفضل ما توفوا لهم من واسع الدراية بفق اللغة وأسرارها - من النجاح في الدفاع عن الشاعر في بعض الأحيان التي لجأ فيها إلى تكرار المعنى، دفاع مقترن بالحجج والبراهين، عبر أسلوب منطقي معالج، يؤكد صحة ما ذهبوا إليه، فابها عنهم شوية الحباك عن الحق، أو تمحل لأعداء وأهية، مثل تعليل المرزوقي لتكرير معنى الوعيد في قول كوال:

(الطويل)
قُلْ لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءٍ مَنَاجِيَا هَلُمْ فَنِي الْمَشْرِقِي الْفَرَانِيَا
وَأَنَا حَنُوطًا مِنَ الْمَوْتِ مُنْقَفَا وَأَتَاكَ مُخْتَلِّفًا فَهَلْ أَتَتْ حَامِيَا
أَتَقْنُكَ نُونُ الْعَسَالِ قَدْ جِئْتُ بَبَقِي مَسْتَلْقًا بِبِضْ لِلْفُؤُوسِ قَسَابِيَا

"فإن قيل: كيف استجاز تكرير معنى واحد في بيتين على تقارب بينهما، وهذا اكتفى بقوله "هلم فني المشرفي الفرائض"؟ قلت: إن قوله أظنك دون المال ذو حنت تنغي، بما دخله من التهكم والوعيد، وتكشف فيه من القصد، صر كنه أدى عبر ما اداه قوله هلم فني المشرفي الفرائض. ومثله قول علقمة بن عبة. (الطويل)
فَإِنْ تَمَسَّكْتُ أَوْتِي بِالْأَسْمَاءِ فَمِائِي بِصَبِيرِ بَنَاتِ الْأَسْمَاءِ طَبِيبِ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قُلُّ مَائِي فَلَيْسَ لَهُ قِي وَدِهِي نَمِيبِ
يُرِينُ شَرَّ الْمَالِ حَيْثُ عَلَيْنِي وَشَرُّ الشُّبَابِ جَدِّي عَجِيبِ
ألا ترى أنه لم ير المعنى متكرراً في البيتين، لما كان لحدتهما يشمل من الاستنفاء والبيان على ما لم يشمل عليه الآخر" (٢).

وكذلك تعليله لتكرير المعنى في قول دريد بن الصمة:
(الطويل)
وَقُلْنَا إِنَّا مِنَ الْغُرَيْبَةِ إِنْ عَمُوتَ غَوِيَتْ وَإِنْ تَرَشَّنْ دُ غُرَيْبَةِ أَرْشَدِ

بالقول: "فإن قيل: إنه كرر معنى واحداً في هذه الأبيات مرتين، لأن قوله إن خوت عريت قد اشتمل عليه كنت منهم وقد أرى غواينهم وأنني غير مهتد. قلت: في الأول لقص الحال التي دار عليها معهم، وفي الأمر بقية،

(١) للدروبي: شرح ديوان الحملة. جمالية (٤٦٥)، (١٢ / ١٢٣٨، ١٢٣٩).
(٢) منه: جمالية (٢١١)، (١ / ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣).

وللنصح توجه، وأنه اجتهد في ردهم إلى ما هو أرد عليهم وأتبع لهم، فلما عصوه في ذلك أمسك عنهم جارياً في الطريق الذي يسلكونه وإن علم الخطأ فيه. وقوله وهل أنا إلا من غزية بين لما دلعوا إليه بعد تبين الرشد لهم، وإبتلوا به من مقابلة سوء العاقبة لسوء اختيارهم، فقال: وما أنا إلا شريك لهم فيما أئتم لهم جهلهم وغوايتهم كما كنت شريكاً لهم لو رشحوا فيما كان يشر لهم رشدهم. فهو في الأول ذكر اتباعه لهم بعد النصح نظراً من وراء رأيه ما ينفعون إليه ويمتنعون به، وفي الثاني ذكر انفصلهم معهم فيما أعقب لهم اختيارهم، ولقد شق بمل ما شقوا به في عقى جهلهم أو بئس منه، وإذا كُنْ كذلك اختلف الحالتان والاتباعان" (١).

المبحث الثالث: التلازم بين اللفظ والمعنى:

لقت قضية اللفظ والمعنى اهتماماً كبيراً من القدماء والمحدثين على السواء، وقد أفضت بكثير منهم إلى التأكيد بأهمية كل منهما للآخر، وحاجة أحدهما للآخر، طلباً للتسليم والتوافق في سلك النظم، وهذا الكلام ما عناه أبو هلال العسكري بالقول: "إن الكلام ألفظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصالة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ .. لأن المدار بعد على إصالة المعنى .. ولأن المعاني تدل من الكلام محل الأبدان والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ومرتببة إحداهما على الأخرى معروفة .." (٢). يربط بين الحدين اللفظ والمعنى وشيجة الإبداع الفني، وما ينتج عنها من وشلح وصلات أخرى تثرى العمل الفني، وهو ما يظن أن مفهوم الإبداع الفني لا يصل لحسب بين الحدين: اللفظ والمعنى، في قضية واحدة، لكنه أيضاً بصفتها بصبغة، فيجعل اللفظ تارة متراً شافهاً، أو مرآة تعكس قوة الطبع المبدع، ويجعله تارة أخرى أصابعاً تجمع" (٣).

وقد نظر الشراح إلى هذه القضية - قضية اللفظ والمعنى - نظرة توافقية دون تفصيل لحد طرفيها على الآخر، وجامت تطبيقاتهم وتعبيراتهم مؤكدة لهذا الاتجاه، جامعة بين المذهبين حسن المعنى واللفظ.

للمرزوقي - مثلاً - توقف في مقدمة شرحه عند قضية اللفظ والمعنى، وأبان عنهما - تحت مبحث نظري - أفضل إيقاع، عندما يربط بين مدى التناسب بين اللفظ والمعنى والبلاغة، بالقول: "متى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول فتعلقاً وتلاهما متظاهرين في الاتصاف وتوافقاً فهلك ولتقي ثريا البلاغة فيمطر روضها، ويشر وشبها، ويتعلل البيان فصيح اللسان نجيب البرهان، وترى رندي الفهم والطبع متبشرين لهما من المسموع والمقول بالمرح الخصب والمكرع المذب" (٤).

وقد أسلمه ذلك إلى التأكيد على التصدي لـ "صود الشعر"، والمفهوم النقدي له، حيث يقول: "فإذا كان الأمر على هذا، فالواجب أن يتبين ما هو صود الشعر المعروف عند العرب، ليمتد ذلك للصنعة من الطريف، وتقدم نظم القريض من الحديث، ولتعرف مواضع أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم إقدام المزفين على ما زيفوه، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوخ، وفضيلة الاتي المسموع على الأبي الصعب، فنقول وبالله التوفيق: إنهم كتوا

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢٧١)، (١/٨١٥).

(٢) أبو هلال العسكري: المناقب، ص ٨٤.

(٣) محدي لحد توافق: مفهوم الإبداع الفني في شتى العصور العربية لتتبعه، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٧ م، ص ٣٢٠.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٧/١.

يحللون شرف المعنى وصحته، وحزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف - ومن احتشاع هذه الأسباب الثلاثة كثرت موانئ الأمل، وشوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتنامها على تخير من لنيد الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضاهما للفاقة حتى لا منافرة بينهما - فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها محيار^(١).

أما عن عبار المعنى فيقول عنه: "فيعبار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والعلم الثاقب، فإذا انحطف عليه حنبنا القول والاصطفاء، مستقنا بقرائنه، خرج وافيا، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشيته"^(٢).

فالمعنى عند المرزوقي - إذا - "لا يكون صحيحا شريفا إلا إذا صانع العقل الناقد، والنوق المرفه، واستوى له من القرائن والملاسات ما يدعو إلى القول والأريحية والركون إليه، فإنا لم يسلم له ذلك انحدر عن مكنته السلبة إلى مراتب، يراها التفك أكل أو ادون، وفنا لمقدار ما داخله من إخلال بما يرضيه العقل المتوهج من روائع المعنى في المعارض الشعرية المختلفة"^(٣).

أما عن عبار اللفظ فيقول عنه: "وعبار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال، فما سلم مما يهجه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم، وهذا في مفرداته وحملته مراعى، لأن اللفظة تستكرم بفقرانها، فإذا ضاميا ما لا يوافقها عانت الحملة هجينا"^(٤).

معنى ذلك أن "اللفظة - هي الأخرى - مواصفات خاصة، فكما تحتكم إلى طبع الشاعر تتوقف في الوقت ذاته على ترددها وشهرتها في الاستعمال والتعبير، أي أن اللفظ يستمد نبضه الشعري في الصورة أو كياته حيث جرى فيها دافقا كلفتن الصافي ينبثق من مصدره، فإذا أعوزه الوارد ولم يجتمعوا إليه ويحتشدوا ليقتروا منه ضاع أو اسن، فالعمول على طبع الشاعر وحلى تقل الأعراف العامة لهذا اللفظ ومدى تفاعلها معه، سواء أجاها وحده في هيئة كلمة مفردة أم جاء في صورة من الشعر، على أنه إذا ورد في صورة وحب أن تقوم بينه وبين جاراته في العبارة الشعرية الوثاق والروابط التي تضمه إليها، فلما إذا جاء اللفظ مجنونا أو مبتوتا عن نظيره في العبارة عد الكلام هجينا على حد تعبير المرزوقي"^(٥).

ولعل مفهوم عمود الشعر لدى المرزوقي وأثره في تحديد عبار اللفظ والمعنى يتكرنا بتقسيم ابن تقيبة للشعر عندما قال: "لديت الشعر فوجنته أربعة اضرب: ضرب منه خمن لفظه وجاد معناه... وضرب منه خمن لفظه وحلا فإنا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى... وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه... وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه..."^(٦). وسلق الشواهد والأمثلة على كل نوع.

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة ٨/١، ٩.

(٢) عنه. ٩/١.

(٣) دلائلي محمد أبو عيسى لتقصيا الأدبية والنسبة في شرح المرزوقي لديوان الحملة من ٢١٢.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحملة ٩/١.

(٥) دلائلي محمد أبو عيسى لتقصيا الأدبية والنسبة في شرح المرزوقي لديوان الحملة من ٢١٢، ٢١٣.

(٦) ابن تقيبة: الشعر والشعراء / تحقيق / أحمد شقره دار المعارف بمصر، ١٩٨٢ م، ٦٤/٩ وما بعدها.

والمصوص السابقة التي أوردها للمرزوقي تلخص وتعكس بوضوح موقف الشارح من قضية اللفظ والمعنى، وأنه كان من أنصار الفريق الذي مال إليهما معاً فلم يعلّب أحدهما على الآخر.

وقد اتفق بقية الشراح، بصورة أو بآخرى، مع ما ذهب إليه المرزوقي - وإن لم يفصلوا تفصيله نظرياً - من ضرورة الاهتمام باللفظ والمعنى معاً من ناحية، ووجوب التلازم والتناسب بينهما من ناحية أخرى.

وقد أسست شروحيهم وتحليلاتهم عن الأثر الذي سخرها في فهم النص الشعري؛ لتحقيق التلازم والانسجام بين اللفظه ومعنييه، من قبيل السياق، الذي اتخذ الشرح من خلاله مسارات ثلاثة "مساراً باتجاه الألفاظ تحليلًا وفكًا يعقبه مسار باتجاه المعاني بيانا واكتشافا وإطهارا واستنباطا وتوليدا واستقصاء وكشفًا، ومساراً باتجاه خطة النص وشرحه تركيبياً وبناءً"^(١).

ولعل المرزوقي من أكثر الشراح النفعا إلى هذا الجانب، واعتصاماً به، فراه بنبه صراحة أو ضمناً على أهمية السياق ودوره في "فهم النص باعتباره ينهض على معانٍ صيغت في اللفظ انتظمت وفق خطة في التأليف"^(٢)، وهو ما لمسه جلياً من خلال اعتراضه على بعض شعراء الحماسة؛ لأنهم - من وجهة نظره - لم يضعوا السياق في حسنتهم، أو لم يقدروه حق قدره عند نظمهم لأشعارهم. ولنتأمل - مثلاً - تعقيبه على هذا البيت، واعتراضه على سياق الكلام في قول أبو حكيم المري:

وَقُنْتُ أَرْجَى مَنْ حَكِيمٌ قِيَانُهُ عَلَى إِذَا مَا التُّنْتُنُ زِلَّ ارْتِدَانِيَا
لَقَدْ دُمْتُ قَلْبِي نَفْسُهُ فَازَتْ: ذُنُوبُهُ فَيَاوِيحُ نَفْسِي مَنْ يَدَاءُ عَلَانِيَا

"يقول: كنت أؤمل في حكيم أبني أن يمهل وينفس من صغره، فيقوم على إذا مت، ويرتدئ نعتي إذا حملت، ثم بعد ذلك يقضى فيما أخلفه عليه، واعتمد على كفتيته وخلقه، فخاب أملِي وكفني ظني، ولعمري قارتبت لانا نعتي، فوا يلاء نفسي من رداء علاني نعتي. وقوله "ارتدانيا" تفسير لقيامه عليه وقد وضع للماصي موقع المستقبل؛ أي يرتدني في ذلك الوقت. ولو ساق الكلام على تلازم لقال: قيامه على وارتداه لابي انا ما نعتي زال ارتدانيا، أي يرتدني، فيكون انا ما النعت زال ظرفاً، وارتداني مفعول أرحي. أي أرجوه يرتدني انا ما النعت زال"^(٣).

كما أن المرزوقي وجه معاني الكثير من الأبيات اعتماداً على نظراته الكلية للمقطوعة أو القصيدة، وفي ضوء السياق العام للأبيات. ويتضح هذا من شرحه البيت الأخير من مقطوعة خالد مولى العباس بن محمد: (الولاء)

أَنَا وَالرَّاقِصَاتُ بِهَذَاتِ عَزَاقِي وَبِغَنٍّ صَغْلَى يَنْغَنَانِ الْأَرْجَى
لَقَدْ أَضْمَرْتُ خُبْرَكَ قِيَانِي فَيَاوِيحُ وَمَا أَضْمَرْتُ خُبْرًا مِنْ مِثْلِكَ
أَرْنَيْتَ الْأَمِيرُكَ بِصَنْمِ خُبْرِي مُرِيهِمْ قِيَانِي أَجْبَبَهُمْ وَهَذَاتِ
فَبِإِنْ هُمْ طَاعَوْكَ فَطَاعَوْعِيهِمْ فَإِنْ غَامَوكَ فَاغْصَبِي مَنْ غَصَابِي

(١) دل الحمد الوبراني: شرح شعر عند العرب، ص ٣٥.

(٢) مسند، ص ٣٥.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣١٨)، (٢ / ١٠٥١).

"كان الواجب في قضية سباق الكلام أن يقول: وإن عاصوك فعاصيهم فعلل عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الطاهر، ليبين فيه ما يشنع به عليهم، وليظهر السبب الموجب للإغراء بهم، والانتصاف عن رأيهم. ولو قال: فعاصيهم لم يبين ذلك فيه"^(١).

وتزخر الشروح بالكثير من التوضيحات الجوهرية التي ساقها الشراح بين ثنائيا شرحهم على أشعار الحماسة، والتي تربط بين دلالة الألفاظ في معناها العام أي ما تعلق بمضمون القول الشعري معاني ومقاصد، والمباني الواردة فيه، من قبيل: المشترك اللفظي والأضداد، مما مكّنهم من الوقوف على مقصود شاعر الحماسة فتجدهم يقولون: "يريد به ها هنا"، أو "أراد ها هنا" ... إلخ.

فمن المشترك كلمة (الشرب) في بيت الأقرع بن معاذ، يصف ابلا:
يُسْتَفُّ الْجَارُ شِبْرًا وَفِي خَائِنَةٍ وَلَا يَبِيحُ غُلَى أَضَافِيهَا قِئَمَ
" الشرب"، الماء بعينه، ويريد به ها هنا اللبن"^(٢).

ومنه (النع) في بيت زفر بن الحارث الكلابي:
فَلَمَّا دَرَسْنَا التَّبَعِ بِالتَّبَعِ نَغَضَةً بِبَغَضٍ، أُنِثْتُ عِدَانَةً أَنْ تَفْعُرَا
"النع: الرماح، وأراد - ها هنا - الرجال"^(٣).

أمّا الأضداد فمعناها كلمة (نهلت) في بيت أبي عطاء السعدي:
تَكَرَّرَتْكَ الْخَطِيءُ يَخْطِئُ بَيْنَنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا الْمُنْقَلَبُ السُّنَنُ
"والاسم من نهلت النهل. والمورد: المنهل. وقد عد الناهل في الأضداد، لوقوعه على الريان والطحشان، وكان حقيقة النهل أول السقي، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع فلذلك استعمل للناهل في الري والعطش"^(٤).

وكلمتي (السجود ، قلص) في قول إيلس بن مالك بن عبد الله بن خيرى الطقي:
بِحُجْمٍ نَظَمَ الْأَخْمُ مَاجِدَةً لَهْ وَأَعْلَامَ مَنَافِي وَالْهَضَابِ الثَّوَابِ
فَلَمَّا أَدْرَكَنَاهُمْ وَقَدْ قُلُصَتْ بِهِمْ إِلَى الْخَيْ خُوصِ كَالْخَيْ ضَوَابِ
"والسجود عندهم من الأضداد يكون في معنى الاقتصاب والانتحاء ... وقد يكون قلص من الأضداد يكون في معنى ارتفع وفي معنى قصر ..."^(٥).

(١) لمرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ١٢٧، (٢/ ١٣٧٧).
(٢) السعدي: معاني أبيات المعلى، المعلى: رقم (٧٧٤)، ص ٢٣٥، واسطر المعلى: رقم (٦٠٤)، ص ١٩١.
(٣) ابن فارس: تفسير كتاب الحماسة، ص ١٢.
(٤) لمرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ١٢٧، (٧/ ١٠٦١).
(٥) السعدي: شرح ديوان الحماسة، (٧٠/ ٢)

وكلمة (عسس) في قول الفلاح:
 ينطى جنتاً وازى أرباب بن عمنض . من الغنن غنض يمتنع الزغذ وابنة
 "وعصن من قولهم عسس الليل إذا قبل ظلامه وإنا ولي وهو من الإضداد..."^(١).

وفظن الشراح - كذلك - إلى أهمية المبط في تحديد دلالة هذا الحرف أو ذاك، كما يتضح في قول العجبر
 السلولي:
 هو الظفر الميمون إن راح أو غدا به الركب والتعابئة المتحجب
 "والتعابئة على بنقه النقالة والتلقاة والهاء في آخره للمبالغة"^(٢).

وفي قول بعض بني عبد شمس بن قيس:
 لأنت هالـهـ بالـهـ عابـهـ أن قد أطاعت بـنـي أـمـر غاويها
 "وهذاك ظرف ويكون للزمان والمكان جميعاً وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه كأن البعد فيما يشار إليه بهتك
 أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهتك وهذا على طريقة ما نقوله في ذلك وذاك"^(٣).

وقد وقف الشراح - كذلك - وقفة طويلة أمام الحروف وما يعترها من تغيرات دلالية ، نبهوا عليها وأشروا
 إليها، وأرهبوا لها أمثلة تطبيقية من أشعار الحماسة، فدلالة الحرف قد تتغير إلى دلالة حرف آخر، ودلالة الأداة قد
 تتغير إلى دلالة أداة أخرى وقال - معابير دلالية تنظم وفنها الحروف التي عدت في تراثا المعرفي حقلاً أنشياً
 يغطي مجالات شتى من المفاهيم تتعلق بصيغة الحدث وزمانه وهيأته، كما تتعلق بالسند إليه وبدلالة الخطاب
 بحسب نسقه"^(٤). والأمثلة على ذلك كثيرة، ولتقف عند تعليق المرزوقي على (إلى) في قول خلف بن خليفة: (الطويل)
 غننت إلى فخر الغنيرة والهوى إليهم وفي تعداد نجدهم شغل
 "والمعنى: وهوي معهم لأن إلى بمعنى مع ، كما يقال هذا إلى ذاك"^(٥).

ومثله قول قيس بن الخطيم:
 ولا يظنني الخريص غني بحرص وقد ينبي إلي الجود الثراء
 "وقوله (إلى الجود) إلى بمعنى مع"^(٦).

ومما استعملت فيه (عن) بمعنى (بعد) قول زُرعة بن عمرو:

(الوافر)

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٤٢ / ٣).
 (٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جمالية (٧٠٦)، (١٦١٨ ، ١٦١٦ / ٢).
 (٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١٤٢ / ١).
 (٤) منظور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومنهجه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتف العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ٢٠٤.
 (٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جمالية (٧١٥)، (١٦٦٨ / ٢).
 (٦) نعمة، جمالية (٤٤٤)، (١١٨٨ ، ١١٨٩ / ٢).

وتزييتي الصفيح إلى مضاف وثأميلي هـ لا غن هـ لا

"وقوله وتأميلي هـ لا عن هـ لا، أي بعد هـ لا. ومما جاء فيه عن معنى بعد قولهم: سادوك كبراً عن كاره، لأن معناه كبيراً بعد كبير. والمراد: شغله أمه بما يتاح له في مؤتلف الأيام من الخير، والتمكن من المراد"^(١).

ويكثر استناد الشراح على الدلالة بقصد تحديد موضع تعلق الحرف بغيره، كما في قول الأرقط بن رعل

بن كليب العنري: (الطويل)

يَنلُودُ أَنسَامِي لَوْدَةً بِثَنَاتِيهِ وَتَزِيَّتِي عَنَّا نَبَغَةُ وَيَنَاتِي

"إنهاء في بنية تعلق يلود ولا يجوز أن تعلق بلودة لأن الفعل والمصدر إذا احتمعا فالعمل بالعمل أولى"^(٢).

عند الشراح في إطار سعيهم إلى تحقيق التلازم والانسجام بين اللفظ والمعنى إلى ربط المقام بالمقل،

إضافة إلى فضاء الإتيان والملابس الحافة بإنشاء القول، فعنبة بن بجير الحارثي في قوله: (الطويل)

فَقَامَ أَبَوْضَيْبٌ كَرِيمٌ كَأَنَّهُ وَقَدْ جَدَّ مِنْ فَرْطِ الْفَخَاةِ مَارِخُ إِلَى جَنِّ مَالٍ قَدْ تَهَنَّنَا سَوَانَةُ وَأَعْرَاضُنَا قَبِيصُهُ بِسَوَائِي صَحَائِخُ

نجد "قوله إلى جذم ما تعلق إلى بقام، ويريد بالقيام غير الذي هو ضد القعود، وإنما يريد به الاشتغال له بما

يؤنسه ويرحب منزله ويطيب قلبه. على ذلك قوله تعالى: "إذا قمتم إلى الصلاة"، لأنه لم يرد انقياس المضند للقعود، بل أراد التهيز والتشمر له"^(٣).

كما نحدددهم ومعنون - أحياناً - في إطار سعيهم لتحقيق التلازم بين اللفظ والمعنى إلى ذكر وجه

الخصوصية في اختيار هذا اللفظ أو ذاك دون غيره مع التعليل، وكذلك تنبيههم على تلك الألفاظ والتراكيب التي لم يوفق الشعراء في وضعها ضمن سياقها المنسب الذي يقتضيه المعنى والأسلوب، وهو ما قد أشرنا إليه سابقاً أثناء الحديث عن نقد لغة شعراء الحماسة وتذوقها^(٤).

يرتبط بذلك المملك شروع الشراح في إيذاء أرائهم واقتراحاتهم في كل ما من شأنه يحقق جودة المعنى

وانتظامه، سواء أكل هذا بالإضافة أو الحذف. فكبد الحصاة المعجلي في قوله: (الوافر)

أَلَا هَـنَاكَ الْفَتَحُ مَرُّ الْهَامِ تَرَاحَتْ خَوَائِي الْخَيْلِي وَالْخُصِي الْخَرِيضُ

"وصفه بأنه كان يبعد الغزو فلا يبقى على الخيل وأن حقيقت وحى حريد أي منفرد ... وقال لو هـ لا حوافي

الخيل التي كان يحفيها لكثرة غزوه عليها، والحيد هنا حقيقات الخيل مخففة من حفي يحفي فهو حف إذا أعتك حاتره من كثرة السير، والحالي خلاف الساطل وليس له هنا موضع لأن خيل العرب لم تكن تتعل فيقال أن هنا للرجل وحده

(١) الشرواني، شرح ديوان الحماسة (٧٧٦)، (٢ / ١٧٣٦، ١٧٣٧)، (١)

(٢) الشرواني، شرح ديوان الحماسة (١١٢ / ٢)

(٣) الشرواني، شرح ديوان الحماسة (حماسة) (٦٧٥)، (٢ / ١٥٦٠، ١٥٦١)، (١)

(٤) انظر ما سبق في نقد لغة شعراء الحماسة وتذوقها

كان يحفي خيله لكثرة اشتغاله عن أسعائها أو لغير ذلك من الأسباب. والحريد المنفرد لو لم يقل الحريد كان أحمود للوصف لأنه لم يغز للمنفرد من الأحياء إلا لمجزءه عن مجتمع الناس ...^(١)

ونراهم في أثناء ذلك يسلطون الضوء على جانب مهم من جوانب تحقيق التلاوم بين اللفظ والمعنى، ألا وهو مشكلة اللفظ للمعنى، وليس المقصود بالمعنى هنا الموضوع له اللفظ بل العرض المفاد من اللفظ التركيبي، "فالمراد أن العرض الشريف يتناسبه الألفاظ الموضوعية لمعان حميدة، وأن العرض الخسيس يتناسبه الألفاظ الموضوعية للمعاني الخسيسة سواء كانت المعاني حقيقية أم كفت مجازية ومستعارة: فمقام المديح والثناء مثلا يناسبه المعاني الحميدة، ومقام الهجاء يتناسبه المعاني الذميمة"^(٢)، وهذا ما اقتضاه قول المرزوقي فيما يلي بعبارة مشكلة اللفظ للمعنى "وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني قد دخل الأخص للأخص، والأخص للأخص، فهو البريء من العيب"^(٣).

وقد التفت الشراح إلى ذلك ونهوا عنه، ونرى منهم من أبان عن معياره الذي ينظم مسلكه بالقول "وعبار مشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقفائية بطول الترتبة وهوام المدارسة، فإذا حكنا نحن التباس بعضها ببعضها لا حقاء في خللها ولا بؤ، ولا زيادة فيها ولا قصور. وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني قد دخل الأخص للأخص، والأخص للأخص، فهو البريء من العيب"^(٤).

والمرزوقي من أكثر الشراح الذين مساوا هذا الجانب في أشعار الحماسة، وأشاروا إليه، وكشفوا عنه، أثناء تناولهم أشعار الحماسة بالتفسير، ونظرة متفنية للشرح تجعل من اليسر أن نعرف على تلك المواطن التي نبه فيها الشراح على هذا الجانب، وإن كفت قاصرة - على كثرتها قولنا لغيره من الشراح - عن الإحاطة بكل ما في أشعار الحماسة من مواضع تلم بهذا الجانب.

ومن الأمثلة التي تؤيد ما أسلفناه ما عطف به المرزوقي على بيت الهذلول بن كعب العبدي حين رثاه امرأته بطحن للأضياف، فقالت: أهذا بعلي؟! (الطول)

وإني لأشعري الخشيد أبقي زناخة . وأثرك فرتي وهو خزيان ثاجن

بالقول: "ولما استعمل الشري في اكتساب الحمد مجالياً للمعنى، استعمل الريح فيما يسبب منه وينتج. على ما يعود في المتلجر، ويتطلب من البياعلة ..."^(٥).

ومنها أيضاً تعقيبه على بيت أنيف بن حكيم التيهقي: (الطول)

ولما غصبتنا بالمتوقف تظفث . وماتل كاتت فبل سلما جبالها

(١) شبريري: شرح ديوان الحماسة: (٣ / ٥٣).
(٢) محمد الطاهر في عتور: شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة، ص ٧٩.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: المقدمة، ص ١١.
(٤) نفسه: المقدمة، ص ١١.
(٥) نفسه: حماسة (٢٣٩) - (١ / ٧٠٠).

"جعل اثبات الوسط والانتفاع الأواخي عند استعمال السيوف لأن الأمر يشكك عنده، والقاع يكثف معه. ولهذا لما استوصف عمرو بن معد يكرب بأواع السلاح قل في السيف: عنده تشكل الأمهات. وقوله: كفت قبل سماً جبالها، يريد به أن جبال تلك الوسط كفت مقتولة على الصلح فتقطعت باستعمال السيوف، لأن كلاً منها صار وقرأ وموتوراً، فسقط الملامة من بينهم" (١).

وقد أولى الشراح - كذلك - جتنب منسية المستعار منه للمستعار له شطراً من اهتمامهم مثلاً أولوا حلف مشكلة اللفظ للمعنى، وخصوه بجزء من عنايتهم، ولما لا وهو يرتبط بربط وشج بالمعنى، وما يتبعه من دلالات. فالمراد بالمناسبة هنا قوة التشبيه، وهي تعد من الأسس المهمة - إلى جتنب مشكلة اللفظ للمعنى - التي بني عليها عود الشعر عند العرب، وعبارها كما يقول المرزوقي: "الذهن والفتنة وملاك الأمر" تقريباً التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشي به، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له" (٢).

وهو ما يدفع بعض الشراح - أحياناً - بالتنبية عليها، إذا أغفلها الشاعر ولم يلتزم بها، كما في قول أبي القعقاع الأسدي:

منفياً بظلمتك بالفشيبي وبالضحى وإن يزد ما نك والميضاه خبيم
... والظل يكون للشجرة وغيرها بالعداء والفرج بالعيشى، فكان في الواجب أن يقول: سقيا لظلك بالعداء، وليتك بالعيشى. ألا ترى قول الآخر:

فلا الظل من يزد الضحى تستطبعة ولا الفيه من يزد العيشى ثلوى
إلا أنه سمى الفيه ظلاً لتشابههما في منظر العين والغناء. فلما تساوى وأجرى عليهما معاً لفظة الظل، وكان الواو يولد الجمع من دون الترتيب - لم يبال أن يقول بالعيشى والضحى، فيقدم بالعيشى، وإن كان الظل يليق بأن يليق بالضحى لو جرد. ولم يشبه هذا قول الفاعل: فلان أشعر الجن والإنس، لتركه فيما تقدمه من المعطوف والمعطوف عليه طلب المطابقة والموافقة. ألا ترى أن الوجه في هذا أن يقال: فلان أشعر الجن والإنس والجن ليصح لفظ الأول، ويضاف أشعر إلى ما هو بعضه ثم يجيء الثاني؛ وأن قولك: سقياً لظلك وقد نوبت إجراء الظل للفيه أيضاً صار حكمه حكم اللفظة الموضوعية لشئيين، فإذا كان كذلك فأيهما أوليته من العيشى والضحى فقد وقع إلى جنب ما يطبقه ويوافق. فإن قيل: لو سلم لك ما نقوله وتدعيه من الاستعارة لما سلم الكلام المتنازع من أنه جاء على غير حده، وذاك أن الظل يكون في الضحى حقيقة طالعجاز. قلت: إن الظل فيما حكاه الخليل ضد الضحى، وقيل: أفاء الظل ونبأ. وفي القرآن: "يتنبا ظلاله عن اليمين والشمائل"، فهو ظل قبل التنفيذ وبعده، وإنما نسخة للشمس هو الذي صار به فينا، وإذا كان كذلك لم يكن من باب ما يكون حقيقة في شيء، ومجازاً في آخر. وهذا بين" (٣).

(١) اللحيدي: شرح ديوان العمدة - حلبية (١٣٢)، (١/ ١٧٣).

(٢) نسخة السبعة، من ١٠، ١١.

(٣) نسخة - حلبية (١٣٨)، (٢/ ١٣٧٧، ١٣٧٨).

وهو ما أكد عليه ابن جني بقوله: "انظر للشحرة وغيرها بالفداء، والغيء بالمعنى، فقد كان يجب على هذا أن يقول سقيا لغيئك بالمعنى، ولذلك بالضحى فيقيم في أول كلامه ما يطابقه، ويتأول لخلاف الثاني الآتي من بعده ليكون في ذلك كقولهم: فلان أشعر الإنسان والحن، فننقم ذكر الإنسان لتطابق فلانا أعني زيذا أو جعفرا أو نحو ذلك ثم يأتي الثاني وقد صح لفظ الأول"^(١).

وإذا نظرنا في الشروح وجدنا اهتمام الشراح الكبير بالجانب النحوي وربطه بالمعنى، فنراهم يولونه عناية كبرى حتى لوعد من أبرز المحالات التي جالوا فيها.

فالشراح في إسهامه في هذا الجانب "لا يفت عند حد التراث الموروث، بل يتسع لعنيت أرائه الخاصة واجتهاداته، خاصة حين يتسدى للأمور التي تحتاج إلى تحويز أمور لم يستطع السابقون الوصول إلى توصيحها، أو تعليلها"^(٢).

وهو ما يدل دلالة واسعة على أن النحو كان أحد الأعمدة الرئيسة التي ارتكبن إليها الشراح في شرحهم، وهو ما يؤثر في المعنى تأثيرا مباثرا.

حيث نجد الشراح يقولون على هذا الجانب في الكشف عن دلالة بعض المعنى، وكذلك قد يقولون على المعنى في تحديد الوجه الإعرابي لبعض المفردات، فالعلاقة بينهما قوية رصينة يؤثر كل منهما في الآخر، ويتأثر به.

فمن المواضع التي تعرض لها الشراح - أثناء إضاءة هذا الجانب - لتوضيح مواضع الكلام، وتحديد محلها من الإعراب، بناء على دلالة المعنى والسباق الواردة فيه، كلمة (مُنِيَّة) في بيت آخر: (البيط)

تَرْكَبْتُ ضَرْبِي تَكُونُ الدُّنْبُ رَاجِعِيهَا وَالْهِيَ لَا تَرَابِي أَخْبِرُ الْأَنْبِيَا
الضُّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدُّفْرِ وَاجِدَةٌ وَكُلُّ تَكُونُ تَرَابِي مُنْبِيَّةٌ يَنْبِي

"... ومنية بيدي نصب على الحال أي ترابي حاملاً مدية لها وإن شئت رويت منية ويكون بدلاً من المضمر في تراتي وهذا البتل هو بدل الاشتغال أي ترى منية بيدي فلما وجه الرفع فالضمير الذي في بيدي يحذف عن الواو المعلقة للجمال بما بعدها وهي صفت أو أحوال لأن الضمير يعلق كما يعلق المعطف ومن الوجه الثاني وهو البتل قول لله تعالى: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" وقال أبو العلاء منية الأجود فيها الرفع على الابتداء ويكون ما بعدها في موضع حال لأن الرؤية هنا رؤية العين والفعل يكتفي بالاسم الأول"^(٣).

وما حدثوا فيه المعنى تبعاً لاحتمالات الإعراب، إعراب كلمة (قضاء) في قول سعد بن ناشب: (الطويل)

مَنْ أَغْمَلُ عَيْسِي الْعَازِ بِالْمُنْبِي جَالِيَا شَفِي قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِيَا
"أصل القضاء الحتم ثم يتوسع فيه فيقال قضى قضائك أي فرغ من أمرك فاستعمل في معنى الفراغ من الشيء، ويروي قضاء الله وقضاء الله بالرفع والنصب، فإذا رفعت فله يكون فاعلاً لجالبا علي وما كان جالبا في

(١) ابن جني: انتبه على شكل لبيت المعجمة: ص ٣٢٨، حاشية (٢١٧).

(٢) د. محمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج شراح (١٧٢ / ٢).

(٣) الشريفي: نوح ديوان المعجمة: (٦٣ / ٤).

الفضايا النقيية ===== للفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== المعنى

موضع مفعول ويكون التقضاء بمعنى الحكم. والتقدير: سأعمل العار عن نفسي باستعمال السيف في الإغناء في حل جلب حكم الله على الشيء الذي يجلبه، وإذا نصبت القضاء فله يكون مفعولاً لجالباً وفاعله ما كان جالباً ويكون التقضاء الموت المحترم، كما يقال للمصيد الصيد وللمخلوق الخلق، والمعنى: جالباً على الموت حاله^(١).

ومن خلال ما سبق يمكن التوصل إلى الأسس والمعايير التي وجه بها الشراح الإعراب والمعنى، وفق علاقة التثنية والتأني بينهما، أهمها:

أ - صحة المعنى^(٢)، كما في قول الكروبر بن زيد: (الطويل)
أَلَا لَيْتَ خَطِّي مِنْ غَطَابِكَ أَتْبَسِي غَلَبْتُ وَزَادَ الزُّنْجُ مَا أَتَتْ صَنَائِعُ
"يقول: تمنيت أن يكون الذي حظيت بهمن عطيتك لي أسي علمت وأنا وراء الرمل ما أنت صلته وقد تمت عليك. فتقوله وراء الرمل ظرف لعلمت، وأنتي علمت خبر ليت، كقوله ود أن يكون بدل حظه من العطاء علمه بما يفعله، فكان اختياره بحسبه. ولا يحور أن يكون وراء الرمل يتعلق بصنيع، لأنك إن جعلت ما موصولاً فالصلة لا تتقم هي على الموصول. ولا شيء مما يتعلق بها. وإن جعلت ما موصولاً فالصفة لا تتقم على الموصوف ولا ما يتعلق بها، وإن جعلت ما استهتاهما فما بعد الاستهتاهما لا يعمل فيما قبله. وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلقه به على الوجود كلها، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى، فالصحيح ما قدمته"^(٣).

ب - إجادة المعنى، كما في قول سويد المرادي الحارثي: (الطويل)
لَعَنِي لَقَدْ نَادَى بِأَزْفَعِ صَوْتِهِ نَعِي سَوِيْدِي فَاَرِنَاكُمْ هَوِي
أَجَلْ صَنَائِعًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالِ قَوْلًا أَتَبَيَّنَ الْغَايَةُ فِي الثَّنَى
"وقوله "إن" صاحبكم، أراد بأن صاحبكم، فحنف الباء ووصل للفاعل. ولتصب صافياً على الحال، والعامل فيه ما دل عليه الكلام من معنى قلت. والفاعل الفاعل عطفه على صاحبكم، ويجوز أن ترفعه، كقوله قال: وهو التقليل الفاعل؛ والنصب أحسن وأحوط ... لأن هذا العطف لا يكون إلا على صاحبكم. فكقوله صدقه في الأمرين جميعاً، وزاده من بعد ما زاده"^(٤).

ج - الالتزام النحوي^(٥)، فـ "العلاقات الإعرابية هي حُسْرٌ إلى الفهم وتحديد المقاصد، بل إننا نزع أن المعنى المعجمي للكلمة لا يتيح فهم المقاصد إلا إذا انخرطت الكلمة في سلك النظم واتخذت لها وظيفة معينة"^(٦)، لها هو المروفي يرد رأى بني تميم في إعراب كلمة (جيد) في قول زياد بن حمل، قبل زياد بن منقذ: (البسيط)
لَيْسَتْ غَلَبَتُهُمْ إِذَا يَغْلِبُونَ أَرْبَابَهُ إِلَّا جَيْشًا ذُو قَبِيضٍ الثَّبَاعِ وَاللُّجُمِ

(١) انشوريز: شرح ديوان العنبر (٣٥ / ١).

(٢) داهمطلي: علون توارثت للتدريس الأسس: ١٣٨-١٤٢.

(٣) المروفي: شرح ديوان العنبر (٢ / ١٤٨٨).

(٤) منسقة محلي (٢٧٤)، (١ / ١٤٠).

(٥) داهمطلي: علون توارثت للتدريس الأسس: ١٣٨-١٤٢.

(٦) داهمطلي: شرح قصص العرب، ص ٧٤.

"وقوله إلا جيد رفعه والوجه الجيد النصب، لأنه منقطع مما قبله، لكن بني تعميم يرفعون مثل هذا على البذل. وهذا يشبه بدل الغلط لهذا ضعف في الإعراب"^(١).

فهذا ميل واضح من الشراح إلى رأي حمبور من النحويين القائل بأفضلية النصب مع جواز الرفع على البلية، على اعتبار أن المستثنى المنقطع بعد "إلا" إنما هو منصوب بعامل قبلها؛ شأنه في هذا شأن المستثنى المتصل. فما بعد "إلا" عند سيبويه - مفرد سواء أكان متصلاً أم منقطعاً - وهي بمعنى: "لكن" العاطفة التي لا يقع المعطوف بها إلا مفرداً، غير أن "إلا" ليست حرف عطف"^(٢).

هـ - سباق النص ووحدة الأسلوب^(٣):

كما في قول عمرو بن مخلد الكلبي:
طعنا زياداً في أمته وهو منفر
وثور أصابته السيوف القواطع
"وقوله وثور أصابته السيوف القواطع، رفع ثوراً لأن الفعل بعده شغل عنه، وإن نصبه طلباً للمطلقة إذ كان في الجملة التي قبله منصوب كان أحسن"^(٤).

يبدو أن اهتمام الشراح بالترافق بين النحو من جانب والمعنى من جانب آخر، لم يكن ليكتف عند حدود الإعراب، بل كان الأمر يتطرق بهم - أحياناً - للدخول في بعض المسائل النحوية واللغوية، زيادة في توطيد هذه العلاقة المتبادلة بين الجنبين، وذكر ما تشتمل عليه من معلومات تفيد القارئ؛ لأنهم لا يقتنعون إلا بما يزيد الأمر وضوحاً وتوضيحاً.

وإذا نظرنا إلى اهتمامهم بهذا، وجدناه يرتكز إلى مبادئ ومفاهيم رئيسة منها^(٥):

- التعريف والتكثير، كما يتضح في قول آخر:
فأزمنني خنفاً وأزمنني خنفاً
وأزمنني خنفاً كان كاسية الأكل

"وقوله كان كاسية أكل جعل النكرة اسم كان، والمعرفة خبراً، وإبهام الحاصل من التكثير في هذا الموضع لبلغ في المعنى الممتد"^(٦).

فقد اكتسب التكثير بلاغة للمعنى، وزاد في تفسير مكنون البيت إيضاحاً، فهو في هذا السياق لحدود وبلغ من التعريف.

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصمدية: (١٤٠٢/٢).

(٢) عيسى حسن: النحو الوافي: دار المعارف بمصر، ط٢، (٢/٢٣٢)، ونشر كذلك: (٢/٢٢٠) وما بعدها.

(٣) د. السيد حمدان: القضايا البلاغية والنقدية في شروح لتمام على شعر أبي العلاء، ص ٢٧٨.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢١٤)، (١/٦٤٨).

(٥) أنظر: السيد حمدان: قضايا البلاغة والتقنية في شروح لتمام على شعر أبي العلاء، ص ٣٢٩، ٢٨٣. المنتصر فقه خلافتها وفتاوتها.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٦٦)، (٢/١٥٦٨).

وقد يتسلى التعريف والتفكير في الفكرة التي تعود على أداء المعنى المراد والدلالة عليه، كما في قول

علتكة بنت عبد المطلب: (محزوه الكامل)

سَلَّابِيْ بِنَا لِمَا لَمِيْ قَوْمِيْ وَأَلَيْكَفٍ مِّنْ مِّنْ مِّنَاغَةٍ

"أبلى قيل: لم نكر قوله من شر، والذي يومي إليه يجب أن يكون معروفاً مشهوراً؟ قلت: إن لفظة المنكر مثل لفظة المعروف في مثل هذا الممكن، ألا ترى أنك تقول: فلان بلس حراً وقزاً والخز والنر، فلا يختلف المفهوم بينهما"^(١).

- الوشاحج بين كلمات الأبيات ويربط تلك بالمعنى، فقد وجدنا في شروحاتهم حديثاً عن الروابط والألفاظ التي تعتمد من الترابط والتلازم بين مكونات البيت الشعري على اختلاف عناصره داخل السياق.

فراهم يستحسنون كثيراً من التراكم التي استخدمها الشاعر بلفظ خدمة للمعنى، ووفقاً للسياق الواردة فيه، مثل استخدام شاعر الحماسة (جعفر ابن عتبة الحارثي) حرف العطف (ثم)، وتمييزهم بين دلالاته في عطف كلمة على كلمة، وبين دلالاته في عطف جملة على جملة، وورد في إكساب بيت شاعر الحماسة التالي صنعة شعرية، ووداء لمعوي له معنى ومغزى، حيث يقول:

لَا يَخْشِفُ الْفُتَاءُ إِلَّا إِيَّاهُ خَوْفٌ وَنَرَى غَضَبَاتِ السُّبُوتِ ثُمَّ يُزَوِّفُهَا

"أبلى قيل: لم عطف الربابة على رؤية الغمرات بحرف المهلة، وهلا جعلها عقيب الزينة؟ قلت: إن "ثم" وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على تراخي قبله في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك. ألا ترى قوله عز وجل: "وما أدراك ما العتبة، فك ربة، أو إبطاعاً في يوم ذي مسغبة، يتبما ذا مقربة، أو مسكيناً ذا مقربة، ثم كان من الذين آمنوا". ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عدده وذكره"^(٢).

- ومن الموضوعات الجوهرية التي سلقها الشراح بين شأيا شرحهم على الشعر، وتبرز مدى اهتمامهم

بالتلغة وربطها بالمعنى، "موضوع التصغير" وتبنيهم على بعض مواضع استخدام شعراء الحماسة للغة في

التصغير، وأثره في المعنى، من ذلك تصغير (إرواد) في قول ودان بن نمير المازني:

زَوِّدَا بَيْتِي شَبِيَّانَ يَغْضَنُ وَجْهِيْكُمْ ثَلَاثُوا غَدَا خَوْلِي عَلَى مَنْفَرَانِ (الطويل)

"رويدا: تصغير إرواد، وهو مصدر أرودت فلاناً، على طريق الترخيم، واتصل به بفعل مضمر دل عليه

لفظه، وأكثر ما يحى تصغير الترخيم بحىء في الأعلام، وقد يجعل رويداً اسماً لارفاق، فيبنى حينئذ كما ينسب

أخواته من أسماء الأفعال على ذلك ما جاء في المثال من قولهم: رويدا يعلون الجدد. وقد تزايد كثف الخطاب عليه

فيقال: رويدك، على ذلك قولهم: رويدك الشعر بغث وقوله: بعض وعينكم انتصب بفعل مضمر دل عليه رويد، لأن مع

استعمال اللفظ كفاً عن بعض الوجد، فكأنه لما قال أروداً يا بني شيبان قال: كنوا بعض الوعد. وهذا تهكم ومسخرة"^(٣).

(١) الشروقي، شرح ديوان الحماسة، حلبية (٢٥٠)، (١/٧٤١).

(٢) نفسه حلبية (٥)، (١/٥٠٠).

(٣) نفسه حلبية (١٧)، (١/١٢٧).

- أضف إلى ذلك أنهم كتبتوا أثناء تحليلاتهم النحوية تلك، وعلاقتها بالمعنى، تراهم يمزجون الجلب البلاغي بها، ويوضحون أثر ذلك في أداء المعنى، ومدى توفيق الشاعر أو مخالفته في الوفاء به، فيحتمسون ما وافق ذلك، ويحيون على ما خلفه، من مثل حديثهم عن العلاقة بين ترتيب الجموع وبين دلالة السياق الواردة فيه، فمراعاة الشاعر لترتيبه الجموع من الأدنى إلى الأعلى بلاغة، استوجب استعنتهم لبنت مطيع بن أبيه: (المنسرح)
يا أهل! تكسوا بقبسي القرح وللذنوع السواكب السطج

وهذا ما نلاحظه من قول الشاعر: " قوله السواكب جمع ساكبة، ووصف الذنوع به على معنى ذات كسوب، كما قيل عثوث ناصب، أي ذو نصب على النسبة، والسفع: جمع سفوح، والسكب والسفع يراد بهما الصب إلا أن السفع يبلغ من السكب، لذلك ارتقى من السواكب إليه. وحكى الخليل أن أهل المدينة يقولون: اسكب على يدي. ويقال رجل سفاخ للسماء، ولم يقل سكب، لأن السكب لا يبلغ حد السفع " (١).

فمراعاة ترتيب المعرور ها بهذه الصيغة ممكن في دلالاته على المعنى الذي ينبغي البيت وسبقه بكلفة مكوناته.

- أما المسائل الصرفية، فقد توقف أمامها الشراح، وكشفوا عن دورها وأثرها في شرح المعنى؛ فنجد منهم من "يحرص دائما على ذكر الميزان الصرفي للفظ بل يحمله حملا، ويقبله تقليدا، ذاكرا معناه في كل موضع .. وكيف شئت، وبم قيس، وكيف عومل إلى آخر هذه الأمور" (٢).

ومن هنا وجدنا بعضهم يمرض لصيغتي (فعل)، و(لعل) ودلالاتيهما (٣)، وكذلك صيغ المبالغة، والمصادر (٤)، وجواز استخدام مصدر بمعنى مصدر آخر (٥) بغرض المبالغة في المعنى، إلى غير ذلك من المسائل.

- ولم يفت الشراح - إلى جانب ما تقدم - التنبيه على وضع الكلام وترتيبه، وانتظامه، وتلخيص أجزاءه في الهيكل الأساسي للبناء النحوي، وفقا للمعنى، ومن ذلك تعليقاتهم على التقسيم والتلخيص وأثره في المعنى، فتراهم استحسنونه في مواضع، وعابوه في مواضع أخرى.

فمن المواضع التي استحسنوها فيها، ما نلاحظه في بيت الأثير النخعي: (الكامل)
غـيـلا كـلـتـي الـمـمـغـالـي شـمـزها تـفـتـو بـيـضـي لـي الـكـريـهـة شـمـوس

"تبه الخيل في ضميرها وسرعة نفاذها بالجن ... والمعنى: خيلا تشبه السحالي في حل شزوبها وضميرها. وقوله: تعدو ببيض شمره، إما لقوله شزبا، وإما للأول تعدو برجل كرام، متكررين في الحرب، ذوي أنفة. وإذا جمع بين مفردات وجعل في الوصف، فلترتيب المختار تقديم المفردات على الجمل، وقد جاء البيت على ذلك" (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٧٨)، (١ / ٨٥١).
(٢) دالمند حمل الصري: شرح الشعر الجاهلي، منابع الشراح (٢ / ١٦٣).
(٣) تنذر - على سبيل المثال - في صيغة (فعل) ودلالاتها: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧٠)، (١ / ٢٥٨). وفي صيغة (فعل): حماسة (٢٥٨)، (١ / ٧٦٩)، وحماسة (٤٧٦)، (٢ / ١٢٥٩).
(٤) قطر - على سبيل المثال - نفسه: حماسة (٩٠)، (١ / ٢٩١، ٢٩٥).
(٥) لشر - على سبيل المثال - نفسه: حماسة (٢٨٠)، (١ / ٨٥٦، ٨٥٧)، حيث يقول معلقا على قول الأثير السلمي: (الموزيل)
وما كنت كربي مما فواتك من كلب وما كنت كربي مما فواتك من كلب
كلمة مصدرا بمعنى اضل أو يضل.
(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٥)، (١ / ١٥٠).

أما المواضيع التي لم يستحسنوا فيها التقديم والتأخير، وأخفوا فيها على الشاعر، فمنها قول الفضل بن الأخرس بن هبيرة الضبي:

ألا أيها ذا الثأبِخ السبيبة أنثى على تأنيبها مستعمل من ذنوبها
ذبح السبذان السبيذ كانت قبيلة ثقاتي يوم السزوع نون بمالها
على ذاك ذو أنثى فسمي زكينة شجذ فؤي أمبابها نون ما بها

"قال أبو هلال: تم وأخر وإساء، ووجه الكلام أن يقول: ألا أيها ذا النبح السيد دعها فبها كفت قبيلة تحوط حريمها وأنى مع منعها وحزتها مستقبل من ورائها أيضاً وهي على ذلك تؤذ لي الهلاك وتغني العوائل"^(١).

إن اعتناء الشراح إذا بالمعنى البلاغية للتقديم والتأخير، كان يقدر اعتنائهم بالظاهرة من جهة نحوية، فتراسة الشراح للبلاغة الكلمة في التقديم والتأخير إنما تعود إلى دراسة التركيب النحوي وفهم المعنى الدلالي للنصوص الشعرية، وهذا يتعلق بالبلاغة نسياء وجعلوا من التزام الشاعر سياق البيت ونظمه، ومراعاة ترتيب نمقه معياراً للاستحسان أو الاستقاح، فما وافق سياق الكلام وراعى ترتيب أجزاء البيت نال استحسانهم، وما خالفه لم يزل القول منهم.

وهكذا ندرك مدى العناية التي أولاها الشراح لعنصري اللفظ والمعنى ومدى التلازم بينهما، وشحذ جل طاقتهما لتحقيق هذا الانسجام والتوافق، وفق معيار وأسس ميروا بها بين الخبيث والطيب من المعاني، أهمها مما تدللت الإشارة إليه: صحة المعنى، إيجازته، الالتزام النحوي، ... إلخ.

ومما تقدم يتضح لنا مدى احتمال الشراح بقضية اللفظ والمعنى، تلك القضية التي كانت ولا تزال تشغل حيزاً من اهتمام القاد حتى الآن، فلهبوا في تناولها، وعرضوا من جوانبها المختلفة.

أما اللفظ فقد تعرض الشراح أثناء تناوله بالتحليل إلى تعزيز تفسيره بتوجيهه والتأويل، وتأصيله وما طرأ عليه من تحيرات، ومعالير وأسس تقديم بعض الألفظ على بعض .. إلخ.

وأما المعنى فنال ما نال اللفظ من الاهتمام والرعاية، فشرعوا في توضيحه وتعمقه وتقديمه، والمعايير والأسس التي تميز معنى عن آخر، وما أصاب الشعراء في تناوله من معان وما لخطأوا فيه .. إلخ.

ثم ربطوا بعد ذلك بين اللفظ والمعنى برباط وشيخ، قوامه الإبداع، وسعوا من خلاله إلى تحقيق التلازم والتكامل بينهما، وكل هنا عبر فنية وحكمة ودراية أظهرها الشراح خلال تناولهم للنصوص الشعرية، فلبتوا عن فهم ثقب، واستجلاء لما يرمي إليه مصطلح "عمود الشعر" عند العرب، ينبى عن امتتاع دقيق، وحس بقدي مرهف.

(١) الشنبري: شرح ديوان الحماسة (٢ / ٧٢)، وقطر المروني: شرح ديوان الحماسة: حلبية (١٩١) (١ / ٥٨٨).

الفصل الثاني: قضية الأخذ الأبوي

obeikandi.com

الفصل الثاني: قضية الأخذ الأدبي

ترتبط قضية السرقة - أو ما يمكن تسميته بـ "الأخذ الأدبي" - ارتباطاً وثيقاً بقضية اللفظ والمعنى؛ لأنها تقوم عليها، وتعد امتداداً لها. وهي من القضايا المهمة التي انشغل بها الأدباء، لقترات طويلة "حتى لقد كان شاعريون يتناحلون أو يتكبرون من أين أخذ هذا الشاعر معناه، من سبقه إليه، ومن منهما أجاد، الشاعر أشيع أم المتبوع" (١)، وهي من المسائل الخطيرة كذلك "لأنها شغلت النقاد من العرب أكثر مما شغلتهن أمة مسألة أخرى فحسب، وخاصة منذ ظهور أبي تمام وقيام الخصومة حوله - بل لأنها أيضاً تتناول أهم ما تسعى إلى معرفته الدراسات الأدبية ألا وهو أصالة كل شاعر أو كاتب . ومبلغ دينه نحو من سبقه أو عاصره من الشعراء والكُتّاب" (٢).

والسرقة لفظاً من "سرق الشيء سرقاً: خفي، والسرقة: الأخذ بخفية، واسترق السمع أي استرق مستخفياً، والسارق: من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ منه ما ليس له" (٣)، أما اصطلاحاً فهي "احتيل الأدباء للإفادة من إبداع من تقدمهم، من غير الإشارة إلى مبدعيه، أو نسبته إلى قائله" (٤).

وقضية السرقة "ذات حضور جاهلي، وتقاليم إسلامي. ونشأ النقد المنهجي ليستصحب معه المفهوم الجاهلي بالمصطلحات الإسلامية. أما المفهوم الجاهلي فكان يرى في الظاهرة أمراً طبيعياً في الإبداع. وأما المصطلح الإسلامي فكان يتراوح بين مصطلح عنيف كالسرقة والغصب، وآخر هادئ كالأخذ. وغلب على النقد المنهجي مصطلح الأخذ، أو فهم السرقة بمعنى الأخذ" (٥)، وهو ما أثرتنا الإكثار عليه للتعبير عن هذه القضية، إلى جانب أسباب أخرى ستوضح أثناء للبحث.

والسرقة "ذات قديم، وعيب عتيق" (٦)، وهي "قلم مشترك بين الشرق والغرب، رمي بها جرير والفرزدق والأحطل وأبو نواس والبحتري وأبو تميم والمتنبّي، وألصقت بهيرونيس وأرسطوفان وسوفوكليس ومنند وتيرنس، بل إن أندا كامالا هو الأئيب اللاتيني قد اتهم بله سرقة واسعة من الأدب اليوناني" (٧).

وقد تكون السرقة في اللفظ أو في المعنى، أو في كليهما، إلا أن النقاد قد أولوا سرقة المعنى جل رعايتهم واهتمامهم، فهي "أكبر خطراً من المخذ لللفظية، لأنها تدل حقيقة على مدى ابتداع الشاعر وقرنته على التخيل، والتصرف في معاني الشعر، معتمداً أو غير معتمد على غيره" (٨)؛ مما دفعهم إلى البحث في أصول المعاني، ومن السابق إليها المبتدع لها ومن اللاحق المقلد؛ لذلك راح النقاد الجرجاني يقسم المعاني إلى معاني عامة مشتركة يجوز تداولها، وحلصة وهي التي يمكن أن يدعى فيها السرقة (٩)، وهو ما تمايزت آراء النقاد فيه، فمنهم من

(١) د.العربي حسن درويش: النقد العربي القديم، ص ٢٣١.

(٢) د.محمد منور: النقد المنهجي عند العرب، موهج البحث في الأدب والنظم، مترجم عن الأستاذين لانس وإلي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٣٥٧.

(٣) أنظر: ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد لحد حسب نق، د.عبد محمد الشافعي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦ م، ح ٢ (سرق).

(٤) أنظر: مدني وهبة، وكمل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٩٩، وديودي ضفة، معجم البلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢ م، ص ٣٣٦.

(٥) مدني أحمد توفيق، مفهوم الإبداع لدى في النقد العربي القديم، ص ٣٢٢.

(٦) لقصى الجرجاني: الوسيلة، ص ٢١٤.

(٧) د.عبد محمد عز الدين فتيلة: لتد الأدبي في المغرب العربي، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٧ م، ص ٣٨٠.

(٨) د.محمد زعلول سلام، تريح النقد الأدبي وبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، دت، ص ٧٢.

(٩) أنظر: د.محمد مصطفى هدار: مشكلة المورثات الأدبية في النقد الأدبي "دراسة تحليلية مقارنة"، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٥٨ م، ص ١٨٢، وأنظر في تفصيل ذلك الفصل الثالث من الكتاب ص ١٨٥، ٢٦٩، وأنظر كذلك نفسه ص ٢٤٥، ٢٧٥.

استحسنها ومنهم من استجبها، ومنهم من قبلها بشروط، وتبليت أحكامهم - كذلك - في هذا المجال بحيث يطلقون عليه "المعائلة والمشكلة أحياناً" (١)، الاحتذاء (٢) ... إلخ، ومنهم من اكتفى بكلمة الأخذ كإبن قتيبة (٣)، بل إنهم صنفوا هذا الأخذ وجعلوه مراتب كحسن المأخذ وضعف المأخذ، وغيره مما سيتبين خلال الصفحات التالية من البحث.

وقد أشار إليها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) (٤)، وذكرها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) دون أن يعرفها (٥)، أما الأمدى (ت ٢٧٠ هـ) فلقد فكر - كجميع النقاد - أن العلماء لا يرون سرقات المعاني من كبار مسوئي الشعراء خاصة المتأخرين، وأن باب السرقة ما تعرض منه متقدم ولا متأخر (٦)، وأورد لها العلي (ت ٢٨٨ هـ) حيزاً كبيراً في كتفه، وفصل القول فيها ووسع معانيها وذكر شواهدا (٧)، ووقف ابن وكيع (ت ٢٩٢ هـ) موقفاً مثنداً من السرقه وتعرض لاتهام المتنبى بها (٨)، وجعلها القاضي الجرجاني (ت ٢٩٢ هـ) دليلاً على حق الشاعر ومهارته التي يحتاج النقاد إلى الفطنة في الكشف عنها وملاحظتها (٩)، أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فهو المصدر الذي استقى منه السككي والقزويني وسائر البلاغيين بعد القزويني فهمهم للسرقات التي جعل منها صنفاً بديعاً، أو حكمة للتأليف العلمي في علم البديع ثالث علوم البلاغة. فالسرقة عند عبد القاهر - كما هي عند القزويني، وسائر النحاة - اتفاق لا في الغرض العام، بل في وجه الدلالة، بشرط ألا يشترك في معرفة الدلالة الناس، تكون خاصة عربية، أو عامة تحولت بوجه من التصرف إلى غريبة غير منتقلة. لكن عبد القاهر لديه لفظة عامة، إذ يعطف السرقه والأخذ على الاستمداد والاستعانة، بما لهما من صلة .. وفي هذه اللفظة ربطاً صريحاً للسرقة بفكرة تطوير سمات الطبع قوة وضعفاً في النص (١٠).

وحينما نظر شراح الحملة إلى السرقه لم ينعوا كثيراً عما ذهب إليه أسلافهم من النقاد والأدباء، فساروا على دربهم، ونهجو المنوال نفسه، وانتفعوا إلى حد كبير بلراء النقاد ممن قبلهم، ولما لا والشارح "كان بين يديه مجموعة ضخمة من التراث الشعري، على اختلاف عصوره وبيئاته، ومذاهب شعرانه، ودرجاتهم في المصاحبة، ومراتبهم الفنية، ومجموعة أخرى أضخم وأعظم من التراث التفسيري والتحليلي، قلم بها لغيب من العلماء مختلفي الأجيال وانتقادات، والميول والاتجاهات" (١١)، فتأثر بما كتبه السابقون، واحتك بما أبدعه اللاحقون والمعاصرون، نحاء إسهامه مزيجاً بين هؤلاء وأولئك.

أما عن دوافعها، فقد حاول الناحون ردها إلى دوافع محددة، اختلفت وتمايزت فيما بينهم، فمنهم من ردها إلى دافع واحد مثلاً إلى جاهلية الظاهرة (١٢)، وهو الانحراف بقود عامة في بناء القصيدة تضيق على الشاعر مجال القول. ومنهم من ردها إلى دافعين (١٣): أحدهما اتصال النقد بالتأفة، حيث وحاول النقاد أن يثبت كفايته وسعة اطلاعه،

(١) - لمصطفى علي. نبذات النقد الأدبي في الأندلس، ص ٤٣٠.

(٢) - عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإحصاء ص ٤٦٨، ٤٦٩.

(٣) - ابن قتيبة الشعر والشعراء، (١ / ١٢٤).

(٤) - الحناش والبيد والسيب، (٢ / ٣٦٦).

(٥) - ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص ٦٧.

(٦) - ابن الأثير. التلوية بين شعر أبي نعيم والحقاني. تحقيق: لؤي لحد صفر. دار المعارف بدمشق، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م، (١ / ٣١١).

(٧) - أنظر: التلوي. حيلة المحاضرة في صناعة الشعر. تحقيق: د. محمد الكفري، دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩ م، (١ / ٢٨).

(٨) - ابن الأثير. ركن المعتمد للسوق والشعرية ص ١٠٠. أنظر: سركت أبي قتيبة السركت، تحقيق: د. محمد يوسف، الكويت، ١٩٨٤ م، ص ١.

(٩) - أنظر: أمسي الجرجاني. الوسيلة بين المشتري وخسومه، ص ٢٠٤.

(١٠) - محيى أحمد توفيق. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، ص ٣٢٤.

(١١) - د. أحمد حسن المرعي. شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشرح، (٢ / ٢٠٧).

(١٢) - أنظر: د. منصور عبد الرحمن. مصادر التفكير النقدي والأدبي عند حازم القرطاجي، مكتبة الأنجلو المصرية، ديت، ص ٣٣١.

(١٣) - أنظر: د. إحسان عبد القدوس. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، ص ٤٢.

١٩٧٨ م، ص ٣١.

والآخر هو الخضوع لنظرية استنفاد الاهتمام للمعاني، مما يضع الشاعر المحدث في أزمة تحد من ثمرته على الأبنكر، و تضطره إلى أخذ معنى سابق، أو التوليد منه.

ومنهم من ردها إلى أربعة موضوعات^(١): طبيعة الرواية والرواة، عمود الشعر ونهج القصيدة، الاختلاف حول النظم والمعنى، الخصومة بين القدماء والمحدثين، ثم عاد وحاول أن يفسر القضية فردا إلى أربعة أمور: إساءة تفسير الإبداع الفني، عدم الإلمام الكافي بالإطار الشعري، أو الثقافي، عدم الفهم التام لقضية الأصالة والتنقيذ.

هذا عن قضية السرقات ومكلفتها وأهميتها بين قضايا النقد، ودوافع النقاد من دراستها.

فلذا ما انتقلنا إلى هذه القضية في الشروح وتناول الشراح لها، نلمح مدى الاهتمام الذي أبداه شراح الحملة لونه القضية، من خلال تنبيهاتهم المتعددة على مواضع الأخذ الأدبي عند شعراء الحملة، وحرصهم على توضيح مواضع الأخذ والتأثر وكذلك مواضع الإضافة والزبد التي يهتدي إليها الشاعر فيرك المشترك المبتذل في صورة المستدع المخترع، فزادهم يحتنون "من أين أخذ الشاعر معناه، ومن سبقه إليه ومن لحقه ومدى توفيق الشاعر الأخذ.. ومن أحقهما بنسبة المعنى إليه، إلى غير ذلك من الأمور التي تتدرج تحت باب السرقات"^(٢)، كما نراهم - أثناء ذلك - يشيرون إلى تأثير شعراء الحملة فيمن غيرهم من الشعراء، وهناك أيضا الموازنات التي عتفوها بين شعراء الحملة وبين غيرهم من الشعراء احتكموا فيها إلى مقياس نقدية فنية حتى يتسم حكمهم بالموضوعية والمصادقية، واستخدموا في ذلك مصطلحات وتعبيرات عدة مخترعين لها في موضعها أثناء الدراسة إن شاء الله.

كل هذه الجوانب الإثرائية والمعرفية التي زخرت بها شروح الحملة في تناولهم لقضية السرقات أو الأدب الأدبي، تدل على ما نمتع به شراح الحملة من ففاعة موسوعية في مختلف ميادين الأدب والنقد انعكست ووجدت صداها في شروحهم، فأكسبتها قيمة على قيمتها، ومكفة نقدية على مكلفتها الأدبية والتاريخية.

وعلى الرغم من هذا الاهتمام من جانب الشراح، بالإضافة إلى أهمية القضية ومكلفتها في النقد الأدبي، فإنه لم تكن هناك - فيما أعلم - دراسة نقدية متخصصة في بحث هذه القضية داخل شروح الحملة. اللهم إلا بعض الإشارات من هنا أو هناك داخل بعض الكتب والتصنيف التي تناولت أحد شروح الحملة، دون إعطائها المجال الذي تستحقه، أو التقدير الذي يليق بمكلفتها، ولعل مرد ذلك - فيما يبدو - يرجع إلى فقدان ديوان الحملة - وكتب الاختيارات بشكل عام - الوحدة العضوية اللازمة لتحقيق النظرة الشمولية للقضية وانتظامها داخل إطارها، إذ يحتوي الديوان على شعراء متعددي المشارب والمآرب، والاتجاهات والمدارس، إذ ربما لو كان ديوان الحملة لشاعر واحد فقط لاختلف الأمر وتغيرت النظرة ومن ثم تناول، أضف إلى ذلك تناول تلك الظاهرة على شكل دراسات جزئية قامت على دواوين بعض شعراء الحملة بشكل مستقل، مما يجعل من غير المجدي إعطائها تناولها أو تكرارها مرة أخرى.

ولابد من الإشارة - قبل الغوص في غمار تفصيل ما سبق - إلى أن شراح الحملة - وعلى الرغم من اهتمامهم بهذه القضية كما أثروا - لن ننظر منهم دراسة منهجية منظمة، ولكننا سنحاول - قدر الإمكان - تلمس الخطى لاكتشاف منهج لهم - إن وجد - ومحاولة تشكيل إطاره.

(١) نظر: لتفصيل الجرحاني: الرسالة بين المتنبي ومصومه، ص ٢١٤ وما بعدها.
(٢) دليمد جمال السري: شروح الشعر الجاهلي، منافع شراح (٢٢٧/٢).

مقاييس الأخذ الأدبي في الألفاظ والمعاني:

تتبع الشراح معاني شعراء الحملة، واقتفوا أثرها في مختلف المجالات المعرفية والثقافية، فاعتمد الشرح الشعري، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، والمثل، وألوال السلفين واللاحقين من خطباء وحكماء... إلخ.

ونذكر نجد أن المعنى الشعري لشعراء الحملة - حين اقتفى الشراح أثرها - قد تكون شعرية المصدر أو نثرية، والشراح مع هذا التتبع للمعاني لم تكن لهم نظرتهم النقدية التي تعكس أسما ومعايير الحكم على سلامة المعنى من الأخذ والسرقعة من عدمه. وذلك على الرغم من إدراكهم لأبعاد القضية وجوانبها، وما أحاط بها من ملات، وما اعترضها من عوائق وصعوبات.

ومن خلال نماذج الشراح التطبيقية، يمكننا استنباط بعض المبادئ العامة والمقاييس النقدية التي اتخذت أساسا لدراسة تلك القضية عند الشراح، أهمها:

أولاً: إن الشراح - بصفة عامة - يرون أن المعنى الواحد قد يتناول أكثر من شاعر أو كاتب دون أن يقلل ذلك من أصالة اللاحق، على ضوء الشروط التالية:

أ: أن يكون من العام المشترك من المعاني، أي "المعاني المشتركة بين الناس والتي هي جارية في علاقاتهم ومستقلة في أمثالهم ومحلوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده، أن يقل أخذه عن غيره" (١).

وهو ما سماه عبد القاهر الجرجاني "عقليا"، والمعنى العقلي هو "ما كلف ولید التجارب اليومية، وهو ما يمكن أن نسميه بالحكمة العملية" (٢)، مثل قول الشاعر:

لا ينسبكم الشرف إلا لغير من الأذى خنسى يكره عيسى جؤابيه الذم (الكمال)

فهو "معنى معقول لم يزل العقلاء يقضون بصحته، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته وبه جاءت أوامر له سبحانه، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنن النبوية، وبه استقام لأهل الدين دينهم ولتلقى عنهم أذى من يقتسم ويضرهم" (٣)، فالمعنى العقلي إذن لا يوجد فيه سرقعة، إنما المعرفة في المعنى التخيلي أو الخالص، هذه هي السرقعة - تقريبا - بين نوعي المعاني، ولكنها صيغت صياغة فلسفية.

ويدخل مع هذا الجانب الخاص الذي شاع حتى أصبح في حكم العام المشترك، وهو ما فطن إليه القاضي الجرجاني، فنزل تشبيههم "الحسن بالشمس والبيدر، والجواد بالغيث والبحر، والبلید البطن بالخنجر والجمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار، والصن المبتهم بالمخيول في حيرته، والسليم في شهره والسقيم في أتنيه

(١) الأمدى. الموافقة بين أبي تمام والشعري، ص ١٢٩.

(٢) داهم مدور: لغة المنهجي عند العرب، ص ٣٦٨.

(٣) عند شاعر الجرجاني: أسرار البلاغة، فركه وعلو عليه محمود محمد شكري، دار الصلي، حدة، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ص ٣١٥، ٣١٦، وأطرح في يد قلمك الذي عبقهما عند القاهر، ص (٢١٢ - ٢١٤)، ولعل فيهما من المشترك والخاص من المعاني.

ونالمة^(١)، وهي 'أمور' متقررة في النفوس، متصوّرة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم^(٢)، منزلة تشبيههم الظل بالكتاب والبرّد، ولفتاة بالغزال في جديدها وعينيتها والمنهاة في حُسْنها وصفيها...^(٣)، بحيث أنه لا يوجد سرّ في كليهما.

هذه المعاني يشقيها العلم المشترك، والخاص الذي شاع حتى أصبح في حكم المشترك - مما تنبه إليه الشراح وأزالوا عنها شبهة السرقعة.

وكذا تطرق شعراء الحملة إلى العديد من المعاني المتداولة المشهورة عند العرب، وتنبه الشراح إلى كثير منها، فالتأروا إليها بجارات عقد، من مثل: "وهذا المعنى يجيء في الشعر كثيراً"، "وقد وصف .. شعر واحد من الشعراء بمثل ما وصفهم هذا الشاعر"، .. وغيره كثير مما سبقي نكره.

لهم يعلقون بهذه التحيّرات ويغريها على هذه المعاني المتداولة المطروقة للجميع، والتي يشترك فيها - بالتالي - شعراء الحملة مع غيرهم من الشعراء، ثم يوردون لمانح وشواهد من أقوال العرب أو أشعارها .. إلخ، تفسر قول الشاعر، وتحدد فيها مرجعيته الفنية في الأخذ والتأثر.

ولنتوقف - مثلاً - عند قول آخر:

(الوافر)

فَقَامَ نَصَارُ الْبُرْزَنْجِ لَنَا يَفُوتُ الْغَيُونِ مِنْ نَفْسٍ شَبِيهِ

فقد عتب عليه التبريزي بقوله: "يريد أنه قلم يشمل من النعلن فكله يصارع برديه وهذا المعنى يجيء في الشعر كثيراً يصغون أنهم يدعون المصاحب ليرحل فيتكلم بما يجده من النعلن والحلجة إلى النوم قال الراجز:

(الرجز)

نَهْنَهْتُ نَهْنَهْتُ لَهَا لَهَا وَقَامَ نَهْنَهْتُ عَصَا فَمَدْنَا
أَنْ وَقَامَ نَهْنَهْتُ لَهَا لَهَا خَاذَا شَيْءٌ لَا زَخْنَهْتُ بَهَا
نَهْنَهْتُ وَأَنَّ لَهَا لَهَا فَجَاهَا لَا نَهْنَهْتُ الْغَيَا " (١)

وقول آخر: (جفر بن طلبة)

عَجِبْتُ لَمَّا مَرَّهَا وَأَنَّى تَخْلُصَتْ إِلَيَّ وَيَنَابُ السَّمَجْنِ نَوْبِي مَغْلَقٌ

(الطويل)

فقد حُتِبَ عليه المرزولي بقوله: "يقول: تعجبت من سير هذه الخيل إلي، ومن حسن توصلها مع هذه الحال، وهو أن يبق للسجن مرتج دوني. فلما تعجبه من سيرها فعلى حافة العرب والشعراء في وصف الخيل، وذلك أنهم يجرونها مجرى للمرأة نضها، فيستطرون منها ما يستطرف من تلك لو وقع القط منها على الحقيقة مع نصتها. وهذا كما قال غيره: (الحارث بن حازة الشكري)

(الكامل)

(١) القليبي الجرجلي: الوسيلة بين المتنبي وخصومه ص ١٨٣.

(٢) تنس: ص ١٨٢.

(٣) نسه ص ١٨٥.

(٤) تبريزي: شرح ديوان الصلة: (١ / ١٥٥).

طَرَفِي الْغِيَالِ وَلَا قَوْلًا مَخْلُجَ سَبْعًا بِأَرْخَانَا وَلَسَمَ يَتَعَزَّجُ

وكما قال الآخر: (الخطونة)
وَأَتَى أَهْلَهُ وَالِدُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا جَلَسَتْ سَابِي اللَّيْلِ بِالْدُّوِّ وَهَاتِي

وأما تعبه من توصلها فهو تعجب من لطفها في ذلك، وحسن تكتيها، مع العاراض والموانع^(١).

وعلق المرزوقي على بيت بعض شعراء بلعبر:
فَقَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذُهُ لُهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زِلَافَاتٍ وَوُخْدَاتٍ

فقال: "أراد أن يصف بني مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه، فقال: هم قوم إذا ظهر لهم الشر واشتد سارعوا إليه غير مترقبين لتجمع، ولامرءجين على تاهب، لكنهم يتبادلون أفراداً وثبات، وأشتاتاً وجماعات. وإبداءاً للتلحد - وهو ضرب الحلم - مثلاً لاشتداد الشر ... وقد وصف بني مازن غير واحد من الشعراء بمثل ما وصعهم هذا الشاعر، فمن ذلك قول بعضهم: (وداك بن ثعلب)
نَفْسِي فُيْذَاةٌ لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شُعْبٍ فِي الْخَرْبِ يُطَالِي

وقول الآخر: (محرز المكهر)
فَهَلَا مِنْجَتٌ مِنْ غَضَبِي مَازِنٍ وَفَلَنْ قُلُوبِي فِي أَنْفُسِهِمْ مَوَازِنٌ"^(٢)

وهناك - كذلك - ما هو موجود في عادات الناس ومعروف في معاني كلامهم وهاك كالمثل على استتيم من عادة، أو نمط حياة، أو استعمال لغوي، أو تعبير اصطلاح، أو أسلوب خطاب، أو مذهب اعتاده العرب وألفوه في حيلهم النقيية والاجتماعية، أو تقاليد شعرية، أو أقوال مسخرة .. إلخ من أشكال القول والكلم المطروق المتداول بين العرب، مما لا يكون بالضرورة من صنع للشعراء أو وفقاً لحيلهم، بل هو في نطق المشترك المشهور بين الجميع.

ومن الأمثال المسخرة بينهم ورد الأخذ منها في أشعار الحماسة، ما نطالعه في قول المثل بن رباح: (الطويل)
مَنْ أَكْفَيْكَ جُنْبِي وَضَعَهُ وَوَمَازَاةً وَأَغْضَبَ أَنْ لَمْ تُفْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَعًا

فـ "نكر وضع الجنب والوساد ملخوذة من المثل المسخر في المعنى بالشيء المعتمد له، وهو قولهم: "إن فرشت فقامت". والمعنى: لا أكفك غلبة بأمر، ولا أواخذك بمصالح أسلبي: ومتى لم تتناول مولاي أشجع الحق، ولم تعامله فيما بينكما بالحق والعدل، غضبت له وانتقم! لأن في تضيق حق المولى والأخذ بالتضييق فيه لازم العار، وفي استعمال التغليبي فيما يتعلق بي وإطراحي المناقشة والمشاخبة فيه باقي الصيت والجمال"^(٣).

ومما يجري مجرى المثل ما نطالعه في قول قيس بن الخطيم الأوسي: (الطويل)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦)، (١ / ٥٢، ٥٣).

(٢) نسه: حماسة (١)، (١ / ٣٠، ٣٧).

(٣) نسه: حماسة (١٣١)، (١ / ٣٨٢، ٣٨٣).

إذا ما شربيت أنزعفاً خُسطاً بمنزري وأثبغت نلوي في السماح رشاعها

" يقول: إذا شربت أربعة أكواب جررت منزري، فأتز في الأرض خيلاء وكبراً، وتمت ما بقي علي من السماح في حال الصحو، كأن معظمه فعله صحيحاً، والنقي منه تمعه في حال السكر. وهذا الكلام يجري مجرى المثل للمعنى الذي بينت. حكى الأصمعي أنهم يقولون: أتبع الفرس لجاسها، وأتبع الدلو رشاعها، أي تمع ما بقي عليك من أملك، وكفه يضرب لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقيق. وهذا أجود من قول عنترة العبي، وإن كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم، وقول عنترة: (الكمال)

وَإِذَا أَتَيْتُ شَيْئاً فَمَنْ لِي مَسْتَهْزِئٌ نَالِي وَعِزِّي وَأَبْرُ لِمِ يَنْقُصُ
وَإِذَا مَخُوفٌ لِمَنْ أَلْصَقَ عَنْ نَدَى وَفَعَا عَلِمْتُ شَمَاتِي وَتَقَرَّرِي

وبيت عمرو:

مُسْتَهْزِئَةٌ قَمْلِي الْخُصْصُ لِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا مَسْخِينَا (الوالد)

لأن هذا قال: إنا نتسخى إذا شربنا الخمر مزوجة. وما قاله عنترة في بيتين أشار إليهما قبس في مصراع وكان ابن الأعرابي يذهب في قوله مسخينا إلى أنه يقال ماء مسخن وسخن، وإن كان فحشاً في معنى مفعول قليلاً وانتصت عنه على أنه حال للماء. ويكون المراد على طريقته: كأن الحص فيها إذا مزج بماء سخن. وهذا لهربه مما استقيحه الناس. وهو حسن، لكنه يتضي أن يكون بلادهم صروداً^(١).

وقد يصل المعنى في درجة انتشاره واتساع رقعة استعماله على أن يصح مثلاً: و بصير استخدامه

ضرورة؛ فالقول الكلاسي في قوله: (الطويل)
نَسَزِي لِي نَفْسُ الْفَسْمِ نُسْرًا وَلَا نُسْرِي إِذَا كَانَ نُسْمَرُ أَلَّةِ الْمَدْفَرِ لَا رِبِ

يستحسن لبشار في هذه الطريقة قوله، بل قد صار مثلاً: (الطويل)
خَلِيَا لِي فِي الْفَسْمِ مَسْخَرٌ يَفِيْقِي فَيُ نُسْرًا لِي غَدِ لِحَقِيْقِي
وَمِنْ أَلَا إِلَّا كَالْزُنَانِ، إِذَا مَخَا صَخُوفُ، وَإِنْ مَاقِ التُّزْنَانِ أُنُوفِي

" يقول: يعلم أن أسباب الدنيا وتصاريفها مبنية على التغير والتبدل، فالعسر واليسر يتعاقبان ولا يلزمان، لمعنى استخفى كرم ولم يبطر، علماً بأنه ينشئ فلا يبقى، وإذا افتقر عفا ولم يلبس، ثقةً بأنه يزول ولا يدوم. وقوله "يرى" من البيت يجري مجراه من قوله تعالى: "إنهم يرونه بعيداً"، لأنه بمعنى يظنونونه، وليس كذلك في قوله "ونراه قريباً" لأنه بمعنى نعلمه^(٢).

ومن التعبيرات الاصطلاحية التي تعاور العرب على استخدامها في كلامهم العادي واستخدمها الشعراء،

قولهم "نفرت عنه" إذا ضعف الرجل وذلك، كما في قول الشاعر: (الطويل)

(١) المزدك: شوح ديوان العمارة: حماسة (٣٦)، (١/ ١٨٧، ١٨٨).

(٢) منه حماسة (٢١٧)، (١/ ٦٥٤، ٦٥٣).

فَمَا نَفَرْتُ جَيْشِي وَلَا قُلٌّ مِنْزِي . وَلَا أَصْبَحْتُ طَيْرِي مِنْ الْخُوبِ وَقَدْ

قال أبو العلاء: "كلفت العرب تذكر الجن كثيراً وتشبه الرجل النافذ في الأمور بالجنى والشيطان فلذلك قالوا نفرت عنه إذا صعب وزل" (١).

ومن المعاني المتعارضة التي تعبر عن نمط حياة، أو عانة عربية معينة، أو مذهب اعتاده العرب والفراء في حياتهم الثقافية والاجتماعية، فصار تقليدا يتبع دون أن يختص به أحد دون الآخر.

من ذلك عادة العرب في قسدهم البعير، وذلك إذا اجبت العرب وقتل زاده؛ يقول عارق الطائي: (الطويل)
وَقَدْ يَثْرَكَ الْقَمْدَرُ الْفَتَى وَطَفَانُهُ إِذَا هُوَ أَسْمَى خَلْبَةً مِنْ نَمِ الْقَمِي

"كلفت العرب إذا اجبت وقتل زاده، عمت إلى البعير فنصفت، واستخرجت من دمه بقدر الحاجة، ثم أنثته إلى النار ليجمد وينضج فتأكله، إلى أن حرمه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال الأعشى وقد لحق الإسلام: (الطويل)

فَلَا تَأْخُذْنِ سَهْمًا جَنْبًا لِنَقْصِدَا

وكان حاتم أسيراً في بعض أحياء العرب، فنزل بهم ضيف والحي خلوف، فعمدت امرأة منهم إلى مديفة فلوحتها حتماً وقالت: انصد لي هذه النانة، ليصيب ضيفنا من مهال. فتناول حاتم المديفة، فحرق النانة، ولكرت المرأة ذلك وقالت: إنما سألتك لصددها. فقال حاتم: هكذا فصدي أنه - يريد: أنا - فيقول الشاعر: الفتى لا يقدر بجاره ليغير على ماله، وإن نفذ زاده فاحتاج إلى مقدار حلية من دم" (٢).

ومنه أحد أروحه تفسر بيت شاعر الحملة حيث يقول: (الطويل)
أَكَلْتُ نَمًا إِنْ لَمْ أَزْعِكْ بِضَرْوَةٍ بَيْرِدَةٍ مَهْوَى الْأَسْرَطِ طَيْرِيَةِ النَّسْرِ

"أكلت نماً بجري مجرى اليمين وإن كان لفظه لفظ الدعاء وأكل الدم يسرغ عند الإشفاء على الهلكة والمعنى إن لم أفرعك بالمرأة حصة السلفة طرية الرائحة فبئس لاني الله بما يحل معه أكل الدم ويرى أن قتل هذين البيهتين أعزبي وكان تزوج امرأة فلم يوافقها قبل له أن حمى دمشق سريعة في موت النساء فعملها إلى دمشق وقال الأبيات وقال أبو العلاء يجوز أن يريد بقوله شريت نماً أي إن لم أركض بضرة لشريت نماً لأن الدم لا يشرب ولا يتمتع أن يعني بقوله شريت نماً أن يصيبه جنح وحاجة فيفتقر إلى شرب الدم كما كلفت العرب في الجاهلية إذا اشتد عليهم الزمان فصعدوا النوق وشربوا مائها وخلطوها بغيرها فأكلوها ولا يبعدان يعني بالدم دم الحية لأنه عندهم كالسم قال الشاعر: (الطويل)

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١٩٣ / ٢).
(٢) المعري: معاني لبيت الحماسة: حماسة رقم (٦٢٢)، ص ١٩٨، ١٩٩.

أَسْوَدٌ وَغُلِي لَأَكْثُ أَسْوَدٌ خَلْقِيَّةٌ شَمَاتُوا عَلَى مَنْزِلِ بِنَاءِ الْأَسَاوِدِ^(١)

وكذلك عاقبتهم في مقصدهم الغارات، أن يركبوا الإبل ويجتنبوا الخيل إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة؛

لكي لا يلحقها كبير تعب، يقول الربيع بن زياد الحبلي:

وَمَجْتَنِبَاتٌ مَا يَمْتَنُّنَ غُلُوقًا نَفْسُفُنَ بِمَالِهَا وَالْأَهْلَ وَالْأَهْلَ
وَمَسَاجِرَ صَدَا الْحَنِينِ عَلَى يَوْمٍ فَكَاثِمًا نَطَّاسِي الْوَجْوةِ بِغَارِ

"عطف قوله ومجنبات على إلا المطي والمراد أرى لهم أعدادهم مطايا مرحولة، وخيلاً مجنوبة. وكنا كفت

عاقبتهم في مقصدهم الغارات، وركوبهم إلى الوقعات، أن يركبوا الإبل ويجتنبوا الخيل إلى أن ينتهوا إلى موضع

الغارة، أو ملثي القوم للمحاربة، فيحننذ ينخون الإبل ويركبون الخيل وهي وادعة لم يلحقها كبير تعب، ولم يمتلكها

سامة منجر، فيعلمونها كما يحبون. وهذا كما قال السابعة بصف حيل عمرو بن هند:

مُقَرَّنَةٌ بِالْأَتَمِ وَالْجَمِيسِ كَالْقَطَا عَظِيمَا الْغَبُورِ مُخَفَّاتَا الْمَزَاجِلِ
وَيَنْفُفْنَ بِالْأَوَّلِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ شَدَّخْتُ لِي أَسْلَاحَهَا كَالْوَصَالِ^(٢)

أنا من مدامهم فمن أدل الشاهد عليه مذهبهم في التمدح بقلة اللحم عند الرحال، يقول عنتاب بن النمينة

الخشعي:

وَلَنَا لِحَقًّا بِالْخَنُولِ وَنُونَهَا خَمِيسُ الْخَسْنَا شَوْهِ الْقَمِيسِ غَوَائِلُهُ
فَلَوْ لَفَذَى الْعَيْنِينَ نَذَلَمَ أَكْثَرُهُ فَوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَلْقَ غَا نَوَائِلُهُ

"يقول: لما دعانا الشوق إلى اللحوق بالظعائن بعد تشييعنا لها، وإلى تجديد العهد بها، فذكرناها ورونها

رجل قليل اللحم على بطنه، لطيف طي البطن، معدود القامة، حتى إن عوائقه، وهي النواحي من عقبي الإنسان، تكاد

أن توحي تميصه. وهذا مما تتمدح به العرب، لأن السمعة عندهم مضمومة. وقد كشف عن هذا المعنى قول

الأخر:

فَتَنِي لَا يُزِي فُذُّ الْقَبِيسِ بِخَصْرِهِ وَبَكْنُهَا نَقَرِي الْفَرَسِ مَنَابِئُهُ^(٣)

ومن أشكال التحييات والصور المشتركة - كذلك - للتشبيهات الشائعة على السن الناس، وتداولها الشعراء،

فحرص الشراح على التنبيه عليها، والإشارة إليها، معتمدين رؤيتهم، وتوجيههم بذكر الشواهد الشعرية المختلفة القديم

عنها والمحدث، وهي من الكثرة بمكان لا يسعنا معه ذكرها جميعاً، لذلك سأكتفي بذكر نموذج لها يعبر عن باقي

النماذج والأمثلة.

(١) التبريزي: شرح مبادئ الشعرية (١٧٦/٤).

(٢) المروقي: شرح مبادئ الشعرية: حلبية (٢٤٧)، (١٩٤/١).

(٣) بحسب حلبية (٤٧٧)، (١٩١٢/٢).

إن تشبيه الحسان من النساء بالظباء أو بالصور المنقوشة صورة متكررة بين الشعراء العرب، وهذا ما أشار إليه المرزوقي في تعليقه على بيت البعث بن حريث:

(الطويل)
مَفْعَلُ الْإِلَهِ أَنْ تُكُونُ قَطِينَةً وَلَا فَعْفَةً وَلَا عَقِينَةً زَنْزِبِ

"كفه لطف وصار يرباً بصديقه أن تكون في الحسن بحيث تشبه بالظبي أو الظبية أو بالصورة المنقوشة، أو بكرمة من بقر الوحش، إذ كفت هذه الأشياء عندها، وقاصرة عن رقتها. وقد ملك من المقتسمين امرؤ القيس هذه الطريقة فقال:

(الطويل)
كَانَ فَنِي مَفْعَلٍ عَلَى ظَهْرِ مَزْنَرٍ كَمَا مَزْنَرُ السَّاجِدِ وَشَبَابُ مَضَوْرٍ
غَرَبَرُ فَنِي بِمَنْ وَصَوْنٍ وَفَعْفَةٍ يُخْلَسِينَ يَأْفُوشَا وَنَرًا مَفْعَلًا

تشبه النسي بالنساء لا النساء النسي" (١).

لقد حرص الشراح من خلال ما سبق على التأكيد على إطلاق المعنى المتداول وحرية تناوله من جانب شعراء الحملة، كما هو الحال عند غيرهم من الشعراء، وذلك بهدف رفع مضمة للمرقة عن شعراء الحملة في استخدام ذلك المعنى؛ لأنه بمنزلة المتداول المطروق، التي بعد استعماله ليس سرقة، والأخذ منه لا يجب الشاعر، أو يقل من شأنه.

وكما حرص الشراح على التشبيه على المتداول المشترك من المعاني، نراه كذلك بحدوص - أثناء تناولهم تلك المعاني عند شعراء الحملة - على تأصيل تلك المعاني، واقتفاء أثرها، وذكر أول من سبق إليها، ومن التلغص ومن المنبوع، وهو أمر يميز به كلا من المرزوقي والتبريزي بخاصة، فلنأشأ إلى أول من استعمل هذا المعنى أو ذاك من شعراء العرب وأدبائهم.

من ذلك - مثلاً - ما علق به المرزوقي على بيت آخر:

(السيط)
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا يَسِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا نَجَدُ

يقوله: "هذا الكلام دعاء لنفسه وعليهم، على طريق التسلية وقلة الاحتفال، ولأن الحسد يرفع الخامل من الفصل وينود به. فيقول: أدام الله لي ما أنا عليه من الفضل، ولهم ما هم عليه من العدم، ومات أكثرنا لغظه بما وجد. وقوله "ومات أكثرنا" الأكثر هم الحسدة، لأنه - وإن أدخل نفسه فيمن أضلف الأكثر إليه - واحد. وقوله "بما وجد" حذف المفعول، والمعنى بما وجد في نفسه من العدم، أو بما يجده من النعمة والفضل عند المحسود. وحدثني أبو عبد الله حمزة بن الحسن قال: سمعت أبا الحسن علي بن مهدي الكسروي يقول أنا قد تتبعت من دواوين الشعراء قديمهم ومحدثهم فوجدت أنا تملأ الطغي متقدماً بمعنى قوله:

(الكامل)
وَإِذَا أَرَادَ الْأَلْسَةُ نَسْتَرُ فَضِيْقَةً طَوِيْرَتْ أَشْجَاحُ لَهَا بِسَمَانٍ خَمُودٍ

(١) المرزوقي. شرح ديوان الحماسة حاشية (١٢٠). (١/٣٧٨).

لنؤلف التعلّفات للعواقب لم يزل للحماس النضالي على المضمون

غير مسبوق إليه. وعندي أنه أخذ من فحوى لهذين البيتين وإن كان زاد عليه^(١).

فلو تمام - كما أبان المرزوقي - هو أول من ابتدع هذا المعنى - وغيره كثير - فهو يسبق حقن تفضيلا. يستوجب معه الثناء الجميل، ولكن ما لبث هذا المعنى الخاص أن انتقل وكثر تداوله بين الشعراء حتى صار في حكم العام المشترك من المعاني، ومن هذا المنطلق استخدمه هذا الشاعر وغيره من الشعراء.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا، وفي هذا السياق، هي أن الشراح لم ينفقوا أو يعتوا بنكر مصطلحات أو درجات الأخذ المختلفة للمعنى، بل نراهم وقد اكتفوا بمجرد تاصيل المعنى، في إشارة منهم - على ما يبدو - إلى حرية تناول تلك المعاني واستعمالها باعتبارها معانٍ مشتركة عامة لكل الشعراء قديما وحديثا، لا يلام الشاعر على استعمالها أو يعاب عند الأخذ منها، ولا يقلل هذا من شأنه أو قيمة شعره الفنية.

وكما تتبع الشراح للمعاني المشتركة المتداولة بين شعراء الحملة وغيرهم من الشعراء، نراهم - كذلك - تتبعوا المعاني التي كررها شعراء الحملة أو أكثرها من ذكرها في شعرهم، حتى أصبحت بمثابة ما يمكن تسميته سرقلة شخصية للشاعر ذاته، وذلك أمر قد أثراه من قبل رجلي نحو مفصل في بحث سابق - عند الحديث عن نقد المعنى - ولا ينوي العودة إليه هنا لأن علينا مقصورة في هذا المقام على كيفية توظيف الشراح للشواهد الشعرية وغيرها في تفسيره وتبريره لحواجز أخذ شعراء الحملة المعنى، وتسميته بصورهم الشعرية، دون إلصاق تهمة السرقلة بهم.

ب: أن يظهر الشاعر المشترك المبتذل في صورة المبتدع المقتزع، من منطلق أنه "لا يعلم في الأرض شاعر فتم في تشبيه مصيب تلم، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بسر، فله لا بدع أن يستعين بالمعنى، ويحمل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازع الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعارض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه. أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال أنه خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بالي الأول. هذا إذا قرع به، إلا ما كان من عترة في صفة الذباب، فله وصفه فلجد صفته فتحمي مخاض جميع الشعراء..."^(٢)، فكلام الحافظ هنا يبدو مشابها تماما لما نقصده من تصورنا لمفهوم العام المشترك من المعاني الذي أحسن الشاعر أخذه فصار في حبه وحسن صياغته في حكم الخاص المبتدع، فالجاحظ يرى أن ما من شاعر إلا واتكا على غيره فأخذ منه بعض المعنى، حتى تفرق المعنى المأخوذ على الشعراء، وتنازع الشعراء فيما بينهم، فصار في حكم العام المشترك - كما أثرنا سابقا - فلا يلام وقها الشاعر على أخذه وتداوله لتلك المعنى، حتى لو ولم ينقله كما هو، بل أخذه وطبع عليه شخصيته، وأسلوبه، حتى يبدو وكأنه معنى جديدا غريبا عن المعنى القديم المتداول، فهذا ليس بسرقة، ولا يدخل في بابها.

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حلبية (١٣٨)، (١/١٠٦، ١٠٧)، لعل الأبيات عند التبريزي هو: محمد بن عبد الله الأزدي.
(٢) الحافظ: الجواهر، تحقيق/عبد السلام محمد ملون، مؤسسة الباني الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨، (٣/٣١١).

أو بمعنى آخر "أن العلم المشترك قد يستجد من شاعر دون شاعر"^(١)، ويقول للقاضي الجرجاني: "قد تشترك الجماعة في الشيء المتداول، ويفرد أحدهم بلفظة تستعجب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زينة اهتدى لها دون غيره، فترك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع"^(٢)، فالشاعر قد يضمن لأخذ المعنى المتداول المتداول عليه غيره، فيظهر في صورة المعنى المبتكر المبتدع، وهو ليس كذلك، بل هو علم مشترك، ولكنه حدث ما يمكن تسميته - إن صحت التسمية وصحت - انتقال المعنى للعلم المشترك إلى معنى خاص مبتدع، وهو بذلك أيضا يخرج الشاعر عن دائرة السرقعة، إلى دائرة الإبداع والتميز؛ بما شكلته طريقة تناوله للمعنى المبتذل المطروق من إضافة وزينة.

وهو ما أسماه عبد القاهر الجرجاني تخيلياً، من خلال تعليقه على قول أبي تمام: (الكامل)
لا شكري عطل للغير من الغنى قال المصنف خسرني بئس الغنى

بالتقول: "فهذا قد خيل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفاً بالعلو والرفعة في قدره وكنى الظني كلفيت في حجة الخلق إليه وعظم نفعه، وحب بالقبيل أن ينزل عن الكريم نزول ذلك السيل عن الطود العظيم، ومعلم أنه ليس تخييل وإيهام، لا تحصيل وإحكام، فقلعة في أن الجبل لا يستقر على الأحكة العالية، أن الماء سيل لا يثبت إلا إذا حصل في مرصع له جوانب تدفقه عن الانسلاخ وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والماء شيء من هذه الخلال"^(٣).

وما أشار إليه كلام عبد القاهر الجرجاني هو أحد أشكال وسائل التصرف في المعنى المتداول حتى يعبر غيره، وهو مما ليس بسرقة، كما سنرى لاحقاً.

ولقد لطن أبو هلال العسكري إلى هذه الحقيقة فقال إن العبرة بالكساء الذي يكو به الشاعر أو الكاتب مخاضه، ومن ثم اتحد من الصياغة دليل السرق^(٤)، وجاء عبد القاهر الجرجاني فأوضح هذه الحقيقة ثم يوضح حيث قل: "واعلم أن المشترك العلم والظاهر الحلي والذي نلت إن التفاضل لا يحلله وانسوت لا يصح فيه، إنما يكون كذلك ما كنى صريحاً ظاهراً لم تلحقه صنعة، وما خال لم يعمل فيه نقش، إن كَبَّ عليه معنى، ووَصَلَ به لطيفة، ونخل إليه من باب الكناية والتعريض، والرمز والتلويح، فقد صار بما عجز مجاريقته، واستقرَّ بَف من صورته، واستجدَّ له من المعروض، وكسَّر من دَلَّ التَّعَرُّضُ دَاحِلاً في قبل الخالص الذي يُتَمَكُّ بالفكرة والتَّعَمُّل ويتَّوَصَّل إليه بالتَّعَبُّر والتَّامُّل ..."^(٥).

ولكي يستطيع الشاعر تطويع المشترك المبتذل من المعنى، وجعله يبدو في صورة المبتدع المبتكر، لابد له من استعمال وسائل معينة تُشَدُّ من أزره، وتقوي عوده، فيجيب به الألباء النقد، نَرَه بهذه الوسائل فنقد العرب

(١) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٦٧.

(٢) القاضي الجرجاني: الوسائل بين المتنبي وخصومه، ص ٢٨٧.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣١٦، ولقد عُدَّ فاضل في كلامه "أسرار البلاغة" نعمت في أحدهما عن المعنى المشترك "المتنبي"، والأخر عن المعنى الخاص "تخيلياً"، قس: ص ٢١٣، ٢٧٤.

(٤) نخل: أبو هلال العسكري: الصلابة، ص ٢٠٢، وخطرت كذلك: د. محمد مندور: نقد سبهي عند العرب، ص ٣٦٧.

(٥) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣٤١-٣٤٠.

القدماء، منهم ابن رشيق القيرواني عندما قال: "إن المُنْع إذا تناول مَعْنَى فُلجده - بأن يختصره إن كان طويلاً، أو يسطه إن كان كَرَّاه أو يبيته إن كان غامضاً، أو يختار له حسن الكلام إن كان مفسلاً، أو رشيق الوزن إن كان جاقياً لهُو أولى به من مُبْتَدِعه، وكذلك إن قلبه أو حيفه عن وجْهِه إلى وجْهِه آخر..."^(١).

وكما يبدو لنا فإن هذه الوسائل والطرق متعددة متنوعة، منها ما يتعلق بالمعنى، ومنها ما يتعلق باللفظ ومنها ما يتعلق بالأسلوب، أو الأداء التصويري والفني.

وهنا نشعر - أيضاً - وكأن الناقد "قد أدرك أن المعنى الساذج المبتذل قد يعبر عنه تعبيراً لا يبدع فيه، تعبيراً ملتجئاً مبتثراً، ومع ذلك يروفاً لخاصة الشعرية وسحر لفظه أو موسيقاه أو طريقة نظمه ووسائل أدائه"^(٢).

وإذا انتبه إلى بعض هذه الوسائل قليل من الشراح، فليقوا عنها في أشعار الحماسة، في محاولة منهم لإبراز مظاهر ابتداع شعراء الحماسة وإضافاتهم للمعنى المبتذلة المتداولة؛ لنفي شبهة السرقعة عنهم.

ومن أهم هذه الوسائل التي يمكن استنباطها من خلال الأمثلة التطبيقية لشعراء الحماسة^(٣):

١ - الإضافة إلى المعنى الملفوظ والزيادة عنه بما هو من تلمعه - وبما يؤثر في فكرته أو صورته تأثيراً إيجابياً.

فالشاعر أحق بالمعنى إذا أخذه، وزاد عليه زيادة حسنة، فللول فضل السبق إلى المعنى، وللآخر فضل الزيادة فيه، يقول ابن عبد ربه: "أعلم أنك متى نظرت بين الإنصاف، وقطعت بحجة العقل، علمت أن لكل فضل فضله، ولا ينفع المتقدم تقدمه، ولا يضر المتأخر تأخره، فلما من أساء النظم ولم يحسن للتأليف فكثير"^(٤).

من ذلك - مثلاً - تعليق المرزوقي على بيت ملحمة الجرمي في وصف السير الطيء: (الطويل)
وَبَنَاتُ الْحَبَشِ الْجَوْنُ وَنَهْضُ مَلْجَبَا فَتَهْضُ الْمَدَائِي قُبْدَةُ الْمُوعِثِ السَّنْضُضِ

"الحى من السحاب: المشرق المتراكم. والجون: الأسود هنا، وجعله كذلك لا رتولته وكثرة مثله. وقوله "نهض مقمناً" انتصب مقمناً على الحال، يريد أن سير للسحاب لثقله وحركته مثل سير هذا البعير وحركته؛ ثم وصفه والمدانى قيده: الذي قصر عقله وضيق عليه قيده. ولم يرض بذلك حتى جعله سترأ في الوعث، وهي الأرض اللينة الكثيرة التراب والرمل؛ والسير فيها يصعب... ثم لم يرض بعد ذلك أيضاً حتى جعله نقضاً، وهو المهزول الضعيف... وقد زاد في هذا الوصف على الأعشى لما قال - وإن كان الأعشى يصف امرأة بالنعمة والترفة، وهذا يصف سحابة ثقيلة -

نَمَشِي الْهَوَيْتِي كَمَا يَفْشِي الْوَجَى الْوَجَلُ

(١) ابن رشيق القيرواني: الفصاحة في معاني الشعر وأدبائه وتقدمه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العمل، بيروت، ط ٥، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨١ م، ٢٩٠/٢.

(٢) د. محمد منور: نقد المنهج عند العرب، ص ٣٠٨.

(٣) السيد مدني: تصديداً بلاغياً وتقنية في شروح القدماء على شعر أبي تمام، ص ٤٠٥ : ٤١٧، المناسخ قسطاً خلا الشواهد وتنطبق عليها.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، (٤ / ١٧٥).

لأن هذا جعل الجبر مداني التقيد أيضاً^(١).

وتعليقه في موضع آخر على بيتي يزيد بن حمان السكوني في إكرام الجار: (البسيط)
وَمِنْ تَفَرُّهُمْ فِي النِّجْلِ قُلُوبُهُمْ لَا يَنْظُرُ الْجَارُ لِيَهُمْ لَقَّةُ الْجَارِ
حَتَّى يَكُونُ غَرِيبًا مِنْ قُلُوبِهِمْ أَوْ أَنْ يَبِينُ جَمِيعًا وَهُوَ مُخْتَارُ

"يقول: من تكلفهم الكرم كأنهم لا يرضون في مثل ذلك الوقت بما طبعوا عليه وجبلوا، حتى تكلفوا أكثر منه، أنهم يحلون جارهم من العنفة به والاتحاق والإحسان إليه والاصطناع، محلاً يتشكك من بعد في نفسه: هل هو جارهم أم من صميمهم. وعلى هذا يتعلق حتى من قوله حتى يكون عزيزاً بالمعنى الذي دل عليه قوله لا يعلم الحل فيه أنه الجار، أي يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرانيهم، أو يختار مغازلتهم. والمعنى: تلك له فيهم، ما اعتز بجوارهم، أو مال إلى فراقهم. ويجوز أن يكون قوله من نفوسهم في موضع الحال، وعزيزاً خير كل، وإن جعلت عزيزاً في موضع الحال ومن نفوسهم خيراً جاز. والمعنى: حتى يكون كلهم من أصلهم، كما قال الله عز وجل: "قد جاءكم رسول من أنفسكم"، والمعنى من جنسكم ومن بطنتكم. ويجوز أن يكون البيت مضمناً، ويكون معنى لا يعلم الجار فيهم أنه جاره، أن الجار لا يكون قد أحس بمجاورته لهم حتى يتفقدوا هذا التفقد، ويحلوه هذا المحل. وقوله أو أن يبين جميعاً لتتصّب جميعاً على الحال، والمعنى أو أن يمارق وهو مجتمع الحال خير منتشرها، ومختار لذلك غير مضطر إليه. ومثل هذا بيت زهير:

(الوافر)
ضَمِينًا مَالُكُمْ وَغَدًا جَمِيعًا عَيْنًا نَفْسُكُمْ وَلَهُ النُّفُوسُ

وقبل بيت زهير هذا قوله:
(الوافر)
وَجَارٍ مَسَارٍ مَعْتَدًا إِلَيْنَا أَجَاعَتُهُ الْمَخَافَةُ وَالْخِشَامُ
فَجَسَّازٌ مُتَوَكِّلًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَا الضَّيْفَ وَانْقَطَعَ السَّيْثَانُ
ضَمِينًا مَالُكُمْ وَغَدًا جَمِيعًا

تقد علمت استعمالها على ما ذكره هذا الشاعر وتفردها بما زاد عليه من المعنى. ويجوز أن يكون حتى بمعنى كي، فيكون المراد لا يعلم الجار لحسن توفرهم عليه، وتوحدتهم إليه بتخاذ الصفائح لديه أنه جاره، لكي يكون عزيزاً مدة مقامه، أو بفراقهم مختاراً، مرفور المال، مصون الحال^(٢).

فذلك للزيادات التي اختدئ إليها شعراء الحماسة، وأضلقوها للمعنى المبتذل المشترك، جعلت محله - في رأي شارح الحماسة - يستجذب دون غيره من الشعراء، وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه من قبل القاضي الجرجاني.

٢- التصريف في المعنى المأخوذة حتى بغير غيره، بمعنى "تتوالى المعاني واستعارتها وتلييها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كقوله غير مسبق إليها، فيستعمل المعنى المأخوذة في غير الجنس الذي

(١) الترويض: شرح موهب الحماسة: حصة (٨١٩)، (٢ / ١٨١٠ - ١٨١١).
(٢) نضج: حصة (٩٣)، (١ / ٣٠١ - ٣٠٢).

تناولها منه، فإننا وجد معنى لطبقا في تشييب أو غزل استعمله في المنيح، وإن وجد في المنيح استعمله في الهجاء، وإن وجد في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان^(١).

ومن ضرورب التصرف هذه التي لطن إليها الشراح ونوّهوا بها في أشعار العماسة ما سبق أن تعرضت له عند الحديث عن نقد المعنى^(٢)، والتي لا أجد داعي لذكرها مرة أخرى ها هنا، ومنه: المخالفة، التضاد، العكس، القلب، النقل... إلى غير ذلك من هذه الوسائل، التي حلول شعراء الحملة من خلالها إدخال تعديلات على المعنى المشهور المتداول؛ بغرض إضفاء لون من الخصوصية والتفرد يميزهم عن غيرهم من الشعراء في تناول تلك المعاني، وجنبهم شبهات السرعة ومزلقها.

٣- جودة اللفاظ وحسن صياغتها وتركيبها:

فإننا "تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعجب، بل وجب له نضل لطفه وإحسقه فيها"^(٣).

فلشعر "إبداع ينطوي على نوع من الأخذ، أو الاستئادة، ومبدأ الخفاء، أو الغموض، أو الاستغراب، واضح. فجودة الأخذ تتحقق إذا كان خفيا نستغريه، وبغمض علينا، ولا نعرف من أين استنبطه، أو استنبطه الشاعر! وهذا كله مرتبط بتصور للإبداع يفرض إلى إنتاج نص هو إطار من الأصباغ، أو يفرض إلى القول أن الإبداع إنتاج أصباغ وسلك وطيب"^(٤)؛ وهذا التصور هو ما كان يحرك الرازي (ت ٦٠٦ هـ) حين قل في نهاية الإيجاز: "ولا يفرك قول النلس أن الشاعر أخذ المعنى من شاعر آخر، فإن هذا تسليح منهم، والمراد أن المعنى المدلول عليه بالدلالة المعوية واحد، فاما أن يكون المدلول عليه بالدلالة الوضعية واحدا فذلك لا يكون إلا للترجمة"^(٥).

فقد سبق الشاعر إلى معنى، ثم يصير من بعده مشتركا متداولاً يفقد منه الشعراء لكن بمخالفة في الصياغة اللفظية، من ذلك - مثلا - قول تليط شرا:

(الطويل)
وَنَسَبِي وَفَذَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَتَجَسَّى بِمُتَخَرِّجٍ مِنْ شِدَّةِ الْغُثَادِ

"وقد الريح أولها ومنه أخذ رؤية قوله:

(الرجز)

نَسَبِي وَفَذَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ اتَّخَرَقَ

وأخذه الأعرابي بغير لفظه فقال:

(الطويل)
غَايَةُ حَيْثُ رَفَعَتْ فَمَسَّنْ لَهَا تَعْنِ حَوَائِهَا وَفُئَا أَهْلُهَا

(١) ابن طليط الطولي: عبر الشعر، تحقيق د. عبد العزيز لاسر المسبع، دار العلوم لشعر، طرابلس، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ١٢٦.

(٢) تطر: لكتاب ص ١٢٢ وما بعدها.

(٣) ابن طليط الطولي: عبر الشعر، ص ١٢٦.

(٤) مجدي لحد توليق: مفهوم الإبداع الذي لم ينفذ الحربي للتبني، ص ٣٢٩.

(٥) لحد هين فراري: نهاية الإيجاز في دراسة الإمطر، دراسة وتحقيق الشيخ أحمد حجازي لقا، مكتبة التنقي، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ١٠٩.

وترسل الريح لجنا قبلها، والمعنى: أنه يسبق الريح لحفته ويتحى يعتمد ويقصد ويتحى يحتمل أن يكون للممدوح ولولد الريح وجعل العد ومنخرقا لاتساعه، والمنخرق السريع، وهو من قولهم: ريح خريق، أي شديدة سرعة الهبوب، والمتدارك: المتلاحق، وقال بعضهم المنخرق: الذي لا يضبط كما تنخرق الريح الشديدة، ومن ثم سميت الريح خريقاً^(١).

وقد تكون في زيادة بعض المحدثين ضعف وفقر، كما أخذ أبو تمام هذا المعنى السابق فزاد عليه وإن كان في لفظة ركابة، فقال:
فكز ولو بجبابي الريح خيلست للريح الريح تزسف لي القلوب^(٢) (الوالد)

٤- الصنعة اللطيفة:

"نليس كل أخذ وتقليد معيب. بل الممول قتل كل شيء على الصنعة والإبداع، فإذا أخذ المتلخر معنى لمقتم فاحسن التصرف فيه بصورة من الصور، سواء بتغيير لفظه، أو تحويله والخروج به من موضوع آخر، فإنه يكون له، ولا يعيب بأخذه"^(٣).

فلا يعاب الشاعر على تقليده المعنى، أو تلثره بسبقه في تتولاه إياه، فلا سرقه في المعنى الأصلي، إنما الرقة تكون في "البيع المخترع الذي يختص به الشاعر"^(٤)، أو في الصنعة الفنية، التي تنمخض عن إبداعه، وإبتكاره لأصباغ ومحسنات جديدة للكلام، بختلاف الصور والعناصر البلاغية، من معاني، وبيان، وبيدع.

ومن هنا وجدنا المرزوقي يمدح شعراء الحملة في غير مكان، لأنهم أحسنوا صياغة المعاني وأكسوها ناساً بديعا من الألفاظ والصور.

فجد العديد من التشبيهات المتداولة بين الشعراء، واستعملها شعراء الحملة، فأصلوا إليها، وزاوا عليها، فلبس الشراح عن مظاهر تلك الإضافات والريادات، من خلال تعليقات وتعليقات تيم هذه الصنعة، ونصف تعلمهم معها.

فمن التشبيهات المطروقة التي أمدح فيها شاعر الحملة الكلام تمقياً للتشبيه، قول الأغصن بن شهاب: (الطويل)
فلانة جطبان بن فوس من مائل فنا نغسق الغنوان في الرق فأتب

"وتشبه ثار الدبل بالكتلة مألوف في طرائقهم، لكنه طول الكلام تمقياً للتشبيه، فصار ظاهره كله شبه

الآثر بتميق الكتب خطه إذا عون كتبا. ومثله قول الهذلي: (البيط)
هبطن بطن زفاط واعصنن كما نمتقي الجذوع خلال السدور نص داخ

(١) ترويض شرح ديوان الصنع: (١٨ / ١).

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الصنع: حنسية (١٣)، (٩١ / ١).

(٣) دهمس وشول ملار: تاريخ النقد الأدبي واللاغة، ص ١٩٢.

(٤) الأدي شوارنة، ص ١٣٩.

ألا ترى أن المراد تشبيه الإبل وقد دخلت في السراب بجنوح نخل مسقية في أصولها الماء، فجاء ظاهره كله شبه الإبل بسقى النضاح للجنوح؛ لأن معنى كما يسقى كسقى، كما أن معنى كما نطق كتتميق^(١).

ومن الوصف المطروق الذي أجاده فيه شعراء الحماسة إحادة حسنة، قول سهل بن شيبان الزمعي (الهرج) وظفون كفهم السرق غنذا والسرق ملاقن

حيث نجد أن "هذا الوصف أبلغ من قول النماغة: (الطويل)

وظفون كإفزع الغناض الضوايب"^(٢).

ومناك أيضا الاستعارة التي تجانبها الشعراء، وأحسن فيها شعراء الحماسة، كما في قول نابذ شرا: (الطويل) فخالط منهل الأرض لم يغدج السفا به نحره والموت خزبان ينظر

"يقول: أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدري أثرا، لا خشا ولا حمشا، والموت كان طمع في، فلما رأيته قد تخلصت بقي مستحييا ينظر ويحير. والواو من قوله والموت وار الحال، وهذا من فصيح الكلام، ومن الاستعارات المليحة. وقد حمل قول له عز وجل: "وأنتم حينئذ تنظرون" على أن يكون المعنى تنظرون. وقد سلك أبو تمام ملك هذه الاستعارة فقال: (السيوط)

إن تنظرت وأتوف الموت رغبة"^(٣).

ومن الاستعارات المتداولة التي زلدها شعراء الحماسة بما ينيل على فضلهم وإحسانهم، قول العنيل بن القرخ العجلي: (الطويل)

فكفسي خزنا ألا أزال أرى القنا وطع نجيفا من ذراعي ومن غضبي

"والمعنى: كفى من حزين لتي لا أزال أرى الرماح تصب دما من ذراعي ومن عضدي، أي من قوم بهم أبطش وأعقر، فهم مني بمنزلة الذراع والعضد. وهنا في الاستعارة لمن يقوى به الرجل ويستعند أبلغ وأشبع وإن تماوت الطريقان - من قول الآخر: (قيس بن زهير) فإن ألقذ برزت بهم غيلبي فلم أظلع بهم إلا بتاتي"^(٤). (الوافر)

فإذا انتقلنا من الصور المثقبة إلى فنون البديع، وجدنا أن المبالغة في المعنى تنصدها، إذ أولها الشراح أهمية كبرى أثناء تعرضهم لهذا الفن البلاغي؛ باعتبارها صورة بارزة من صور انتقال المعنى، وتغير دلالاته. فقول عبد الشارق بن عبد المزى الجهني - مثلا: (الوافر)

(١) المروزي: شرح ديوان الحماسة (٢٤٨)، (١/٧٢١).

(٢) نفسه، صلبة (٢)، (١/٣٧).

(٣) نفسه، صلبة (١١)، (١/٨٢).

(٤) نفسه، صلبة (٢٤٩)، (١/٧٣٤).

فَأَزِنَّا أَيْمَانَهُمْ رَبِّنَا فَأَقَال أَلَا تَتَفَكَّرُونَ هـ التَّوْحِيدُ عَيْثَا

أراد أن يقول: "توجهنا نحوهم وأنقذنا من قبلنا من ارتبأ لنا، فعاد مبشراً وقال: قروا عينا واستشروا، فقد أتوا. وهذا مما يترجم عن محبتهم لملأمة الأعداء، وحرصهم على القتال، وتشوقهم للمجانية والنزاع، حتى صدوا قريتهم بشارة، والالتقاء معهم غنمة. وهذا عدي أبلغ من قول الآخر: (البيط)
يَسْتَحْيُونَ مَنَابِرَهُمْ فَهُمُ الْغَائِبُونَ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا فُتِنُوا
ومن قوله: (الطويل)

لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبٍ^(١).

وقد يتعدى الشعراء الحد المقبول للمبالغة، حتى يصلون بها إلى مستوى الإدراط كما بينو في قول شاعر الحماسة: (حسان بن ثعلبة)
أَبْرَأَ أَنْ يُبَيِّخُوا جَزَاءَهُمْ لِعَدُوِّهِمْ وَقَدْ نَارَ نَفْعِ الْمَوْتِ حَتَّى تَفُوتُوا
(الطويل)

"يقول: امتنعوا من أن يخلوا بين جبرلهم قبيلة كلب وبين أحنائهم حمير، وقد ارتفع عار الموت حتى التفت في الحو. وأراد بالحو العدو الكثير، إذ كان المراد بهما القبيلتين، وبما أصاب القمع إلى الموت تهويلاً. ويجوز أن يريد بالموت الحرب. وتكون: تنوع من الكثرة، يريد تراكم الغبار والتفاهة. وهذا الذي أشار إليه بقوله تكرر من اثرائكم، حملة بعضهم كالسحاب، وجعله بعضهم يمد عين الشمس حتى ظهرت له الكواكب، وحتى صار السحاب بسببه كالليل. وتجاوز المتبني جميع ذلك، حتى بلغ حداً من الإدراط مستشفاً فقال: (الكامل)
عَفِثْتُ مِنْهَا بِهَا غَيْثًا عَفِثًا لَوْ تَبْتَغِي حَقًّا عَلَيْهِ أَفْقًا^(٢).

٥- التوليد :

احتل موضوع توليد المعنى حيزاً مهماً واسعاً من اهتمام النقد والشرح - على السواء - بقضية الأخذ الأدبي، وقد جاء هذا الاهتمام ضمن طروحاتهم النظرية والعملية على حد سواء من منطلق كون توليد المعنى لغة وبطام يحصل مع المثلي، لهذا فقد صدوا اهتمامهم على توليد المعنى المقصودة وليصلها، محققين في هذا إثراء للمعنى.

وقد أشار ابن طبلطبا إلى مثل هذا الصنيع من قبل الشعراء المحنثين، ودفاعه عنهم في التحقير إلى البيوع والصناعة، وإلى اقتباس المعاني من الشعراء السابقين، أو أخذها ثم تعديلها، بقوله: "ستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم ولطفوا في تناول أصولها منهم، وليسوا على من بعدهم، وتكثروا بإبداعها فسلمت لهم عند ادعائها اللطيف مسرهم، وزخرفهم لمعقبيها"^(٣)، وهو لون من إخفاء الأخذ، لا بقوى عليه إلا كل منلق من الشعراء والأدباء، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: "وأحد أسباب إخفاء السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده

(١) الرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (١٥٢)، (١/١٤٤).

(٢) نفسه حاشية (١١٢)، (١/٢٣٨).

(٣) ابن طبلطبا الطوي: عوار الشعر، ص ١١.

في نثر، أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعلها في مديح، أو مديح فينقله إلى وصف - إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز والكامل المتقدم^(١).

وأراء ابن طبطبأ وأبو هلال العسكري تلتقي مع آراء كثير من شراح الحماسة - كما سنرى من خلال تناولهم للنماذج القائمة بالشرح والتحليل - في اعتبار التوليد من طرق الأخذ المباح، التي تحتاج من الشاعر أن يحتل ويتكلف ويحور المعنى المأخوذ فـ "يغير في اللفظ ويعرض المعنى في عبارة جديدة، أو يعدل بالمعنى من موضوع لآخر كأن يأخذ المعنى من الغزل إلى المديح، أو من المديح فيعدل به إلى الرثاء، أو غيره من الموضوعات حتى يلبس على السامع"^(٢).

وقد تمخض عن هذا الاهتمام عملية الشراح بـ:

- ماهية المعاني الأولية، والزيادات الطارئة عليها من قبل شعراء الحماسة.

- طريقة التعامل مع المعنى المأخوذ، بإحدى وسيل التصرف المختلفة من نقل، أو عكس، أو قلب، أو ... إلخ.

- المعاني التي ولدها شعراء الحماسة بعد أن نههم عليها غيرهم من الشعراء، ودرجة تحقق الإثراء.

وقد سبق تناول المظهران الأول والثاني بالشرح والتحليل^(٣)، لذلك فلا داعي لإعادة تناولهما مرة أخرى هنا في هذا المقام.

وقبل الخوض في صمار تناول المظهر الثالث من مظاهر التوليد داخل شروح الحماسة، يجب الإشارة إلى أن بعض شراح الحماسة كما أبهوا عن استحقاقهم وتلقاهم لتلك المعاني المتولدة من جانب شعراء الحماسة، فقد أبهوا - كذلك - عن استحقاقهم وإثرائهم لطريقة وأسلوب شعراء الحماسة في توليدهم تلك المعاني. كما يتبدى من تعليق المروزي على بيت إيلس بن الأرت:

وَحَانَ بِسَرَّاقٍ مِنْ أَخٍ لَيْسَ تَأْصِيحٌ وَحَانَ فَيُخَيِّرُ الْخَيْرَ تَوْضِيحًا

"وقد عمل لطيفة في الصفة التثنية لقال (للخير نوما) فجعل الخير ولد معه فنشأ بنشئه"^(٤).

وكذلك تعلقه على أبيات شاعر الحماسة، ما يحمل فحوى حسن الانتداع:

مَعَاشِرُ جُنَّتْهَا غَرَا صِبَاخَا	هَجَوْتُ الْأَذْيَعِيَامَ فَطَافَ بَشْبِي
غَنِيٌّ فَلَمْ أَجِبْ لَهُمْ نَبَاخَا	فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ تَبَخَّرُوا طَبَاخَا
وَأَفَقَّ عَمَّنْهُمُ الشُّنْمُ الصَّرَاخَا	لَبِثْتُهُمْ أَمْسَهُمْ فَاكْفُ عَمَّنْ
سَلَامِي غَمَّنْهُمُ الْكِيَاخَا	وَالَا فَاخُذُوا رَأْيِي فَمَسِي

(١) أبو هلال العسكري: لسرر البلاغة، ص ١٩١.

(٢) داهمدر غول سلاج: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص ٢٣٨.

(٣) نظرو: لفظة لتفسير المعنى من نقد المعنى في الملصق السابق.

(٤) المروزي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (٣٥٧)، (٢ / ١٠٢٨، ١٠٢٩).

يخسنتك تهنئة ربه يوم السوم نضمت على أجي سلفي جئنا

بالقول: "هذه الطريقة في ذم الأدياء غريبة حسنة جدًا. ولما قال أبو العتامة في والته بين الحباب ما هو

مستبعد أيضًا وهو: (الكمل)

ما نال من أهانة عسرة الـ الوان لصنيخ من بني قنصر
أخذنا خيلت أها أنعامه لم لوئت سنا بالذئب بالفصيف

وأخذ أبو نواس قتل أيضًا: (الكمل)

وابن الخباب صليبة زعوا وبين المخال صليبة أظفر^(١).

أما فيما يخص المعنى التي ولدها شعراء الحملة بعد أن تبهم عليها غيرهم من الشعراء إلى حجب الشراح الذين توقفوا عندها وقاموا بالتدوير بها، بعد ما لمسوه ولاحظوه في أشعار الحسنة.

ما نحده من لفت الشراح الأنظار إلى تلك المعنى المتداولة الشائعة، لكن شعراء الحملة أحسنوا الأخذ

مها، فاستخرجوا منها المعنى الملبح المستطرف الذي تميزوا به على غيرهم. كنول الراعي: (الطويل)

فجئت تعد النجم في مستحيرة منربع بلندي الأكاسين جئوها

"المستحيرة المتحيرة في امتلائها أي في مرقها يقول من صفاتها وكثرة سمها ترى فيها بحوم السماء وقيل شه الراعي استأجلت التي كانت على رأسها من كثرة النسم بالنجوم ... قال النمرى يصي امرأة أخفها وأراد بالحم النجوم وهذا كما يقال آل درهم والتجار يراد به الجنس ويقال بل أراد بالحم الثريا بعينها والأول أصح قال أبو محمد الأعرابي هذا موضع المثل: (الكمل)

في الثريمة يئمر الكسرم ابتهنا وابسن اللثينة للثام نصور

كثيراً ما يرحح أبو عبد الله الرديء على الجيد والغث على السمين وهذا يدل على كلة معرفة منه بمذاهب العرب في معني أشعارها ولا يجوز أن يكون النجم هنا إلا الثريا وذلك أن في البيت حبيبة لم يفرحها أبو عبد الله وذلك أن الثريا لا تكاد ترى في قعر الجفنة وغيرها من الأواني إلا أن يكون قم الرأس ولا يكون قم الرأس إلا في صميم الشتاء ويقال حينئذ أقر النجم ومنه قول الكميت إذا النجم أقرأ وقوله تعد النجم أي لصفاء الودك في الجفنة تعرف عند الثريا فيها وهذا معنى ملبح وذلك أن نجوم الثريا لا يكاد بعدما إلا نو مصر حديد ولذلك يقول التقل: (الكمل)

إذا منا الثريا في المضاء تفرقت وزاها خبيذ العين منبقة أنجم^(٢).

وهناك معانٍ قصر فيها الشعراء، وتناولها شعراء الحملة فلجأوا استعمالها، وأبقوا عن حسن الصنعة،

من خلال ما ولده منها، كما يتضح في قول قيس بن الخطيم الأسدي: (الطويل)

إذا منا امضطخت أزينا خط مئري وأثفت تلوي في المئناج بشاعها

(١) الرزولي: شرح ديوان الصنعة: حنية (١٥١)، (٢ / ١٥٢٤).

(٢) التبريزي: شرح ديوان الصنعة: (٢٩ / ٤).

"يقول: إذا شربت أربعة أكواب جررت منزري، فأت في الأرض خيلاً وكبراً، وتمت ما بقي علي من السماح في حل الصحو، كان معظمه فعله صاحياً، والباقي منه تمعه في حل السكر. وهذا الكلام يجري مجرى المثل للمحن الذي بينت. حكى الأصمعي أنهم يقولون: أتبع الفرس لجمالها، وأتبع النلو رشاءه، أي تم ما بقي عليك من أمرك. وكفه يضرب لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقيق. وهذا أجود من قول عترة الصبي، وإن كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم، وقول عترة :

وإذا أنت شئت فإبني فـنـتـهـلـكـة سـالـي وعـزـيـبي وإيـسـر لـم يـكـلـم
وإذا منـخـوئـفـنا أفـصـر عـن نـدي وقـنـا عـلـنـت شـمـائـلي وتـكـرـيـبي

وبيت عمرو: (الوالفر)

مـنـفـشـغـة كـلـي الخـصـص فـيـهـا إذا ما المـاء خـالـطـهـا سـنـجـيـنا

لأن هذا قال: إنا نتسخي إذا شربنا الخمر ممزوجة. وما قاله عترة في بيتين أشار إليه قيس في مصراع. وكان ابن الأعرابي يذهب في قوله سخيذاً إلى أنه يقال ماء مسخن وسخين، وإن كان فعلاً في معنى مفعول قليلاً. وانتصب عنده على أنه حل للماء. ويكون المراد على طريقته: كأن العصص فيها إذا مزج بماء سخين. وهذا لهربه مما استنحه الناس. وهو حسن، لكنه يقتضي أن يكون بلادهم صروداً^(١).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى غلبة الشراح واقتناعهم بهذا البحث، من خلال حرصهم على التنبيه على مواضع الزيادة والإضافة للمعنى الأصلي، القائمة على التوليد، والتي حفلت بها أشعار الحملة عن غيرها من الأشعار الأخرى.

فلراء الشراح متفرقة في شروحهم فيما يخص هذه القضية بشكل عام، وذلك البحث بشكل خاص، ومبثوثة في مباحث متنوعة، إلا أن الشيء المهم في هذا الجقب، والذي يحتاج إلى استنويه، هو أنه لم ترد كلمة (السرقة) بكافة مشتقاتها في معظم شروح الحماسة أو نسبتها إليهم، مما يدل وبشكل واضح على سعي الشراح إلى التأكيد على أصالة شعراء الحماسة، وبراعتهم في ابتكار المعاني.

ثانياً: إن الشراح بصفة عامة يسيرون على ما سار عليه من سبقهم من النقاد، ففي حين نراهم يجنبون الشعراء تسمية السرقة للمعاني إذا كلفت متداولة، أو إذا أحسن الأخذ ممن سبقه من مطلق أن "كل المبدعين يعيشون خلال المبدعين الآخرين، وكل مبدع سارق، لو مستحير - بالمعنى العريض للكلمة - من غيره"^(٢)، نجدهم من ناحية أخرى يرون أن أخذ المعنى بعد سرقة، ويعلم الشاعر على الإتيان به إذا لم يصف إليه جنيداً، أو قصر، أو لساء في الأخذ، أو "أخذ جمل أو الكثر أصالية وانتحلها بنصها دون الإشارة إلى ملأها"^(٣).

(١) المرزولي: شرح ديوان الحماسة: ج ٣ (٢٧)، (١ / ١٨٧ - ١٨٨).

(٢) مجدي لمد توافيق مفهوم الإبداع لتقني في النقد العربي القديم، ص ٣٢٥.

(٣) دليمند مندور: نقد الملهم عند العرب، ص ٣٥٩، مع بعض التصرف.

وقد حدد النقاد ما يمكن فيه سرق وما لا يمكن، فقسوا المرقفت إلى أنواع، وحاولوا التمييز بينها و"حدثت تحديدا تحكما لا غناء فيه ولا نفع"^(١)، وقد أحصى ابن رشيق تلك الأنواع نقلا عن الحقي في "حلية المحاضرة"^(٢) فقال: "وقد أتى الحقي في حلية المحاضرة باللقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت، كالاصطراف والاحتلاب والانتحال والامتداح والإغارة والمرافدة والاستلحاق، وكلها قريب لد استعمال بعضها في مكان بعض"^(٣)، ويورد ابن رشيق تعريف كل تلك المصطلحات فيقول: "الاصطراف أن يجب للشاعر بيت من الشعر فيصره إلى نفسه، فإن صرعه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق، وإن ادعاه جملة فهو لتتحال. ولا يقل (متحل) إلا لمن ادعى شعرا لغيره وهو يقول الشعر، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدح غير متحل، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب، فإن أخذ هبة فتلك المرافدة ويقال الاسترافة فإن كانت السرقة فيمن دون البيت فتلك هو الامتداح ويسمى أيضا السخ، فإن تسلى المصنف دون اللفظ وخفي الأخذ فتلك للنظر والملاحظة، وكذلك إن تصاد: ودل أحدهما على الآخر، ومنهم من جعل هذا هو الإلمام، فإن حول المعنى من نسيب إلى مدح لذلك الاختلاس ويسمى أيضا نقل المعنى. فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة، فإن جعل كل مكان للنظرة ضدها فتلك هو العكس. فإن صبح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكذا في عصر ولحد فتلك الموارد، وإن لف البيت من ليلت قد ركب بعضها من بعض فتلك هو الالتقاط والتعليق وبعضهم يسميه الاجتناب والتراكيب، ومن هذا الباب كثف المعنى والمحدود من الشعر، وسوء الاتباع وتقصير الأخذ عن المأخوذ منه"^(٤).

هذه الأمور - وغيرها الكثير - مما حددتها النقاد، قد أشار إليها الشراح ونبهوا عليها في شروحيهم، وأحذوا على شعراء الحماة الإتيان بها، وتضمينها أشعارهم، وحكموا عليهم بالأخذ أو مرانفته من المصطلحات الأخرى - التي سبق ذكرها - التي تدل على درجته، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

أ- أخذ اللفظ^(٥):

وهو "من أتبع المرقفت وأظهرها شناعة على السارق"^(٦)، لأن فيها يظهر لصوره، وعجزه عن الإبداع والابتكار والتجديد.

وقد عبر شراح الحماسة عن هذا الأخذ بمصطلحات عدة أهمها (الإلمام)، كما وقع في قول خلف بن

خليفة:

وبالذير أشجائي وخم من شج لـ
زومي خولها أمثالها إن أتوها
فزيك أشجنا وفن منفون
كذا الهجز لم يضح لك أمزنا
ولم يأتنا غلا لنتك يقين
(الطويل)

(١) دابحد منقول: شدة المنهي عند العرب: من ٣٦٩.

(٢) ابن رشيق: الصفة (٢ / ٢٦٥ وما بعدها).

(٣) نفسه: (٢ / ٢٦٥ وما بعدها).

(٤) السيد حماد: لغضايا البلاغة والنقدية في شروح أئمة على شعر أبي العلاء، ص ٤٢٦.

(٥) مناجاة الدين بن الأثير: نقل السارق في كتب الكتب والشعر، نفسه ومثله على طبعه، دابحد المولي، وديودي طباعة دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١٩٧٣ م، ص ١٦٦.

وعبر عنه الموزني بالقول: "الأشجان: جمع الشجن، وهو الحزن، وفي أنفى الحد، والشجون جمعه الكثير. وقوله ربي حولها أمثالها موضعه رفع على أنه يدل من قوله شجون. ويعنى بها القبور المسنعة. وحولها أمثالها صفة للربي. وما أشار إليه من الممثلة يعني في الصورة والغناء جميعاً. وقد ألم في هذا بقول الآخر: (الطويل) فقلت له إن الشجنا ببعض الشجنا فدعني فهذا غلظة قبري فما لي

ولما يريد أن قبور أحبته بالدير وقبور أحبة من ينسى بهم من المفجوعين ببيع الغرق، لأن أولئك ملأوا حنق لفهم وفي أماكنهم، فدفنوا في مقابرهم، وأصحاب الشاعر قتلوا وتغربوا فدفنوا ثم. والكلام ترجع وتلهم. وقوله دوين المصلى تحدياً للمقبرة، وتقريباً لها من المصلى، لذلك قال دوين فصغر دون" (١).

فقد أخذ الشاعر أكثر لفظ البيت الأول، وهو قوله (أشجاني، وشجن، وشجون) من قول شاعر آخر: (الشجا بيعت الشجا)، كما أنه يريد بـ (البقيع) القبور، كما عبر عنها الشاعر الآخر بقوله: (قبر ملك)، وهو ما نص عليه تعليق الشراح صراحة بـ (الإلمام).

ويحذر الشاعر في أخذ الألفاظ المتعارف عليها بين الشعراء، فهذا عند القاضي الجرجاني من "المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه" (٢)، وعند ابن رشيق - كذلك - لا يُعد من السرق، يقول: "ومما يُعد سرقاً وليس بسرقة اشتراك اللفظ المتعارف عليه، كقول عنترة: وخيل قد دلفت لها بخيل عليه الأمشد تهتمبض أهبيصارا (الوافر)

وقول عمرو بن معد يكرب: وخيل قد دلفت لها بخيل تحبسة يتيهم ضرب وجيع (الوافر)

وقول الخنساء ترضي أخاها صخرًا: وخيل قد دلفت لها بخيل فدارت بين قبورها زحاه (الوافر)

ومثله: وخيل قد دلفت لها بخيل ثرى فزمتها مثل الأسود (الوافر)

وأمثل هذا كثير" (٣).

تد بتق اللفظ ولكن اختلاف المعنى يبعد عن الشاعر مغبة السرق، ولعل هنا هو ما دفع الشراح إلى استخدام مصطلحات هائلة للتعبير عن هذا الأمر، وذلك على الرغم من التشابه اللفظي والمعنوي الواضح بين

(١) الموزني: شرح ديوان الصليبي: جلد ١ (٢٦٦)، (٨٩٠، ٨٨٩ / ١).

(٢) القاضي الجرجاني: الوسيلة بين المتني وخبره، ص ١٨٣.

(٣) ابن رشيق: المسند، ٢٩٢/٢.

أبليت شعراء الحماسة وممن تأثروا بهم من الشعراء الآخرين، كما جاء - على سبيل المثال - في تطبيق المرزوقي على قول عنترة بن شداد المسمى:

(الوافر)

تَرْفُثُ بِنَيْسِي الْهَجْجِ بِمِ لَهْجَمِ نَوَازٍ إِذَا نَحْنُ ضَمِي جَفَا عَنَّهُمْ تَفْوُذُ

البيت يروى على وجهين: أحدهما:

(الوافر)

تَرْفُثُ بِنَيْسِي الْهَجْجِ بِمِ لَهْجَمِ نَوَازٍ إِذَا نَحْنُ ضَمِي جَفَا عَنَّهُمْ يَفْوُذُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس، وبعضى فعل له، وجماعتهم ينتصب على المفعول، لأن بعضى هذا يتعدى، ومعاد يجوزهم. ويكون المعنى: تركت هؤلاء القوم لفرس مطلقاً بمنزلة الدوار وهم ضمٌ كانوا يحجونه بطرف حول ذلك الضم، إذا نفذهم وخرق صفوفهم ودار عليهم عاد إلى مثل فعله الأول، وإلى مكفه الأول. ويشبه هذا البيت بيت الأعشى في المعنى واللفظ وهو:

(المتقارب)

تَطْلُفُوفُ عَلْمِهِمْ وَتَفْطِيفُهُمْ كَمَا طَافَتْ بِالرُّجُفَةِ الْفَرْجَةُ^(١).

ويمكننا هنا أن نلاحظ التوافق الكبير بين اللفظ البيتين ومحتيئهما؛ مما يؤكد التآثر الواضح، كما يدل على تقصير الشاعر "مهما حاول تغطية ذلك بتبديل بعض اللفظ البنية اللغوية أو بتلخيصها أو تقصيرها"^(٢).

ب: التقصير في أخذ المعنى^(٣):

وهو من السرقات المنمومة التي أشار إليها النقاد^(٤)، وتقتل من شأن الأخذ، وتضعف من قيمة شعره الفنية. وقد تنبه الشراح إلى تقصير شعراء الحماسة في تناول المعاني المأخوذة من غيرهم من الشعراء، واستبقوا فعلهم وعابوا عليهم ذلك إما نصريحا أو تلخيصا.

وقد وقع منهم هذا التقصير في أشكال وضروب مختلفة، منها^(٥):

١ - عدم التماهي مع المعنى المأخوذ وعدم الزيادة عليه: كتول القند الزماني:

(الهجج)

فَجَزَيْتُ بِالسَّيْفِ الْقَوَافِ بِرِيفِثُتْ بِفِثْذِ إِخْفِثُ

"وقوله "كجيب الدفن" شبه اتساع الطعنة وسرعة خروج الدم منها بلسان جيب المرأة الحمقاء، ونزوها في روعها، واضطرابها في متخرق قميصها ... وقد سلك آخر هذا المماليك نقل في معنى هذا ولغظه: (القند للزماني)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٤٦)، (١ / ١٢٥).

(٢) دالمعطي طين: تيارات النقد الأبهي في الأندلس: ٤٤١.

(٣) السيد حمدان: تشبها البلاغة والنقبة في شروح لشماء على شعر أبي العلاء، ص ٤٣١.

(٤) ابن رشيق: الصمد (٢ / ٢٦٥ وما بعدها)، وقفا: المرزوقي: الموشح، ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) السيد حمدان: تشبها البلاغة والنقبة في شروح لشماء على شعر أبي العلاء، ص ٤٣١، ٤٣٥، حيث استمداً ببعض الظاهر فقط، خلا لشواهد وتطبيقات عليها.

نفسِي فـإذا لـبـسِي مـازِنٍ مـن شـئـسِ فـي الخـزبِ أنـطـالِ

"يقول: أفدي من كل سوء بنفسي بني مازن، من فرسان ينفرون من الحميم، وشمسون إذا التقتوا مع الأعداء في الحرب، شمساً لا يحصهم على طمع متيج، ولا يؤدهم إلى يأس مريح، بل يتردون في الجذاب، فلا يزالون معهم على مراس إتعال لا ينقطع، ولزام شر لا يقلع، وهكذا يكون شمس الخيل في الإباء والانقياد. وقال لقيط في المعنى وأرضحه:

(البسيط)
جـرئتُ بـنـا بـيـنـا خـيـلَ الشـمـوسِ فـلا يـأسـا مـيـبـنـا نـزى مـنـها ولا طـنـفـا " (١).

وقول آخر:
وَعُدْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ طَرْفَكَ رَجُودًا بَقْبِكَ وَوَيْتَا لَتَيْكَ الْمَنَاطِرُ
رَأَيْتُ الَّذِي لَا قُلُوبَ أَتَتْ قَابِزٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَتَتْ مَنَابِرُ

"يقول: إنك إذا جملت حينك رائدًا لقلبك تطلب له مصب هوام، ومقلا لهوهم وصباه، أتعبتك منظرها في مطالبك، وأرقعتك مواردنا في أنق مكارهك، وذلك أنها تهجم بالقلب في ارتياده لها على مالا يصبر في بعضه على فراقه مع مبهجات اشتباقه، ولا يقتر على السلو عن جميعه مع شكر غرائب الحسن منه، فهو الدهر ممتحن ببلوى مالا يقدر على كله، ولا يصبر عن بعضه. والحنفية فيهما للعين، لكونها قنأاً للنزاد إلى الردى وساقاً، وهنديا لدواعي الحب إليه وحديا... وأبين من هذا قول الآخر:

ألا إني ما للعوتسان للقلب زابـدُ فما ثألف العوتان فالقلب يـألف " (٢).

فأحمل ما فصله شاعر العمالة، في الإتيان بمعنى البيتين في بيت واحد، إلى حلقب ما زاد عليه في بقية المعنى وإيضاحه.

ومنه أيضا ما جاء في قول الحسين بن مطير:
وَمِنْ يَتَسَابَتِ الْخَبْ أَنْ كَسَانِ أَهْلُهَا أَخْبُ إِلَى قَلْبِي وَعَيْسُ مِنْ أَهْلِي

"يقول: ومن أهات حسي البينة، وشواهد الصلقة، على تكامله لها، وتناهم في استحكها، لي أثر أهلها على أهلي، وإن رتبهم في العين والقلب أعلى من رنة عشريني عدي. وقد خلاص هذا المعنى عترة حيث قال:

(الكامل)
عَفَّيْتُهَا غَرْضًا وَأَقْبَلْتُ قَوْمَهَا زَعَمًا لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِغَرْعٍ

لأن في قضية الهوى والعقل أن حبها مع عداوة أهلها ليس بمشوق ولا متسبب، بل ينقل كل واحد صلحها وأن الواجب أنها إذا كرمت عليه فكل متسبب إليها يسبب، ومتسبب بنسب، يجب أن يكون مؤثراً عنده مبعلاً في حكمه، وأبين من ذلك كله قول الآخر:

(الطويل)

(١) السردولي: شرح ديوان الصلعة: حلبية (٢٣٢)، (١ / ٦٨٥).
(٢) نسه: حلبية (٤٦٥)، (٢ / ١٢٣٨)، (١٢٣٩).

وَأُشْمِمَ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَمَتَهَا لَهَا ذَلَالُ الْفَلَاخِيَّةِ إِلَى بُنَابِهَا " (١).

٤ - مما يدل على تقصير شعراء الحملة إشارة الشراح إلى إحسان غيرهم من الشعراء في تناول

المعاني ذاتها، دون أن ينبهوا على سبب تقصيرهم أو إحسان غيرهم.

من ذلك مثلاً، ما عتب به التبريزي على بيت يزيد بن الحكم الكلابي: (الطويل)

نَفَسَاكُمْ بِـالْفَوْلِ حَتَّى بَطِرْتُمْ وَبِالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ

" يقول وعظنكم أولاً باللسان حتى أبطركم ذلك وصرنا إلى الدفع بالراح وفي محاورات قريش أن بعضهم

قال لأخر منهم مستضعفاً لما لورده عليه هذا دفع بالراح فقال مجيباً كلا أن معها الأصابع والراح جمع راحة والتفع

بالراح لا يضرب المدفوع غير ضرر وفي الدفع بالأصابع بعض الأدي يقول دفعناكم بالقول فطرتهم فصرنا إلى ما هو أعظم منه

فلم تردعوا به لصرنا إلى ما فيه التنكية وقد أحسن إبراهيم بن العلس في جمعه هذه المعاني في قوله: (الطويل)

لَقَدْ قَامَ لَمْ تَقْنِ أَغْشَبَ نَفْسُهَا وَجِئْنَا لَمْ يَجِدْ أَجْنَتْ غَزْبَتُهُ " (٢).

وبيت آخر في الحسد:

إِنْ يَخْسَنُونِي فَيَا بَنِي غَيْرِ لَابِيهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ خَسِبُوا

" الضمير في حسدوني لطائفة من الناس خصين بالإخبار عنهم وقصدهم بالكلام بقول إن ناقسوني

وحسدوني لحي لا الوهم ولا أعتب عليهم إذ كان التناقص والحمد يتبعان الفضل وإذا كان من قبلنا أعتد بعضهم من

بعض مثل ذلك وقد أحسن كل الإحسان من قال: (الكامل)

وَإِذَا مَنَزَحْتَ الطُّرُقَ خَوْلُ قَبَائِرِهِ لَمْ تَلَقِ إِلَّا بَغْضَةً وَخَسَنُونَ " (٣).

وقول أبو وهب العبيسي يرثي ابنه:

نَحْنُ أَهْلُ الْخُدَى نَزَرْنَا وَخَارَتْ وَالْأَرْضُ لِلْأَقْوَامِ قَبْلَكَ غَوَى

فَأَيُّ فِتْنَةٍ وَازَوَتْ أَفْئَتُكَ أَكْفَلَهُمْ تَخَيُّبِي مَغْشَا وَتَهَيُّبِي

" يقول: ولله للحد قبره هذان الرجلان، والعلة مستمرة في فناء الأمم السالفة قبلنا؛ لأن الأرض لا تخلو مما

يغفل الأحياء ويهلكهم.. وفي الطريقة التي سلكها من اقتصاص الحال في الدفن والحشر، قد أحسن من قال: (الطويل)

أَلَمْ تَرَى أَنِّي أَبَيْسُ عَلَى اللَّيْثِ يَتَكَّفُ وَأَخْبَيْسُ عَلَيْهِ الثُّرَيَّةُ لَا تَنْفُثُ

فَأَيُّ لُتْلَى لَيْسِي الْخَلِيْفَةَ بِأَبْلَا غَيْرِيَّ يَلُوقُ بِالْقَبَائِمِ وَيَضْرَعُ

تُفَالٍ يَغَارِزُ الرُّوحَ لِيَهْ، لَقَرِيْبِهِ بِفَهْدِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مَوْتٌ مُتَفَنَّعُ

(١) المازولي: شرح ديوان الصلت: ص ١١٣، (١٢٥٣/٢).

(٢) التبريزي: شرح ديوان الصلت: (١٢٤/١).

(٣) نفسه: (١١٢/١).

ألا تراء كيف صور التوبيخ منه والإعظام له في تلك الحالة" (١).

وربما نلاحظ هنا شكلاً من الموازنات النقدية، التي حفلت بالكثير منها شروح الحملة، والتي سوف نتفصيل القول فيها عما قريب.

ج - أخذ المعنى الشاعر الخاص:

وهو من أشد أنواع الرققت ظهوراً، ويقصد بالمعنى الشاعر الخاص ذلك المعنى الفريد المستقل الذي ينفرد به الشاعر، ويرتبط به، وينسب إليه أنه ابتدعه، وأخترعه، وسبق إليه، فقد كان "المحقق إلى المعنى أحد مقاييس "الألمية"، ولهذا كثر الارتباط قنسا بين المعنى وملاحظات الرقة أو ملاحظة التقييم بوجه عام" (٢)، فالرقة "تقع في المعنى المعتمد بوجه من "التصرف" لتتطلى . وفيه فلتنة تتمثل في التمييز بين الغرض "على العموم"، من حيث هو المعنى العام، والدلالة، ويبدو أنها مستوى أخص من المعنى العام، أو هي المعنى الثاني من الأول. وإذا كان الناس يشتركون في المعرفة، فإن المبدع له "طبع" "خاص"، أو معرفة "خاصة" "عربية" ليست "عامة، أو متشابهة". محضور مفهوم الإبداع في مقابل الرقة واضح في هذا التصور. ومن الطريف أن تحولات كلمة الرقة بين الإحباب والملك، الإعجاب والتعجب، الإبداء، واضحة هنا. فالرقة التي هي أخذ الدلالة العلمية المشتركة مع إحضارها "للتصرف" محل إعجاب وتحييد، والرقة التي هي أخذ بلا "تصرف" أمر معيب" (٣).

إن تلك المعاني الخاصة إذا أخذها الشاعر بلا تصرف، أو قصر في تناولها، بحكم عليه بالرقة، اللهم إلا إذا أحس تناول المعنى بإحدى الصور التي سبق التعرض لها، يصحح - حينها - الأخذ مباحاً.

وذلك من هذه المعاني النادرة الخاصة ما انتفع بها شعراء الحماسة، وضمنوها أشعارهم، مما لمسه شراح الحماسة، ودعاهم إلى الإشارة إليه في أكثر من موضع.

ولكننا وجدنا شارحاً كلانمري يحصر تناول شاعر الحماسة هذا النوع من المعاني في أضيق الحدود بعد أن "وضع لنفسه مقاييساً حكم من خلاله على مدى انتفاع الشاعر بمعاني غيره، وحدد به درجة هذا الانتفاع" (٤).

اشترط النمرى - كي نحكم على المعنى بأنه مأخوذ ومسروق - اتفاق معنى الشاعرين ثلثاً، وكذلك اتفاهما في الغرض، هذا المقياس هو ما تم استنباطه من تحليلاته لأبيات الحماسة كما سنرى.

(١) المروزي: شرح ديوان الصمد: حماسة (٣٧٩)، (١٠٦٨/٢، ١٠٦٩).

(٢) توفيق الأزدي: مفهوم الأدبية في التراث للشدي إلى نهاية القرن الرابع، عرمر ومناقشة: لعمد طاهر حسين، فصول، قرطبة اشدي، (٢٠٢٠ / ٢٠٢١) ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥

أما بالنسبة لتأكيد على ضرورة الاتفاق الكلي في المعنى، فيُضاح من خلال رده على اليمرسي، الذي أورد تفسيراً لمعنى "صنرت لهم وطلي" من قول تليط شراً: (الطويل)

أَقْسَوْنَ لِلْغَنِيَانِ وَقَدْ صُنِرَتْ لَهُنَّ وَطَلِي وَتَوَمِي ضَيْقُ الْخَيْرِ مَقْشُورٌ

يقول النمرى في سياق رده: "قال امرؤ القيس: وَأَنْتَ تَنْتَقِرُ جَنَّةً جَرِيماً وَتَقُولُ أَنْتَ كَسْبُ صُنِرَ الْمَطْلُوبَاتِ (الوافر)

إلا أن قوله ها هنا: "صنرت لهم وطلي"، أي لم يكن لهم عندي خير. وفي كتاب اليمرسي: "أي خلت نفسي من دهم"، وهذا خطأ للحن، ومتى ود تليط شراً لحيان، وهو أبداً يغير عليها وينال منها؟ وفيه أيضاً: "وتكون هذه الكلمة بمعنى الفقر"، وفيه "أي ضمن عليهم بالعسل الذي كان شاره فصبه فصنرت وطلي". وفي نسخة أخرى: "أي اشتقت على الفقر، لأنهم لو أسروهم لحربوه ماله". ويقول بل أراد الزقاق التي كان ملأها عسلاً، ثم صبه على الجبل واتحدر عليه. والصحيح التفسير الأول وما قرب منه^(١).

فتنقّر والتشفه واضحان بين بيت تليط شراً وبيت امرؤ القيس في كثير من اللفظ - بنصه أو ببعض التصرف - وفي حجب من المعنى، ومع ذلك لم يحكم النمرى على تليط شراً بالأخذ أو السرقة، لأن الاتفاق بين الشاعرين لم يكن كلياً.

ولعل المرورقي أيضاً تنبّه إلى هذا التنقّر الجزئي لا الكلي عندما عبّر عنه بقوله: "ويكون هذا من قوله...^(٢)، فقال: (من قوله)، ولم يقل: (كقول)، أو (مثل قول)، أو غير ذلك من التعبيرات التي تدل على التنقّر التام.

أما ما اشترطه النمرى من ضرورة الاتفاق بين الشاعرين في الغرض كي يكون التنقّر تليفاً، فقد ألمح إليه في غير موضع، مثل تعليقه على قول عقيل بن علفة (ت ١٠٠ هـ) في الرثاء: (الطويل)

فَتَسَى فَمَانَ مَوْلَاةً يَخْلُ بَخْزِمْ فَعَسَلُ الْغَنَاءِ يَهْدِي ذِي الْمَسْجِلِ

بالقول: "يقول: كان بنو عه في حياته ينزلون الروابي تعرضاً للقرى، فلما مات افتقروا، فزاولوا المسجل حيث تخفى شخصهم، ولا يحل الرغبة إلا عي كريم، ولا يحل المسجل إلا خير أو لنهم. وقال رجل يومئذ ابنه: (مجزوء الكامل)

وَأَخْلَسَ عَلَى الْخُجُوتِ بِالْقَبَا لِيَمِينَ وَاجْتَنِبَ الْفَسِيلَ^(٣)"

(١) شمري: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (١١)، ص ٢٠، ٢١.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١)، (٧٨/١).

(٣) شمري: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (٢٤٦)، ص ١٣٧، والبيت لذي الإصبع الطولاني (ت ٢٥٠ ق.هـ).

فتبنيه النمري على غرض الرجل بالقول: "وقال رجل بوصي ابنه..."، نلمح من خلاله فصله بين القولين (قول شاعر الحماسة وقول الرجل) لاختلاف الغرض بينهما، وإن لم ننص صراحة على هذا الاختلاف ليفرق بين عرص شاعر الحماسة في بيته وغرض الرجل الآخر. وهو ما يُلحّح إلى أن التفرّج جزئي لاختلاف غرض الشاعرين.

وقد يسأل سائل: وما مدلول وجود هذا التفرّج من قول الشارح؟

أقول: إن محدد تبنيه الشارح على تحديد غرض الشاعر يدل على وجود ثمة تكثر وتشابه بين البيتين، فإذا ما استيعبنا الغرض الذي نص الشارح على اختلافه بينهما، لم يبق لنا إلا اللفظ والمعنى، وهو ما نجد لهما وجوداً ظاهراً، وحظاً والفرا بين البيتين. وإذا لم يعتد الشارح في وجود هذا التكثر والتشابه بين البيتين، لحلا تعليقه من الإشارة إلى اختلاف العرض؛ فلا حاجة للإشارة إليه لافتتاد الصلة والرابط بينهما.

والمرزوقي هو الآخر اتفقت إلى ضرورة اتفاق الشاعرين في الغرض كي يحكم على أحدهما بالتفرّج بالآخر. من ذلك على سبيل المثال تعليقه على بيت عمرو من معد يكرّب: (الطويل)

فجاشت إلى النفس أول مرة وولدت غلبي مغزوها فأنستغرت

بقوله: "نحاشت إلى النفس أول مرة. اعترض بعضهم قائل: لولا أنه حين لما حلت إلى النفس. قل: ومثله في الرداء قول عنترة

إذا يتقشرون بني الأبيثة لم أجسم غلها ولقبني شضائق مقفذي (الكامل)

هلا قل كما قل العباس بن مرداس:

أشد على الكتيبة لا أهلي أختلي فأن فيها لم ميوها (الوافر)

قال الشيخ: وليس الأمر كما توهم، لأن ما ذكره عمرو وعنترة بيان حال السمس. ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يدهما عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان: فالجبان يركب مقرته، والشجاع يدفعها فيثبت. فلما قول العباس ابن مرداس فليس مما ذكرهما بسبيل، وإنما هو بيان الحالة النفسية وما يعزم عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسك. فاعلمه إن شاء الله " (١).

وكما يبدو لنا فإن ما ذهب إليه كل من النمري والمرزوقي - تلميحاً أو تصريحاً - من أن اختلاف الغرض بين الشاعرين يعني السرققة، وإن كان جنس المعنيين واحداً قد صار فيه على مذهب الأمدي - كما أظن - عندما نبه على هذا الأمر في معرض نفيه الأخذ عن البحري في قوله: (الحقيف)

ما لشيء يشانه بعد شيء ففأشبهك بغد هسين

من قول أبي تمام:

(الوافر)

(١) المرزوقي: ترح ديوان المعجمة: مجلد (٢٩)، (١ / ١٥٨).

والمستفزة الأفعى لا ينفذها على شرج الوذاع

لأن تعرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيوتين مخالفت لغرض صلبه؛ لأن لها تعلم نكر أنه لا يفرح بالقدم إلا من شجاء ولحزنه التوديع. وأراد البحري أنه ليس شيء من المسرة والجنل إذا جاء في اثر شيء ما كالندى بعد التفرق. فليس - وإن كان جنس المعنيين واجداً وجب أن يقال أحدهما أخذ من الآخر^(١).

وكذلك الحال للنمري في فكرته عن ضرورة الاتفاق الكلي بين الشاعرين في المعنى حتى يكون هناك أخذ وسرق، نراه قد نقل بما سبق أن طرحه وقرره الأمدى - أيضاً - من أنه لا يبررة فيما اختلف فيهما المعنى، ولم يكن هناك اتفاق أو تنسب.

ومن هنا فإن البحري لم يسرق قوله:
سلام وإن كان السلام تحية فؤجها نون السرى تغلى السمنا

من قول أبي تمام:
واقسم الخيط بيتنا إن لمي النخس مطبقنا ما يجبن الضمير

لأن لها تعلم "سرق من يخلبه أن يقل عليه ويحل قبضاً من النظر له؛ لأن إدانة النظر تنال على المؤد، كما أن الإعراض يدل على البغضة؛ والبحري إنما سلم على البيت الغنوي، وذكر أن السلام تحية وإن وجهه إجماله وطلاقة يثنى لمسلم قبل ردة السلام؛ والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الشرقة والغربة ما ينسب أحدهما إلى أنه مدنو، على الآخر أو مسروق منه"^(٢).

سننتج من كل ما سبق أن النمري والمرزوقي - وهما من أكثر الشراح غلبة واهتماماً بجانب النقل والتأثير في أشعار الحماسة عند قضا آثار شعراء الحماسة بغير موافق هذين الشرطين - أتصد توافق المعنى الكلي وتلتزم الغرض - وحصر ذلك في أضيق الحدود، كما سبق وفيما سلفي.

ومن هنا وجدنا المرزوقي يشير إلى ملوك شعراء الحماسة في المعنى مملك غيرهم من الشعراء دون أن يحكم بالسرق، أو الأخذ، كما يتضح في معنى قول بعض شعراء بلعبر:
لؤقت من مازن لم تميخ إلي يئو اللقيطة من ذهل بين منينا

"مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، هم بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم، وإذا كان كذلك فمدح هذا الشاعر لهم بجري مجرى الافتخار بهم، وفي بني مازن عصية شديدة لد عرفوا بها وحموا من أجلها ... وكصد الشاعر في

(١) الأمدى: الموزنة بين أبي تمام والبحري، ص ١٤٣.

(٢) نفسه: ٣٣٨/١، ونظر: د. عبد الرحمن طه: مذاهب النقد والحمل، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م، ص ١٢٣، ونشر: حسد حداد: تضاهي البلاغة والنقد في شرح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٤٤٠.

هذه الأبيات عندي إلى بحث قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه، وتهيبهم وخزهم، لا نهمهم. وكيف وويل
الخم راحع إليه؟! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كيشة أخت عمرو بن معد يكرب في قولها: (الطويل)
أَرْسَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ إِذْ خَسَانُ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَفْقَهُوا لَهْمُ نَبِيٍّ

الآ ترى أنها قالت في جملة هذه الأبيات:
وَذَعَّ عَنْكَ عَمْرًا فِي غَيْرِ مُتَالِمٍ وَهَلْ بَطُلُنْ غَيْرَ غَيْرِ شَيْءٍ لِمُظْفَمِ (الطويل)

فلا يحوز أن يتوهم أنها كتبت تحو أخاها عمراً أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثار أخيه، وعمر
هو الذي كان يعد بلطف فارس، ولكن مرادها بعته وتهيبه ... وإذا كتبت أبياتها بقلق من أصحاب المعلى لا تكون
هجواً فكذلك أبيت هذا العنبري. ومما يشهد للطريقة التي سلكناها ويؤيدها أن في جملة أبياته التي وصف فيها
قومه. (البيسط)

يُخْبِرُونُ نِيَرَاتِهِمْ حَتَّى إِذَا خَنَدَتْ شَبُؤًا لِمُؤَقِدِ ثَارِ الْحَرْبِ نِيَرَاتِنَا
وهذا المعنى هو مثل ما اقتخر به غيره في صفت نعمة فقال:
(المقارب) أَقْبَرُ مِنَ الشَّيْءِ فَيُخْبِرُهُ فَيَكْشِفُ اللَّسْرَ إِذَا مَا أَقْبَرِ

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا احتلجوا زانوا على كل حاج.
الآ ترى أنه قال:

شَبُؤًا لِمُؤَقِدِ ثَارِ الْحَرْبِ نِيَرَاتِنَا

ومعنى البيت لو كنت ما زنياً لم تفر منو اللبطة طى إيلي" (١).

وقول الشراح في ذلك كله: (سالك، هو مثل) " لا يعنى أن فيه سرقة؛ لأن التوافق حزني في جعب من
المعنى، والتعبير عنه مختلف " (٢).

كما فرق المرزوقي والتبريزي بوجاهة خلاص - وبقية الشراح بوجاهة عام - بين أنواع متعددة من أخذ
المعاني، الذي جاء بنسب مختلفة، وكتبت لهم تعليقاتهم وعباراتهم الخاصة المحيرة عن ذلك.

فقد يكون التآزر أو الإلزام جزئياً مقتصرًا على شطر بيت؛ فمعنى المصراع الأول في بيت عبد الملك بن
عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للمموّل بن عباد اليهودي:
(الطويل) يَلْمِزُنِي خُصْبُ الْمَسُوبِ أَجَانُثَا لَنَا وَتَغْرِفُنَا أَجْسَالُهُمْ فَتَنْظُرُونَ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصلابة: حماسة (١)، (١/٢٣، ٢٤، ٢٥).
(٢) داحسطنى عليان: تهرات نقد الأدبي في الألفية: ٩٧١.

"قوله: يقرب حب الموت أي حبنا للموت. وجعل في مقابلته: وتكرهه أجالهم لأنه يشتمل على ما يوفيهما حقها من اللفظ وإن كانت من حيث المعنى قد حصلت: ويبعد بغضهم إياه لجأله. ويكون الشاعر ملماً في المصراع الأول بقول الآخر:

رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْخَزْ لَيْسَ لَهُ غَفْرٌ

لأنه يشير إلى أنهم يعذبون لاقتحامهم الدنيا، وحرصهم على ملازمة الحروب، وأن أولئك بعمرون لمجانبتهم الشرور، وزهدهم في مجانبة العدو"^(١).

وقد عر الشراح - كذلك - عن هذا التقارب والتوافق الحزني بين المعنيين بالمشكلة، والتقرب وغيرهما، فقد يكون معنى قول شاعر الحملة قريباً من معنى قول شاعر آخر؛ كما يتضح في قول سعد بن نقيب بن مازن بن عمرو بن تميم:

وَأَذْفُلُ عَنْ ذَابِي وَأَجْفُلُ قَسَمَهَا يُعْرِضِي مِنْ بَنَاتِي الْمُنْثَى حَاجِبَهَا

الذحول: ترك الشيء متبلياً له ومتسلياً عنه، ومنه اشتقاق ذهل. يقول: إذا ضحك المنزل بي حتى يصير دار اليوان انتقلت عنه، ولجعل خرابه وقاية للنفس من العار الباقي، والذم اللاحق. وهذا قريب من قوله (محزوه الكامل)

وَإِذَا ثَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَخُولُ"^(٢).

وكنك قول دريد يرثي أخاه: تَتَانِذَا فَتَسَالُوا : أَرَأَيْتَ الْخَزْلُ فَارِشَا فَنُكَلْتُ : أَعْيَدُ اللَّهُ ثَلَاثَ السَّرْدِ (الطويل)

"هذا قريب من قول طرفة: إِذَا الْكَلْبُ قَالَ : مَنْ قَتَلَ ؟ خَلَّتْ قَتْلِي غَيْبَتْ ، وَلَمْ أَقْنُ وَلَمْ أَتْلِدِ"^(٣). (الطويل)

وأعتقد أن هذه من المعاني المتداولة المبلغة للجميع؛ فلا يلام الشاعر على تناولها، وتسميتها أشعاره، فقد يكون بعض هذه المعاني قريباً من معاني الآخرين، كما في المثال السابق، أو قد يكون شيئاً بها؛ فمعنى بيت آخر: (الوالفر)

يذكر حنينه إلى محل ملبى ومكثها، وميله وإن كان قراً مشرباً في الجوبة متناهياً أقطاره في اليوسمة، وأن ذلك زعيجه لكونها به، فلما حب الأرضين مجردة فليس من دابة وعقلته. وقوله وما دهرني بحب تراب أرض،

(١) للمروزي. شرح ديوان العمدة: حماسة (١٥)، (١١٥/١)، (١١٦).

(٢) لنفسه: حماسة (١٠)، (١٨/١).

(٣) الثمري: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (٢٧٤)، ص ١٢٠.

جعل الحب للدهر على طريقتهم في قولهم: نهاره صقم، وليله ققم، والمعنى: ليس حب الأرضين منى بعادة في دهري، وقوله ولكن من بدل بها حبيب يشبه قول الآخر: (الواثر)
ألا يسا ينيث بالعليسا ينيث وثولا خب أهبك ما أثوث

يريد أن يبيث في الموضع الذي جنت منه قد كثرت، ولكني قصدتك لحب أهك^(١).

وقول هشام أخو ذي الرمة:
تغزيت عن أوقسى بغيلان بغدة غزاة، وجفن الفين ملان مشزع (الطويل)

"هذا شبيه بقول أبي خراش:
حمض إلهي بغد غزوة إذ جيا خراش ويغض الشتر أقو من بغض"^(٢) (الطويل)

وأعربوا عن هذه المشاهدة - أيضاً بقولهم: (كبيت)، أو (كما قال)، ومن هذا القليل قول بعض بني بولان:
تمتوق الثوب بالخصيب وضض طاذ نفوت ما يث غلى الفرم (المفروح)

بقول المرعي: "وهذا البيت كبيت النبعة:
يخذ الملوقي المضاعف منجاة يوقد بالصفاح ثان الخياح (الطويل)

إلا أن هذا البيت على ترتيب، وذلك على تقويم وتأخير"^(٣).

وكما هو الحال في بيت عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال أنه للسومل بن عبد اليهودي: (الطويل)
تجبر إن شينا على الناس قولهم ولا يثبون القول حين نأول

هذا مثل قول الآخر:
وما يستطيع الناس غفدا نثده وثنفة بيثهم وإن كان ميزنا (الطويل)

يصف ريلتهم وعلو كلامهم ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس في المهمات إلى رايهم، والاعتماد على تغييرهم ومشورتهم. فيقول: نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا، وأحد لا يجسر على الاعتراض علينا، والإنكار لقولنا، انقياداً لهوانا، واقتداءً بحزمننا. وهذا كما قال الأعشى: (البسيط)

كل منيرضى بأن يلقى له شعا"^(٤).

(١) المروقي، شرح ديوان الحماسة، حماسة (١٨٦)، (٢/ ١٢٧٩، ١٢٨٠).

(٢) المرعي، معاني البيت الحماسة، حماسة رقم (٢٦٧)، ص ١١٦.

(٣) بحسب حماسة رقم (٣١)، ص ٤٤، ٤٥.

(٤) المروقي، شرح ديوان الحماسة، حماسة (١٥)، (١/ ١٢٠، ١٢١).

وربما يكون التلويح خفيًا لأنه لقي عن طريق الإشارة، كقول آخر من بني نعيم: (الوافر)
أَيْتِيَنِي أَلَّ شَمْعَدَايَ خَلَوْتُهَا وَفَسَا زُرْعِي بِشَدَايَ فَصِيلُ

"مخرج هذا الكلام مخرج الكلام المتقدم، في أنه إنكار وتقرير، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من

التخييل، وهو: (الوافر)
فَسَلَا وَأَفْهَ مَسَا لَيْتِيَنِي نَمْرِيْ وَلَا نَحْمِي غَنَمِي وَلَا مَبْلَاحِي

أي ما لهم يدفون علينا وحالهم في أنفسهم ما هو نهاية البخل والشوم، والنفقة واللوم، حتى لا يحمل فصلًا
لهم على إرضاء مانٍ يفصل بينه وبين أمه بنحو أو حيلة، ضنا به، وإشفاقاً عليه. أي إبهام لا يسوغ لهم البني مع هذه
الحال. ويعوز أن يكون قوله "وما يرغى لشداد فصل" يراد به ما لهم فصيلة فيرغى^(١).

كما نبه بعض الشراح إلى أن التلويح قد بقي عن طريق الإمام - كما سبق أن أشرنا - ، كما في معنى قول
رجل من بني كليب: (الوافر)

ثَقَا غَزَبِي شَمْعَدَايَ خَلَوْتُهَا فَفَسَا أَنْ تَمَّ أَفْرُونِي

يقول: وأوا عزي قد تهتم جلقاء، وتهتد ركائب، فلما صار أمرى كذلك تركوني وحيداً، وقنوا عن مشايخي
ومتابعي، فدعوني الحال إلى مفارقتهم، والتحول عنهم. والعرش: سرير الملك، ولوام أمر الرجل وعزه. فإذا زال
قبل: تل عرشه وتلم. وقد ألم في هذا بقول لوس: (الطويل)

وَهْمُ لَمْعَلُ الْمَالِ أَوَّلُهُ خَلَّةٌ

ويقوله: (الطويل)

بَنُو أُمِّ بَيْيَ الْمَالِ الْكَثِيرِ^(٢).

وقول العديل بن الفرخ المجلي: (الطويل)
إِذَا مَا خَلَّتْهَا خَلَّةٌ تَبَيَّنَا لَنَا بِمَرْفَعَةِ ثُلُثِي السَّوَادِ مِنْ صَنْدِ
وَأَنْ نَحْمِلَ نَارَ تَمَّاهُمْ بِصَوَارِعِ رَدَا فَمَيَّ مَسْرُوبِ الْحَدِيدِ كَمَا تَزِيدُ

أما البيت الأول فقد ألم فيه بمعنى قول الآخر: (زغر بن الحارث) (الطويل)
قَلْبُهَا فَرَعْنَا النَّبِيْعُ بِأَتْبَعِ بَقَضُهُ بِبَقَضِ أَهْلِهِ أَنْ تَدْعُمَنَا^(٣).

(١) الموزوني: شرح ديوان الصانع: حماسة (٦١)، (١ / ٣٣٩ - ٣٤٠).

(٢) نفسه: حماسة (٦٠)، (١ / ٢٩٦).

(٣) نفسه: حماسة (٢٤٩)، (١ / ٧٣٣).

"بحسب عفته فيقول: لا لآتي سوطي بين يدي الصبي الذي في عنقه عودٌ وثم لم يصفره، إلا عيه في الظاهر، وأضرر التودد إلى أمه وأطلب الخلوة بها لاستغفاله" (١).

ومن ذلك أيضاً معنى قول ابن زبيلة:
لَمَّا أَهْنُ زَيْلَانَةٌ إِنْ تَذَكَّرِي أَتَيْتُكَ وَالظُّبُنُ غُلِي الغائب (السريع)

نجد "مينباً على ما قال أبيد، وهو:
وَلَمَّا نَبِ السُّبُنُ إِذَا خَدَّهَا إِنْ صَدَّقَ السُّبُنُ يُزَيَّبُ بِالْأَمْنِ" (٢)

وصيغة (كقول) مثل قول أم عمرو بنت وقدان:
إِنْ أَتَيْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا بِأَحْيَاكُمْ فَخُذُوا السِّلَاحَ وَخُشُّوا بِالْأَبْرَقِ
وَحُذُّوا الْمُعَاجِلَ وَالْمُعَاجِلَ وَالْبَسُوا أَفْئِدَ الْغَزِيرِ وَنَفْسِي أَجْرَدَ لَنَفْسِي
أَنْتُمْ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَحْيَاكُمْ

"تقول: إن ضيعتم دم أخيك، وقعدتم عن الانتقام له، لتقصيركم في طلب ثاره، فضعوا السلاح واطرحوه بالأبرق... والمعنى: إن لم تتأروا لصلحكم فتزيرا بزي النساء فبكم إناء، وبش رهم المرحق: المضيق عليه أنتم... وهذا الكلام بحث وتحريض على طلب الدم، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمراً على طلب دم أخيه عبد الله فقالت: (كبشة أخت عمرو)

فَإِنْ أَتَيْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا بِأَحْيَاكُمْ فَخُشُّوا بِأَذَانِ الثُّغَامِ الْفَصْلَمِ
وَلَا تُسَرِّدُوا إِلَّا أَفْضُولَ نَسَائِكُمْ إِذَا ارْتَضَيْتُ أَغْضَائِي مِنْ النِّمِ" (٣)

وكما جاء في قول حزاز بن عمرو، من بني عبد مناف:
لَمَّا رَاسِلٌ لَمْ تُهَيِّئْ زَيْلَانَةً كَرَامَتُهَا وَالْفَتَى ذَاهِبٌ
وَجَبَانٌ نَفَافٌ فِيهَا الصَّبِيُّ وَوُفْرٌ فِيهَا الْفَتَى الرَّافِغُ
وَنُطْفُؤُنْ عِنْدَ نَحْوِ الْعَبْدِ وَوُفْرٌ مِثْلُهَا فِيهَا الشَّارِبُ (المقرب)

"قوله لنا إبل لم تهين ربها كرامتها، يريد: أنا نوفر إكراماً للنفس وصيغتها على إكرام السل وصيغته، لأن الأموال إذا لم تجعل راقية للنفس جلبت العار وكسبت الشغار. فنحن نهينها ونبتلها صوتاً للنفس، ولئلا يكون المال كالمالك لنا، إذ كان عمر الفتى عارية مستردة، فهو هالك وإن أمهل مدقه، وما يقرمه بذكر به، لصيلة مروءة من أن تترث أو تهون، أجدى وأوجب من صيانة المال وتتميرها والضن بها... وقوله ونطعن عنها تحور العدى، لما عدد الوجوه التي ذكر أنهم يصرفون أموالهم عليها، ويقسمونها فيما ذكر في اثنتيها أنهم بدالعون عنها الأعداء فطعها حافظ من محفظتهم، ودونها دافع من مدافعهم، لا بطمع الأعداء في الإغارة عليها، ولا في احتجان شيء منها، بل

(١) المروزي: شرح ديوان المسنة: حليمة (١٣٦)، (١/١٠٢، ٢٠٣).

(٢) نسخة: حليمة (٢٤)، (١/١٤٨).

(٣) نسخة: حليمة (٦٧١)، (٢/١٥٤٦، ١٥٤٧).

يمتلكها وجهان: مثوبة أو صنيعة وقوله ويشرب منا بها الشارب، أراد أنهم يمشون بها الخمر ويجعلونها في لقمها.
فهو في هذا وفيما سلكه كقول الآخر.
(الطويل)
نُحَابِي بِهَـا أَكَلًا وَنُهَيْتُهَا وَنُهَيْتُ لَهَا لَمَقَهَا وَنُهَيْتُهَا^(١).

وقول عمرو بن معدني كرب:
فَلَمَوْفِي أَلُومِي أَنْطَلْتُ بِمَسَاخُهُمْ نَطَلْتُ وَبَعْنُ الرِّزَاحِ أَجْمَزْتُ
(الطويل)
"يقول: لو أن قومي أبلوا بلاءً حسنًا لفخرت بهم ولمحتهم، ولكنهم أسلوا، فكأنهم مقطوع اللسان عن مدحهم، هذا كقول عد يوقث:
(الطويل)
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِي سَيْتِي بِبِمَنْعَةٍ أَنْفُسُ تَوَمِ أَطْلُفُوا غِنًى بِسَاتِيَا
يقول: أسلوا إلي فاستكوني عن مدحهم، فكأنهم قد شلوا لسقي. ويقال: دل شلوا لسقة بسعة حين أسروه لئلا يبحروهم"^(٢).

وفي بعض الأحيان يستخدم الشراح كلمة أكثر وأشد دلالة للتعبير عن هذا التوافق الكلي بين المعنيين، مثل قولهم (أخذ) أو (مأخوذ).

من ذلك على سبيل المثال قول آخر:
(السيوطي)
فَذَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا يَمَّا وَجَدَ
" هذا الكلام دعاء لعمه وعليهم، على طريق التسلية وقلة الاحتفال، ولأن الحادث يرفع الخلل من الفضل ويتودد به. فيقول: أدام الله لي ما أنا عليه من الفضل، ولهم ما هم عليه من الحسد، ومات أكثرنا لغظه بما يجد ... والمعنى بما يجده في نفسه من الحسد، أو بما يجده من النعمة والفضل عند المحسود. وحتشى أبو جند الله حمزة من الحسن قال: سمعت أبا الحسن علي بن مهدي الكسروي يقول: أنا قد تتبعت من دواوير شعراء قديمهم ومحدثهم فوجدت أنا تمام الطغي متفرذا بمعنى قوله:
(الكامل)
وَإِذَا أَرَادَ أَنَّهُ نَحْنُ فَتَحْنُ ضَيْلُهُ طَوْنَتْ أَشَاخُ لَهَا إِيْمَانُ خَمُونِ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَنْزِلْ لِلْحَامِدِ الْخُضْيُ عَلَى الْخَمُونِ
غير مسروق إليه. وعندي أنه أخذه من فحوى لهنين البيتين وإن كان زاد عليه"^(٣).

أما قول الأشر النخعي:
(الكامل)
إِنْ لَسَمَ أَشْنُ غُلَى ابْنِ خَرْبٍ غَاظَةً لَمْ يَخْلُ يَوْمًا مِنْ تَهَابِ نَقُومِ

(١) الضررولي: شرح ديوان العمدة: حماسة (٧٣٥)، (٢/ ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣).

(٢) حمزة: مغلبي آيت لعمدة حماسة ولم (٢٩)، ص ٤٣.

(٣) الضررولي: شرح ديوان العمدة: حماسة (١٣٨)، (١/ ٢٠٦، ٢٠٧).

"يدعو على نفسه بما يكسبه سوء النشاء إن لم يفرق الغارة على ابن حرب يعني معاوية بن أبي سفيان وهذا

المعنى مأخوذ من قول عدي بن زيد:

(الوافر) فإِنْ لَمْ تَنْتَهِنَا فَنَكَلَتْ غَنَرًا وَهَاجَزَتْ لَنَا زُقُونًا وَالْمُنَاخَا

وَلَا وَضَعَتْ إِلَيْنِي عِلْسِي فَمَرَّشَ حَمَصَانٌ يَوْمَ خَلَوْنَهَا قَاعًا

وَمَنَا مَنَفَكْتَ يَذْدَانِ غُلَامَانِ طَبْرَفٍ وَلَا أَهْصَرْتُ مِنْ شَخْصٍ شُغَاغًا^(١).

ويتضح لنا من بعض النماذج السابقة، أن الاتفاق بين شعراء الحملة وغيرهم من الشعراء لم يكن في النظم

أو المعنى أو كليهما فقط، إنما - كذلك - في أسلوب التعبير، وطريقة الأداء.

وتؤقت الشراح - كذلك - عند بعض الصور الاستعارية التي تكرر فيها شعراء الحملة بغيرهم، من ذلك

قول حزم بن ضرار:

(الطويل) قَلِيلٌ زَهْمٌ مِثْلِي الْبَقَى وَخَيْرٌ بِهِمْ لَنُفَةٍ وَزُقَى لَلْمُتَابِلِينَ زَطِيرٌ

"يقول: محتاحهم متجمل، وبما لا تتاله قدرته ولا ينهض وسعة منكثر، وظاهره الغنى اكتفاء بما يملكه،

وتصعداً لم يرمقه؛ وضمير له أفضل على العفة، ومعروف عند المزال، يحيون في جنبه، ويعيشون في كنفه

وضلاله. وقوله "له ورق" مثل ضربه للندى. وأصله ما هنا ورق الشجر، وبه عيش المال: الإبل والغنم. وإذا لم

يسعوا من الورق عاث الناس في فنقهم. هذا الأصل، ثم يتمثل به بعد لغيره من ضروب المنافع، ووجوه المراض.

وسلك في هذه الاستعارة والتمثيل مسلك زهير حيث يقول:

(البيط) وَلَيْسَ مَاتَعَ ذِي قُرْزَى وَلَا زَجِجٍ تَوْنًا وَلَا مَنَافِيًا مِنْ خَابِطٍ وَزَفَا

ويقال: ورقت الشجرة وأورقت، وشجرة وريقة، إذا كثرت ورقها والوراق: زمن خروج الورق، كالمصرام والجدار^(٢).

ويبدو لنا - من خلال تلك النماذج - أن "مفهوم الإبداع هو الحد المقابل لمفهوم السرققة، دون أن يكون في

هذا القول أي تأويل ليس في حقيقته إلا فكرة نخلها على النص القديم، أكثر مما هي مستعملة حاضرة فيه"^(٣).

وقد امتد الأخذ الأدبي ليشمل - إلى جانب الصور السلفقة - الأنواع البيعية المختلفة من جنس، أو سجع، أو ملحق... إلخ.

ومما وقع من ذلك في شعراء الحملة وأشار إليه المرزوقي، قول أبو العول الطهوي:

(الوافر) وَالْخُزُونُ مِنْ خَمْسَيْنِ بِسْمِيٍّ وَالْخُزُونُ مِنْ غُلَظٍ بِلِينِ

"هذا الكلام من صفة القوارص. يريد أنهم يعرفون مجاري الأمور ومقلير الأحوال فيوازنون الخشن

بالخشن واللين باللين، كما قال الآخر: (المعاج)

(الرجز)

(١) الشعراني: شرح ديوان الحملة: (٢٦/١).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: جمالية (١١٥)، (٢٤٦، ٢٤٥/١).

(٣) سجدى أحمد نوايل: مفهوم الإبداع الذي في نقد العربي القديم، ص ٢٢٦.

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَوَقَّى بِكَزْزٍ لِي وَابٍ لَنْ وَالْطَّفَافُ بِالْطَّفَافِ

وقوله بسره أراد بسره فخفف، كما قالوا في حين حين وفي لين لين. وروى بعضهم: بسره والمعنى أنهم يزيدون في الحراء على قدر الابتداء. وليس ذلك بشيء لأن سره في مقابلة حسن، كما أن اللين في مقابلة الغلط وفي العنود عنه إلى شيء إخلالاً بالثقل والبيت إنما حسن به^(١).

فيذا نوع من المقابلة تلتر فيه أبو العول الطهوي بقول شاعر آخر، وكما نلاحظ فإن هذا تلتر هو في حقيقة الأمر تلتر بالاتجاه والأسلوب إلى جانب المعنى وبعض اللفظ أيضاً. وكثيراً ما نبه عليه المرزوقي والتبريزي على وجه الخصوص، سواء أكن هذا بنصه أو بما يدل عليه.

فقد عتب المرزوقي على قول القند الرماني:
ثَمَرِي الْخَيْلِ عَلَى أَثَرِ رَمْهَرِي فِي السَّنَا الْعَالِي
وَلَا تَبْجِي صُرُوفَ الدَّهْرِ فِي بَنَاتِنَا عَلَى حَالِ (الهزج)

"قوله "على آثار مهري" موضعه نصب على الحال، والمعنى تلعين لي. و"في السنا" في موضع المفعول الثاني لتري، ومعنى في السنا قال بعضهم: انور العالي: يريد به بريق السلاح، كثمهم يتعمونه ويتون به. وهذا معنى. وأحد منه وأعلى أن يكون المعنى: ترى الفرسان إذا تبعث أثري ووطنت عتبي، في مجد علي قاهر، له نور يستضاء به. ويكون هذا في طريقة بيت الأعشى:

كُلُّ سِرَاضِي بَانَ يَنْفَى لَهُ قَبَا

وشرحه بأنهم يرضون بربلتي عليهم، ويعتون اتباعهم لمراسمي، واحتذاءهم لأثاري مما يعلو به سناهم، ويسمو به علاهم. وقوله "ولا تبقي صرور الدهر" تلوية لنفسه فيما صار إليه من ضعف بعد قوته وهرم بعد شبابه، حتى رضي بأننى المزلتين في ممارسة الحرب، ووقف عند أقصر المعيين في ملازمة الضرب والطعن. وقوله "على حال" في موضع الصفة لإنساقاً، وتعلق على بمضمر، كقوله قال: لا تبقى حوائث الدهر إنساناً قاتماً، أو ثابتاً على حال، بل تبيل وتحول، وكما تعطي ترتجع"^(٢).

وقول يحيى بن زياد:
مَنْعَتِي مَسَاجِيِي وَاسْتَقْبَلِ السَّهْرُ صُرُوعِي . وَلَا يَدُ أَنْ أُنْقَى جَنَامِي فَأَعْمُرَعَا (الطويل)

هذا في طريقة قوله: (أبو ذؤيب)
فَقَبْرُوتُ بَعْدَهُمْ بِغَيْرِ شَيْءٍ نَاصِبٍ وَأَخْشَانُ أَتَى لِأَجَلِي مُسْتَشْفِعٌ (الكامل)

(١) المرواني شرح بولي السلسلة: حماسة (٣)، (١١٠/١).
(٢) بحسب حماسة (١٧٦)، (١١٠/١).

ومضى استقبل الدهر صرعتي توطئ للنفس على أنها على أنها بدرجة الدهر، فهو ينظر إيقاعه بها وكل قد. ومعنى استقبل الدهر صرعتي، أي إمليتي، كما يقل لكل جنب مصرع. ومعنى لا بد: لا محالة، وهو من البند: الاتساع والتفريع. كقته تضيق الأمر فيه فلا اتساع معه، ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بد أن يكون كذا، وأن يحذف حرف الجر معه كثيراً^(١).

وإذا عتمد الشاعر إلى تعيين سمات التشبيه الأسلوبية بين الشاعرين، كما صنع المرزوقي عند شرحه بيت شاعر الحملة:

هلالان خالان في كل شئوة من الثقل ما لا يستطيع الأبايع

"يقول: هما في الانتهاز وعلواء الشأن، واستضاءة الناس بنورهما، والاتساع بمكتهما، بمنزلة هلالين؛ ويتكلمان عند كل جنب ومحب من الأتقال والأعباء، ما لو صارت أحرماً لمجز عن النهوض بها وتحملها البعران. فإن قيل: إذا كان قصده في تحمل الأتقال إلى قرى للضيف، ونحر الجزور وقسمتها في المسير، والصبر على المؤن، والنهوض بلكلف، فكيف قال حمالان من الثقل ما لا يستطيع الأبايع؟ وكيف مثل ما يقل على القلوب من الغرامات والحقوق بالأوفار التي تنقل على الظهور؟ قلت: إنما يريد أن تلك المؤن والتكاليف التي يلتزمها، ويسعى بها وفيها، لو جمعت ثم حملت، لكنت الجمال لا تستقل بها، ولا تقوى عليها، فهذا وجه. ويجوز أن يكون لما لل حمالان في كل شئوة من الثقل، جعل لفته ما لا يستطيع الأبايع، إذ كفت الجمال وأنشأها هي التي لحمل الأتقال خلقت، وبها اشتهرت، وليكون في اللفظ توافق، مع الأمن من عارض الالتباس. ويكون هذا كما قال غيره: (الوافر) ألا ظلك لسرو ظلمت عليه يخبب غنمة يقر هجو سيمض بنوئيه فظلمن تؤخا قيانا ما تجل لهن غود

ألا ترى أنه لما كان قد كنى عن النساء بقوله "يقر هجو" عر عن إمستكين عن الطعام تحزناً بقوله "ما يحل لهن عود" إذ كفت البقر وما يجانسها من البهائم تعطف العود وما يكون كالعود. وليس ذلك إلا لطلب الموافقة في اللفظ مع الأمن من اللبس"^(٢).

وقول سوار بن المضرب:

يا أيها القلب هل شئنا مؤجلة أو نخبئ لك طون الدهر تسنات

إني منمنش ما ذو الغلي سبات من خاجة وأبيات السز يمتنا

"عتب على قلبه في صيغة له، وإطراحه مواعظه، ولوعه المستمر على تطاول الدهر، وتقديم الأمر، وقال: هل لين الوعد منك أو أحداث مواسلة الأيلام واستمرارها شيئاً لك، فنكف عما يكره منك، أو تقبل بعض ما تدعى إليه من رشك، وقوله "أو يحش" زاد للون الخفيفة في المعطوف من غير أن حصل في المعطوف عليه،

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حمالية (٢٨١)، (١/ ٨٦٢).

(٢) منه: حمالية (١٢٦)، (١/ ٣٦٩)، (٣٧٠).

وهو "بهاك" مثله، وساغ ذلك لأنهم ألفوا زيادة إحدى النونين فيما ليس بواجب من الأفعال، فكأنه قدر أن الأول حصل فيه النون فزاد في الثانية، لتوهم مثله في الأولى، واستمرار العلة بزيادته. وهذا كما عطف في بيت امرئ القيس:

فَطَلَّ طَهْنَاءُ الْفُحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضَجٍ صَافٍ شِوَاءٍ أَوْ قَبِيرٍ مُغْفَلٍ

قوله أو قبير معجل، وهو مجرور، على صنف سواء وهو منصوب، لئنه حذف النونين، وحمل الإضافة بدلاً منه في منضج" (١).

هذا التشبيه في أسلوب الكلام، تتأوله الفقد تحت فكرة (الاحتذاء)، تلك الفكرة التي سببت على المعنى كذلك، عندما أشار الأمدي إلى مثل هذا الصنيع في المعنى، خلال تعرضه لقول البحراني: (الكنل)

وَبَيْسَتْ يَخْلُومُ بِالْمَغَارِمِ وَالْقَلْبِ خُشْيٌ يَكُونُ الْمَجْدُ جُلٌّ مَثَابِهِ

الذي يرى أبو الصياح أنه أخذه من قول أبي تمام: (الطويل)

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى الثُّومِ بَنَةً فَلَمْ يَكُنْ يَغْيِرُ مِنْجَا أَوْ طَعْمَانٍ بِحَالِهِ

أما الأمدي فيرى له شكل من أشكال التلق والاحتذاء، وليس بسرقة "فإن كان واحد قد سجع هذا المعنى أو مثله من الآخر فاحتذاه، فإما ذكر معنى قد عرف واستعمله، لا لأنه أخذه أخذ سرقة" (٢).

بينما كانت الصورة أوضح، وأظهر في أسلوب الكلام، وذلك عند كل من القاضي الجرجاني، الذي سماه (احتذاء المثال) (٣)، وعد القاهر العرحق الذي أكد ما ذهب إليه سلعة القاضي الجرجاني. وسار على الشرب نفسه فقال: "واعلم أن (الاحتذاء) عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً - والأسلوب المضرب - من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيحن به في شعره، فيشبه بمن قطع من أديمه يغلغل على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال قد احتذى على مثاله" (٤)، وهو عندهما ليس بسرقة، ولا يؤخذ الشاعر عليه.

وقد لاحظنا مما تقدم حرص الشراح وعائيتهم على التنبيه على تلك المواضع التي تأثر فيها شعراء المعلمة بمعاني غيرهم من الشعراء، والتمييز بين المتداول المبتذل منها والذي لا يعقب الشاعر على الأخذ منه، والخلص الذي بحسن أخذه، وإجافته في تناوله، رفع عنه حرج السرقة، وصار كسابقه من المعاني المبلغة، غير معقب على أخذه وتناوله. وقد أعظم على ذلك ما كان لهم من "صفاء الذهن وتمسك الروية ومسؤولية التناول ما جعلهم يراعون

(١) للمرواني: شرح ديوان الحماسة حملية (٥٥٨)، (٢ / ١٣١١، ١٣٦٢).

(٢) الأمدي: المروية بين أبي تمام والبحتري، ص ١٤٠.

(٣) القاضي الجرجاني: الواسعة بين المتنبي وخصومه، ١٩٥١، ص ٢١١.

(٤) عد القاهر العرحق: دلائل الإعجاز، ٤٦٨، ٤٦٩، وما بعدها، وفتن: السيد حمدان: اتصفاً لبلاغية ولشبهة في شروح القدماء على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٤.

خصائص الإبداع لدى كل شاعر في علاقة جبلية بين ما يصله بالضرابه من الشعراء وما يميزه عنهم^(١)، وتطرق الشراح من خلال ذلك إلى درجات الأخذ المختلفة، وعبروا عن ذلك بتعابير ومصطلحات متعددة تفرح بها شروحيهم.

وفي كثرة تلك للتعابير والمصطلحات التي نكل على أشكال الأخذ المختلفة، ما يشير - ربما - إلى قصور بعض الشراح في فهم السرق، لأن من سبقهم من النقاد - الذين أخذ الشراح منهم علمهم - وقعوا في نفس المشكلة خلال دراستهم للسرفات، فاستخدموا كثير من المصطلحات و"راحوا يرددون أبيات الشاعر الذي يريدون تجربته إلى أبيات تشبهها شبيهاً قريباً أو بعيداً في المعنى أو في اللفظ أو فيهما معاً، بل لقد افتتوا في ذلك فردوا الكثير من الشعر إلى جمل نثرية من القرآن والحديث وأقوال السابقين واللاحقين من خطباء وحكماء واستقصوا ذلك أبعد استقصاء حتى تمحلوا في إظهار سرفات مستترة يدعونها، ثم يجهنون أنفسهم في التفتن لتبديل عليها، وساعدهم على ذلك خضوع الشعر العربي للتقاليد الشعرية المتوارثة وانحصار أغراضه ومعانيه، بل وطرق أدائه"^(٢). وفي ذلك دليل على قصور فهمهم للقضية، وغلبة الهوى على لحكمهم النقدية في بعض الأحيان.

ولننظر - مثلاً - إلى تعليق الأمدى على ما قام به أبو الضياء بشر بن تميم في إخراجه لسرفات الحنظري من معنى أبي تلم، فيقول إنه: "قد استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجلوز إلى ما ليس بمسروق"^(٣)، بل "إنه لم يقع بالمسروق الذي يشهد التأمّل الصحيح بصحته. حتى تعد ذلك إلى الكثير، وإلى أن أدخل في باب ما ليس منه، بعد أن قدم مقننة افتتح بها كلامه وقال: ينبغي لمن نظر في هذا الكتف أن لا يعجل بأن يقول ما هذا مأخوذ من هنا حتى يتأمّل المعنى دون اللفظ، ويعمل الفكر فيما خفي، وإنما السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وبعد أخذه في أخذه"^(٤)، وفي ذلك كله تحليل، يصل إلى درجة الإدعاء، مما يخرج القضية عن مسارها الموضوعي.

ولكن على الرغم من ذلك، فإن سلوك الشراح هذا المسلك في شروحيهم، وحرصهم وتذليلهم على استخدام مصطلحات بعضها دون الأخرى، لهم دليل - أو هكذا أعلن - على أمقتهم وحيدهم في الحكم على سرفات وأخذ شعراء الحملة.

فإذا ما انتقلنا إلى تلك المصطلحات ذاتها، ومدى منزلتها في ذهن الشراح، عند إطلاقها على نماذج من أشعار الحملة، نجدها تفت حياءً أمام مقصودها غدهم، وذلك "لأنهم لم يفصلوا لنا القول فيها، ولم يحدوا - على الأقل - معناها المتعارف عليه"^(٥)، فلننظر في المصطلحات التي يوردها الشراح، يجدها غير مستقرة بينهم، إذ أنهم لم يتفقوا على روية واحدة عند النظر إلى موضع الأخذ نفسه، وتحديد المصطلح الدال عليه، فتجد كل شارح يستخدم تعبيراً مختلفاً عن نظيره؛ للتعبير عن التفرق ذاته.

من ذلك - مثلاً - مضى قول تلبط شرا، في تحريمهم الخمر إذا قتل لهم قتيل حتى يدركوا ثاره: (المديد)

(١) لعمد فودري: شرح الشعر عند العرب، ص ٢٤٢.

(٢) داهمند سنور: أشد المنهجي عند العرب، ص ٣٥٩.

(٣) الأمدى: الموازنة بين أبي تلم والحنظري، ص ١٢٩.

(٤) نفسه، ص ١٣٩.

(٥) السيد حسام: التمسك بالبلاغة والشعر في شروح لعماد على شعر أبي العلاء، ص ٤٥٦.

حُلَّتْ الخُمْزُ وَكَانَتْ خَرَامًا وَيَلَايَ مَا التُّنْتُ تَجُلُّ

فهو متأثر فيه بقول امرئ القيس:
حُلَّتْ بِسِي الخُمْزُ وَكَانَتْ امْرَأً عَنْ شُرَيْبِهَا فَيَ شُلُفِي شَاغِلِي (السريع)

وجاءت تعبيرات الشراح عن هذا اشتراكاً بمصطلحات وصيغ مختلفة، فالمرزوقي يرى أن شاعر الحملة تأثر بالاتجاه والأسلوب الذي تأثر به امرئ القيس، فقال: "وفي هذه الطريقة لامرئ القيس..."^(١)، بينما نجد النمري أكثر تحديداً في تعبيره عن تلك العلاقة التي تجمع البيتين، فحات عبارة معبرة كل التعبير عن المشقة الشاعرة بين معاني الحملة ومعاني امرئ القيس بقوله: "هذا كقول..."^(٢).

وربما مرد ذلك إلى اختلاف مقدار المعرفة الثقافية بين الشراح أنفسهم، مما بعده أحدهم قولاً سافراً متداولاً مشتركاً: "لجميع، وراء الآخر الآخر اطلاعاً منه على عادات العرب وتقليدها ومذاهبها أحداً أديباً، ويتعامل معه من هذا المنطلق."

فالتبريزي - مثلاً - تنبّه، إلى أن الغرض يقول شاعر الحملة: شربت نعاماً أي: قتل لي قتل فأخذت الإبل في بيه فشربت أنفخاً فكأنني شربت دم ذلك القتل، وهذا المعنى كثير في أشعار العرب؛ لذلك فهو معنى مشترك عام لا يعاب شاعر الحملة إن أخذه أو أورده في شعره^(٣). وذلك قول شاعر الحملة: (الطويل)
شربت نعاماً إن لم أرغلك بضرّة يبيد ذؤمفنى القُرْبَطُ طِينَةُ الشُّشْرِ

وقد أفرط الشعراء في هذا المعنى إرباضاً شديداً، كقول النقاد:
أبى الغوّفني الإبل تنفخ بمنفها وكان دم الثأر الثمنزري أنفغا
تنفخي على رؤا إذا الخيل أصحوا وشرك رؤا أن القتييل المنفخا
إذا صب من لبى الوطى فاعلم بأنك دم الشئخ فاشرب من دم الشئخ أو دعا

وقول آخر:
فأبى الذي أمنه نختم تخليوثة فم غيزي النون لئمن بأخضر (الطويل)

أما النمري فعده درجة من درجات الأخذ الأدبي، فقل بعد أن أورده بيت شاعر الحملة: إن هذا البيت "كقول الآخر..." ثم أورده بيت الشاعر السابق:

وأبى الذي أصبختم تخليوثة... البيت^(٤)

والشيء الحدير بالذكر في هذا المقام، أن أراء الشراح تجاه تلك القضية، حامت خالية - أو تكاد - من تلك المصطلحات الحادة الشديدة، فلم يسموا هذه القضية بلطف "السرقة" أو "الإغارة" أو ما شابه ذلك، فهذه المصطلحات

(١) السريوني شرح ديوان الحملة (٢٧٣)، (١ / ٨٣٨، ٨٣٩).

(٢) النمري، معاني أئيك الحملة، حمالية رقم (٢٧٦)، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣) السريوني شرح ديوان الحملة (١٧٦ / ٤).

(٤) السريوني، معاني أئيك الحملة، حمالية رقم (٨٧٢)، ص ٢٥١، ٢٥٢.

ربما ارتبطت بالنقد الأخلاقي، بل يعرضون ذلك مصطلحات هي أقرب إلى صميم النقد الفني والأدبي الصحيح كالإلمام، وما شابه ذلك من المصطلحات المهنة المعروفة كالتي سبق أن عرضنا لها من قبل، وهو ما يعكس لوقا من الإيجابية في تعامل الشراح مع شعراء الحملة.

ولقد كان التبريزي أكثر حذراً في استخدامه للمصطلحات المعبرة عن الأخذ، فابتعد عن استخدام المصطلحات الحادة في التعبير - كمصطلح الرقة وغيره من المصطلحات - في تناوله لأشعار الحملة، من ذلك مثلاً ما نلاحظه في تحويره عن صلة قول أبو دهل الجمعي:

أَقُولُ وَالزُّكْبُ قَدْ مَاتَتْ ضَمَانُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأَمِنَ التَّغْنَةِ السُّهُرُ
وَالْأَيْتُ أَجَبِي بِأَثْوَابِي وَرَاحَتِي غَزَى لَأَهْلِيكَ هَذَا الشُّهُرُ نَحْوُتِجِرُ
إِنْ كَانَ ذَا قَدْرًا يُخْطِيكَ نَافِلَةٌ مِثْلًا وَيَخْرِقُهَا مَا أَمْسَحَتْ التَّقْدِرُ
جِزْءَةٌ أَوْ لَهَا جِسْنٌ يُغْنِيهَا وَضَمِنَ الْقَلْبُوبُ بِقُومٍ مَا لَهَا وَتَزُرُ

بيت محمد بن بشير الخارجي: يَا أَيْتُ أَيْ سَقَايَ وَرَاحَتِي ... الْبَيْتِ.

معتاباً بما نقله عن أبي محمد الأعرابي ناقول "قال أبو محمد الأعرابي: ليس قوله يا أيت لى يتلواي لاني دهيل إنما وقع في ديوانه مع ثلاثة أبيات أخر والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي وهذا البيت لا يكاد يعرف معناه البتة إلا بالأبيات التي تنتمه وهي

يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْبُيُوتُ الْإِنِّي ثَابِتُهَا بَيْنَنَا لَيْسَ نَزْتَجِي مَعْرُوفُهَا غَزُرُ
وَأَمَّا نَلْهَافُ بِحَقَرٍ تَصِيدُ بِهِ وَابْنَا قَلْبُهَا لِنُفْسَتِي حَزُرُ
هَلْ تَنْتَرِينُ وَلَمْ أَتَمِّنْ عَنْدَهُمْ وَقَدْ نَسِوْهُ لِعَهْدِ الْخُلَّةِ الْتَغُرُ
قُومِي وَتَزَكُّبُكَ قَدْ مَاتَتْ غَابَتُهُمْ وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأَمِنَ التَّوْنَةِ الْتَغُرُ (١).

فلاحظ قوله: (وقع) فهذا يبرهن لبر دهل الجمعي من تسمية الأخذ، فهذا كما يرى التبريزي نقلًا عن أبو محمد الأعرابي على سبيل الوقوع، مما يشعر أنه من جانب الرواة وليس من الشاعر ذاته. وهو مما لا يعاب الشاعر عليه.

وعلى الرغم من نفي الشراح الدلوب السرقة عن شعراء الحملة، ورفع شبهة السرقة عن معانيهم، إلا أنه لا بد من الاعتراف بتأثر شعراء الحملة الواضح بعمق كبير من الشعراء، فاحتضنوا بعض معانيهم والفطيم، وهذا ليس أمراً مستبعداً، بل هو أمر طبيعي لشعراء سلكوا في إطار "شعر حزني غلب عليه التقليد" (٢)، وهي بلا شك مرحلة انتقالية لمرحلة أخرى أكثر تقدماً وصولاً لمرحلة الإبداع والابتكار، "وفي الحق إنه وإن يكن العمود الفكري لكل دراسة أدبية هو إظهار ما عند كل شاعر أو كاتب من أصالة، إلا أن ذلك ليس من اليسر بحيث افترض نقد العرب. وإلى اليوم لا تزال حيلاري في تحديد ما أتى به كل أديب من جديد لم يسبق إليه، ونحن بعد خلاصة الثقافت

(١) التبريزي: شرح ديوان الصفي: (١٦٦ / ٣)، وقصر أيضاً: أبو محمد الأعرابي الملقب بالأمود الفنعلي: إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمرى في "معاني أبيات المعاصرة"، حققه وقدم له: د. محمد علي سلطان، الكويت، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، ص ١٣٣.
(٢) د. محمد مننون: نقد المعنى عند العرب، ص ٣١١.

المختلفة التي توارثتها الإنشائية. وإنه وإن تكن هناك عملية تفاعل تزداد عقا كلما ازدادت النفس التي تحدث فيها خصبا - إلا أننا لا يمكننا أن نجزم بأصالة ما ينتج من ذلك التفاعل" (١).

ومن أبرز الأمثلة على اقتفاء شعراء الحملة أثر غيرهم من الشعراء، ومحاكمتهم - إلى حطب التماذج المسلفة التي مروت بنا من قبل -، تنبيه الشراح في مواقع كثيرة من الشروح على بعض الشعراء الذين أخذ منهم شعراء الحملة، وساروا على دربهم، وقد حرص الشراح على تليط الضوء على تلك المواضع، ونبهوا على ذلك إما تلميحاً أو إشارة.

من ذلك قول رجل من كلب وهو من شعراء الحملة في الدعاء على الدهر: (الطويل)

لَحَى اللهُ ذَهَباً شَرْهَةً قَبْلَ خَيْرِهِ فَوَجَدَا بِصَبْغِي أَتَى بَغْدَ مَقْبَدِ

"لحى الله: دعاء على الدهر الذي وصفه، وقد تقدم القول في حقيقته. ومعنى (شره قبل خيره) أي ما كان يفتشى من شره في الأحبة سبق ما كل يرتضى من خيره بهم. ثم دعا على وجد تعجل له بصيفي بعد وجد تقيم في معبد. كأنه كان لا يلمن من أحداث الدهر فيما حبى وأنعم عليه في أخوة كرام تناسقوا في الولاد والوداد، وتغللوا في حواجز تعليق الرجاء بهم عند الحفظه فيخاف. وعلى ذلك كان يغلب في نفسه وعلى قلبه سلامتهم ويقاومهم، حسن ظن بالواهب، وشدة طمع في الموهوب، فيسكن ولا يهاب. فلما جرى الأمر على خلاف ما ظن زعم أن شر الدهر سبق خيره. ندعا عليه. وقوله (ووجداً بصيفي) يقول: ولحى أيضاً حزناً تجدد بصيفي بعد معد. وهذا تبرم منه بما قاسى من الدهر، وكلد من جزع بعد جزع. وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر: (الطويل)

نَوَكُنْ بِالْأَمْنَى وَأَنْ جَلَّ مَا يَنْصِي" (٢).

إن فلا يتلقى مفهوم الإبداع مع تقليد الشاعر ومحاكته غيره، فلكل شاعر شخصيته المستقلة، وبصمته الخاصة التي يصيغ بها عمله الفني، حتى لو اضطر في بعض الأحيان الاعتماد على منتحات من سبقه من الشعراء والسبعين، ولتختلف طريقة واسلوب تناول الشاعر من دفرة الأخذ الضيقة إلى دائرة أرحب وأوسع، إلا وهي دائرة الإبداع والتميز.

ولقد رأينا كيف لفتيه النقاد التعماء إلى تلك القضية، من خلال إيلحتهم للشاعر الأخذ من غيره طالما زاد في المعنى، وأخضع المأخوذ للتصرف، حتى حفي، مادام الآخر لا يستطي عن الاستعارة من الأول (٣)، والحكم على من ياتي بهذا الأمر من الشعراء بالإبداع والابتكار وعدم السرقة.

وقراءة المصادر المتأخرة تكشف لنا الكثير عن طبيعة القضية وعلاقتها بمصطلح الإبداع على نحو دقيق، مصطلح الإبداع ذلك المصطلح الذي أصبح "مشاعاً في الخطاب القديم، ولم يحصل لنفسه حتى وجود مستقل مكتمل المعالم، بل ظلت ملامحه موزعة في جميع جنبات الخطاب. ومن هنا تعددت الألفاظ التي تحمل معنى الإبداع. منها

(١) د.محمد سبور، انشد المنهجي عند العرب، ص ٣٦٠.
(٢) المروزي، شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣٨٢)، (٢ / ١٠٧٤، ١٠٧٥).
(٣) صبه - سر س الأثير، المثل لسفر، (٢ / ٢١٨).

الأخذ يعني الإبداع حيناً، ويسمى السرقة حيناً. ومنها السرقة تحمي الإبداع بحيل خفية حيناً، وتضي الأخذ المحيبي حيناً. ومن هنا كُتبت دراسة التحولات الدلالية في النص النقدي القديم دراسة شائقة ضرورية لفهم الخطاب التراثي^(١).

إن النظرات العامة للنقد إزاء قضية السرقات، هو في الواقع وحدة القضية، فـ "الإبداع موضوع والسرقة محمول، وكل إبداع يطوي على نوع من السرقة، أو الأخذ، أو الاستطعام. هذه الفكرة هي مجمل الرسالة التي أرادها الخطاب القديم من قضية الإبداع والسرقة. أما الاختلاف بين النقد لكس في تصورهم للمغايير لا لتسمية ذاتها"^(٢).

وبناءً على ما تقدم تتضح لنا بعض الجوانب عن القضية، أهمها: أن مفهوم الإبداع في التراث النقدي لم يقتصر على مجرد ما ينتجه الشاعر أو المبدع من معاني لم يسبق إليها غيره، بل اتسع ليشمل ما يأخذه الشاعر من غيره - أيضاً - ، على وجه الخفية أو الزيادة أو التصرف.

ولتحديد مدى إبداع الشاعر وابتكاره في تنويع المعنى، من عنده، يحتاج الحكم على ذلك منهجاً إبداعياً - كذلك - في شرح الشعر، لا يقتف "عند حدود ما تحمله اللغة من معاني مبتكرة، أو يقتصر النحر من ارتباطات محتجزة، بل هناك إلى جانب ذلك، اجتهدات وابتكارات وتصورات لا حصر لها، نتيجة لإعمال العقل، واتساع الثقافة، واكتساب الملكات البيانية، أصف إلى ذلك مقتررة رائعة لا على الفهم والاستيعاب فقط، بل على العرض والتحليل، في أسلوب تصويري يمي بكل انتماءات هذا السبج، ويبرر قسمة وملاحقه. فاشراح ها - هنا لا يوصل روى الشاعر مبتكرة، ولكن من خلال معناه، من خلال التأثير العائلي، والانفعال النفسي، والتعبير الخاص والمحمول الثقافي والعلمي، من خلال ملكته الراحية، وبفسه المتفردة، ولغة المعصرة، دون ما انفصال بين الثلاثة - الشاعر والقارئ والشارح"^(٣).

وقد تميز المرزوقي - على غيره من الشراح - بدقة إتباعه لهذا المنهج، وبكثرة محفوظه الشعري وشووله، ولذلك لم يهر تميزاً واسعاً وتعرفاً على غيره من الشراح في العديد من النمايا البلاغية والسقنية، ومنها قضية الأخذ الأدبي.

وتتعدد النماذج والشواهد التي أوردها الشارح في تلك، وطق عليها بعبارات متقاربة المعنى والمبنى في أكثر من موضع لذلك ساكتفي هنا بشاهد أو اثنين تعبر عن هذا الاتجاه، وتلك الرؤية.

فقول آخر:

هذِـمْتُ الْإِزْجِيَاءَ فَنَاصَتْ بِبَيْتِي	مَغَائِبُ زَجَلَتْهَا غَزَا صِبَاخَا
فَقُلْتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَخُوا طَوِيلًا	عَلَى فَلَمْ أَجِبْ لَهُمْ نَبَاخَا
أَبِيتُهُمْ قَتْلُهُمْ فَنَاصَتْ غَنَمُ	وَأَنْقَضَ غَنَمُ الْهَنْمِ الصَّرَا
وَالَا فَاخْتَنُوا زَائِي فَبَيْتِي	سَبَأْنِي غَنَمُ السُّبْحِ الْقَبَاخَا
وَحَمِيَّتْ مُهَنَّةٌ بِزَيْبِهِمْ فَمَوْم	يَحْمُ عَلَى أَجْسِ مَنَافِ جَنَاخَا

(١) مجدي أحمد توفيق: مفهوم الإبداع في النقد العربي القديم، ص ٣٢٨.

(٢) نفسه ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) د/أحمد حماد الصريخ: شروح الشعر الجاهلي، مناهج اشراح (١٢ / ١٣٠).

علق عليه الشارح بقوله: "هذه الطريقة في ذم الأدعياء غريبة حنة جدًا. وفيما قل أبو الصاهية في والبة

بن الحباب ما هو مستبعد أيضًا، وهو:

مَا بَالٌ مِنْ أَنْبَاؤِ غَزَبٍ الْـ الْقَوَانِ لَصَبِيخٍ مِنْ يَدِيْ فَتَمَضَّرُ
أَنْفَذَا خَلَّيْتُ أَنْبَا أَمْسَانَةً لَمْ لَوْ كُنْتُ سَنَسَ الْفَنَيْكَ بِأَنْفُصْفَرُ

وأخذ أبو نواس فقال أيضًا:

وَابْنُ الْخَبَابِ مِنْبِيئَةٌ زَعُومَا وَمِنْ الْغُخَالِيْ مِنْبِيئَةٌ أَنْفَرُ^(١).

فيشارة الشارح إلى اشتراك أبو الصاهية وشاعر الحملة في الإتيان بما هو مستبعد بقوله: "وفيما قل أبو الصاهية في والبة بن الحباب ما هو مستبعد أيضًا ..."، فهو إقرار من الشارح بابتداع شاعر الحملة في تناول لغرض الهجاء، وهو ما يدل عليه مبالغ الشرح وفحواه، مما يشهد لشاعر الحملة بحسن التوليد والابتكار.

يتضح لنا من خلال ما تقدم أن شعراء الحملة - بكل موضوعية - شافعهم شأن غيرهم من الشعراء، منهم من أخذ من غيره فقتصر عن المأخوذ، وهو الأخذ المعيب، ومنهم من أخذ وأحسن الأخذ، وهو الأخذ الحسن، ومنهم من أبدع وانتكر، وكان له فصل المسبق، وتبعه غيره من الشعراء فيما ذهب، وقتلوه وحكوه؛ مما يشهد بأصالة شعراء الحملة، وقدرتهم الفنية، وحيالهم الواسع.

الشعراء الذين تأثر بهم شعراء الحملة:

يمكننا من خلال دراسة الأخذ الأدبي أن ندرك المصادر التي اعتمد عليها شعراء الحملة، وأخذوا منها كثيرًا من لغاتهم ورواها. ويمكننا - كذلك - أن نحدد ماهية الشعراء الذين أعجب بهم شعراء الحملة، وكيف تمكن هذا الإعجاب على شعراءهم، فداعت أشعارهم متأثرة بمذاهبهم واتجاهاتهم الفنية، وببلى درجات هذا الإعجاب ومستوياته.

إن حالة التأثر والأخذ تلك - في واقع الأمر - لو كما يسميها ابن عبد ربه "الاستعارة"، فقيمة قدم الشعر العربي، والكلام بصفة عامة، وهي مما لا يؤاخذ الشاعر أو يعاب عليها، طالما لم يقتصر عن الإضافة، يقول: "لم تقل الاستعارة قديمًا تستعمل في المنظوم والمنثور، وأحسن ما تكون أن يستعار المنظوم من المنثور، والمنثور من المنظوم؛ وهذه الاستعارة لا يؤبه بها، لأنك قد نقلت للكلام من حال إلى حال، وأكثر ما يجنبه الشعراء، ويتصرف فيه البلاء، إنما يجري فيه الآخر على سنن الأول، وأقل ما يلقي لهم معنى لم يسبق إليه أحد، إما في منظوم وإما في منثور؛ لأن الكلام بعضهم من بعض، ولذلك قالوا في الأمثل: ما ترك الأول للآخر شيئًا ألا ترى كعب بن زهير وهو في الرعي الأول والصدور المتقدم، قد قل في شعره:

مَا أَزْنَانَا نَفْسُوْنَ إِلَّا مُغْلَرَا أَوْ مُغْلَانَا مِنْ قَوْلِنَا مَقْرُورَا^(٢).

(١) الحروف في شرح ديوان المسلة: مجلد (٦٥١)، (٢/ ١٥٢٢).

(٢) في عبد ربه: المد الفريد، ص ١٦١، ١٦٢.

وإذا تأملنا شروح ديوان الحماسة فسنجد هذا العدد الكبير من الشعراء - القدماء والمحدثين المشهورين والمعتمدين، من لدن الحاهلية حتى العصر الإسلامي - ممن تأثر بهم شعراء الحماسة في أنكارهم ومعابهم. وهذا إنما يدل على سعة اطلاع شعراء الحماسة والشراح على السواء، وكثرة معارفهم ومداركهم التي شملت من سبقهم أو عاصرهم من المبدعين.

ومن هؤلاء الشعراء: جرير، وذو الرقة، وكذلك، امرؤ القيس، وليبد، وغنيرة، وزهير بن أبي سلمى، وأنثىة النخعي وغيرهم كثير.

وقد سقت الإشارة إلى الكثير من المعاني التي تناولها شعراء الحماسة من هؤلاء الشعراء. وأشار إليها بعض الشراح، بل توسع المرزوقي؛ فأتى إلى نوع. من المقابلة تأثر فيها شاعر الحماسة أبو الغول الطبري بقول شاعر آخر، وأشار كذلك إلى تأثر شاعر الحماسة سوار بن المضرب في أحد الأبيات بأسلوب امرئ القيس. وقد مرّ كلا الشاهدين فيما سبق^(١).

أما باقي الشراح فلم يهملوا هذا الجانب أيضاً، ولا شك أن مخزونهم الشعري والثقافي الكبير كان له أثراً كبيراً في تعهدهم لما أخذ شعراء الحماسة من معاني غيرهم من الشعراء، وتببهم إلى هذه المواضع يصعب إحصاؤها.

وقد توسعت إشارات الشراح إلى مظاهر الأخذ المختلفة، إلى جانب تحديد درجتها هذا الأخذ، واستخدام المصطلحات الدالة عليه فهناك كما مر بنا الإشارة، والمقارنة، والمشفية، والإسما، والأخذ ... إلخ، كما حصرنا هذا الأخذ في أصيق العود عندما علّقوا بتأثر الغرض، والتعلل الكلي في المعنى، كما رأينا عند المرزوقي والنمري.

والمرزوقي كان من أندر الشراح على تمييز معاني شعراء الحماسة من معاني غيرهم، فكشف عن مشكلة إسراع شعراء الحماسة محدثون معاني غيرهم، أو مبتكرون. ومن هنا ألام الكثير من الموارث التي لحقت منها الكشف عن أثر غير شعراء الحماسة في أشعار شعراء الحماسة، وبعبارة أخرى أصالة أشعار شعراء الحماسة وتقليدهم.

للموازنة ما هي إلا "ضرباً من ضروب النقد، يتميز بها الرديء من الجيد، وتظهر بها وحوه القوة والضعف في أساليب البيان: فهي تتطلب قوة في الألب، وبصراً بمنأحي للعرب في التعبير"^(٢).

وتلك سمات ينبغي لكل من يتصدّر للموازنة الاتسام بها، إلى جانب "درجة عليا من فهم الألب، وأن يصنع له في النقد حاسة فنية تتأى به عما يفقد حكمه من الأهواء والأغراض التي تحمل القاصرين من طلاب الألب على البعد عن جادة الصواب، حين يوازنون بين بين الشعراء والكتيب والخطباء"^(٣).

(١) انظر: ما سبق في الحديث عن الإحتذاء، للكتف ص ١٩٠.

(٢) دوكي ماركس المؤلفة بين الشعراء، بيروت، دار الجول ط ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٧.

(٣) نفسه: ص ٨.

وهي سمات تضفي على صاحبها الموضوعية والحياد عند تناول النصوص الفنية، وهو ما حلول المرزوقي الالتزام به، ونرى - فيما نظن - أنه قد نجح في ذلك إلى حد بعيد؛ فنجد حينا يحكم بالتفوق لغير شعراء الحملة، وأحيان أخرى لشعراء الحملة. حكم لغير شعراء الحملة بالتفوق في تلك المواضع التي حاهوا فيها بالمضى موحزاً مختصراً، أو واضحاً مبيناً، أو صالحاً خشناً، على حين قصّر شعراء الحملة في تناولها، فكروا به طويلاً من غير إضافة، أو غير واضح، أو سفافاً سينا^(١).

كما أتى على غير شعراء الحملة في مواضع أخرى - لكنها محدودة - بقوله - مثلاً: "وقد أحسن كل الإحسان ..."، أو بقوله: "وبيت ... أجود"، أو بقوله: "ولحسن صنعة منه قول ...".

كما جاء معلقاً على قول شاعر الحملة:

(البسيط)
إِنْ يَخْضِبُونِي فَبِأَيِّ غَيْرٍ لَا يَمِيزُ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ خَسَدُوا

بالقول. "يقول: إن ناتسوني وحسنوني، ورمقوا النعمة على بعين الشكط. فبني لا أولهم ولا أعجب عليهم، إذ كل انتقام والحسد يتبعان الفضل. وإذا كان من قبلنا اعتد بعضهم من بعض مثل ما نراه بسبب الفضل. وقد أحسن كل الإحسان من قال:

(الكامل)
وَإِذَا مَنَرْتَ الطَّرِيقَ خُذْ قَبْلَكَ قَبْلَهُ لَنْ تَلْقَى إِلَّا بَغْضَةً وَخُذْ نَوْدًا"^(٢).

ويبلغ هذا انتفاء ذروته في تعقيبه على بيت شاعر الحملة في ابن له:

(الطويل)
فَجَاغَتْ بِهِ مَسْبُطُ الْعِظَامِ فَتَقَدَّسَا عَنَّا شَيْءُ نَسِينِ الرِّخَالِ لِإِوَاءِ

"يقول: جاءت الأم بهذا الولد وهو تلم العظام معيد القامة، فكلن قامته رمح، وكان علمته إذا توسط الرجال لواء محمول عليه. وأحسن صنعة منه قول مسلم، وإن كان هذا سليماً من العيب.

(الطويل)
يَقُومُ مَسْعَ الرُّمُحِ الرُّدِّيَّتِي فَأَمُّهُ وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْنٌ كُلُّ نَجَابٍ"^(٣).

ونستطيع أن نلمح شجاعة الشارح الكبيرة في حكمه لقول مسلم على قول شاعر الحملة، وشهادته له بالأفضلية والجودة، على الرغم من كون قول شاعر الحملة سليماً من العيب.

إلا أنه تبقى - على الرغم من ذلك - الموضع التي امتدح فيها الشارح صنيع غير شعراء الحملة، قبلة معنونة، أسلم نظيرتها التي أتى فيها على أقوال شعراء الحملة، وحكم فيها بتقديمهم على نظرائهم من الشعراء؛ إما لأنهم لحسنوا الأخذ، فاضلتوا وزادوا على المعنى، أو ابتكروا ولبدعوا معاني جديدة، لم يسبق إليها غيرهم، ولم تنسب لأحد سواهم.

(١) انظر: لي شواهق ذلك كله، ما سبق لي بحث (تتصير في لغة المعنى)، الكتاب ص ١٧٢ وما بعدها.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان المعاني: حمالية (١٣٨)، (١ / ٤٠٥، ٤٠٦).

(٣) نسخة حمالية (٧٥)، (١ / ٢٧٠، ٢٧١).

وأراه المرزوقي فيما يخص هذه القضية تنم عن براعة ولقدار في اكتشاف الأخذ الأدبي بكل أشكاله وصوره، وهذا يدل - كما أسلفنا الذكر - على ثقالة واسعة وبصر بالشعر وخبرة به.

لقد حاول المرزوقي من خلال ذلك أن يثبت في نهاية الأمر ما سبق أن أشرنا إليه، من أن شعراء الحملة لم يكونوا عالة على غيرهم من الشعراء، بل أضلقوا - في كثير من الأحيان - إلى ما ألقوه؛ مما جعلهم يتميزون به عن سواهم، إلى جذب قرائهم على ابتداء وابتكار معاني جديدة كان لهم فيها فضل السبق والريادة.

وقد لاحظنا - كذلك - كيف أن نقده يجمع بين الجانب التطويري والتطبيقي، وإن كان ميله إلى الحقب التطبيقية العملي أكثر وضوحاً. بالإضافة إلى تناوله لتلك القضية نفسها بمصطلحات مختلفة. لكنه ورغم ذلك لا يكاد يخرج - ومعه كثير من الشراح - عن نطاق الدائرة النقدية التي رسمت عند النقاد السابقين؛ لأنه ونظرائه من الشراح ينهلون من معين واحد.

الشعراء الذين تأثروا بشعراء الحملة:

نظراً للمكافة الكبيرة التي يحتلها شعراء الحملة بين نظرائهم من الشعراء، فقد حظيت أشعارهم بحفاوة شديدة من قِبل الشعراء والنقاد على السواء، ولما لا وديوان الحملة نفسه - كما أراد له جامعهم - يحوي بين يديه مقطوعات وتقصيد لكثير من الشعراء المعقلين والمغمورين إلى حقب المشهورين المعروفين أيضاً، ابتداء من الجاهلية حتى عصر جامعهم؛ حرصاً منه على لغة العرب وتراثهم الشعري. وقد ذاع صيت تلك الحملة حتى أصبح كثير من أشعارها "يعتبر من الشواهد المعتمدة في العربية لغتها ونحوها وبلاغتها"^(١)، مما دفع الكثير من الشعراء إلى التأثر بهم وبشعارهم، وهذا ما انتبه إليه كثير من الشراح، فلتأثروا إليه وفوهوا به، تملأوا كما لمعلوا بمن تأثر بهم شعراء الحملة، كما أشرنا من قبل.

ولعل شهرة بعض شعراء الحملة وتميز شعرهم هو الذي منحهم قدرًا من التأثير في غيرهم من الشعراء.

والنظر في شروح الحملة لاحظ وجود طقفة من الشعراء تأثروا بالناظ شعراء الحملة ومعقبيهم، من أهمهم:

١ - كثير عزة (ت ١٠٥ هـ): فقد أخذ معنى قوله:
إذا هم بالاعداء لم يسنن قتلهم
وذاقت لواء رأت غداة جنتها
حساناً عليها عظم نر يريتها
على أثماننا وبقد اختويتها

من قول عبد الشارق بن عبد العزيز الجهنى:
ألا خيتت خطاً يسا زنتها
تخيتتها وإن قرنت غلوتها^(٢)

(١) د/ عبد الله عبد الرحيم عجلان: حملة أبي تمام وشروحها، دراسة وتحليله النقدية ص ٥.
(٢) ابن الجهم: كتاب الحملة: ص ١٤٣.

٢ - بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ) : فقد أخذ قوله :
أَنَا الْمَرْغُوثُ لَا أَخْلِي عَنْكَ أَحْسَبُ ثَرْتُ بَيْنَ الشُّمْنِ لِلْعَاصِي وَالْإِدَاتِي (البسيط)

من قول الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري :
إِنِّي إِذَا أَخْلَيْتُ الرَّجَالَ وَخِشْتَنِي كَالشُّمْنِ لَا تَخْفَى بِغُلٍّ مَكَانٌ (١).

٣ - أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) : فقد أخذ قوله :
غُلٌّ بَيْتِي نَبْهَانٌ يَسُومُ وَفَاتِيهِ ثُجُومٌ مَسَامٍ خَرَّ مِنْ بَيْتِهَا الْبَذَرُ (الطويل)

من قول صبية الباهلية :
غُلًّا كَأَنَّهُمْ فِيهَا قَفَرٌ يَجْكُو الدُّجَى فَيَهْوِي مِنْ بَيْتِهَا الْقَفَرُ (البسيط)
والمعنى "أبي كان أهل بيتنا كالنجوم وهو بيتنا كالقمر فسقط القمر ومنه أخذ أبو تمام" (٢).

وكذلك أخذ قوله :
وَيَسْتَمْتُ فَرْخَةُ الْأَوْنِيَاتِ إِلَّا لِنُوقِوْفٍ عَلَى تَرْجِ الْوَدَاعِ (الوار)

من قول جابر بن التلعف الطائي :
وَمَنْ يَفْتَقِرُ فِي قَوْمِهِ يَخْشَى الْبَقَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَابِطُ الْعَمِّ مَخْوِلًا (الطويل)
والمعنى "يحمد المي إذا عظمه عرف فصله فحمده وإنما تعرف الأمور بأسنادها ومن هنا أخذ أبو تمام قوله" (٣).

٤ - ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) : فقد أخذ قوله عن القضاء والقدر وأحسن :
أرى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعِظَهُ مَذْهُبٌ فِكْرُفٌ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غِثًا مَذْهُبٌ
فَلَاكَ نَجْوَى الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبٌ
فَشَدُّ الشَّرِّ وَالصَّبْرُ قُلًّا فَاقْبَلْ لَوْ عَصَنَ أَنْبَاءُهَا مَا نَقَضَتْ
فَوَ الْمُهْرَبِ الْفَنَاجِي لَيْسَ أَخَذَتْ بِهِ ثَوَابِيبُ دَهْرِ لَيْسَ غَنَى مَهْرَبِ

من قول إبراهيم بن كفيف التميمي :
فَكَيْفَ وَغُلٌّ لَيْسَ يَفْنُو جَمَانَةً وَمَا لِلْإِنْسِي غِثًا قَطَى إِنَّهُ مَرْخُلٌ (٤)

٥ - البحتري (ت ٢٨٤ هـ) : فقد ألم في قوله :
أَنْ مَا رَأَيْتَ الْفَجْدَ الْفَقَى زُخْلَمَةً فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَخْوُلْ (الكامل)

(١) الشريدي شرح مبدئي الصفة (١٢٠ / ١).

(٢) نفسه. (٨ / ٢).

(٣) نفسه. (١١١ / ١).

(٤) نفسه. (١٢٧ / ١).

بمعنى شاعر الحملة:

(البيط)

أَلْ ذَهَبُ سَبْقِ قِسْمَةٍ خُزِّلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ غَزِيْبِي لَا وَلَا كَادًا
 لَسُوْ فَيَسْلُ بِلَهْجِهِ جِسْدَ غَنَمِهِمْ وَخَالِهِمْ بِمَا اخْتَفَعَتْ مِنْ السَّهْمَاتِ لَنَا خَادًا
 فِي الْمَغَامِرَةِ لَوَاحٍ يَكْشُوفُ لَهَا أَلْ ذَهَبُ سَبْقِ ذُوْنِ الثُّنَاسِ أَجْمَادًا " (١)

ونلمح من خلال هذا الكلام الذي يسوقه الشراح - عند إشارتهم إلى تأثير شعراء الحملة في غيرهم - حفوتهم بتحديد المصطلحات الدالة على التثثر وتلطيرها، فأشاروا أحياناً إلى وجود الملم... إلخ، لكنهم لم يستخدموا - أيضاً - مصطلح السرقعة، تماماً كموقفهم مما تقرر فيه شعراء الحملة بغيرهم، وذلك في أسلوب محدد وصریح، لا أثر للهامية فيه.

وفي الختام إن النظرة التاميلية تفضي إلى القول بأن دراسة الشراح لقضية السرقعات أو ما اصطلاحنا على تسميته بالأخذ الأدبي، كانت تدور في ذلك التثثر والتكثير، دون استخدام مصطلحات خاصة كالسرقعة أو السلق... مما يلغي فكرة تعدد أو قصد شعراء الحملة في الأخذ، واحتكموا إلى أسس فنية مختلفة، حفوا فيها حتى القداس من النقاد "ومجهود علماء أفاض، تناولوا كل كبيرة وصغيرة، وكل جرنية ودققة، ولم يتركوا شيئاً إلا حللوه ووضحوه" (٢)، أمثال: القاضي الجرجاني، وعبد القاهر الجرجاني، وأبو هلال العسكري ومن في طبقتهم، وهم في ذلك ليسوا بدعا ولا نشازاً، فأكثر الشراح من اللغويين والبلاغيين المحافظين "الذين تهرهم الأطر الشعرية انثى تمت بصلة حميمة، ووشحة قوبة للأطوار الشعري القديم" (٣).

والمعلق في جهود الشراح واجتهاداتهم في تناول قضية السرقعات، يدرك مدى التشلبه بين الفهمين القديم والحديث في تناول هذه القضية، التي درسها أئند الحديث تحت مفهوم الاستعارة والاقتراب (٤)، "وإن كان العرب لم يلجأوا إلى القفون لحسم الأمر" (٥)، لكن الفارق يتسع "عندما نلاحظ كيف اسحل مفهوم السرقعة والاستعارة عند المحدثين إلى طائفة من المناهج، تعالج التكثير والتثثر، أو الأثباء والنظائر، بين المبدعين، في لغة واحدة، أو لغات متعددة، في دولة واحدة أو دول مختلفة، ويجمع هذا كله علم الأدب المقارن. ومن جهة أخرى حل محل مفهوم الاقتراب أو الاستعارة منهج التلصص الذي يشغل نفسه بتخارج النصوص من بعضها وفي بعضها" (٦).

وقد سار الشراح على نهج من سبقهم من النقاد في تناول النصوص الشعرية، فعامت نظرتهم حرفية، وليس في ما ما يعيهم، فـ "كل منهج حاض في تكوينه لطبيعة الشيء الذي وضع لرواسته. والأدب العربي... أدب حرفيات" (٧).

(١) المرواني: شرح ديوان الحملة: حماسة (٨٠٤)، (١٧٨٧ / ٢).

(٢) د/محمد جمال الصوري: شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها (٢٣٣ / ١).

(٣) د/عبد محمد أبو عيسى: لتضلوا الأدبية واتمية في شرح المرواني لديوان الحملة، ص ٣٢١.

(٤) فنظر في تلك: د/محمد مصطفى هذارة: مشكلة السوركت الأدبية في الشد الأسمى، فنصل لرفع عن المفارقة يد دعوت انقل العرب والأوربيين في السرقعة، ص ٢١٩ : ٢٤٠.

(٥) محدي أحمد توافق: مفهوم الإبداع الفني في الشد العربي القديم، ص ٣٢٥.

(٦) نفسه: ص ٣٢٥.

(٧) د/محمد مندور: أئند المنهج عند العرب، ص ٣٦٠.

لذلك فمن الواجب على الشارح أن يدرك العلاقة بين الأبيات، فـ "الشاعر ينظم وفق مستويين: مستوى البيت الواحد ومستوى الأبيات. ففي القصيدة العربية ما يفصل وما يصل في الآن نفسه وهذا الخبط بين الفصل والوصل هو من الحقبة إلى درجة قد لا يظن فيها الناظر العجول لما يجمع الأبيات من "قران" بنية ودلالة. فلشارح إذا لم يضع في حصيلته الدرجة الثانية للنظم فجاءه قد ينته عن القصد لأن الأبيات مهما اختصت بنظم داخلية دقيقة فإن بعضها يظل أخذاً برقاب بعض فهي المتعدد والتوحد والاختلاف والاستلاف والانفراط والانتظام"^(١)، إن القصيدة عند العرب مثلها "كمثل البيت الكبير يضم عرفاً على نظام من البناء. وأنت في الرؤية بين حالين: حال من ينظر من الخارج فيقع بصره على بيت واحد، وحال من ينظر من الداخل فيشاهد عرفاً ذات تصميم في ذلك. عجيب. ولا مندوحة للشارح عن أن يعيش الحالين في التعامل مع النص: حال من ينظر فيه من الداخل، أي في يطم كل بيت على سحر من التحليل الأتقي، وحال من ينظر فيه من الخارج أي في نظام الأبيات محتصة على سحر من التحليل العمودي"^(٢).

وهو - في حقيقة الأمر - ما حلول فيه بعض الشراح على استحياء، فحادث إسهامتهم في هذا الحقل باحة خلقة. بيد أننا نقول الحق - إن هذا الأمر وإن كان وجه ضعف في شروحيهم - فإنها تتفق مع مله العرب ونظرتهم الجزئية للأبيات - كما ذكرنا أنفاً - آنذاك، لذلك لم تدفعهم الإشارات الواردة في الشعر - عن ضرورة الوحدة العضوية، والاحتصا، الأبيات - والقصد الذي يجمع الأبيات بنية ودلالة - إلى الخوض في عمارها، وتركها لأصولها ومرامها الضخمة التي كانت تملأ الرمان.

وهكذا استطاع الشراح أن يسهموا في التعريف بمعاني شعر شعراء الحملة، ومدى أصالة شعرانها أو تقليدهم، ومذهبهم الفني، فقربت شعرهم إلى الناس، وأذاعته في أعمار عدة.

(١) د/لحم الوبلي: شرح الشعر عند العرب، ص ٢٣٤.
(٢) نفسه، ص ٢٣٥.

الفصل الثالث: قضية نقل الرواية والرواة (التوثيق)

obeikandi.com

الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق):

غني عن البيان أن الشعر هو فن العربية الأول، وعند العرب "هو علمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه"^(١)، وهو "منتهى حكمتهم، به يلخون وإليه يسيرون، وهو العامل الذي يرضي نوازع نفوسهم، يطفئ ظمأهم، ويهز مشاعرهم، يتقلونه ويتشبهونه في المناسبات والمجالات المختلفة، لذلك شغلوا بروايته وحرصوا على حفظه ودراسته"^(٢).

وقد أخذ شغف العرب وحرصهم عليه أشكالاً عدة، منها العناية بروايته وتوثيقه، فلنطلع الشعراء أنفسهم في - بداية الأمر - بدور هام في الرواية "فكثرت لهم المدرسة التي يتعلمون فيها صوغ الشعر ونظمه، والتمرس بأساليب الكلام وقنون القول، ومن أراد أن يصبح شاعراً لزم واحداً من فحولهم، يحفظه عنه، ويروي له"^(٣).

وكان الحرص شديداً على جمع الشعر والحفاظ عليه منذ العصر الجاهلي، وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفهية ولا يستخدمون الكتابة إلا فلاناً^(٤).

وقد صمد الحديث عن تكوين الشعر وخفت حدة روايته بعد للبعثة المحمدية، أورد ابن سلام (ت ٢٢١هـ) في طبقاته قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه - السالف الفكر - : "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه" ثم عقب عليه بقوله: "فجاء الإسلام فتشاعت عنه العرب، وتشاغلت بالجهاد وغزو الفرس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واضممت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يزلوا إلى ديوان من" ولا كتب مكتوب"أن ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم من كثير. وقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، فصار ذلك إلى بني مروان، أو صار منه"^(٥).

وجاء ابن مخلدون (ت ٢٣١هـ) ليزيد الأمر وضوحاً وتفصيلاً، بقوله: "التصرف العرب عن ذلك - يعني الشعر وروايته وتوثيقه - أول الإسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فلأخسوا عن ذلك، ومكتوا عن اللخوض في النظم والنثر زمناً، ثم استقر ذلك، وواً نس الرشد من الملة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وخطبه، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه"^(٦).

(١) محمد بن سلام الجعفي: طبقات شعراء العرب، شرح الأستاذ: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٥٢ م، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٢٢.

(٢) دالعمد جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، نشرها وتطورها، (١ / ٥٣).

(٣) دالطاهر مكي: دراسة في مسهل الأندلس، ص ١٣.

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، (١ / ٦٥).

(٥) محمد بن سلام الجعفي: طبقات شعراء العرب، ص ٢٢ - ٢٣.

(٦) ابن خلون: مقامة ابن خلون، بتحقيق د/عبد الوالد والي، دار النهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٦ م، (٣ / ١١٢٧).

إن دأغل العرب للشعر، وإعراضهم عن روايته ونثوبه، كفت مرحلة مؤقتة، ما لشت - هذه المرحلة من القطيعة - أن زالت بروال أساليبها ودواعيها، فلم يكذب قول الوحي نعم تعريضه، حتى عاد الناس يروونه ويثرون من روايته.

وقد مرت مرحلة رواية الشعر في تاريخها الأول بمرحلتين أساسيتين، هما مرحلة الهواية، ثم الاحتراف، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن في كتب التراث.

المرحلة الأولى: وهي الرواية الطورية الطبيعية، وقد نهضت على أيدي "الشعراء الرواة"، وغلّب عليهم حلق حط الشعر، ثم إنشده، ولا يتجاوزون ذلك إلى ضبطه وتعقيقه، وامتدت حياة هذا الطور حتى نهاية القرن الأول وبداية الثاني، وبرز من هؤلاء زهير راوية أوس بن حجر، ووصل كثير من هؤلاء الرواة إلى مرتبة كبيرة في عالم الشعر، بل صاروا من فحول الشعراء كالمعينية راوية آل رهير، وهبة بن خثرم راوية الحظينة .. إلخ، إلى حلق رواية القبيلة.

المرحلة الثانية: وهي الرواية العلمية المتخصصة، وقد نهضت على أيدي "الرواة العلماء"، الذين اتخذوا من الشعر موضوعاً علمياً، تدرسه وتحلله، وتأخذه عن شيخ أو أستاذ، ومن رواد هذه المرحلة: أبا عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ)، وحماد الراوية الكوفي (ت ١٥٦ هـ)، ثم أخذ عن هذين العالمين جل من يعرف من العلماء الرواة، فاعتمد الحلف على السلف، فالأصمعي جلس إلى أبي عمرو عشر حجت، وسمع عنه وروى عنه، ويونس أخذ عن أبي عمرو، وكذلك حلف، وأبو عبيد أخذ عن يونس، كما أخذ حلف والكسائي، وحلف معلم الأصمعي، وسمع حلف من حماد، وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر، وعن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ أبو زيد و ابن الأعراس عن المعضل^(١).

هذا وقد تسعت دوافع العرب لحمل الشعر وروايته، فشملت إلى جانب النوافع الدينية والعاطفية والقومية، نالغة الأهمية، جوانب وبواعث أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، في مقدمتها^(٢): المتعة الفنية، سواء كلفت متعة نفسية أو متعة ذهنية، إلى جانب الباعث التعليمي، وما يتصل به من نشر الأشعار وإذاعتها، بالإضافة إلى الباعث العلمي، الذي يتصل بمد الحاجة العلمية الخالصة، التي شعرت بها الأمة حين تقدمت في دراسة العلوم شيئاً ما واحتاجت إلى تنظيم البحث اللغوي، ودراسة التاريخ، على أسس من كلام العرب، فحينئذ مست الحاجة إلى الرواية والاستقصاء في جميع الأشعار لتلتزم فيها الشواهد على صحة ألفاظ اللغة.

وعلاقة الرواة بشرح الشعر علاقة قديمة، ترسخت منذ تصدي الرواة لكشف الغموض المبهم من شعرهم أو شعر شعرائهم الذين يروون لهم، عندما كان الشعر ينتقل شفاهة بين الناس، وعظم دورهم بعد تجميع الشعر، ونثوبه

(١) انظر: هـ/الجمد جمل المصري: شروح الشعر المعاني، شكلها ونثوبها، (١/ ٥٢ - ٧٤)، مع بحث التصريف.
(٢) انظر: نفسه: (١/ ٥٨، ٥٩)، مع بحث التصريف.

في كتب ودواوين شعرية، فصارت شروحيهم أكثر عفا، بما أضفوه عليها من بعد تاريخي واجتماعي، إلى جانب نبوضهم بالمستوى الفني والدلالي.

ولكي ينشئ لرواية الأخبار والأشعار القيام بهذا الدور لا بد له من ثقافة موسوعية "عمادها معرفة اللغة وغريبها، والألیم وأحداثها، والعادات وتليدها، والأمثال، والحديث، وآي القرآن ... وثقافة كهنه تمثل كما قلنا بحويه صدر رائية قنمه في العلم راسخة، وهو علم بضروب من المعارف أحدها علم الشعر حفظا وإحاطة وتصنيفا وتفسيراً، دون أن يكون ذلك الراوي معنى على وجه التخصيص بما تقتض به لصيغة غيرها أو بما يعتز به لفظ عن سواء، في إطار الاهتمام بمراتب الجودة"^(١). وهو ما تميز به رواية الحماسة، ونجحوا في الجمع بين ثقافة الرواية وعلم الشارح، إلى حد بعيد.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان "لعلماء الرواية قواعد خاصة التزموا بها، وساروا على هديها في جمع الشعر وروايته، فهم جنوا في فحص الشعر الجاهلي ودراسته، وتحديد نصه وتوثيقه، ولم يقبلوا منه إلا ما ثبتت صحته، ولم يرووا منه إلا ما اطمأنوا إلى سلامته من الرضع والنحل، وكان حرصهم شديداً في تحديد مصادرهم، لذلك كانوا يتحرون جيداً عن مخبريهم من الأعراب وغيرهم وكان حرصهم أشد عند أخذهم من الرواة الشعراء الذين قد يدخلون شعرهم الذاتي بين شيايا القصائد والمقطعات التي يروونها لأبيهم أو لغيرهم، أو لشعراء من ذويهم، فطغوا بتحزون من الأخذ من هؤلاء الرواة، وقد بلغ هؤلاء الرواة العماء من التثبت والتحقيق، والتمحيص والتنقيح، ومن المقتررة على تمييز المنحول، والنص على الموضوع، ما جعل بعض العلماء يفضلونهم على رواية الحديث"^(٢). وهنا ما أشير يحيى بن سعيد القطان بالقول: "رواة الشعر أعقل من رواة الحديث، لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً، ورواة الشعر ساعة ينشئون المصنوع ينتقونه، ويقولون هذا مصنوع"^(٣).

إلا أن الرواة ليسوا جميعاً على درجة واحدة من الثقة والجودة فهم "ينفانون فيما بينهم صدقا وأمانة ودفعة، تبعاً لتكوينهم الطبقي والخصري والثقافي، وصمودهم أمام ضواغط البيئة حولهم، سلبية واجتماعية وعلمية. أو استجابتهم لها"^(٤).

وعلى الرغم من ذلك التمايز بينهم، وتلك الأخطاء التي قد يرتكبها بعضهم - عن عمد أو عن غير عمد - أقول على الرغم من ذلك تظل في نطق الهنات التي لا تنقل من شأنهم ولا تنال من مكانتهم وحدهم الذي بذلوه في سبيل الحفاظ على الأشعار وتأصيلها، "إن الرواة سهروا على التراث واعتنوا في إطار ذلك بالشعر جمعاً وتفسيراً

(١) لخصه الونداني: شرح الشعر عند العرب، ص ١٢٤، ١٢٥.
(٢) د. أحمد جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها (١ / ٦٧، ٦٨).
(٣) السيوطي: المزهري في علم اللغة وأصنافها، شرحه وضبطه أحمد حسنة المولى، على محمد الحلبي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بن علي الحلبي، القاهرة، د.ت. (١ / ١٠٦).
(٤) د. طاهر مكي: دراسة في مصطلح الأدب، ص ١٧.

حتى وطوره للاحقين من النقد الذين لقرنت رغبة بعضهم في استقلال صناعة النقد بالفض من جهود الرواة والعلماء بالشعر بالرغم من أن تلك الجهود، على همتها، هي التي رسمت لهم سبيل الاستقلال^(١).

وقد تراص الرواة على مقاييس محددة، التزموا بها، وطلبوها في نقد الشعر، وتمييز صحيحة من منحوله^(٢):

أول هذه المقاييس: الإجماع، أي إجماع الرواة على صحة نسبة الشعر إلى قائله. قال ابن سلام: "أما ما اتفقوا عليه فلا أحد أن يخرج منه".

وثانيها: وجود الشعر في ديوان الشاعر، فقد دون هذه الدواوين علماء غفلت، ولذلك قبلوا ما جاء فيها في صورة اليقين والتضع، أما ما ذكره هؤلاء العلماء أنفسهم في تلك الدواوين على أنه مشكوك فيه، فقد قبلوا أن ينقلوه كما هو ذاكرين أنفسهم.. وقد كثروا يبيعون لأنفسهم أحبا المظهر فيه وحته عسى أن يصلوا إلى شيء يوضح غوامض امره.

وثالث هذه المقاييس: حنريتهم و ثقافتهم ومعرفتهم بمذاهب الشعراء، وخصائصهم الفنية، وطرائقهم في التعبير، مما بُنيت صحته، وصنفت أحداثه ورواياته، وتطلبت أوصافه مع شعر الشاعر دون طعن من أحد أتباعه، وانحاز بصنق أحاسيسهم. وعمق بصيرتهم، وما وجوه غير ذلك رلفنوه، بسعهم في تلك سعة محفوظهم، وذمهم النقص. وحلتيم الفنية بعلة هذا اللون من الشعر على شاعر معين.

فإذا ما انتقلنا إلى الرواية في شروح الحملة، وجنأها قد لقت اهتماما وغلبة بالغة من كثير من الشراح، استند الشراح معيار الحكم عليها، وتقييمها، من تلك المقاييس التي احتكم إليها أسلافهم من الشراح والرواة ونواضعوا عليها من قبل، مع إضافة بعض التمسك الخاصة التي تميز كل شارح عن غيره، والتي نفرضها طبيعة النص ومصادره قوله، وهو ما سيتبين لنا عما قريب إن شاء الله.

وبعد تصنيف أبي هلال العسكري الذي يحمل عنوان "رسالة في ضبط ونحريير مواضع من الحملة" من أهم الشروح التي عنت بهذا الحقب - إن لم تكن أهمها على الإطلاق - فهذه للتصنيف هو تصحيح ما رآه المؤلف مخالفا للروايات من روايات بعض أبيات الحملة، وهو ما يوضحه قوله: "وبعد فقد مر بي في نسخة الحملة بخط بعض أعلام الشيوخ، وذكر أنه قرأها على أبي بكر الخياط (ت ٣٢٠ هـ)، ولبي الحسين المهريري (ت ؟) مواضع لم تصبط، حق الضبط، ولم تجر على سنن العلل، فزأيت الإتيان عن مواقع الزلل منها؛ لنلا أنسب إلى الخطأ، إذا رويت خلافها، والله أعلم، وعليه لتوكل، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه"^(٣).

(١) أحمد الزبيدي: شرح الشعر عبد العرب، ص ١٢٥.

(٢) دألمت جمال المصري: شروح الشعر المعالي، تشيها ونشورها (١ / ٦٨، ٦٩).

(٣) أبو هلال العسكري رسالة في ضبط ونحريير مواضع من الحملة: مقدمة المؤلف، ص ١٤٠، ١٤١.

ومما يؤكد ذلك أن الشراح "في أكثر المواضع التي عرض لضبطها وتحريها، يحرص على نسبة الأبيات إلى منشئها، بذكره أسماء الشعراء، أو لقبهم، أو كتابهم" (١).

وبمراجعة شروح ديوان الحملة واستقراتها، يمكن الوقوف على طقفة من الركاز والدعائم التي استند إليها الشراح عند مقدمهم للرواية والرواة أسرع - إن شاء الله - في تفصيلها وعرضها فيما يلي:

أولاً: نقد الرواية:

حرص كثير من الشراح على بسط الروايات المتعددة للبيت أو النص الشعري الواحد، بعد تفسيرهم وتحليلهم له، ثم تقييد تلك الروايات وتمحيصها، أملاً في الوصول إلى الرواية الصحيحة التي تتفق مع بغية الشاعر ومراميه. وفي سبيل ذلك صدر الشراح في تقديمهم لروايات أشعار الحملة وفق مجموعة من الأسس التي مكتسبة في النهاية من الحكم على تلك الروايات بالصواب والخطأ، وأهم هذه الأسس نعرضها فيما يلي:

١- نقد الرواية القم على العقل (٢):

هو ذلك النقد الذي يتخذ من التحليل المنطقي، القائم على الحجة والبرهان، وتفنيد مزاعم الرواة، وسيلة للوصول إلى المعنى.

وقد استند إليه الشراح في توجيه الروايات وتمييز الصحيح الذي يقبله العقل. وإقصاء الأخرى التي تتنافى مع ما يقره الفكر والمنطق.

ومن أمثلة ذلك نقد المرزوقي للرواية التي وردت على بيت دريد بن الصمة: (الطويل)
فطاعَتْ غُفَّةُ الْخَيْسَلِ خُشْيَ تَبَدُّثٍ وَحُشْيَ عِلَاقِي خَالِكِ الْأَسْوَدِ
نقد روي: "وحشني علاني حلاك لون أسود".

قال المرزوقي: "والضعف فيه ظاهر" (٣). معللاً ضعف هذه الرواية بقوله: "إلا ترى أنه قال: "حلك" وهو الشديد السواد، ثم قال: (لون أسود) وفي إضافة لون أسود ما لا يرتضي" (٤).

وتفنيد أبي هلال العسكري للرواية التي وردت على بيت شاعر الحملة: (المربع)
يَقْلِبُنِي مَا نَفَلْتُ فِيهِ شَمْسٌ وَبَلْهَا وَخَزُّ الْبَسِيمِ يَمْثُلُ وَخَزُّ الْمَتَانِ

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريروايع من المملة: مقدمة المحقق، ص ١١٤.

(٢) د.أحمد جمال المصري: شروح أشعار الجاهلي، مخارج الشراح (٢١٢/٢).

(٣) المرزوقي: شرح ديوان المملة: حاشية (٢٧١)، (١/٨١٧).

(٤) نفسه: (٨١٨/٢)، ونظر أيضاً: (٨٣/١).

بالقول: " (الزول): المجب، أراد: إكليل هذه العقرب (وفي شولها ..) .. أي: في شولها .. (وشولة العقرب): ذنبها، وسمي (شولة)؛ لأنها تشبهه، إذا مشيت، أي: ترفعه. ورواه هذا الشيخ: (إكليلها ذنبك ..)؛ وهو خطأ، وذلك أن (لَنَذِير) شيء تحمل منه الأسورة، نحو العاج؛ فلا يكون ذلك للعقرب .. " (١).

ب - نقد الرواية القلم على الميثاق (٢):

لتخذ الشراح من سياق القول معياراً لترجيح الرواية التي تتناسب مع المضمون، بشكل تراعى فيه خصوصية المعنى والدلالات العلمية للبيت الشعري.

كما جاء في نقد السرزوقي للرواية في قول سيرة بن عمرو النقض:

نُخَابِي بِهَا أَكْثَرًا وَتَهْبِئُهَا وَتَضْرِبُ فِي أَثْنَانِهَا وَتُضَامِرُ

حيث شرع في شرح روايته التي اعتمدها بقوله: "بين فيه وجوه تصرفهم فيما عيرهم به، فقال: نجعلها (بقصد الإمل) حياءً لنظراننا، فتهاذى بها ونسهل تمكن الغفاة والزوار منها، فهذا ما يدل عليه من سياق المعنى، والتليل على ذلك قول الشاعر (وتنبعها فتصرف ألقها إلى الخمر والإنشاق، وتضرب بالقلاح عليها في الميسر عند اشتداد الزمان، فغرقها في الضغفاء والمحتاحين إليها) " (٣). ثم يستطرد قائلا: "وفي تعداد هذه الوجوه يطل لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار في اقتنائها وانخارها .. " (٤). ثم نراء بنقل بعد كل هذا الشرح والتفسير إلى الرواية الأخرى الضعيفة في رأيه فيقول: "أما رواية بعضهم (نحابي بها أكفأنا)، أي تعاليمهم بها ونجلها" لأن مفهوم هذا الراوي، "ليس شيء ولا تعرج عليه" (٥).

وكذلك ما ورد في قول سهل بن شيبان:

نَسِينَا بِمِثْلَةِ اللَّيْلِ غَدًا وَاللَّيْلُ غَدًا غَدًا

يقول المرزوقي عن قصد الشاعر كما هو واضح من الميثاق: "سبعا إليهم مشوة الأسد، ابتكر وهو حقيق، وكفى عن الموع بالمصعب لأنه يصحبه. أما من روى (غدا) على أن يكون من العنوان "تليت روايته محسنة" (٦)، ويدعم المرزوقي رأيه هنا بقوله "لأن اللبث في أكثر أحواله ظالم غدا" (٧)، وهو ما أكده المصري بقوله: "ومما يقوي هذه الرواية، أنه قد روي: "مشينا مشوة اللبث". ولا يجوز ها هنا إلا "غدا" بالفتح معجمة، فإن اللبث لا يكون مشيا غالبا في حال واحدة. فإن قيل: "غدا" ها هنا أيضا من "العنوان"، فالجواب أن اللبث لا يمضي في حال عدوانته، وإنما يشد، فهذا بين واضح" (٨).

(١) أبو هلال الصكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من القصص: لثقة (٥٣) ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) د. أحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ١١٢).

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٠)، (١ / ٣٢٩)، وانظر: د. أحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٤) نفسه: حماسة (١٠)، (١ / ٣٢٩)، وانظر: د. أحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٢٢٩/١، وانظر ٢٨٧/١ حيث يجوز وفاة أخفى من عده - غير واردة - اعتمادا على سبق الكلام، وانظر: أحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢، ٢١٣.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢)، (١ / ٣٦٧)، وانظر: شرح للنفسانيات ٨٨٩ (الملحق بشرح الأثيري)، وانظر: د. أحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٧) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٣٦/١، وانظر: د. أحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٨) المصري: معاني قبيل الحماسة: حماسة (٢) ص ٩، وانظر: ابن فارس: تفسير كتاب الحماسة، ص ٤٤.

ونبها أيضا:

وطفـن ففـم الـنقـن غـنـذا والـنقـن فـنـلـن

يقول النمرى: " الغين والذال من "غذا" معجمتان. و"الغذوان"، أصله في البحران يرسل بو" له نفعاً فلفعا، ومن رواه بالذال قد أساء وأخطأ" (١).

وقد يعتمد الشارح أحيانا على النظر في مدلول اللفظ الرواية ومدى مناسبتها للسباق الذي أُنرجت فيه، لمتلا عند قول أبي كبير الهذلي:

بـيـنـن خـمـلـن بـهـ وفـن غـنـفـن خـنـن الـنقـن فـنـبـ غـنـز فـنـبـ

نجد المرزوقي ينقد رواية أصل الحماسة ذاكرة أن الرواية "حبك الثياب" وليست "حبك النطق" ذلك "لأن النطق قد جاء من بعد في صفة أم المقسم فتكرر، ولأن النطق لا يكون له حبك وطرائق" (٢)، فهو هنا كما يبدو "اعتمد في نقد الرواية على أمرين: أولهما تكرر الحنيث عن النطق في موضعين من الأبيات، وثانيهما وهو المهم أن الحبك لا يتناسب مع النطق، ولا يتشاكله لأن النطق لا يكون له حبك" (٣).

وفي أثناء ذلك نجد الشارح قد بينى توجيهه وتفضيله للرواية المختارة بمحيار وحدة بنية البيت، وملامنة اللفظ للمعنى المراد، كما في نقد النمرى للرواية الواردة في قول الشداخ بن يعمر:

القـنـم أنـشـالـنم فـهـم شـنـفـن فـسـي الـرأس ، لا تـنـشـرون إن فـنـلـوا

بالقول: " ويروى "ينشرون"، يجعل الفعل لهم، يقال: "نشر الميت، فهو نثر"، إذا حي، و"ينشرون" ها هنا، أحب إلي، لقوله: "إن قتلوا"، يكون الفعلان لغيرهم" (٤).

نقد اختار الشارح رواية "ينشرون" على البناء للمجهول، ورد رواية "ينشرون" على البناء للمعلوم؛ لأن روايته المختارة تحقق التلازم والتناسب بين اللفظ والمعنى داخل سياق البيت، وعدم مراعاة ذلك يؤدي بالمعنى إلى الخلل والتناقض.

كما نجد أثر المعنى جلجا لدى المرزوقي في نقده للرواية ونصوبيها، فهو كثيرا ما ينقد الرواية بدعوى أنها لا تتسجم مع ما يقتضيه المعنى، نجد ذلك واضحا في شرحه لقول عامر بن الطفيل:

أُكـسـرُ علـيـهم دغـلـبا وفـنـلـن إذا ما اشـتـفى وفـنـع الزـنـاج تـخـمـنـن

بالقول: "أنصف فرسي دعلجا عليهم حالا بعد حال وكرا بعد فر وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن بصدره حمحم، وجعل الفعل للصدر على المجاز والسمة لكونه موقع الطعن، هذا إذا رويت: ولباته "بالرفع، لأن بعض الناس روى "ولبته" بالنصب كنه فر من أن يكون الاشتكاء والتحمحم للبان على كثرة نسبة الاشتكاء إلى الأعضاء الألفة فوق فيما هو أقيح لأن المراد أكر عليهم فرسي فلا معنى لعطف اللبان عليه" (٥).

(١) نمرى: معاني أبيات الحماسة: جملة (٢) ص ١٠، وقدر كذلك: الجملة (٢٦٦)، ص ١١٥.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جملة (١٢)، ص (٨٥ / ١)، ونظر أيضا ما يفتل ذلك: (٨١٨ / ١).

(٣) داعد الله عبد الرحيم صولان: جملة أبي تمام وشروحه: ص ١٠١.

(٤) نمرى: معاني أبيات الحماسة: جملة (١٠)، ص ٥٢.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جملة (٢٧)، ص (١٥٤ / ١).

جـ - نقد الرواية القائم على التخصيص^(١):

إن الشارح في سبيل تحقيقه للمعنى الذي يرمي إليه، لا تقوته معرفة الروايات المختلفة للنص الشعري، فالإحاطة بمثل تلك التفاصيل تمثل جانباً ذا خطر في ثقلة الشارح الذي يسعى إلى رصد إلى كل ما يحين على فهم المعنى الشعري من زوايته ورؤيته النقدية.

والشواهد على ذلك كثيرة .. منها ما جاء في شرح بيت عمرو بن معد يكرب: (مجزوء الكلل)

فَإِنَّا إِن جَزِئْتُ وَلَا هَلِئْتُ كُنْتُ وَلَا نَزِئْتُ بِكَ أَيُّ زُنْجِدَا

قال المرزوقي: " كان بعض الثمن يرويه (ولا يورد بكاي زيدا) وزعم أنه أخ له. ورأيت من زعم له قتل عن نسب عمرو فلم يجد له نسباً، ولا شقيقاً يسمى زيدا، على أن قوله "كم من أخ لي صالح" (البيت السابق) لا يلتزمه - فيما يتضمينه سياق اللفظ ونظام المعنى، ومع إلفته الكثرة، أن يقبل بـ "ولا يورد بكاي أخي زيدا مع تخصصه"^(٢). ويورد المرزوقي ما يؤيد روايته العليا بقوله: "أما من روى (زندا) فبعض الشيوخ كان يقول: أراد ولا يورد بكاي شرره، فذكر الزند، وأراد ما يخرج منه عند القدر"^(٣). ويضيف من عنده تفسيراً لهذه الرواية يزيداً ويظهرها فيقول: "وأحسن من هذا أن يكون ذكر الزند تذكيراً لعقدة العز لئلا تكلفه عندها من النجاسة بالراح المنكور .. وهم يستعملون الرند في هذا المعنى - وهذا المعنى حسن واشتد له قوي"^(٤). ثم يزيد المرزوقي ما يعمل الأمر أكثر وضوحاً وتخصيصاً - وفي ذات الوقت - يدل على اطلاعه وتحققه من الروايات للصحة .. وهي جميعاً لا تتفق مع ما ذكره البعض (ولا يورد بكاي زيدا) فيقول: "ورأيت في بعض النسخ (ولا يورد بكاي ردا) وهذا حسن أيضاً .. والمعنى: ولا يغني بكاي شيئاً"^(٥).

ومما يصدف من هذا أيضاً، ضبط أبي هلال العسكري لقول عارق الطليق: (الطويل)

وَمَنْ لَا شَوَاتِي دَاوُدُهَا غَيْرَ فَيَنْتَبِهْ وَمَنْ أَنْتَ تَبْكِي خُلَّ نَسْؤُهَا نَقَارُهَا

وتحريه له بقوله: "وَأَيْتُهُ بِخَطِّ (أبي الحسن بن هارون): (يَحْزَنُ قَيْتُهُ)، وَأَيْتُهُ هِيَ مَنْخَذَةُ: (غير نائية)؛ وَكَلَامُهَا خَطَأً .. وَالصَّوَابُ: (يَحْزَنُ قَيْتُهُ)، وَ(الْقَيْتَةُ): الْحَيْنُ، وَيُقَالُ: لَا تَرَكَ إِلَّا الْقَيْتَةَ بَعْدَ الْقَيْتَةِ، أَيِ: الْحَيْنِ، وَقِيلَ: (الْقَيْتَةُ): الدَّاعَةُ، قِيلَ تَغْلِبُ: الْمَرْءُ"^(٦).

وكذلك ضبطه منها: (الطويل)

تَغْلِبُ بِمَنْخَرَةٍ الثَّوْبَةِ ثَائِقِي خَفَفُوا زِنَاجَ قَسَدٍ أَمَحَّتْ ثَوَابِقِي

بالقول: " (الثَّوَابِقُ) عَرَقُ الْوَجْهِ. وَ(أَمَحَّتْ) : صَارَ فِيهَا مَخٌّ. يُرِيدُ جَمْعًا لَدَى قَوِيٍّ وَاشْتَدَّ. وَزَائِنَةُ بِخَطِّ (ابن هارون) : (قَدْ أَمَحَّتْ) بِالْخَاءِ، وَ(الْإِمْحَاحُ) : الإخْلَاقُ، وَلَيْسَ لَهُ - هَلَاكَ - مَوْضِعٌ. (أَمَحَّ لِشَيْءٍ) : إِذَا أَخْلَقَ وَ(الْمَحَاحُ) (الثَّوَابِقُ) مَعْرُوفٌ ..."^(٧).

(١) د/أحمد جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٢).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٤)، (١ / ١٧٩).

(٣) نسخة: حماسة (٣٤)، (١ / ١٧٩).

(٤) نسخة: حماسة (٢٤)، (١ / ١٧٩).

(٥) نسخة: حماسة (٣٤)، (١ / ١٧٩)، وتظهر د/أحمد جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٢، ٢١٣).

(٦) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريرواوضاع من الحماسة: لثقرة (٧١) من ٣٢٦، ٣٢٧.

(٧) نسخة: لثقرة (٧٢) من ٣٢٧، ٣٢٩.

وما جاء في شرح للنمري لقول أبي عطاء السدي:

(الطويل)

فَقَرَضْتُكَ وَالْخَطْبُ يُفْطِرُ بَيْنَنَا . وَلَقَدْ تَهَلَّتْ بَيْنَنَا الْمُنْفَقَةُ السَّمْنُ

بالتقول: "ووجدت في نسخة: "وقد تهكت"، و"تهكت، من المتقنة"، من قولك: "رجل منهوك"، إذا أخذ منه المرض، أي: تحطمت الراحا بلعينا، والأول أحسن، ألا ترى أن ذكره لها وهو مطعون أحسن منه وهو طاعن؟ فإن أراد بقوله: "تهكت منا"، أي: طعنا بها إلى أن تهكت، فالمنى فيه، وفي تهكت واحد" (١).

والى جانب أوجه النقد السابقة للرواية نجد أن الشراح قد تصنعت وسطهم وطرقهم في التعامل مع الشعر وتناولهم للروايات المختلفة لنصوصه، وترجيح أحدها على الأخرى، من خلال احتجاجهم للشاعر أو عليه، إذ يعمد الشراح إلى نصوص خارجية يصلونها بالنص الأصل على نحو من الاستشهاد الهادف إلى تعزيز قراءتهم أو ما يذمبون إليه.

ففي إطار سعي الشراح إلى تأكيد روايته فإنه يستعين في سبيل ذلك بالشواهد المختلفة من نثر وشعر، أو ما جرت عليه عادة العرب في استخدام المفردة وبما يتصل به من أحوالها.

فمن أمثلة الاستمالة بالشواهد النثرية من قرآن، يلتفت لفظ القارئ دأب الشراح على تأكيد حجتهم، ودحض روايات مخالفيهم، باستعمال بعض الشواهد القرآنية التي منها ما أورده أبو هلال العسكري في ضبطه لبيت الآخر (العباس بن مرداس): (الطويل)

أَرَأَيْتَ لَيْتَ الشَّائِنَ السَّوْءُاقَ فَلَمْ تَقْصِمِ إِلَيْهِهِ وَتَكْبِسْ طَائِفَاتِهِ الْوَلَدِ

وتحريده بقوله: "يصف امرأة بالكسل، والنصمة، ويذكر أنها مكثية. أي: أرادت لتتول رواق البيت لغرض لها فيه، فلم تقم إليه، لتكسلها عن حوائجها، ولكن طلطلت الولاند (وهن : الإماء) الرواق إليها، فقضت من تقوله وطرها، من خير أن تتجسم القيام إليه. و(التناوش): التناول، ومنه قوله تعالى: (وقالوا أمانا به ولننل التناوش من مكان بعيد) (سبا ٥٢)...!؟ ورواه هذا الشيخ: (ولكن طلطلتها الولاند)، أي: طلطلت الولاند هذه المرأة .. وليس لذلك معنى هنا ألبتة. وطلطلتها: باعتها عن اثنين الرواق، وهذا تلب المراد هنا" (٢).

أو فيما ضرب المثل له، كما يعال المرزوقي في رده لرواية (جتحت النبل) في قول آخر، (وضرب من عمه مولى له "زيادة من النمري": (الطويل)

إِنْ كُنْتُ لَا أَرْزِي وَتَرْزِي كُنَّا نَتِي تُصِبُ جَانِحَاتِ النَّبْلِ غَشَجِي وَنُكْبِي

واعتبارها ليست بجيدة، لأن " الغرض ما ذكرته من أن من يمسسه أمره إذا قصد كان كنضه. فإن قيل: فلم خص الجاتحات؟ قلت: المراد فيما ضرب المثل له: إني رميت إذا رميت الجعبة المعلقة علي، لأن بعض السهم يصيبه وبعضها يصيبني. وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجاتحات " (٣).

(١) النمري: معاني أبيات الصنعة: حاشية (٧) ص ١٨٠، ١٧. وتظهر كذلك الحاشية (١١) ص ٢٠، ٢١، والحاشية (٧٦٤) ص ٢٢٢. (٢) أبو هلال العسكري: رسالة في سطر وتحرير مواضع من الصنعة: فقرة (٤٨) ص ٢٥٧، ٢٥٩، وانظر كذلك: فقرة (٢) ص ١١٨، ١٢٧. (٣) المرزوقي: شرح ديوان الصنعة: حاشية (١٠٠)، (١ / ٣١١، ٣١٢).

وهو ما مال إليه النمرى أيضا من خلال استعراضه لرأي الجبرتي، بالقول: "وفي كتاب الجبرتي: "جاءت النل" بالنون، أي كسررات الأجنحة، وهذه الرواية أحب إلي، فبه تل ما يقل: "رماه سهم فاحتاحه"، على تك الرواية، ومعنى "جاءت" عندي، ما جنح منها إليه، أي: مال" (١).

أما الشاهد الشعرية، فقد لحا اشراح من خلالها إلى ديوان الشعر العربي، في الجاهلية والإسلام، مرتين بعض الأبيات التي وردت على ألسنة الشعراء، كما يرى في تعليق أبو هلال العسكري على قول حريية بن الأشيم (المقارب)

وَقَدْ شَبَّهُوا الْعِزَّ أَفْرَاسًا فَقَدْ وَجَدُوا مِزْرَهَا ذَا شَيْبَم

بأنقول: "رواه هذا الشيخ (وقد شبهوا العيز أفراسا)، وهو خطأ، وذلك أن الأفراس - وهي جماعة - لا تشبه بشعر الواحد، وإن شبهت به كان رديئا، لا بقوله محيد، وأيضا. فإن العيز ليس له مير. والرواية الصحيحة: (لعيز ..). والمراد أنهم لما غزواهم؛ فرأوا أفراسا من بعيد، ظنوها عيرا، أي إبلا تحمل (الميرة)، فلبتروها، فاصلوا (ميرها)، وهو مصدر (ملر)، (يميز)؛ لأنه بارد" (٢)، والشاهد قول: "خدش بن زهير (البسيط)

بَسْبِنِ الْأَرْكَ وَبَسْبِنِ الْمَرْجِ تَشْدَخُومَ زَرْقِ الْأَبْيَضَةِ فَمِى أَطْرَافِهَا شَيْبَم

يعني. الموت. وقيل أراد حريية بقوله (داسم) : (لشم) ويروى: (دابشم)، أي ميرا، لا يبرى" (٣).

وعبر ذلك من الشعراء والرجال المجبولي العصر، كما جاء في ضبط أبي هلال العسكري لقول (؟)

(ارمدة بن سبة) (الكامل)

فَجِئْتُ ابْنِ أَخِي أَمْلَمَ الثَّيَّامَ وَلَمْ تَجِدْ ابْنًا وَكَانَ إِلَّا نَفْسُهَا مِنْ شَبَابٍ عَمَلٍ

بأنقول "يريد أن أمك لم تجد فعلا غير نفسها، فولنتك من غير نكر، كبيعة التراب. ومثل ذلك قول الآخر

(من مشطور الرجز)

يُ أَتَا مُخَلَّةَ ثَمِينٍ مِنْ أَخَذَ
ضَلَّ أَبَاةَ فَهِيَ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وقوله: (لبلاوك)، أي: لتبتلي أنت بهذه السبة. ورواه هذا الشيخ: (لصورك)، وليس لذلك معنى يفهم. و(الأصبار) أهل بيت الرجل، وأهل بيت المرأة، و(الصهر) - أيضا - زوج الست، وزوج الأخت وليس في قولك للرجل: (لم تامل أمك إلا نفسها، من أهل أصهارك) قلقة... (٤).

(١) النمرى: معنى ليلت الحملية. حملية (١٠٢) ص ٧٤.
(٢) أبو هلال العسكري. رسالة في ضبط وتحريم مواضع من الحملية: النقرة (١٢) ص ١٧٤، ١٧٥.
(٣) بسمة النقرة (١٢) ص ١٧٦، ١٧٧. ولتشر كملك النقرة رقم (١) ص ١٤٢، والنقرة رقم (٢٢) ص ٢٠٠، والنقرة رقم (٤٢) ص ٢٤٢، والنقرة رقم (٣٠) ص ٢١٧، والنقرة رقم (٢٦) ص ٢٠٨.
(٤) أبو هلال العسكري: رملة في ضبط وتحريم مواضع من الحملية: نقرة رقم (٥٥) ص ٢٧٧، ٢٧٩، ولتشر كملك: النقرة رقم (٥) ص ١٤٤، والد: رقم (٩) ص ١٦٤، والنقرة رقم (٥١) ص ٢٦٤.

وربما استعملوا ببعض الشواهد الشعرية التي قد يستقوها من أشعار أصحاب الحملات أنفسهم .. من ذلك قول أبو هلال العسكري في ضبط بيت العريان بن سهلة الطنسي:

(الطويل)
مَنْزِلَتْ عَلَى ذَايَ الْفَرَسِ السُّومُ خَوْلَةٌ لِيُؤْنَ خَفِذَانِ بِخَاتِبِ بُسْتَانِ

وتحريره نطالع قوله: " (الجدان) : جمع عباده، وهي النخلة الطويلة، و (اللبون) : الإبل ذات الألبان، شبيهها بالنخل، لحسنها، وقتلتها، وطول أجسامها، وأصنافها. والطول في الإبل مستحب. ورواه هذا الشيخ: (لبون كعبدان) : جمع عود، وهو تصحيف، وذلك أن الشاعر يصف حسن هذه الإبل، وطولها، وسمنها، وليس يصف ضمرها، والشاهد قوله:

(الطويل)
فَقَالُ : أَلَا أَضَحْتُ لِبُونِي قَدَمَا قَرَى كَسَى عَلَى لَبَاتِيهَا طَبِينُ الْفَدَانِ

أي: كُفِّها في سمنها قصور مطبقة. والفدن: القصر، ولو أراد أيضا الجدان، جمع عود ؛ لم يكن بقوله (بحاطط) فلكة؛ لأنه أراد أنها مجتمعة، كالنخل، يجمعها حاطط بستان^(١).

ومن مذاهب العرب التي تعكس أسلوب خطابهم، أو طرائقهم الشعرية، ما تجده عند النمرى في رده للروايات المخالفة لما وجه إليه مقصده، في قول بعض بني ثمر:

(البسيط)
يَا أَيُّهَا الرُّكْبَانُ السَّابِقُونَ مَعَا قُلُوبًا لِبَسْبِثِينَ فَلَنَنْقُطُفَ قَوَائِمَهَا

بالقول: "أنشدنا أبو ريش رحمه الله: "نَلْقُفَ قَوَائِمَهَا"، بكسر الطاء ولم يفسر ... وروى غيره: "نَلْقُفُفَ"، من قولهم: "دابة قطوف"، أي، يُجَيَّرُ قَوَائِمَهَا سيرا وريدا، ولا تسرع إليها. وهو وجه صحيح. وروى قوم: "نَلْقُفَ قَوَائِمَهَا"، أي فلنقطعها وتكفها، والوجه عندي في هذه الرواية على الوجه الذي أنكره، هذا كقولهم: "أحصد ما زرعته، ولحس ما مزجت، واجن ثمرتك، واشرب بكلس كنت بها تسقي"، أي: هجونا، وكان ثمرة ذلك أن غزوناهم وقتلناهم، "نَلْقُفَ قَوَائِمَهَا"، كقولك للرجل، وقد ظلم فأخذته الله: "نق ظلمك"، وهو لم ينق ظلمه، وإنما ذاق علقته، كقول الآخر: "فونك ما استحبته، للحس ونق". ومما يؤيد هذا التفسير قوله:

(البسيط)
لَمَّا رَأَوْهَا مِنْ الْأَجْزَاعِ طَابَعَهُ شُحًّا لَوَائِشَهَا شُحًّا نَوَاصِرَهَا

يعني خيله^(٢).

ومن أمثلة ما سلقه الشراح في تفصيل روايتهم اعتمادا على عادة العرب في الاستخدام، أو على ما اتصل من أحوالهم، ما ندركه في قول برج بن مسهر:

(الوارر)
فَقُلْنَا وَالرَّكْبَابُ مَخْذُومَاتُ إِلَى بَرْزَلٍ مَرَّافِقَيْنِ كُومِ

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مومض من الحسنة: الفترة (٦١) ص ٢٠١ ; ٢٠٣، وابتدأ كذلك الفترة (٥) ص ١٥٩ : ١٥٧.
(٢) النمرى: معنى لبات الحمل، حمالية (٧٤) ص ٦٩، ٧٠.

وتحرير أبو هلال العسكري إليه بقوله: " (لو كان) : الإبل لا واحد لها من لفظها. (والمُخَيَّساتُ): المُنْخَلَّاتُ، (والمُخَيَّسُ): المُنْخَلَّ، ومنه قول السجدي (مُخَيَّسٌ)، وأصل الكلمة من اللين، يقال: خَيَّستُ الكثر: إذا ألقيت بعضه على بعض، في الماء، ليلين ... ولعل قتلا: (مُخَيَّساتُ): أنها تُخَيَّسُ أصحابها، أي تُنْزَلُهم؛ فيكون ذلك قولاً مرئداً لأنه ليس من عادة العرب أن يصفوا الإبل بتخليل أصحابها، وإنما العادة أن يصفوها بالثقل، وهو خلافاً الصَّعوبة، يقولوا: سالة مُيلرة: إذا كتلاً تصعب على راكبيها، ينكرون أن السير قد مثنها، فهي مُثْقَلَةٌ، فالوجه أن تروى ها هنا (مُخَيَّساتُ)؛ ليكون الكلام خارقاً على عادة العرب" (١).

وما لمعه من دحض العمري لبعض الروايات لمخالفتها مذهب العرب في ندب قتلاها، وذلك في قول
الربيع بن ريد العمري:

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَنُزَاتِ نَمُونًا يُوْجِزُهُ نَهَارُ
يَجِدُ الثَّغَامَ حَوَابِرًا يَنْتَبِئُهُ يَلْطَفُنَّ أَوْجُهُهُنَّ بِالْأَنْشَحَارِ

يقول: "الحارث": التي لا تراع عليها. وكلفت العرب لا تنب كتيلا حتى تدرك ثارها، فإذا أدركته نذبت النساء يقول: من كل مسرورا بمقتل مالك شفقة، فليعلم أنا قد أدركنا ثاره. وما بقوي هنا التفسير أنه يروى: "من كل محروك"، يرت من قوماً ويروى "يندبه بالصبح قل تلج الأسرار"، يريد المصحح الحق والأمر الجلي، كقول الأخرى

صَوَادِقُ إِذْ يَنْتَبِئُهُ وَقَوَائِرُ

ومثله قول الشاعر:
وَنَحْنُ أَنْاسُ يَطْلُقُ الصُّبْحُ نُونًا وَلَمْ تَرَ كَالصُّبْحِ الْجَدَى مُبِينًا

وما رأيت هذا المذهب مستفيضاً، ولا أظنه صحيحاً. والعرب تنذب قتلاها قبل أحد الثار، قل رجل من بني عجل:

تَرَكْنَا خَبِيرًا لِلزَّوْجِ فَرِيضَةً فَبِمَنَاوَةٍ يَتَذَكَّرُ بِالْأَنْشَحَارِ (٢).

ومثله ما جاء فيها:
مَا إِنْ أَرَى قَسِي فَنَلْبِسُهُ بِسُوءِ النُّهَى إِلَّا الْمَنْطَبِي تَشْدُ بِالْأَفْوَارِ
وَمَجْنِبَاتٍ مَا يَنْفَقُنْ غَوْفًا يَفْقِظُنَّ بِمَنْشَرَاتِ الْأَمْهَارِ

ففي رواية "مجنسات" وهي خطأ؛ لمخالفتها مذهب العرب في الغزو، فـ " " المجنسات"، ها هنا: الخيل تنحب إلى الإبل في الغزو ... يقول: ما أرى في قتله رأياً لغوي النهي، وهي المقول، إلا أن ترك الإبل وتنحب إليها

(١) أبو هلال العسكري. وصلة في ضبط وتحرير مواضع من العمدة. النقرة (٤٤) من ٢٤٩ : ٢٥١.
(٢) العمري. معنى أبيت العمدة. معلقة (٣٤٨) من ١٣٩.

الخيال، ويسار بها سيوا غنيا حتى ترمي أحبتها، وتبلغ بها أرض عدونا، فخير عليه، ونسلك منه. والذي ذكره هو مذهب العرب في الغزو، وتجنب الخيل إجمالا لها وإشفاقا عليها ... ومن جعل "مجنبات" ما هنا، من "التجنب"، أو روى "مجنبات"، بالحاء، فقد أخطأ، ولم يعرف المذهب الذي ذكرته"^(١).

وقد تكون كثرة الاستعمال أحد أوجه تفصيل الشارح لرواية عن أخرى، كما نلاحظ من تعليق النمرى على بيت معن بن أوس:

(الطويل)
لَفَعْرَتْنَا مَا أَقْبَى وَأَقْسَى لِأَوْجُهِ لُ . عَلَيَّ أَيُّهَا فَعْدُو النِّيْثَةِ أَوْ لُ

وتفصيله لرواية "معنو" بإصباح المين على "تعو" بإهمالها، بالقول: " يروى: "تعدو"، بالعين معجمة، من "العدو"، و"تعدو"، من "المعان" وهو الضم. والعدو أولى ما هنا، وهذه الرواية أعم، لمخول الغداة والعشي فيها. فإن العنوان لا يختص بوقت دون وقت. وهي بالعين معجمة أكثر استعمالا فيهم يقولون: "غنت عليه المعية، وصحبته المعية"، فإذا ذكروا الدهر قلوا: "عدا عليه الدهر" "وكلا الوجهين حسن"^(٢).

ونراهم - كذلك - يفلون عن الرواية التي تخالف صحة الاستعمال في العربية، كما جاء في قول شاعر الحملة:

(البسيط)
لِغَزْمِ لُ السَّرْدِ مُقْبِئِيْ بِحَاجَتِهِ . مَنْ كَانَ يَغْرُؤُ نَمَّا أَوْ يَفْسِيْ خَسْبَا

حيث يعتب أبو هلال العسكري بقوله: "يقول: إن من يكره النوم، ويقي الحسب، هو لمرمل الزاد، يعطيه، ويحبوه، ومن ليس له اتقاء للنم، ولا إبقاء على الحسب، فإنه ليس يئالي به. وقوله (الزاد) مع (المرمل): فضل لا يحتاج إليه .. ورواه هذا الشيخ: (لمرمل الزاد معنى)، بفتح اللام، والرفع، فيهما، وليس لها معنى، لكثرة، ولا يصح - أيضا - في العربية، لأن كل مصراع من البيت - إذن - لا يتم بنفسه، وليس له خبر، يتم به"^(٣).

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن الشارح من خلال تحليل وبيان واستقصاء وتمحيص الروايات المتعددة للنص الأصل، معقود على غاية واحدة هي استمالة المستقبل واستدعاء ذهنه كي يتمثل المادة المشروحة، وأنتمثل هو "علية إدراكية بجريها المستقبل على الشرح الذي صاغه الشارح بلغة ما وفق خطة ما للكشف عن جوانب بعينها، فالشرح بالنسبة إلى المستقبل، هو نص آخر سليل نص الإطلاق يتلقاه ويستوعبه في أبعاده المختلفة لغة ودلالة وبظلمات من التفكير معينا"^(٤).

ورأينا كيف سار الشراح على أسس منهجي في التثبت مما يقولونه في نقد الرواية، فذلك بالرجوع إلى العقل، أو السياق، أو ما يقع تحت أيديهم من نسخ الحملة، في سبيل الوصول إلى الرواية الصحيحة التي تتوافق مع الأسس السلفية.

(١) المعري: معاني أبيات الحملة: حملة (٢٤٨) ص ١٤٠.

(٢) نفسه: حملة (٤٠٨)، ص ١٤٨.

(٣) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتمييز مواضع من الحملة: شجرة (٦٩) ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٤) دأمد الوبغية: شرح الشعر عند العرب، ص ٣٩.

على أن هناك سمات وأمورا تعرض لها الشراح خلال تناولهم لروايات الشعر، غير ما تحدثنا عنه، فنذكر منها

١ - أن الشراح قد يفسرون الروايات الأخرى التي يتعرضون لها بفنقذ.

٢ - ربط الرواية المختارة بمعناها، والإفصاح عما تحتمله من معانٍ^(١).

إلى حقب وحوادث بعض التوجيهات التي تتصل بمعنى الرواية المختارة، حسب قواعد الإعراب والشعر والنصرف والبلاغة .. إلخ، مما سيظهر جليا بعد قليل.

ثانياً: نقد الرواة وشراح الشعر المصليين:

لقد أبدى شراح ديوان الحملة اهتماماً بالغاً بقضية توثيق الأشتار الواردة في ديوان الحملة، والروايات الواردة فيها، كما حرصوا على تحليلها وبيان معانيها المختلفة، وعلقوا بالسنة حداد من أهمل هذا الجانب من الرواة والشراح المصليين^(٢)، فقد تعرض رواة وشراح الشعر المصليين لكثير من النقد والتفتيد على أيدي شراح الحملة بمختلف طوائفهم، إما تصريحاً أو تلميحاً، كما فعل أبو حلال العسكري في تصنيفه الموسوم "رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة"، عندما نسب بعض المسؤولية في الأخطاء التي شلت رواية بعض أبيات الحملة إلى كل من (أبي بكر الحياض) (ت ٣٢٠ هـ) و (أبي الحسين المهريري) (ت ٢) أخذاً على علقه أملة الإبقاء عن مواقع الزلل منها^(٣)، وناسا البعض الآخر إلى شيخ لم يسمه، بل اكتفى بالإشارة إليه داخل التصنيف بقوله "هذا الشيخ ...". الذي ألم تكشف الروايات المتوقعة عن شراح الحملة، على مر التاريخ، اسم هذا الشيخ، الذي عرص أبو هـ - العسكري بتحريفه، في رواية مواضع من الحملة^(٤)، وقد كان هذا التعريض من لقوة يمكن جعلت البعض يجرأ عن التصريح هذا جاء "دون تسمية، تلميحاً، ونعفاً من التشهير به، أو التقليل من شأنه بين أقرانه ومريديه"^(٥)، وقد أخذ هذا التعريض للرواة أشكالاً وصوراً عدة، أهمها التعريض بهم عن طريق صلات عدة، من قبيل: "ولقد قصبت العجب من هذا المستترك، ومن ضلاله عن طريق الرشاد فيما قصده من المحي، ورواه في الاستشهاد ..."، "وهذا أعجب شيء سمعناه ..."، "من له انني معرفة بالكلاء، يعرف أن ..."، "وقد روي قوم لا علم لهم ..."، إلى آخره من التعليقات والتعقيبات التي تصفه أراء هؤلاء الرواة، وننقل من شأنهم. وهو ما سنلج فيه من خلال الاستشهادات القليلة إن شاء الله تعالى.

ونسر كل القول الشعري واحداً خلال صلية التلظ الأولى بحكم أن بقية طرف بعينه فبفه يصبح أقوالاً عدة خلال عمليات تلفظ تترى بذكره رواة كثر غير محددين ولا لئ على ذلك من تواتر صيغ منبئة للمجهول في

(١) لغير على سبيل المثال: الشروفي: شرح ديوان الحملة (١٨٦ / ١) .

(٢) إلا أن هذه الفئة في التوثيق التي أبداه شراح ديوان الحملة لم تنع من وجود بعض التمسك التي ولعوا فيها أنفسهم - وهم من يعبرون على غيرهم - وسنرى عليهم المسامح، ولما كفت على الشواهد التي يرفقونها في شفا تحليلهم وتقدم لأقوال شراح الحملة، كما ورد في تبيد ناسه كتب "معاني أبيات الحملة" للمري، على استشهاده لشعري بقول ذي الرمة:

تسرو السؤل يفسرون أن الصباح إن جبرث ومؤلفاً لـ ... شفا تـ ... شرح الأراء في الحملة (١٩٦) . فقول: "ليس لي الرمة، وهو لعمل وروايت: "رشة لولا خشية الله"، وقد عو منق الكتاب على هذا الكلام بقول: "هذه حشبة من السبع أحمل في السبع بعد قوله: "قول ذي الرمة"، ونكتها إلى اسم بل بعد البيت، لتكون رصيح "أخر شعري معني لبيت الحملة، حش حشبة (١٩٦) من ١٧٤ .

(٣) لغير أبو حلال العسكري، رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة مقمعة لتشارح من ١٤١، ١٤٢ .
(٤) لغير أبو حلال العسكري، رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة مقمعة للمحقق، من ١١٥، وما بعده، حيث حدد للمحقق بعد ما ذهب إليه السبع عرق من رأي في أن هذا السبع لستورده هو (أبو القاسم محمد بن علي الأصمغلي لندبرث ٢٥٥ هـ)، وذلك من خلال بعض الآله والروايات التي ننصص ما ذهب إليه بعد السبع عرق في رصه.

(٥) لغير منه مقمعة للمحقق، من ١١٥، ١١٦ .

شوح الرواية معثلة في الفعل "لَرَوَى"، وما أن القول الشعري يُعرض في صيغ تتعدّد بتعدّد الروايات فهو يتنوع تنوعاً عافداً يشمل عدة حوالب كالجانب التركيبي والبلاغي والمعجمي وأخرى تتفاوت حضوراً حسب هذه الرواية أو تلك^(١).

ونلمح أثر هذه الجوانب جلياً من خلال نقد الشراح للرواة وشراح الشعر السابقين، فيما يخص:

أ - اللغة:

إن تحليل الشراح للروايات ونقدها، يدفع كثيراً منهم - خاصة المرزوقي - للتعرض لرواة وشراح الشعر السابقين، وتفنيد مزاعمهم، وتصفية آرائهم، ناصحين - على بعضهم - قصور فهمهم، وضعف مستواهم الفكري، وعجزهم عن فهم معاناة الشاعر، أو ترجمة تجاربه الشعرية^(٢).

فقول الحصين بن الحمام:

فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبِيَّ قَدْ جِئَ نُونُهُ وَإِنْ كَانَ نُونًا ذَا كَوَاكِبٍ مَظْلَمًا

رواه بعضهم: (وإن كان يوماً) بفتح الهمزة، على أن يكون (أن) مخففة من الثقيلة، والمراد: "وأنه كان اليوم يوماً ذا كواكب"، فيقول المرزوقي: "وهذا الراوي لعله لم يعرف الاعتراضات والنصائح فيها، والتبس المعنى عليه أيضاً". ثم يفكر المرزوقي ما يدعم روايته العليا، وما يؤيد معناها فيقول: "لأن قوله (وإن كان يوماً ذا كواكب مظلماً) اعتراض بين (لما) وجوابه، وهو شرط في وقوع الصبر منهم بترجم عن الحال .."^(٣).

والشراح في ذلك "يستشهد على صحة الرواية التي يقررها بأصولها في اللغة، مستقيماً من أعينها ما يتويج حجتهم ... منتقلاً إلى تخطئة الرواية المخالفة، ببيان أصولها اللغوية، قاطعاً بعدم ملائمتها لسبيل البيت"^(٤).

كما جاء في قول قيس بن الخطيب:

إِذَا مَا شَرِبْتَ أَنْفَاطَ مَنَزْرِي وَأَتَيْتَ نَلْوي قسي السَّمْنَجِ بِشَاغَا

"رواه هذا الشيخ: (حط منزري) بالحاء، ورواية النلس: (خط) بالخاء، قال خالد بن كلثوم، وأبو عمرو الشيباني: "خط منزرة: أي أرخاء، فخط في الأرض". قال الشيخ أبو هلال: وكقوا يسبلون أطراف الأزر، فتخط أهدابها في التراب، أي تشقه، والخط: الشق. وقال النخبة:

أَعْيَنْتَ نَوْمَ غَفَاظِ جَيْنٍ يُقْبِتِي تَحْتَ الْقَفْجِاجِ فَمَا خَطَطْتَ غُجَارِي

أي: ما شقته. و(حط المنزر) : إنزاله عن الحقو، وليس ذلك مما يمدح به"^(٥).

وكذلك قول حريث بن عصابة:

تَغَلَّلْنَا الْمَسَاجِرُفُمْ : أَأَغْنَا وَفَقَمُنْ إِلَى الْعَجْمِ أَنْتَى أَمْ غَشِيرَةُ خَمَاتِي

(١) د.أحمد الوديعي: شرح الشعر عند العرب، ص ٥٤.
(٢) انظر: د.أحمد حماد العمري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢١٤ / ٢)، مع بعض التصرف.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان المعلقة: حماسة (١٣٣)، (٣٩١/١)، شروح الشعر الجاهلي ص ٢١٤.
(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المعلقة: منقحة لمحقق، ص ١٢٢.
(٥) تنقح: تنقرة (١) ص ١٤٢ : ١٤٦، والمحقو: الكشح، ونهل مثل الأزر، والجمع (لثق)، و(أحناء)، و(حقر)، و(حلق)، واللمن (حقر) ... والمحقو: الفخمر، ومشد الأزر من الجنب. (التصحاح / حقر).

"رواه بعضهم (أعيار فقمس) يريد رؤساء فقمس، وزعم أن أعيار لا يعرفه اسم قبيلة، وأن هذا تصحيف استدركه .." (١).

فيعقب المرزوقي مفندا رآيه قتلًا: "قلما إنكاره لأعيار قبيلة فلا وجه له لأن بني أعيار من قبائل سعد بن قيس، وهو مشهور نكره للنسابة وغيرهم، وذهب بن أعيار بن طريف الأسدي معروف معنود في الأعلام .." (٢).

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى تتصل بالمعنى، وتبين خطأ الراوي الزاعم، وعجزه عن فهم سياق النظم، وما توصل إليه اللغة (٣)، فيقول:

"وأما من طريق النظم، فلأن تكون القبيلة مقلبة بمتلها، ومذكورة في المتن في أحسن من أن يقلب أفراد بالقبيلة، و(أعيار) إشارة إلى الأفراد، لأنه يراد بها الرؤساء، يقال: هو صير قومه: أي سيدهم" (٤).

وبعد المرزوقي إلى تقرير صحة رأيه بمؤكدات علمية .. فتلا :

" هذا وقد رجعنا إلى نسخ مختلفت المصادر، فوجدناها متوافقة في تحملها: (أعيار وفقمس)، وإذا كان عند لا يحور العنود عما قال الشاعر إلى ما لم يقله " (٥).

فالمرزوقي هنا يرد على الراوي الزاعم بثلاث حجج مؤكدة (٦):

أولها: بتوضيح صحة الاسم حسبما جاء على لسان الشاعر ..

وثانيها: بمؤكد معنوي أدى إليه النظم وسبق الأحداث وطبيعة اللغة ..

وثالثها: بمؤكد تمحيصي جاء عن علماء آخرين موثق بصحة رأيهم وصديق روايتهم .

ولا يغوت الشراح في أثناء نقده اللغوي لبعض الروايات التي يذكرها لأبيات الحماسة، أن بمحصها كشافا عن أوجه التصحيف فيها، كما نلاحظ في نقد النعمري للرواية التي ورثت على بيت زويبر بن الحارث: (الطويل)

السم تـز أتي يوم فـزقـت مـويزاً أتقي صـريـخ المـويز لـو أـتـة فـزـل

يقول النعمري: " روى النيمرتي وغيره: "أتقي صريخ الموت"، بالخاء معجمة، وقال: "هو داعية"، وهذا تصحيف في الحرف وخطأ في تفسيره، فلن "الصريخ" هو المغيث والمستغيث، ذكر ذلك في الأضداد ولا وجه لهما هنا إلا على تكلف " (٧).

(١) لمرزوقي: شرح ديوان الحماسة: سلسلة (٦٩)، (٢٥٦/١).

(٢) عنه (٢٥٦/١).

(٣) /- حمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢١٥ / ٢).

(٤) لمرزوقي: شرح ديوان الحماسة. (٢٥٦/١).

(٥) عنه (٢٥٦/١).

(٦) /- حمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢١٥ / ٢).

(٧) النعمري: معاني أبيات الحماسة، سلسلة (٣٥٥) من ١٤٤.

القضايا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

لنن الملاحظ أن الشارح قد " رد هذه الرواية مستندا على أنها من قبيل التصحيف من جهة، ومن جهة أخرى على أساس لغوي، وهو كون "الصريخ" من الأضداد يطلق على المخيت والمستخيت، ولا وجه لذلك هنا إلا بشيء من التكلف " (١).

على أن أهم مؤيد يرجع به موقفه من الروايات - خاصة عند تنفيد مزاعم الشراح الآخرين - هو المؤيد الفني، المأخوذ من شعر العرب وكلامهم، ومذاهبهم، وما أجمع عليه أهل العلم.

قيت ربيعة بن مقروم: (الكلل)

أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَنْصَزَ قَمِيصَهُ وَفَوَيْتُهُ قَوْلِي التَّوَاتُرَ مِنْ غَمَلٍ

نكر بعض المتأخرين - وهو هنا يقصد ابن جني - في أرجيته: " أن الرواية الصحيحة "أرجيته" وما عداه تصحيف. قال: وهو أنعته من الوجي، وإنما أوجب ذلك ليكون لنق قوله بزعمه "وكويته" والمعنى: أنزلته وردنته وازحا كرزوح الفرس الوجي. ثم أشد قول طرفة مؤنسا به:

وَقَمِيصٌ تَنَاهَا عَنْ لَذَائِي بِقَدْ نَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَانِ الْمَتَابِ

قال المرزوقي معقبا مفندا لهذه الرواية وهذا الشرح (٢):

" ولقد قضيت العجب من هذا المستدرك، ومن ضلاله عن طريق الرشك فيما قصده من المعنى، ورواه في

الاستشهاد وذلك أن شعر طرفة إنما هو: (الطويل)

وَنَاهَا عَنْ لَذَائِي الرَّاحَ حَتَّى أَشْرَبِي صَبِيغِي وَخَتَمِي بِأَقْبَى نَفْسٍ ذَلِيلٍ
وَحَتَمِي بِقَوْلِي الْأَفْرَاسِ وَنَصَاخَةٍ ذِي الْغَمَى وَأَصْبِرْ خَيْلَهُ مِنْ جِبَالِكِ
وَحَتَمِي تَنَاهَا عَنْ لَذَائِي بِقَدْ نَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَانِ الْمَتَابِ

فقله: (حتى تناهوا) ليس مما ناهى، واستشهد له بمبيل "

ثم يشرح المرزوقي أبيات طرفة مبينا حقيقة معناها التي غفل عنها هذا المتأخر فيقول: " وإنما يريد طرفة: أنه أبعد غايته في الضمارة، وتمادي في تعلطي الصبا والجهالة فلم يصح لنا صح، ولم يرعو لعقل حتى نفصوا أيديهم عن إنليته، وينسوا من قبله وإغلبه، فألقوا حبله على غاريه، وصاروا من بين نسلب له إلى الشر، وسموه إليه في القول، وقائف إياه بالغي، فألصقت بهم الحال إلى أن تناهوا، بعد أن بلغ منهم العناء كل مبلغ، وأثر فيهم الإعياء والإحفاء أشد تأثير. ألا ترى أنه جعل الوجي في المشاش من المنابك منهم، فهذا ما عليه في الرواية والذهب عن طريق الشاعر "

ثم يختم المرزوقي تنفيده ونقته لهذا الراوي، فيقول القول الفصل: " وبعد - فإنه لا يقال أوجبت الثابة عني ويراد الإحفاء، ولم يسمع في التخليل نكر الحفي والوجي مستعارا، كما سمع الكي والوسم فيه .. والرواية الصحيحة "أرجيته" و"أرجيته" وهما لفظان، والهمز أنصح ". ويقدم الدليل ثلث المثل من كتاب الله ومن أشعر العرب.

(١) النسي: معاني أبيات المعلقة: مائة للمعلق ص ٢٠.
(٢) نظروا: المرزوقي: شرح ديوان المعلقة: حكمة (٩)، (١ / ٦٥، ٦٤)، ونظروا: د. أحمد جمال المصري. شرح الشعر الحاملي. ص ٢١٨، ٢١٧ / ٢.

الفضايا النقدية = الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

وفي تعرض الشارح لروايات الشعر في أثناء شرحه لمعني أبيات الحملة " نجده أحيانا يذكر روايتين في كلمة وردت خلال أحد الأبيات، ويصوب كلتا الروايتين، ويخرجهما، ويميل إلى إحداهما، واضعا في اعتباره مذاهب العرب من حيث إرادة المبالغة أو الحقيقة في الوصف " (١)، كما نرى في تعرض النعري لقول رجل من بلعبر: (قريظ بن أنيف من بلعبر)

إِذَا لَفَّامٌ بِضَرْبٍ مَفْشُورٍ خُشْنٌ جَنَذُ الْخَيْطِ لَمْ يَنْزِلْ لَوْ لَوْثٌ لَأَمَّا

حيث نجده بعد شرحه للبيت، والروايات الواردة فيه بقوله: " "الحنيظة"، "الغضب"، "اللوثة بالضم"، الضعف والاسترخاء، ومنه قولهم: "هو مُلَقَّاتٌ". وروي قوم: "لَوْثٌ"، بالفتح، وهي القوة، ومنها اشتق "اللوثة"، وأنكروا "لَوْثٌ"، وكلتا الروايتين صواب " (٢)، يتعرض لمذاهب العرب فيما ورد في الأبيات من معنى بالقول: "وللعرب مذهبان في وصف الشيء: أحدهما: المبالغة، وأهل هذا العصر عليه. والمذهب الآخر: الحقيقة، كقول توتية، يصف قفرة:

نَزَى ضُعْفَاءُ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ ذُعَابِيصٌ مَاءٍ نَشْنُ عَنْهَا غَدِيرُهَا

فقال: ضعفاء، ولم يقل: أقوياء. ولو أراد المبالغة لقال كقول أبي النجم يصف قفرة:

نَزَى الْأَشْبَاءُ بِهَا ضِعْفًا

(الرجز)

وكقول الآخر:

قَدْ أَزْقَبَ الْآلَةُ بَعْدَ الْآلَةِ

وَأَتَزَكَّ الْعَاجِزُ بِالْجِدَانَةِ

متغلبرا فليست له مخانة

المحالة: هنا الحيلة. فقال: "العاجز"، ولم يقل "العارس" (٣)، ثم نراه يختم هذا التحليل والتفسير للبيت، موضعا موقفه من تلك الروايات مرجحا لإحداها، والتي وقع عليها اختياره، بالقول: "فلن كان الشاعر أراد المبالغة، فالرواية "لَوْثٌ" بالفتح، وإن كان أراد الحقيقة فالرواية "لَوْثٌ" نَهْ. "ولك أن تختار. وإن كل الشاعر إنما عزّض بقومه، ووصف ضعفهم، كفت الرواية بالضم لا غير، وفي روايتنا واختيارنا " (٤).

وقد نوّد الشارح الرواية لأنها تخالف ما أجمع عليه أهل العلم، فتول بعض بني قيس بن ثعلبة: (البسيط)

بِضَرْبٍ مَفْشُورٍ تَغْلِي مَرْجَلُنَا نَأْمَنُ وَأَمَّا الْإِنَّا أَتَانَا أُنْسَيْنَا

(١) شعري: معاني أبيات الحملة: مقدمة للمحقق ص ١٨.

(٢) نفسه: حلبية (١) ص ٥.

(٣) نفسه: حلبية (١) ص ٦، ٧.

(٤) نفسه: حلبية (١) ص ٧.

يقول للمروزي في تعليقه البيت السادس من حملية غلاق بن مروان: (الطويل)

فَأَعْنَتْ زَهِيرٌ فِيهِ السَّيِّئُ مَضْنَتْ وَمَا بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ إِلَّا الْأَسَابِغَا

" أنت الفعل لأن المراد بذكر زهير القبيلة بأسرها، ومعنى يدعون يسمون ... وقوله "في السنين" يجوز أن يكون ظرفاً لأضحت، ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله "لا يدعون". وقوله "وما بعد" يراد به وفيما بعد فيكون ما معطوفاً على السنين، ويجوز أن يكون موضع "ما" نصباً على أن يكون معطوفاً على موضع في السنين الماضية وبعدها، ويجوز أن لفظة، لأن موضعه نصب لكونه ظرفاً. ويجوز أن يجعل ما صلة، كانه في السنين الماضية وبعدها، ويجوز أن يروى: "ومن بعد لا يدعون"، وهو حسن. وذكر بعضهم أن ما من قوله "وما بعد" لا يجوز أن يكون إلا صلة وزائفة لأن بعد لما جعل عليه ومضاهي القصص بحث ما كان مضاعفاً إليه امتنع من أن يكون مبنياً على شيء وخبراً عنه، وإذا امتنع من ذلك امتنع أن يكون صلة لموصول، لأن الذي يكون صلة من الظروف والجمل هو ما حاز أن يكون خبر المبدأ " (١)، ثم نراه يستعين في سبيل نحضه للرواية المخالفة لروايته بما جاء عن أبي إسحاق الزجاج، فتراد يقول: " وليس الأمر على ما قاله، ألا ترى أن قوله عز وجل: "قل كبير هم الم تعلموا أن أبلكم تد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قل ما فرطتم في يومف". معناه: ومن قبل الذي فرطتم في يومف، أي نعمتم. ويجوز أن يراد: ومن قبل فرطتكم، فيكون ما مع الفعل في تقدير مصدر. وعلى الوجهين جميعاً ما في موضع رفع ومن قبل خبره. ونكر أبو إسحاق الزجاج في ما من الآية ثلاثة أوجه، ما ذكرنا أحدها. وإذا كان الأمر على هذا فما ذكره هذا القفل غير صحيح، لأنني قد أثبتته بعد وهو عليه حراً، وكونه صلة تابع لكونه خبراً، فاعلمه " (٢).

وفي موضع آخر نرى أبا هلال العسكري يورد قول الآخر:

فَتَبَيَّسِي إِنْ نَأَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَتَبَيَّسِي إِنْ نَسَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ

معلقاً عليه بقوله: " رواه هذا الشيخ: (فتبيي إن نأوا شوقاً إليه)، فرد الضمير إلى واحد الضميرين، في قوله: (إن نأوا ...)، وإنما يفعل ذلك في الشعر، إذا دعت الحلة إليه، فلما ولا حاجة تدعو إليه، فلا وجه له، وكل من له أنه معرفة من الكلام يعلم أن الذي رواه غلط " (٣).

وكذلك ابن جني في تعليقه على قول تليط شراً:

فَأَبْثَ إِلَى فَهَمٍ وَلَمْ أَكْ أَبْيَا وَكَمْ مَثَلُهَا فَأَرْقَتْهَا وَهِيَ تُصَفِّرُ

بالقول: " هكذا يرويه أكثر من ترى، ولم أك، ومنهم من يقول وما كنت أنباء، وصواب الرواية فيه: وما كنت أنباء أي وما كنت أروب، فاستعمل الاسم الذي هو الأصل المرفوض استعمال موضع الفعل الذي هو فرع، وذلك لأن قولك: كنت أقوم أصله، كنت قائماً، ولذلك ارتفع المضارع لوقوعه موقع الاسم. فأخرجه تليط شراً على أصله المرفوض كما يضطر الشاعر إلى مراجعة الأصول عن مستعمل القروخ، نحو صرف ما لا ينصرف، وإظهار التضعيف، وتصحيح المعط، وما جرى مجرى ذلك. ونحو من ذلك ما جاء عنهم من استعمال مفعول عسى على أصله وذلك ما تضمنه من قول الرازي:

أَكْثَرَتْ فِي الْعَذْلِ مَثَلًا دَابَّيَا لَا تُكْثِرْنَ إِنِّي عَمِنْتُ صَابِغَا

(١) المروزي: شرح ديوان الحماسة: البيت السادس من حملية غلاق بن مروان: (١٥٧/١، ١٥٨).

(٢) نفسه: البيت السادس من حملية غلاق بن مروان: ١٥٨/١.

(٣) أبو ملاك العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة: الفقرة (٢٦) ص ٢٥٤.

الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

فهذه هي الرواية الصحيحة في هذا البيت، أعني قوله: " وما كنت أبيا. وكذلك وجدت في شعر هذا الرجل بالخط القديم. وهو صدي عتيق إلى الآن، وبعد فالفمعى عليه البنة لا منصرف به عنه، ألا ترى أن معناه: وأبت وما كنت الأب، كقولك: "سلمت وما كنت أسلم". وكذلك كل ما يلي هذا الحرف من قبله ومن بعده، بدل على ما قبلناه ولا معنى هنا لقولك: وما كنت، ولا لم أك، وهذا واضح " (١).

لمضمون هذا التعليق يشمل على ذكر إحدى (المسائل النحوية) مختلطة، أو غير مختلطة بغيرها من (المسائل اللغوية) و (الصرفية)، وهو ما نطالع له أمثلة كثيرة له في قراءتنا لتعليقات شراح ديوان الحماسة الواردة في هذا الأمر، وهي تعليقات تطرق حديث الشراح فيها إلى أشكال نحوية كثيرة، منها (٢):

• الضمائر:

كما جاء في قول الآخر :
(الوافر)
بمذي فيرقين يسوفم بنو حبيب ثيوينهم غلنا بخرفوتنا

يقول أبو هلال العسكري: "رواه هذا الشيخ: (يوم بنو حبيب)، و (بنو حبيب) أصح الروايتين. ولجود في العربية؛ وتلك أن يجعل (هم) الذي في (نيوهم) ضمير بني (حبيب)، فيرفع (بنو) على الابتداء، وما بعده أي: (يوم بنو حبيب يحررون علينا نيوهم)، فيضاف (اليوم) إلى الجملة، لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل. وإذا جررت (بني)، فيبضالة (اليوم) إليه، والوجه حينئذ، أن يرجع (هم) إلى غير (بنو حبيب)، إذ كان قد جرى ذكرهم في القصيدة؛ لأن (بنو حبيب) صاروا من تمام (اليوم) ظرفا، كما تقول: يوم الجمعة، ويوم السبت" (٣).

• الابتداء:

كما جاء في التعقيب على قول محمد بن بشير:
(الكلل)
وإذا رأيت مني دقة وثقيفة لم تنر أوهنا أخو الأرحام

"رواه هذا الشيخ: (ذو الأرحام)، وهو خطأ؛ لأن الابتداء إذا كان واحدا، فالصواب أن يكون الخبر مثله .. ولو جاز أن يكون (الشقيق) جمعا، كما يكون (الصديق) جمعا، لجاز أن يأتي (ذو الأرحام) على بعث، ولكن لم يجه ذلك، فالوجه هو روايته، وهي (أخو الأرحام) " (٤).

• الخاطى:

مثلا جاء في التعليق على قول عامر بن شقيق:
(الوافر)
كفأني الثأري من لسم تريه فيرجز الفزاة بلبتيه

(١) ابن جن: تشبيه على شكل البيت الحماسة، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) تظن: أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة، مقدمة المحقق، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣) نفسه: لتفرد (٦) ص ١٥٨.

(٤) نفسه: لتفرد (٣١) ص ٢٢١، ٢٢٢.

" رواه هذا الشيخ: (الثاني)، بالنصب، وهو فاعل، وسبيله: الرفع، وهو الرواية - أي: (كذاك الذي رويتنا وقرينا)، لأننا قد حكمنا، وذهبنا، فصرت ترجين العلقبة لأولادنا بعنفا. والثاني: البعد. والعلقبة: مصدر مثل العاقبة والطاغية، وقريب منه: الفالغ " (١).

- المعنادي:

كما في إشارة الشارح على قول فضالة بن شريك:
وَلَمْ أَغْصِ الْأَبْيَرُ وَلَمْ أَرْنُفَ وَلَمْ أَسْبِقْ أَبَا أَنَسٍ بِمَوْعِمٍ
" رواه هذا الشيخ: (ولم أَسْبِقْ أبا أنسٍ بوعيم)، على أن (أبا أنسٍ) نداء مضاف، كانه قال: (وَلَمْ أَسْبِقْ يَا أبا أنسٍ) على أنا يكون أبو أنس مفعولا به، والفعل (أَسْبِقْ) وهو خطأ، والصواب: (لم أَسْبِقْ أبا أنسٍ) " (٢).

- كلا وكلتا:

ومن أظهر الأمثلة على ذلك قول الآخر:
أَوَّلَانِ يَتَوَخَّضِينَ وَتَنَزَّلُ كِلَيْهِمَا جَمِيعًا وَمَغْزُوفٍ أَلَمْ وَمَنْزُورٍ

" رواه هذا الشيخ: (كلاهما) .. و (كلا) و (كنتا) : اسمان للثنية، بمنزلة (الكل) للجمع، وإنما أضيف إلى اسم مضمَر كُتِبَ في موضع النصب والجر بالياء، وفي موضع الرفع بالالف، وإذا أضيفا إلى اسم ظاهر، كتب بالالف على جميع الأوجه. تقول: (مررت بالرجلين كليهما)، و (رأيت الرجلين كليهما)، و (هذان الرجلان كلاهما) و (رأيت كلا الرجلين)، و (مررت بكلا الرجلين)، والأصل الفالف، إلا أن الاصطلاح هو ما نكرناه " (٣).

- الصفات وحروفها:

مثل ما يتبدى لنا من تعقيب أبو حلال العسكري على قول امرأة من بني مخزوم:
إِنْ تَسْأَلِي فَأَلْعِزْ غَيْرَ الْبَيْعِ أَلْعِزْ لِي (تسئلي) و (مَغْزُوم)
" إيا رفعت (غير)، فهو نعت (الممد)، ومعناه: ليس بالبيع، وإذا نصبت (خير)، فمعناه: (إلا البيع)، أي: حل المد إلا البيع، قد حل لي (تم ...) . ورواه هذا الشيخ: (بالمد غير البيع)، بالخفض، وليس لهذا وجه، أئمة " (٤).

ومن قبيل تفصيل الشارح للرواية على النعت: لحصول الفقدان به، ما نجده في تفسير التمرى لبنت أبي كبير الهذلي:

خَلَّتْ بِهِ فِي أَيْلَةٍ مَزُودَةٍ غَزَفْنَا وَغَلَّظْ نِطَاقَهُمَا لَمْ يُخَالِي

(١) أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الصلابة: الفترة (٧) ص ١٦٠.

(٢) نفسه الفترة (١٤) ص ١٨١، ١٨٢.

(٣) نفسه: الجزء (٣٤) ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) نفسه: الجزء (١٤) ص ٣٠٦، ٣٠٧.

القضايا النحوية: الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

بالقول: "مزودة"، مفرغة، وهو صفة لليلة، ويروى "مزودة"، بالنصب، يحل حالا للمرأة. والصفة أحب إلي، فإن الليلة إذا كتبت ذات حوله فأهلها كذلك، وإذا انفرد أحبها بالهول لم تكن هي كذلك. وإذا جعل أيضا حالا، لم يكن في ذكر الليلة لفائدة، إلا خصوصية الليل دون النهار بالحمل، كقوله قل: حملت به فزعة في ليلة، فقلت الفلانة^(١).

- اصل (أن):

مثل التعليق على قول شاعر العمارة:

يُؤْخَذُ الْأَخْبَارُ وَتُفَقِّهُنَّ بِمَا مَبْنًى وَهِيَ بَيْعٌ لِسُوءِ الظَّنِّ

" رواء هذا الشيخ: (مما يبيع لك العظيم)، وليست هذه الرواية بالمستقيمة؛ وذلك لأن (الأمور) منصوبة بأن، و(دقيقتها): بدل من (الأمور)، و(مما يبيع .. إلى آخر البيت ...) خبر، والهاء في (له): راجعة إلى اسمها، من الخبر .. ولو قل: (لك) لما صح الكلام؛ لأنه ليس له في الخبر راجع إلى الاسم، يرتبط به الكلام^(٢).

- التنكير والتثنية:

كما جاء في التثنية على قول المرأة التي قتل زوجها:

تَجْتَلِي خَزِينَتَا عَوْفٍ بِسَنِّ كَعْبٍ فَلَيْسَ لِيْخْلَعُهَا بِمَنْهَا اعْتَبَادُ

" (تجللت) الشراء، لسته، أي لبس (عرف بن كعب) خزي هذه الفقرة. ورواه هذا الشيخ: (تجلت خزيها عرف بن كعب ..) فحمل (الخزي) هو العاطل، يريد أن (الخزي) لبس القوم، وليس لذلك وجه. وروى أبصا: (نلبس لخلعها منه اعتذار) فذكر. وروى في المصراع الأول: (تجلت خزيها ..) فقلت. وهذا اضطراب شديد، كما ترى!!^(٣).

- الإضافة:

كما جاء في شرح قول أبيس بن الأوت:

فَقِيْ مَرْعَى أُنْعَمَ إِذَا تَمَنَّتْ عَقْرَتِيْ يَوْمَئِذٍ عَقْرَتَانِ

" (مرعى): اسم لهما، شبيهها بعقرب، يسمدها (عقربان)، وهو ذكر العقارب. (والكوم): السفاد. ورواه هذا الشيخ: (كان مرعى اسم ..) جملة (مفعلا) من الرعي، وأضافه إلى الأم؛ وهو خطأ، كرف يشبه الموعى عقربا^(٤).

- التكرار:

مثلما وجدنا في لمر قول الآخر (زميل بن لبير):

وَقَدْ كَبَّ جَلَّتْ غَضَّةُ الشُّوْخُوْنَ وَإِنْ تَمَنَّا نُخْبِرُكَ ظَهَرَ الْقَرْبِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ

(١) التنزي: محقق أبيات العمارة: حاشية (١٢) ص ٢٢.

(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: الفقرة (٥١) ص ٢٤٢.

(٣) نفسه: الفقرة (٥٠) ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) نفسه: الفقرة رقم (٥٢) ص ٢٤٨ : ٢٥٠.

"يقول: ما من الشؤون، وهي: الأمور، فجئت عنه ما عسى غيره من البلاة .. (و)ظهر الغيب (منصوب على الظرف، وحمل الغيب طهرا، فهو ظرف مكن، والأصل: يخبرك ما أنت فاعل في ظهر الغيب، ثم حذف، ونصب، كما تقول: (رأيت زيدا موضع كذا ..)، ويجوز أن يكون أراد: (على ظهر الغيب)، فحذف ووصل الفعل، ونصب، وهي رواية أبي ريث، وابن الخياط. ورواه هذا الشيخ: (ظهر الغيب) - بالرفع - على أن (الظهور) فاعل للتخيير، وليس لذلك وجه. والمعنى: أتى خلقت على خلق الرجل، وعلى قلب حلت عنه الشؤون، فذهبت بلامه، وإن شئت أن يخبرك بما تفعله ظهر الغيب فعل " (١).

- البيل:

انظر مثلا ما جاء في قول حبيبة بنت عبد العزى:

إلى فتى فنى نمر ثلثا ناكبي ففمننا متابعينها التوجيه الأمل
" (بر) : اسم انهاء، وكان لثما بخيلا، فأصاب صيدا، وجعل لحمه وشق (٢)، وتصقيف (٣)، وقال لأمه: احفظيه، ولا تفرقه، فإن الحر قد اشتد، ولا يفر على الصيد، في كل وقت، فقالت: والله لا أخزن لحما، ولا أسلكك أبدا، ثم رحلت عنه، فتلكأت ناقها، للإلف لوطنها، فقلت في ذلك: (إلى فتى بر ثلثا فنى) (بر) بدل من الفتى. ورواه هذا الشيخ: (أ إلى فتى بر ..)، على الصفة، وهو خطأ، ولو كتبت ناقها تلكأت إلى (فتى بر ...) ما دعت عليها " (٤).

وبغير ذلك من المسائل النحوية والصرفية التي لا ينكرها الشراح لذاتها، بقر ما يكتفوا عن أميتها في فهم المراد من معنى البيت، على أدق مرادهم. جلتين إلى رواية البصريين تارة (٥)، أو الكوفيين تارة أخرى (٦)، أو الجمع بينهما تارة ثالثة، مبينين وجهات النظر المنهجية كلا على حدة، دون تعصب (٧)، ميممين وجههم نحو المعنى يثرون أعوارهم، ويعرضون في الكشف عنه، بمثل مصحح وتحرير أبي هلال العسكري لقول العباس بن مرداس: (الطويل)

أبغض الإزار مجنونا نساك شاحدا أبيت به في الدار لم يتزل

بقوله: " رواه هذا الشيخ: (أثبت به في الدار ..)، وهو غلط، والصحيح: (أثبت به) بضم الألف .. أي بعد أن أثبت به، وأنت في دارك بازاء هذا القيل، مجندا بالدم، أي مصبوحا به، تقر بأخذ الدية، وترك الدم؛ وأمره

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: الفقرة (٥٤) ص ٢٧٣ - ٢٧٦.
(٢) في التسل (وشق)، التوثيق: جمع الوثيق، والوثيق، وهي لحم ينلى في ماء ملح، ثم يرفع، وقيل: هو أن ينلى بإغلاء، ثم يرفع، وقيل: يند، ويحمل في الأسفار، وهي ألقى فيه يكون ..)
(٣) عن الموثق، وفي التسل (صفت)، (صف للحم، يصفه معاد فهو صفيق: شره عراما، وقيل: الصيوت الذي يطلى بإغلاء، ثم يرفع، وقيل: الذي يصف على المعص، ثم يشوى، وقيل: تشدد، فإذا شوى في الشمس ..)

(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: الفقرة (٥٧) ص ٢٨٣ - ٢٨٥.
(٥) انظر: نفسه: الفقرة رقم (٥١) ص ٢٦٧، حيث يرمح رواية البصريين بقوله: "والرواية الصحيحة هي التي تقدمت، وهي رواية البصريين، وغيرهم من أهل العلم".
(٦) انظر: التبريري: شرح ديوان العمارة (٤ / ٢)، حيث يرى أن الموزوني له نوع مذهب للكوفيين في معرض رده على ابن حني في تفسيره: لبث غلاني بن مروان بن الحكم بن رفاع

فأضحت زهرا في السنين التي مضت فمنا نغنى لا نذعن إلا الأمل
بقول: "وليس الموزوني أن يترك المختار من قول البصريين ويعمل إلى قول الكوفيين ردا على ابن حني رحمه الله".
(٧) انظر: التبريري: شرح ديوان العمارة (٤ / ١٦٨)، في شرحه لبث شاعر العمارة: (الطويل)

أبغض الإزار مجنونا نساك شاحدا أبيت به في الدار لم يتزل
بقول: "أبغض الإزار مجنونا نساك شاحدا أبيت به في الدار لم يتزل".
والصحيح: .. روى .. لكي يحكيك".

القضايا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

بأن يثار، وجعل هذا الشاعر الإزار، أيضا، شاهدا لهذا المخطئ على أن صلحه قد قتل، ولو كان هو الذي لقي بالإزار، لكن قد شهد قتله، ولو شهد لم يحتج إلى شهادة الإزار " (١).

ومثل هذا البحث عن مضي الذي يترأى لما في منبطه وتحريره لقول آخر (المتلم بن رباح المري) : (الطويل)

سأغفرك جثيبي وضغفه فومناذة وأغضبي إن لم يغضب الخفق أشجعا

بقوله : " روه : (أغضب إن لم يبط بالحق أشجعا) وهو تصحيف، والأول هو الصواب. والمراد: أني أغضب لعنتك، إن لم تغضب له (أشجع) ... " (٢).

جـ - المعنى:

فإذا ما انتقلنا إلى المعنى، وجدنا أن كل هذه الاعتراضات التي تتصل بالرواية من حيث اللغة، والنحو والصرف، تنوع فيها الوحدات التركيبية وتعاوض الي إطار تحويل يمليه تعدد الروايات، وقد يكون لذلك أثر في المعنى وقد لا يكون" (٣).

مما قد يؤدي بالرواة والشرح - في بعض الأحيان - إلى "فهم خاطئ"، وجنوح نحو التكلف والسطوة" (٤)، وهو ما قد يدفع بعض الشراح - خاصة المرزوقي - إلى الرد "على الشراح الذين يؤولون المعنى حسب أهوائهم، وهم - على حد زعمه - مخطئون في التفكير والفهم، وهؤلاء يسلمهم المرزوقي ملقا" (٥).

فقول الأفرع بن معاذ: (البسيط)

ثمئلف الجاز شيزنا وفسي خابئة ولا يبيث على أغناقيها فممن

" روه هذا الشيخ : (وهي جامة)، و (الجائم) : اللزيم لمكفه، لم يثر " (٦)، يرد أبو هلال العسكري على هذا الراوي على طريقة الاستفهام الاستكاري بقوله: " ولا أعرف كيف تملفه الري، وهي جامة لم (تثر)، ولا تحلب، إلا إذا ثارت " (٧).

وقول عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

فجاشت إلى السنفس أول منيرة ووث غلى مغزوها فامتثرت

فهمه بعضهم فهما خاطئا، فاعترض وقال: " لولا أنه حين لما حلت إليه النفس، وقال أيضا: ومثله في الرداءة قول عنترة:

(الكامل)

إذ يتفنون بسمي الأبنئة لم أجمن عثها ولعني ثمنانيق منمنعي

حلا قال، كما قال الجلس بن مرداس: (الوافر)

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمالة: الفترة (٣) ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) نفسه: الفترة (١٦) ص ١٨٨، ١٨٩.

(٣) والحمد لله: شرح الشعر عند العرب، ص ٥٥.

(٤) دلمند جمال المصري: شروح الشعر قباجلي، منافع الشراح (٢١٧ / ٢).

(٥) نفسه: (٢١٧ / ٢).

(٦) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمالة: الفترة (٦٤) ص ٣٠٨، ٣١١.

(٧) نفسه: الفترة (٦٤) ص ٣٠٨، ٣١١؛ وقطر كذلك: الفترة (٧٠) ص ٣٢٢، ٣٢٤.

القضايا الفنية: الفصل الثالث: قضية نداء الرواية والرواة (التوثيق)

"أراد أن الحرب أجلت، فحفظها؛ لدلالة الخطاب عليها" (١)، ثم انتقل إلى تبيين موقعي كل من (صوب) و (درور) الإسرائيليين، ومضني الجمليتين اللوحيين بهما، مطبقاً إلى تعريف المنجدة والدرور بقوله: "و (صوب) منصوب على تلويل المصدر أي: أجلت الحرب صوب سارية. و (درور) : مرفوع، جطه نطاً للسارية، على المضى، لأنه في المضى رفع. ويجوز أن يكون (درور) نطاً لمحفوف، أي: أجلت حرب صوب سارية. و (صوب) بالرفع غير جتزأ لقوله: (أجلت). ولا يجوز أن تؤنث (الصوب) على تلويل السارية، كما قيل: (شرت صدر القلة)، و (تولضت سور المدينة)؛ لأن (الصوب) ليس بعض (السارية)، بل (السارية) ظرف له، وظرف الشيء ليس منه. ولا يكون (صوبا)، أيضاً؛ إلا إذا انفصل منه و (صدر القلة) من (القلة)، و (سور المدينة) من (المدينة). و (المنجدة) من (الدجن)، وهو: التكبيل الغيم. و (الدرور) : لمول من (در)، وهو بمعنى: (صلب) (٢)، مختتماً بتأكيده أن استعمال ذلك كله من باب المثل " وكل هذا مثله، والمراد به: تتبع الضرب والطمع " (٣).

وبيت عمر بن الطفيل:

أَفَرُّ خَلْفَهُمْ دَعْلَجًا وَلَيْلًا إِذَا نَا اشْتَكَى زَفَجَ الزَّجَاجِ تَخَفَضَا

معناه - كما يقول المرزوقي - " أعطف فرسي دعلجاً عليهم، حالاً بعد حلب، وكرأ بعد فر، وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن بصدره محمم. وجعل الفعل للمصدر على المجاز والسعة لكونه موقع الطعن. هذا إذا رويت وليته بالرفع " (١)، هذه هي روايته وهذا هو المعنى الذي يرمى إليه الشاعر.

ثم يستطرد قتيلاً: "لأن بعض الناس روى وليته بالنصب، كنه فر من أن يكون الاشتكاء والتحمم للبان على كثرة سبة الاشتكاء إلى الأعضاء الألفة. فوقع فيما هو لقبح؛ لأن المراد أكر عليهم لرسى، فلا معنى لمعطف اللبان عليه" (٢).

د - البلاغة والصنعة الفنية:

لقد عرج الشارح على بعض الملاحظات البلاغية أو الصنعة الفنية ليؤكد صحة روايته، وخطأ الرواية المخالفة لها، أمثلاً عند قول التميمي الحارثي:

فَمِنْ قَلْبِمْ إِذَا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَعْن ظَلَمْنَا وَلَعَلَّمَا أَسْلَفْنَا الظَّالِمِيْنَا

نجد المرزوقي يذكر رواية أخرى هي "فَمِنْ تَرَصَّوْنَا أَسْلَفْنَا ظَلَمْنَا"، ويصرح ببلاغتها عن الأخرى بالقول "والزعم في دفع الدعوى أبلغ" (٣).

وكذلك ما نجده من استعانة أبي هلال العسكري لنقطة التشبيه في إثبات ما جنع إليه من رواية (٤).

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الصنعة: الفترة (٤) من ١٥٢.

(٢) نفسه: الفترة (٤) من ١٥٢، ١٥٣، وفتار: مقدمة المحقق، ص ٦١٨.

(٣) نفسه: الفترة (٤) من ١٥٢.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الصنعة: جملة (٢٧)، (١ / ١٥٤).

(٥) نفسه: (١ / ١٥٤).

(٦) نفسه: جملة (١٦)، (١ / ١٦٦).

(٧) فتار: أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الصنعة: الفترة رقم (٥٢) من ٢٦٨ : ٢٧٠.

القضايا التقنية الفصل الثالث: قضية تعد الرواية والرواة (التوثيق)

أو يستعين بالموسيقا، ومدى مواسمتها للرواية التي يملكها، وتضعف روابط الصلة بينها وبين الرواية الأخرى، مثل حديث أبي هلال العسكري عن (الروي) و (الإبطاء) في القوافي، و (الأوزان) .. يمثل ما يطلعا به في ضبطه لبيت هشام أخي الرمة:

خَوِي المَحْمُودُ المَحْمُودُ بَعْدَ ابْنِ مَلْهَمٍ وَأَمْسَى بِأَوَّلِي أَهْلِهِ لَدُنْ تَضَفَضُوا

وتحريره بقوله: " رواه هذا الشيخ: (قد تَضَفَضُوا)، و (تَضَفَضُغ) : أجودلان روي، البيت الذي قبل هذا البيت هو: (نَضَفُغ)، والبيت هو:

نَعَفَا بِأَبِي الأَخْلَاقِ لَا يُخْلِفُونَهُ تَكَاذُ الجِنِّالِ السُّمُّ مَبْنُوعٌ نَضَفُغُ

ولم يكن (هشام) لبرطلي في بيتين متوالين، ومع إمكان القوافي له. وإذا وقع (الإبطاء) في بيتين متباعدين في التصونة كان أقل عيبا، وكلما تقاربا كان غييه أشد، فإذا توليا فهو علة في العيب، ولا نعرفة لمجيب البيت " (١).

وفي ضبط أبي هلال العسكري وتحريره لبيت (حزاز بن عمرو):

تَبَكَّى عَلَى بَكْرِ شَرِيتٍ بِهِ مَنَافِيهَا تَبَكَّى عَلَى غُلَى بَكْرِ

بقوله: " رواه هذا الشيخ: (تكي على بكر شريت به ..) بتشديد الكاف، وضم القاء، والبيت - إذا روي كذلك - كان مكسورا " (٢).

وقريب من هذا الحديث عن الورن وصحته، قول أبي هلال العسكري في ضبط بيت وقل الآخر (نالغ بن أسعد الطائي، أو الغنوي):

وَأَمْسَتْ بِسَوَامِ غُلَى الأَنْصَرِ بَعْدَنَا يَفُوتُ، وَبَكْرٌ غُلَى أَنْ أَنْفَدْنَا

" نكر النيمرتي أن (عل) - ها هنا - بمعنى (لعل)، قال الشيخ: (عل) هو الأصل، فزيد عليه (لام)، ويجيء (لعل) بمعنى الإيجاب، والمراد: ولكن أوجب على نفسي التقم في الأمور، والاجتهاد في أن لا يفت. ورواه هذا الشيخ: (ولكن علي أن أنقما)، والبيت مكسور الوزن على هذه الرواية " (٣).

وبالإضافة إلى الجوانب السابقة، نجد الشراح في تعرضهم للروايات المخالفة بالنقد والتحليل - أحيانا - يقومون بضبط بعض الأبيات وتحريرها، مع الإشارة إلى خطأ الروايات الأخرى، يمثل ما يطلعا به أبو هلال العسكري في ضبطه وتحريره لبيت (؟) (أرطاة بن سبية):

وَنَحْنُ بِأَوَّلِ غُلَى ذَاتِ بَيْتِنَا زَلَّيْ فِيهَا بِفَضَّةٍ وَشَافُنْ

بقوله: " (للزرايبي) : الطنائس، واحدها (زربية)، وليس له - ها هنا - معنى البيتة، ولا شك في أنه تحريف، وتصحيف " (٤).

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريروا من الصلابة: لقرة (١٨) ص ١٩٢ : ١٩٤.
(٢) نفسه: لقرة (٢٨) ص ٢١٤، لأن البيت من بحر الكامل، وضم القاء، وتشديد الكاف في: (تبكي) بحس البيت، فزيد عليه (لام)، ويجيء (لعل) بمعنى الإيجاب، والمراد: ولكن أوجب على نفسي التقم في الأمور، والاجتهاد في أن لا يفت. ورواه هذا الشيخ: (ولكن علي أن أنقما)، والبيت مكسور الوزن على هذه الرواية " (٣).

(٣) نفسه: لقرة (٢٨) ص ٢٢٦ : ٢٢٨، وقع الكسر في الخطر لتلي من هذا البيت برواية (علي أن أنقما)، لرفعة حركة في تنجيلة التقية: (مفاعيل)، فتمسور (مفاعيلان) .. وهذا مما لم يرد في بحر الطويل، الذي جاء البيت على وزنه.
(٤) نفسه: لقرة (١٥)، ص ١٨٥ : ١٨٧، وأطر كذلك: لقرة رقم (٦٤) ص ٣١٤ : ٣١٦، لقرة (١٧) ص ٣١٧ : ٣١٨.

وتعلق النمرى على بيت أبو العطاء السندي:
فوالله ما لذى وإنما لصنابق إذا غري من جنبك أم مسخر
بالقول: "وروى قوم: "جذبيك" أي: مجاتيك، و"جذبيك"، أي: فاحبك، وليما بشيء" (١).

أو تعليق أبو هلال العسكري على قول الآخر (شبيب بن البرصاء / يزيد بن جمره المري): (الطويل)
ألم تر أننا نؤذ قساً وإنما نينين في الظننم لئناس نؤزفا؟
بالقول: "رواه هذا الشيخ: (نور قوم)، بالمعجم، وليس بالصحيح. و(قو): مكان معروف. وهو كتوك:
(نحن نور البلد). وليس (نور قوم) بشيء" (٢).

كثنتين عن سر تفصيلهم لما مالوا إليه من رواية. كما ورد في تعقيب النمرى على قول حسان بن ثبة
النمرى:

وَنَمَاتُوا فَانْقَبَ الثَّيْبُ لَا شَمَّ مَزْعَمًا وَلَا نَالَ قَطُ الصَّيْدِ وَلَا لَفَظَ: الماء الذي يوجد في كرش البعير إذا نحر. والشاة إذا
بالقول: "ويروى: "ولا نال قط الصيد"، و"اللفظ": الماء الذي يوجد في كرش البعير إذا نحر. والشاة إذا
نحج. ولست أدري لم خصه. وروايتنا: "قط"، التي هي للزمان الماضي. و"تغفر"، مس الترف. و"الصيد" هاها. ما
بصاد، وهو الفعل أيضا، أي: التلبث لا ينال الصيد حتى يغفر. وذلك أنه لا يقرب فويمة عبره كبرا وعزا، وإنما
يطعم مما اقتصره وكسبه. وخص "الأنف"، لأنه الجارحة التي ينسب إليها العز والذل، يقال: "حمى أنفه"، إذا عز،
و"رغم أنفه"، إذا ذل، و"ورم أنفه"، إذا غضب" (٣).

معللين سب تضعيف الروايات المخالفة ومر تخطتها، الذي قد يكون للإشكال، كما جاء في ضبط
لبي هلال العسكري لبيت شاعر الحماسة:

وَالْعَزِيمُ رَبُّ مَاحِدِهَا الصَّالِحِ سَبَّ غُلَامِي ثَلَاثِينَ الْغُرُومِ
بقوله: " (الثلثون): الشدائد المقلقة، و(العزوم): (فعل) من (عزم) على الأمر إذا قطع على قطعه،
ولم يتردد فيه، فالعزم: خلاف الإراقة، لأنك تريد (العزم) على الأمر، في عزم، ولا يجوز أن تريد (الإراقة) ..
ورواه هذا الشيخ: (على ثلاثين العزيم): (فعل) من (عزم)، وإذا كان الإشاد كذلك، أشكل المراد، فالوجه أن
يرون: (العزوم)، ليرتفع الإشكال، وهي الرواية الصحيحة أيضا" (٤).

أو التكلف، كما جاء في تعقيب أبي هلال العسكري على قول أرطاة بن سبية: (الطويل)
لَفَنَسْرُ إِلَهِي إِنْشِي بِقِيَابَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَلِكَ الْخَفَامِ لَزَائِمِي

بقوله: "أراد: إنني لأرعب بنفسي، وقبيلتي عن ذلك المقام؛ لأنه مقام نعيم. ورواه هذا الشيخ:

(١) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة (٧) من ١٨، ١٩.

(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة: لثقة (١٣) من ٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة (١١٥) من ٨٠.

(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة: لثقة (٤٠) من ٢٤١.

(... إني وقيلتي بنفسي عن ذلك المقام لأرجو)

كله قال: إني أربح بنفسي عن ذلك المقام، وقيلتي يرغبون بها عنه، إلا أنه ينبغي أن يكون الراغبون؛ فيجوز المعنى، ويصح اللفظ. فلن أراذ بقوله: (وقيلتي) القسم، صح المعنى، إلا أن يكون الكلام متكلفاً، والأول هو الوجه، والرواية " (١) .

وتعقيب التمري على قول زهير بن الحارث:

ألم نزلني نؤم فارقت نؤمًا أناني منبريخ النؤت نؤ أنة قنن
بقوله: " وروي لليمرني وغيره: "أنني صريخ الموت"، بالخاء معجمة، وقال: "هو داعيه". وهذا تصحيف في الحرف وخطأ في تنسيده، فلن "الصريخ"، هو المغيث والمستغيث. ذكر ذلك في الأضداد، ولا وجه لهما ما هنا إلا على تكلف " (٢) .

أو تكون الرواية المخالفة صحيحة على التوسع، ولكنها بعيدة عن المعنى، فيشيدون إلى بعدها موضحين سبب هذا البعد، كما جاء في تعليق أبي هلال العسكري على بيت الماور بن هند:

ومغنيًا بغيري الصوان فأنس منخط فمخط إذا نسا بزنا
بالتقول: " رواه هذا الشيخ: (يحوي الصور)، و (المعين) من بقر الوحش: الذي فيه يقع السواد. و (الصور) : القطيع منها. وعنى بالمعين فحلها. وكل جماعة لها فعل، فلن فحلها بعميما بنفسه، ورتب صها. ويقولون: (أحس من فعل العلة)، ويكون ذلك من (الحميلة)، ومن (الحمية) حميعا. و (بحويها) بعيد، وإن كان صحيحا على التوسع؛ لأن معنى قولك: (حويت الشيء) : هو أنك أحرزته، وحيتته. ولهذا سميت الأمعاء (الحوايا)؛ لأنها تحبس التقل. و (الحراء) : جماعة البيوت؛ لأن أهلها لا يتعنونها، إذا نزلوا، ولا يقل لما تجمعهم، وتسوقه (حويته) إلا على بعد، وإنما يقل في ذلك (حشرته) " (٣) .

ونراهم - أحيانا - يكتفون بالإشارة إلى خطأ الرواية المخالفة، واصفين إياها بصفات مختلفة، من كليل "تتادي على نفسها بالخطأ، لو"، كما فعل أبو هلال العسكري في ضبطه لبيت الماور بن هند: (الطويل)

فبدي ليتي هب غداة ذغوئهم يخبو ونال النقص والأبوان

بقوله: " (ويل): ماء لبني أسد، وجوه متسعة. ورواه هذا الشيخ:

فبدي ليتي هب غداة ذغوئهم يخبو ونال النقص والأبوان

ولا نعرف ما هذه الرواية، ولا تحتاج إلى أن نتكلم عليها؛ لأنها تتادي على نفسه (١) بالخطأ " (٢) .

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: النقرة (٤٩) من ٢٦٠، ٢٦١.

(٢) القسري: معاني أبيات العمارة: العمارة (٢٥٥)، من ١٤٤.

(٣) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: النقرة (٨) من ١٦١، ١٦٣.

(٤) يقول المصنف كما في الأصل وأصلها (بنسها) .. لغوة للمصنف على الرواية، وهي مؤنثة .. انظر: أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: النقرة (٦٢) من ٣٠٥.

(٥) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: النقرة (٦٦) من ٣٠٤، ٣٠٥.

وقد يبدي الشراح ترددهم إزاء بعض الروايات؛ بسبب عدم معرفتهم مصدر الرواية للخطأ فيها: هل هو نابع من تصديقت بعض الرواة وتحريفاتهم ؟ أم هو منسوب إلى أبي تمام الطائي (جامع ديوان الحماسة) نفسه، كما نطالع في ضبط أبي حلال العسكري لأبيات عارق الطائي:

وَاللهُ لَوْ كَانَ ابْنُ جَنْفَةَ جَارِقُمْ
وَسَلْبِلًا يَبْسُورُنْ فِي أَعْيَاقِقُمْ
وَلَقَدْ كَانَ غَائِثُهُ عَلَى جِيرَانِهِ
بِمَسْمُوحٍ وَزَيْطٍ رَادِعَا وَجِفَانِهِ

بقوله: " والصواب، والله أعلم:

وَاللهُ ، لَوْ كَانَ ابْنُ جَنْفَةَ جَارِقُمْ
وَسَلْبِلًا يَبْسُورُنْ فِي أَعْيَاقِقُمْ
وَلَقَدْ كَانَ غَائِثُهُ عَلَى جَارِيهِ
مَا إِنْ غَسَّاقُمْ ذُلُّهُ وَفَوَانِهِ
وَإِنْ نَفْطُحَ بِلُغَمِ الْأَفْرَاسِ
ذَهَبًا وَزَيْطًا رَادِعَا وَجِفَانِهِ

يعرض بعمرو بن هند؛ وكان أغار على طيء، منصرفه من اليمامة، فأصاب نساء وأزوانا، وكان بينه وبين طيء عتد وجوار، فقال عارق لطيء: (لو كان ابن جفنة جاركم لم بأسركم ، فيكسوكم السلام؛ فيجعلها في أعناقكم مكن الكسوة، ولما كسلكم النلة والهبوان، بذلك، ولكن تقطع تلك الأكران، أي بك تلك الأكران؛ أي بك تلك السلال. إن مد بها دعو، و) لكان يهدي إلى جارته (- يعني النساء، اللاتي أخذهن عمرو بن هند - ذهباً وزيطاً وجفناً، ولا أعرف أوقع التحريف، في الأبيات، من الطائي نفسه، أو من النقلة " (١).

أو يميلون إلى اشموية بين الروائين في الإجابة واللعن، كما جاء في تعقيب النمرى على قول الراعي: (الطويل)

كَفَيْتَنِي عِرْفَانُ الْكَرَى ، وَكَلَيْتَنِي
فَلَسُوهُ النُّجُومُ وَالنُّعْاسُ مُغْتَابُ

بالتقول: " عرْفَانُ"، اسم صاحبه. و"الكرى"، النوم، يقول: كفني النوم، أي تولا، وكفيتني أنا لن يكلاً للنجوم ويراقبها ويهتدي بها، أي تولاها، و"الكلوة"، الحنظل، يقول: لأم وسريت به، ويروى: كفني عرْفَانُ الكرى، من المعرفة، ويريد صاحبه الذي تقدم ذكره. وكلاهما حسن " (٢).

وكذلك تعقبه على قول حنظل بن طرفة:

وَلَا مَلِي بِذِي الْوُدَعَاتِ مَوْطِي
أَلْجَبُوهُ وَزَيْتُونُهُ أَرِيذُ

"نو الودعات"، اللطف. يقول: لا ألاجه تعرضاً بلمه. ويروى: "وريبته أريد"، و"الربة"، الصلابة، ويريد بها أمه. وكلا الروائين حسن " (٣).

أو جواز الروائين وعدم امتناع الرواية الأخرى، كمثال تنبيه النمرى على ما ورد في بيت الموطوط السدي، ويروى لجرير:

بَلْ لَوْ نَسَاجِنَا الْفُؤُوسُ بِذَارِهِ
لَفُذِمَاتِ الْهَسُوفِ وَخِينَا

(١) أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريف مواضع من الحماسة: لقراءة (٥٩) من ٢٩٦: ٢٩٧.

(٢) النمرى: معنى أبيت الحماسة: حماسة (١٠٠)، من ٧١.

(٣) نفسه: حماسة (١٢٨)، من ٨٦.

القضايا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

من روايه يقول: " حكنا روايتنا، ونكر لي أنه قد روي موضع 'الغَيُور' بداره"، 'المُثُون' بداره"، وفسر قيل: "العيون"، الرقباء، و"داره"، موضع. وليس هذا ممعنا " (١).

وقد يتطرق الشراح من كشفهم عن معنى البيت، وتفسير بعض ألفظه إلى سرد نسب بعض الأعلام، بطونا وأعداء: .. كما يترأى لنا في ضبط أبي هلال العسكري لبيت تليط شرا:

وَأَنسَى لَهْمِي مِنْ ثَمَالِي فَفَاصِدٌ بِهِ لَابِنٌ غَمَّ الصَّدَى ثَمَنِي بِنِي مَالِكِ

وتحريره بقوله: " يروونه: (شمس بن مالك)، يفتح الثين، والصواب: ضمها. وهو: (شمس بن مالك بن فهم)، بطن من (الأزد)، منهم: (نحو بن شمس)، و(نحو): اسم، والنسب إليه (نحوي) ومنهم: (شيبان بن عد الرحمن النحوي) المحدث، ولم يكن معربا. و(شمس) إنما هو في (جرم بن ريان) من (قضاعة) " (٢).

ومن التنبيه على بعض التصحيحات والتحريفات في بعض روايات الأبيات وأعلامها، إلى التبرع على ما أصاب أسماء مندي هذه الأشعار أنفسهم من تحريفات .. بمثل ما بطلنا أبو هلال العسكري بضبطه لبيت أبي الأسد بيلة الحملي التميمي في الحسن بن رجاء:

فَلَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْجِيَالِ وَأَهْلِهِمَا وَإِلَى مَنَابِرِنَا بِظُرْفِ أَخْزَرٍ
مَا زِلْنَا تَرْفَعُ كُلُّ شَيْءٍ قَاتِعٍ حَتَّى اجْتَرَأَتْ عَلَيَّ رُفُوبُ الْمُثْبِرِ

وتحريرها بقوله " رواه هذا الشيخ: (أبو الأسود)، وهو خطأ، وإنما هو: (أبو الأسد التميمي)، واسمه: (بيلة)، من بني حملي، ويعرف بلي الأسد الديوري، شاعر رشيد. وليس بلي الأسود الدولي. وذلك أن أبا الأسود كل في أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام (ش ٤٠ هـ)، والحسن بن رجاء كان في بعض أيام بني العباس " (٣).

وشبه بهذا الملك ما نراه في تصحيحهم نسبة بعض الشعراء إلى قبائلهم، كما فعل أبو هلال المرزوقي في ضبطه لاسم (أبي الطمحاء الأسدي)، ولقبه في تحريره لقوله:

وَبِالْحَيَةِ الْبَيْضَاءِ شَيْخٌ مُسَلَّطٌ إِذَا خَلَفَ الْأَيُّمَانُ بِسَافٍ نَسْرَتِ

قلنا: " رواه هذا الشيخ (أبو الطمحاء القيني) وهو خطأ، وذلك أن أبا الطمحاء القيني جاهلي، واسمه: (حنظلة بن شرقي)، وقيل: بل اسمه: (ربيعة بن عوف بن غم بن كنانة بن القين بن جسر) وهو القتل:

أَعْنَاءُ نَهْمٍ أَحْمَانُهُمْ وَوَجْهُهُمْ نَجَى الثُّبُلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَابِتَةً

ونعيم: أبو الطمحاء النهشلي، وكان يهاجي أم الورد العجلانية، وأبو الطمحاء الأسدي هو الذي نشد له أبو تمام (وبالحيرة البيضاء) ...، وأبو الطمحاء الطقي، ... لهؤلاء آباء الطمحاء ... وجئت بخط علي بن حمزة البصري التميمي، قال: ذكر الحسن بن بشر ابن يحيى الأدي من يقل له: أبو الطمحاء فذكر أبا الطمحاء القيني، وأبا الطمحاء النهشلي، وأبا الطمحاء الأسدي، وأبا الطمحاء الطقي، ونكر أن أبا الطمحاء الأسدي التميمي

(١) شعري: معاني أبيات الحماسة: حماسة (٥٧٦) ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريروا لموضع من الحماسة: لشرة (١٧) ص ١٩٠.

(٣) تنبيه السمر، (٥٩) ص ٢٨٦، ٢٨٨.

أمره على الرواة، وأشكل حتى حسوه أبا الطمحلان، وإنما هو أبو الطمخاء (بلطاء والخاء والهمزة)، واسمه: (طخبم)، أنشد له أبو حاتم والمبرد وغيرهما (١) .

٣١٠ الشارح طرف مؤثر يسخر إلى حلقب (العقل) (الحنن) فإذا به يُحِينُ " النص و"يُخْشِرُ" به في ضرب من السَّجَلِي والسَّجُو أملا في الفهم وتسمُّ تُرى الحقيقة أو ما يبدو في هيئتها. فالشارح مدعو إلى فتح كل دروب المعرفة: درب (العقل) و(النوق) و(الشعور) ... من أجل الفهم والإمساك بخيط اليقين (٢) .

وحشد تلك الصفات حول الشارح، يكتسبه " السمة الذاتية، والاستقلال بالرأي، والاعزاز به، والإتيان بالآراء التي يكن قد سبق إليها في الرواية أو في الشرح " (٣) .

وأبرز من تحتشد حوله هذه الصفات من الشارح هو المرزوقي، التي تعكس أرائه مدى ما يتمتع به الرجل من ثقافة موسوعية، مكنته من التمييز بين الجيد والردي من المعاني، ومن ثم رد الروايات المخالفة، وهو في ذلك كله معززا برأيه، مرجحا له، حتى ولو خالف المجموع، ولننظر على سبيل المثال ما قيل في قول بعض شعراء بلعنير:

لَوْ كُنْتُ مِنْ نَازِلِي لَمْ تَمْتَنِّجْ إِلَيَّ يَثُو الثَّقِيظَةُ مِنْ ذُفُلِ بْنِ شَيْبَانَا

فقد أجمع كثير من الشارح على أن هذا الشاعر هجا قومه لتخليقهم عن نصرته، وهو ما نقله وراق عليه الخطيب التبريزي (٤)، أما المرزوقي فذهب خلاف هذا الرأي، ورفضه رفضا صريحا، ودافع عن رأيه دفاعا حارا مدعيا إياه بالألمة والبراهين، بالقول: " مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، هم بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم، وإذا كان كذلك، فمدح هذا الشاعر هم بجري مجرى الافتخار بهم، وفي بني مازن عصبية شديدة، قد عرفوا بها وحمدوا من أحلها، ولذلك قال بعض الشعراء موبخا لغيرهم:

فَهَلْأَمْ تَحْتَمُّنْ سَنَفِي غَضَبَةِ نَازِلِي وَهَلْ كَفَلَتِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
عَلَى تَنَابُورٍ عَلَى قَسَمَتَانِيهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَلَّ الْوُجُوهَ بِقَاءِ (٥)

ثم يوضح قصد الشاعر كما فهم من النص .. فيقول:

" وقصد الشاعر في هذه الأبيات - صدي - إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه، وتوبيخهم وهزهم، لا نهمهم، وكيف يظنهم ووبال الذم راجع إليه ؟ .. لكنه في هذا المعنى سلك لطريقة كبشة أخذت صرو بن معد يكرب في قولها:

أَنْتَ لَنْ غَيِّبَ اللهُ إِذْ خَانَ وَوَفَّيْهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَكُمْ نَبِيَّ

ألا ترى أنها قالت في جملة هذه الأبيات:

وَذَعْ عَنْكَ عَمْرَأِي غَضْرًا مُمَالِيًا وَهَلْ نَطَلَّ عَنْرِي غَيْرَ شَيْبٍ لَمْتَظِمِ

(١) أبو حاتم السكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المعاني: لتفرد (٧٤) ص ٣٢٢: ٣٤٣.

(٢) د/أحمد الوديعي: شرح الشعر عند العرب، ص ٣٤، ٣٥.

(٣) د/أحمد جمال الصوري: شرح شعر الجاهلي، مناهج الشرح (٢ / ٢١١) .

(٤) أنظر: التبريزي: شرح ديوان المعاني: (١ / ٦٠٥) .

(٥) المرزوقي: شرح ديوان المعاني: حمانيه (١)، (١ / ٢٣) .

القضايا التقليدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

فلا يجوز أن يتوهم أنها كتبت تهجو لأخاها صراء أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب تلؤ أخيه، وصرو هو الذي كان يعد بألف فارس، ولكن مرادها بعثه وتهيجه .. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه، وقد لحقتهما هزيمة من أجنبي، أو كفا في خدمة فلان عمك أو أخوك لما جسر هذا أن ينقنا بمكروءه، ولا يجوز أن يقال أنهما هجوا سيديهما أو فضلا غيرهما عليهما، ولكن المراد تحريكهما لهما. وإذا كان الأمر على هذا فمن الظاهر بطلان قول من يذهب إلى أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن. ومما يؤكد ما قلته قوله: (البسيط)

يَجُزُّونَ مِنْ ظِلِّهِ أَهْلَ الظِّلِّ مُخْبِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

لأنه لا يقال لمن يمسك عجزا عن الانتصار أنه غفر، ولا لمن يقدّر على جزاء الإساءة أنه لختل الإحسان. فإن قيل: اليس قد قل:

لَيْسُوا مِنَ الشُّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

وقل أيضا: (البسيط)

فَلَيْتَ لَيْسَ بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَجَعُوا شِئْنَا الْإِغَارَةَ قَوْمَانَا وَزَقَيْنَا

قلت: ليس يزيد شيء مما قاله على قول كبشة: (البسيط)

وَدَعَّ هَذِهِ غَفْرًا لِيْ غَفْرًا مُنْجِلًا

وإذا كتبت أبياتها باقتفاء من أصحاب المعاني لا تكون هجاء فكذلك أبيات هذا العنبري. ومما يشهد للطريقة التي سلكناها وبزودها، أن في جملة أبياته التي وصف فيها قومه: (البسيط)

يُخْبِرُونِ بِبَرَاتِهِمْ خُفْسِي إِذَا خُمِدَتْ شَبُّوا لِشَوْقِي نَارَ الْخَرْبِ يَبْرَأْنَا

وهذا المعنى هو مثل ما اختر به غيره في صفات نفسه، فقال: (المتقارب)

أَبْرُ مِنْ الشُّرِّ فِيْ رَحْمَةِ فَقُتِفَ الْقَرْزُ إِذَا مَسَا أَفْتَزَيْتُ

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالإحتمال والصبر ما أمكن، فإذا امتاحوا زانوا على كل هتج .. ألا ترى أنه قل: (البسيط)

شَبُّوا لِشَوْقِي نَارَ الْخَرْبِ يَبْرَأْنَا

ومعنى البيت: لو كنت مازنيا لما تعدي بنو اللقيطة على إبلي .. (١)

فالمرزوقي في المثال السابق يتضح لذا كيف أنه " يعز برأيه، ويستدل بنهمه وتصبره، حتى لو خالف كل السابقين والمعلمين، ويقدم كل تدعيم لما ذهب إليه من شعر العرب، وأسلوب العرب، ومنطقه في التوهم والتعبير " (٢).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصليبي، سلسلة (١)، (٢٤/١)، (٢٥/١).
(٢) د/عبد جلال المصري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج للتأريج (٢/٢٢١).

القضايا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى الثقة والأمانة التي أبداهما شراح الحماسة في تعرضهم للروايات المختلفة للنص، وحرصوا من خلالها على فك رموزه، والكشف عن ملامحها، ومن ثم تمييز الروايات السليمة - من وجهة نظرهم - ودحض المخالفة.

إلا أن هذه الثقة في التوثيق التي انتهجها شراح ديوان الحماسة لا تمنع من وجود بعض الهنات التي وقعوا فيها أنفسهم - وهم من يسيرون على غيرهم - واستدركها طليهم النساخ، وإن كانت على الشواهد التي يسوقونها في تنقيحها وتحليلهم وتقنيدهم لأقوال شعراء الحماسة، كما ورد في تنقيح ناسخ كتاب "مقاييس الحماسة" للنمري، على استشهد النمري بقول ذي الرمة:

تَرَى الزُّلَّ بِغَزَظِ الزَّيْنِاحِ إِذَا جَرَتْ وَيُؤَيِّسُهُ لِسَوْفَا خَشْيَةِ اللَّهِ تُسَمِّحُ

الوارد في الحماسة (٤٩٦) ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، بالقول: " ليس لذی الرمة، وهو لعميل وروايته: "وثقة لولا خشية الله" ^(١)، وقد علق محقق الكتاب على هذا الكلام بالقول: " هذه حاشية من النسخ أدخلها في المطبع بعد قوله: "قول ذي الرمة"، ونقلتها إلى أسفل بعد البيت، لتكون أوضح " ^(٢).

ومما يؤخذ على شراح الحماسة كذلك، اتباعهم لمنهج النقد الشديد واللاذع لرواة الشعر وشراحه السابقين، ذلك المنهج الذي سار عليه من سبقهم من النقاد، فتغاضوا عن الحواث المضيئة في تعاملهم مع الشعر، واختزال مجهوداتهم "فحتى وإن لم يكن الرواة صراحة بمراتب الجودة بسبب طبيعة المشغل الذي كان يسكنهم فبقهم برهنوا مثلاً رابحاً سابقاً على دراية واسعة بالمقصيدة في مرحلة منكورة نسبياً من عمر الشعر العربي، فلا عربة بينهم وبين ما يتلقون من أشعار فقد كان عصرهم قريباً من عصر الشعراء الذين اهتموا بهم فكشفوا خبايا وأضاروا خلفها قد تنق عن اللاحقين. إن الرواة بعثوا الشعر القديم قولاً ومقاماً حتى تهيأ للنقاد على تلك الصورة، لكن هؤلاء - أو بعضهم تحديداً - غصوا الطرف عن المزاي وترصدوا عثرات الرواة في الفهم والتفسير لأبطال أهلينهم التقية، ومن ثم إسقاط أرائهم في هذا الشاعر أو ذاك، وهي آراء قد لا تروق للنقاد الذي يسعى حثيثاً إلى إحضارها ضمن استراتيجية دفاعية قفحة على السجال. إن خطاب النقاد ينحو متعيين: منحى الطعن إلى درجة ينعت فيها من يهتم بالشعر على غير منهجه بالنقص والجهل، ومنحى الاحتجاج " ^(٣).

نلاحظ إذن أن الشراح في طريقهم لنقد الرواة وشراح الشعر السابقين، قد عدوا إلى عدة جوانب يستطيعون من خلالها تثبيت من دقة الرواية وصحتها، كالجانب اللغوي والنحوي، واللاغوي، وهو ما نجح فيه الشراح إلى حد بعيد.

ورأينا كيف تعمل الشراح مع تلك الروايات المختلفة للنص الأصل، على نحو تغلب فيه الممارسة على التطوير، ويتفوت ذلك التعامل من شارح إلى آخر، على قدر طاقته المعرفية والنقدية التي يسخرها في تفسير النص، إذ أن " الشرح والنقد يتقلمان، ويتفوت ذلك التقاطع ظهوراً وضموراً من نالده إلى آخر، فلانلده وإن أوغل في تشكيك قضايا الشعر والشعرية تظهر أبله يقوم بذلك من خلال عينات وقف منها موقف الشراح في ضوء مفاهيم نقدية محددة تبين رؤيته الجمالية علة فلانلده بالشرح والشرح بالنقد " ^(٤).

(١) النمري: مقاييس الحماسة، حماسة (٤٩٦) ص ١٧٤.

(٢) انظر: نفسه: هلن: حماسة (٤٩٦) ص ١٧٤.

(٣) د/احمد الوميلي: شرح الشعر عند العرب، ص ١٢٩.

(٤) نفسه: ص ١٢٢.

الفضايا النقدية ===== الفصل الثالث: نقد الرواية والرواة (التوثيق)

ورأينا كذلك الحدة التي أبداهها كثير من الشراح - لاسيما أبي هلال العسكري والمرزوقي - في مخاطبة الرواة والشراح السابقين، فسلطوهم بألسنة حداد، وتعرضوا لهم باللفظ وجبارات شديدة القوة، دفعت بعضهم - أعني شراح الحماسة - إلى النأي عن التصريح بلسم الراوي أو الشارح الذي ينفذه - أحيانا - ، حتى لا يُشهر به أو يقل من شأنه أمام تلامذته ومريديه.

وفي البداية يمكننا القول أن الشراح قد حافظوا على غرار أسلافهم، على الأسس العلية للشرح والنقد، وذلك من خلال تعرضهم لمدد الرواية، فلم يتكفوا الإضالة، بل ساروا وفق منهج يحكمه العقل والمنطق إلى جانب الخوق والملكة الفنية، وهو ما يتوافق مع أسس النقد التراثية الرصينة.

وقد أنتوا من خلال تعاملهم مع الروايات المختلفة للنص الشعري، وكذلك مع الرواة والمقامين على تلك الخصوص بلجميع والتوثيق، وما أختها من مرحلة التفسير والشرح، أقول قد ابتوا عن حسن فني ونفدي باضح وممارسة فعالة، استعنت إيجابيا على الشروح.

الباب الثاني

القضايا البلاغية في الشروح

الفصل الأول: علم المعاني

الفصل الثاني: علم البيان

الفصل الثالث: علم البديع

obeikandi.com

الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياها

- أولاً: التقديم والتأخير
- ثانياً: التوكيد والتعريف
- ثالثاً: الفكر والحذف

obeikandi.com

الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياها

يدل مصطلح "المعاني" عند البلاغيين على الوظائف النحوية للتركييب، والكيفيات والوحدات التي يتشكل بها التعبير، بشكل يتبع للمتلقي التعرف على أسرار الكلام، ومن ثم التمييز بين جيد وريثه، فعلم المعاني كما يعرفه السكاكي هو " تتبع خواص تراكييب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال نكروه " (١)، وعرفه الخطيب القزويني بأنه "علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال" (٢).

إن الهدف البلاغي الذي يؤسس له علم المعاني إذن هو " مطابقة الكلام لمقتضى الحال "، الذي يتبع ليشمل حل عناصر الخطاب الأربعة؛ المتكلم، والمخاطب، والميق، والموقف، فهو بذلك أوسع أفقا، وأكثر رحابة في تحليل مكونات الجملة.

إلا أن علماء البلاغة اتجهوا في تناولهم لعلم المعاني إلى " البحث في مكونات الجملة على غرار ما كان في النحو، فتحصر ميدان علم المعاني في الأحوال النحوية للألفاظ، ووقف عند حدود أوضاع اللفظ التي يطبق بها مقتضى الحال، لذا فقد بدأوا بالتمييز بين نوعين من الكلام؛ هما الخبر والإنشاء، وعقدوا علم المعاني عليهما، وعلى ما يتفرع عنهما من حذريات " (٣)، يقول السكاكي: " إن التعرض لخواص تراكييب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورية، لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق. والسلف في الاعتبار في كلام العرب شيئين: الخبر، والطلب ... وما سوى ذلك نتفخ امتناع إجراء الكلام على الأصل " (٤).

وعن سبب حصر معاهد علم المعاني في هذين القسمين، سوى أن ذلك ما جرى عليه كلام العرب كما أشار السكاكي، يقول الخطيب القزويني: " ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون نسبته خارج تعلقه، أو لا تطبقه. أي لا يكون لها خارج. الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء " (٥).

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) المصدر الذي استقى منه السكاكي والقزويني ومقر البلاغيين بعد القزويني فهمهم لعلم المعاني، بعد أن أضلوا إليه، وتوسعوا فيه، ففظرية النظم التي وضعها الجرجاني تقوم على تحليل علم المعاني على أسس التركيب النحوي، فعبارة " معاني النحو " عنده تشير إلى علم المعاني، حيث يقول: " ... فلت يوجد شيئا يرجع سوابه إن كان صوابا، وخطله إن كان خطأ إلى " النظم "، ويحل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أي عومل بحالات هذه المعطلة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة بطم أو فسده، أو وصف بمزبة وفصل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك للصدق، وتلك المزبة، وتلك الفسلة، إلى معاني النحو وأحكامه " (٦).

(١) السكاكي: مفتاح العلوم، حقه وكم له ولغيره دعيه المعتمد هادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م، ص ١٦٦.

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (٥٢ / ١).

(٣) داهميد صالح خلف التريبي: مفهيم البلاغة بين الأساء والطناء، السعودية، جامعة لم تترى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، ص ٥١١.

(٤) السكاكي: مفتاح العلوم، ١٦٢، ١٦٤.

(٥) القزويني: الإيضاح (٥٥ / ١).

(٦) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ٨٢.

ومن خلال نظرية النظم تمتعت أنواع علم المعنى مثل: التقديم والتأخير، والفكر والحذف، والإضمار والإظهار، والتعريف والتكثير، إلخ.

ونظرية " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " تنسم بالمرونة والحرية في اختيار التراكيب المناسبة لمباي
الحال، والظروف التي تكتنف عملية للكلام، وهذه المرونة وتلك الحرية قد تدفع إلى بعض الاستثناءات التي تشذ
بالكلام وتراكيبه عن قاعدة الاستعمال، وهو ما عبر عنه البلاغيون بـ "الخروج عن مقتضى الظاهر" أو "الخروج
على خلاف مقتضى الظاهر" (١)، أي ظاهر الحال، " فبما كان الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على كيفية
مخصوصة، اتضح أن المراد بمقتضى الظاهر أخص من مقتضى الحال، فقد يكون مقتضى لظاهر أن يأتي للتركيب
على صورة، ولكن مقتضى الحال يدعو إلى غيرها، وعند ذلك لا تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلا بالخروج
عن مقتضى الظاهر، فكل كيفية اقتضاها الحال فهي مطابقة، سواء والتقت مقتضى الظاهر أو خالفته " (٢).

وصور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في علم المعنى كثيرة، أشار البلاغيون إلى كثير من
صورها ضمن مؤلفاتهم (٣).

وهذه الصور من صور الخروج وغيرها " تضيف على الأسلوب لمسة فنية، وتكسبه قيمة جمالية بما
تحفنه من صنعة ذهنية لدى المخاطب حين فلقها بما لم يتوقع " (٤)، وقد أشاد بها المصنفون بقوله: " ولهذا النوع،
أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متقنة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولابد أن يتبع مقتضى
بجهة من جهات البلاغة .. ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يشرب من أفقار سحرها " (٥)، وهو ما يؤكد
الخطيب القزويني حينما يرى أن اتباع هذه الطريقة في الكلام تشهد لها بالبلاغة والبراعة في القول، ويدعم رأيه
بالاستشهاد بما " روي عن الأصمعي أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يفتيان بشرا، فيملنان عليه
بغاية الإعظام، ثم يتولان: يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخترهما ويشدهما، ويكتنان عنه متواضعين له، حتى يأتي وقت
الزوال ثم ينصرفان، فليأيه يوما فقالا: ما هذه القصيدة التي أحفثها في ابن قتيبة ؟ قال: هي التي بلغتكما ... قال:
فلتشدنا يا أبا معاذ، فتشدهما: (الخفيف)

بَكَرًا ضَمَاهِي قَبِيلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فَمِى الثَّكْبِيرِ

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان " إن ذاك النجاح "، تكررا فللنجاح، كان أحسن،
فقال بشرا: إنما بنيتها أعرابية وحشية " إن ذاك النجاح " كما يقول الأعراب البعويون، ولو قلت: " بكرًا للنجاح "،
كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقام خلف وقيل بين عتيبه " (٦)،
وعقب على ذلك بقوله: " فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحض من أبي عمرو بن العلاء - وهم من لحولة
هذا الفن - إلا للطف المعنى في ذلك وخفاته ؟ " (٧)، في إشارة إلى ما في هذا المصنف من دقة وغموض.

(١) نشر: السلكي: مناهج العلوم، ١٩٧٠، القزويني: الإيضاح (١ / ٢٠٧٢ / ٨٠).

(٢) داهماد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأبناء والعلماء، ص ٥٧٥، ٥٧٦.

(٣) انظر على سبيل المثال صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في لمعان الأستاذ الفخري: السيد الشريف الجرجاني: حاشية المبد
على المطول، الطبعة الثامنة، ١٣١٠ هـ، ص ٢٥.

(٤) داهماد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأبناء والعلماء، ص ٥٧٧.

(٥) السلكي: مناهج العلوم، ٣٦٧.

(٦) القزويني: الإيضاح (١ / ٧١٠٧٣).

(٧) ص ٧١ / ١.

وقد حرت عادة البلاغيين في استخدام بعض المصطلحات المتواردة مع الحديث عن "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" من قبيل: "أصل المعنى"، أو "أصل المراد"، أو "أصل معنى الكلام"، أو "مطى الكلام وحقيقته" (١)، وتوارد تلك المصطلحات في ثنايا الحديث عن هذا المسلك يدل على أن "معرفة أصل المعنى تبدو مهمة بالنسبة للبلاغي في ظل الكلام عن الكيفيات التي يطبق بها اللفظ مقتضى الحال؛ لأنه من خلالها يستطيع أن يكشف عن المزايا الفنية في التركيب، وبالتالي يستطيع أن يحدد مواطن الصواب أو الخطأ البلاغي، وفق ما تمليه نظرية مطابقة الكلام لمقتضى الحال" (٢)، وهو ما نجد له صدى عند الشراح في تناولهم لمبلحث علم المعاني في النصوص، كما سيبتين لنا لاحقاً.

وعلى الرغم من أن مسائل علم المعاني لم تقل ما لفته سائر علوم البلاغة الأخرى من بيان وبديع من اهتمام الشراح وعنايتهم، إلا أنها - على قلة الإشارة إليها - تظل كثيرة ومتنوعة ولها حضور في الشروح، وإن كفت - كما ذكرنا آنفاً - إشارات الشراح لها موجزة مقتضبة، كما كان تناولهم لها - غالباً - من وجهة نظر نحوية، ولم يبينوا أثرها الدلالي أو البلاغي، أقول وعلى الرغم من ذلك فقد أثرت تسليط الضوء عليها، في محاولة لتحديد أبرز صورها ومظاهرها في الشروح.

ولقد نبه الشراح إلى كثير من مسائل علم المعاني، وكذلك صور الخروج التي تتحقق بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتكسب الكلام قوة وجمالاً، وتجعله أكثر تأثيراً، ومن أبرز ما تحدثوا عنه ما يلي:

التقديم والتأخير:

إن الأصل في الكلام أنه ينقسم إلى جمل، والجمل بدورها تنقسم إلى جمل اسمية، وفعلية، وأصل في التركيب الاسمي للجملة أن ينتمى المبتدأ ثم يتلو الخبر، والتركيب الفعلي للجملة يبدأ فيه بالفعل ثم العامل ثم مكملات الجملة من مفعولات مختلفة أو توابع كالمحلف والبدل .. إلخ.

إلا أنه - أحياناً - ولأغراض بلاغية معينة، يختلف ترتيب الجملة، ونظمها، فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم؛ مما يؤثر على الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر ومن ثم كان تقسيم القدامى للتقديم إلى مفيد وغير مفيد، مما أثار حفيظة عبد القاهر فقال: "واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره كسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يمال تارة بالعلمية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكتيب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجمه، ذلك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى، لمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وفي كل حال، ومن سبيل من جعل التقديم وترك التقديم سواء أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال، فأما أن يجعله ترجيحاً فيزعم أنه لفائدة في بعضها، وللتنصيف في الأخرى من غير معنى في بعض، فمما ينبغي أن يرهب عن القول به" (٣).

(١) انظر: السكتاني: مناهج العلوم، ٧٥، ١٢٢، ٢٨٥، الترويلي: الإيضاح (١٢٣ / ٢).

(٢) د. محمد صالح خلف الترييمي: مقاييس البلاغة بين الألباء والعلماء، ص ٥٨٢.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلالات الإيضاح، ص ١١١.

والتقديم والتأخير فوائد جمّة، أسهب كثير من البلاغيين في سردها، وهي تدور في معظمها حول تركيز العناية والاهتمام بالعنصر المقدم، يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله متحدثاً عن فائدته: " هذا باب كثير الفوائد، جم المعلن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بدعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروئك ممعنا، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن رائق ولطف عندك، أن قم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان " (١).

وقد تحدث غيره عن قيمة هذه الظاهرة في اللغة العربية بل وصفها بأنها " مظهر من مظاهر شجاعة العربية؛ لأنها إقدام على مخالفة لقريئة من قرائن المعنى من غير خشية لبر، اعتماداً على قرائن أخرى، ووصولاً بالحجّة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمل " (٢).

ونأتي دراسة للشرح التقديم والتأخير ضمن تناولهم لأشعار الحماسة، مكملة لمجهود من سبقهم من البلاغيين والنحاة، فسطح الحوي في ترتيبه المثالي لم يأت على هذا الترتيب في أشعار الحماسة، فثمة تغيرات تطرأ على سلك النظم والترتيب لدل النص الشعري. إذ يتم عصر أو يؤخر آخره مما يكون له كبير الأثر على المعنى والدلالة.

وسأبحث - إن شاء الله - في التقديم والتأخير عند شرح الحماسة في تناولهم لهذه الظاهرة ضمن أشعار الحماسة، مبتدئاً بالتقديم والتأخير في الجملة الاسمية، ثم العلية. وبعد ذلك سأتناول - إن شاء الله - التقديم والتأخير وعلاقته بالسبق، خاصة سيق التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى، وسأذكر في خلال ذلك كله الأغراض البلاغية التي نصّ عليها شرح الحماسة، وقسم من البلاغيين الأوائل مضيفاً ما أجده مُدسباً من الأغراض التي لم ينكرها الشراح وهم يتحدثون عن هذه الظاهرة.

أولاً: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

١ - تقديم الخبر:

جرت العادة بين البلاغيين على أن ظاهرة التقديم يتحكم فيها المتكلم، فهو يتم ما كفت العناية به أشد؛ قصداً إلى التأثير في السامع، إلا أنه توجد بعض الأغراض البلاغية الأخرى التي يقصد المبدع تضمينها كلامه من خلال أسلوب التقديم والتأخير.

فقد يقدم الخبر لغرض ملاحى أو لسباق الكلام، وقد ورد تقديم الخبر في قول أبي بن حمزة:

وَمَبْنِيَانِ جُنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى فَمَنْ بَضِي بِخَسَالِي يَوْطُونُ الْخَقَرَيْنَا

" ارتفع بيان على أنه خير مقدم لقوله " أن أموت وإن أرى "، والمعنى: مثلاً عندي موثي وإن أرى كمن يالف المحازي ويرضاها وطناً وملوئاً، ولا يأس إلا بها، ولا يرجع إلا إليها. وهذا تعريض بالمخاطب أيضاً. والسي. المثال. قال: (الحظينة)

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٠١.
(٢) ابن حسي: المحقق، (٢٦٠ / ٢٧ : ١٤٧)، في حديثه عن " شجاعة العربية " حيث نراه تحدث نعت هذا الخوض عن أسلوب كثيرة لخرج على خلاف متعمق لأشعر، كصير قشاش أو قصّة، وثابت المنكر، وتذكير المؤنث، وتقديم والتأخير، والعهد من الأمور التي تصوي ثمة سعيه الواسع.

فَأَيُّكُمْ وَخِيْلَةٌ بِطَمْنٍ وَإِ هُنَّوِ الثَّأْبِ ثَمِينٌ لَكُمْ بِسِيٍّ (١).

وقد يكون التقديم للإنكار، كما جاء في قول: وقالت عمرة الخثعمية، ترثي ابنها: (الطويل)

نَفَذْتُعْصَا أَسِي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا . وَفَلَنْ جَزَعُ أَنْ تَلُتْ: وَابْنَاخْتَا

يقول المرزوقي: "الزعم يستعمل كثيراً فيما لا حقيقة له، لذلك قالت فيما حكمت عن القوم: زصوا. كلها

لما استشرّف الناس جزءها وحلمها، فتذكروا أمرها فيما بينهم أظهرت الإنكار والتكذيب فيما توهموه، فقالت: وهل جزع أن تلت وأبهاهما، من التوجع لهما على قدر القتل: وأبهاهما. ولنظرة (وا) تألم وتشك، وهي حرف للتنبؤ.

(وبهاهما) أرادت: بلبي هما، نفر من الكسرة وبعدها باء إلى الشعة فتقلبت ألفاً. على ذلك قولهم: بداءة وناصلة، في ناحية وناصية. وقولها (وهل جزع) ارتفع جزع على أنه خبر مقدم، (وأن تلت) في موضع المبتدأ، وبلبا خبره. هذا على طريقة سيويه، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظرف. ورواه بعضهم: (بهاهما)، أي أندبيها بنفسي وأنا هو ضمير المرفوع. وقد وقع موقع المجرور، وكقولهم: هو كذا، ولنا كبير (٢).

وكنك ما جاء في قول رجل من بني سعد: (الطويل)

أَلَا يَكْرِبُ أَمْ الْكِبْلَابِ ثَلْثُومَنِي تَقُولُ أَلَا فَعْدُ أَتَيْتُكَ الْمَدْرُ خَالِيَةً
تَقُولُ: أَلَا أَهْنَيْتُكَ مَنَا ثَمَلْتُ ضَلَّةً وَفَلَنْ ضَلَّةً أَنْ يَنْبَقِيَ الْعَمَالُ كَابِبَةً

ف (دل ضلة) خبر مقدم و (أن ينبق المال) في موضع المبتدأ، والمعنى يخرج للإنكار الإطالي، وتكر

الشارح هذا الشعر فقال "وقوله دل ضلة خبر مقدم، وأن ينبق المال في موضع المبتدأ. والتقدير: وهل ينبق كلب المال له ضلال (٣).

وفي أثناء ذلك نجد الشراح يستشهدون ما أمكن بالشعار العرب، التي تدعم ما يذهبون إليه من تفسير

وتحليله من ذلك حديث الشارح عن تقديم الخبر (شحيحن)، الذي يفرد التعميم في قول: وقالت عمرة الخثعمية، ترثي ابنها: (الطويل)

هَذَا يَلْبِسَانِ الْفَجْدُ أَخْمَنْ يَنْسَبُ شَحِيحَانِ مَنَا اسْطَاعَا غُثْبُهُ كِلَاهُنَا

"وصفتها بلبسها بكتيمان المجد يستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل اكتساب، وأنهما يصفان به حيث

ظهر وطلع فلا يتركته لأحد مادامتا ينطيمان كسبه والنور به. وانتصب (أحسن لبسة) على أنه مصدر. وارتفع (شحيحن) على أنه خبر مقدم، والمبتدأ (كلاهما)، و (ما استطاعا) في موضع الظرف وإسم الزمان محذوف معه.

واسطاع مقفوص عن استطاع. وتقدير الكلام: كلاهما شحيحن به ما استطاعا عليه، أي ما قدروا عليه، ومعنى (لبيسان المجد)، أي يملكانه ويمتعان به. وقال: (الطويل)

لَبِستُ لَبِي خُئِي تَعْلُوتُ غُثْبُهُ وَيَتْلُوتُ أَغْصَامِي وَيَتْلُوتُ خَالِيَتِي (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (١٤٣)، (١/ ٤١٧).

(٢) نسخة: حماسة (٣٨٦)، (٢/ ١٠٨٢).

(٣) نسخة: حماسة (٧٧٩)، (٢/ ١٧٣٩).

(٤) نسخة: حماسة (٣٨٦)، (٢/ ١٠٨٤).

٢ - تقديم خبر كان على اسمها:

(الطويل)

من تلك ولال أوس بن حبناء:

بِذَا النِّسْرَةِ أَوَّلَاحِ اللَّهُ فَإِنْ فَأَوَّلَاحِ هـ هُوَ أَتَا وَإِنْ كَأَنَّ قَرِينَا أَتَا بِسْرَةٍ

له "قوله قرينا خبر كان، وكنه على اسمه ولم يؤنثه لأنه أراد النسبة فلم ينفه على الفعل. ومثله قوله تعالى: "إن رحمة الله قريب من المحسنين" (١).

وقد أفاد هذا التقديم بلاغيا شدة القرب والصلة، فكنهه ولم يؤنثه لأنه أراد النسبة، واستدل الشارح من الآية الكريمة على ما يؤكد هذا المعنى في النسبة.

٣ - تقديم خبر كان عليها:

(الوافر)

مثل قول: وقال كعب بن زهير:

فَمِنْ نَهْيِكَ جُؤُوءٌ فِيَّ خَزْنًا كَظَنَّنَا أَنَّ يَغْدَاكَ مَوْقِدُوهَا

حيث "خُصِبَ بعد أن أحبر على طريق التلمية، فيقول: إن ذهبت لما دعيت له فإن الذين شوا نار الحرب عندك في اتقاضي لك كلوا كما ظننتم، وعند أمك فيهم، فقوله "موقدوها" أرفع بكان، وكظنك في موضع خبر كل وقد نعم، والهمة أعتي كان موقدوها عندك كظنك خبر إن، واسم إن وهو حرباً بكرة غير موصوفة أيضاً، وساع ذلك لما كل المراد بها مفهوماً معلوماً. ويحور أن يعمل قوله "كظنك كان عندك موقدوها" من سعة حرثا، ويعمل حرر إن محسوفاً، كنه قال إن حرباً هه صفها وفت. وبيت الأعرابي حجة في الوجهين جميعاً. وهو: (المشرح)

إِنْ مَخْلُوعٌ لِيْ مِنْ مَّخْلُوعٍ فِيَّ السُّفْرِ إِذْ مَضَى مِنْهُ لَا

ألا ترى أن معناه إن لنا محلاً إن لنا مرتعلاً، فحذف الخبر، ومحل ومرتل نكرتان (٢)

وتقدم خبر كان عليها لإظهار صدق ظن المخاطب، وتقرير ما تنبأ به حه، فنم لاهميته مع كونه زلفاً تثبت وموصلة.

ثانياً: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

١ - تقديم المفعول به على فعله:

نكر سيويه في كتابه أن المفعول به والفاعل يقدمان للاهتمام والعناية (٣)، وقد تقدم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من أشعار الحماسة، وقد تناول الشراح هذه المواضع، وإن مكثوا عن دلائلها البلاغية أحياناً، من تلك قول الأعراب المعنى:

(الطويل)

(١) شرواني: شرح ديوان الحماسة: حسانية (٢١٨) . (٢٠٤/١) .

(٢) حسانية (٢١٠) . (١٩٩/١) .

(٣) سيويه: كتاب (٢١/١) .

القضايا البلاغية **الفصل الأول: علم المعاني** **التقديم والتأخير**
 إذا جني فأنشئت حابراً مستعجلة نحيب الفؤاد رأسها ما تفتلغ
 فد (رأسها) مفعول مقدم لـ المرزوقي: " هذا بيان الحال ساعة الفزع ... وانتصب "رأسها" لأنه
 مفعول مقم^(١) .

وقول : وقالت امرأة من بين شيلين:
 وقالوا مانجذا بسنكم فتنا فذاك الزمخ يكتلف بالقرم
 بفين أنباغ فأنشئت المناز فأن فسيبها خيزر الأسمم
 " انتصب ملجذا على معنى أنه مفعول مقدم^(٢) ، فأشار المرزوقي إلى موضع التقديم، دون أن يحدد
 قيمته البلاغية.

وكذلك ما اكتفى به الشراح بالتعقيب على قول آخر: (الراعي)
 فاعجبني من خبيري في خبيرا مضى غيظ منقوب ومنصته انتضى
 غاتي وفذا انبقتهم من سنامها جلسوت غطاء عن فؤادي فأتجلى
 فبتنا وبتت فبذرتا ذات هزرة لنا قبل ما فيها شوة ومنصلي
 قالقول " وانتصب منصلة لأنه مفعول مقدم^(٣) .

٢ - تقديم أحد المفعولين على الآخر:

وهو من مذاهب العرب في كلامها^(٤) ، وهو من الأساليب التي تنبه إليها الشراح وأبانوا عن دلالاته
 البلاغية، كما جاء في تعليق ابن جني على قول البحت بن حريت الصمي في تقديمه المفعول الثاني في قوله: (الطويل)
 وجئت أباهما وابيها وأمهها فأعطينت فيها الخقم خنسى خويتهما
 يقول ابن جني: " أراد وجئت أباهما وأمهها وانصياها ، فقدم المفعول الثاني. وهذا يدل على قوة اتصال
 المعطوف بالمعطوف عليه. ألا ترى أنه لما قدم الأول منهما صار لقوة اتصال الثاني به كضمة إليه. ودحو هذا قول
 أبي عثمان في كتابه في الألف واللام: إن ما / عطف بالواو بمنزلة ما جمع في لفظة واحدة^(٥) .

فلبان عن موضع التقديم، مصحرا بقيمته البلاغية وأهميته في توضيح المعنى.

التقديم والتأخير وعلاقته بالميل:

تنتظم مفردات النص الشعري وفق سباق مترابط ، يكمل بعضه بعضا، فكل كلمة تستدعي الأخرى، وفق
 منطق مناداة الثواب ولحمة التدرج. وهذا النوع من التقديم والتأخير نكره الاكثمون تحت عنوان (ما لزم والمعنى عليه)^(٦) .

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١٧) ، (٣٥٠ / ١) .

(٢) نفسه: حماسة (٢٩١) ، (٨١٢ / ١) .

(٣) نفسه: حماسة (١٣٧) ، (١٥٠٤ / ٢) .

(٤) أبو حنيفة: سبأ القرآن (١٣٠ / ٢) ، (١٢١) .

(٥) ابن جني: شلال أبيات الحماسة ، حماسة (٢٨٧) ، ص ٤٢٧ .

(٦) انظر: لوركني: السرهان (٢٣٨ / ٢) .

الفضاء البلاغية: الفصل الأول: علم المعنى: التقديم والتأخير

وقد تسه الشراح إلى هذا النوع من أسلوب التقديم والتأخير وأثره على المعنى، فلتأملوا إليه، وإلى أصل ترتيب البيت، بعد أن يصنروا شرحهم بتفسير لمعنى البيت، كما جاء في قول وقال عقيل بن عتبة: (الوافر) وأبغض من وضعت إلي في - بسناني ففشت غشهم أنو

" يقول: أبي متعطف على عشريني وإن كانوا مسينين إلي، منكروهم معهم وإن كانوا منحللين علي، فلبعض إنسان أنكره وأتولاه بسقي متقصاً له، قوم أطلع عنهم في وقتي، وأحاصي عليهم في ظاهري أمري. وفي البيت تقديم وتأخير، وأصل ترتيبه: أبغض من وضعت لسقي فيه إلى قوم هكذا ثلثي معهم. وهذا تسه على أن الرشد في المحطة على حرم نوي الرحم وإن كانوا مفلئين" (1).

أو يوجهون المعنى وفق ما يقتضيه سياق البيت من تقديم وتأخير، ويرجعون الروايات التي تتوافق مع معناه، كما جاء في قول حران العمري:

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْدِ عَجِي وَالطُّفْلُ مَشْغُولٌ وَالْقَتَبُ مَشْغُولٌ
لَمْ أَصْرِفْ إِلَى بَضْوَى لَبْطَةِ إِشْرِ الْخَنُوجِ الْغَوَاذِي وَفَوْ مَقْشُولِ

" البردعة"، كما هو بوقى به ظهر البعير من الرحل، ويروي: "والعقل مثله"، و" مثله"، يكون لاهلاً ومفعولاً، وهو ما فتح أحب إلي لقوله "و" القتب مشغول"، ليكون العقل والقتب مفعولين، كان رحلبها وله هذا وشمل هذا. و" اتسوا"، البعير البزير، و" الحدوح"، جمع " حدح" وهو مركب من مراكب النساء. و" المعقول"، المشغول بالعقل. كما روى أبو تمام، هذين البيتين، والوجه عدي أن يكون المقم مزخراً، والموخر مفتحاً. والمعنى على هذا أنه انصرف إلى بعيره لبركه، وبسببه إثر أخته وهو معقول، غفل عن حل عقله، لما عراه من الهم مزراقهم، ثم قال فعلت هذا "يوم ارتحلت برحلي قبل برد عجي"، فهذا أيضاً من هم، ثم انصرف إليه لبعته أيضاً، وهو معقول، فكيف يرتحل عليه، ثم ينصرف إليه؟ هذا محال. وقد روي قوم: "تم اعتررت على عرزي لأبعته"، وإذا روي: كما صح النظام، و" أفرز"، ركاب الرحل، ويكون قوله: "ارتحلت"، أي شددت عليه رحله" (2).

وكثيراً ما يكتفون بما تارة إلى ما في البيت من تقديم وتأخير، موصحين الموزن، التي ينبغي أن يكون البيت عليها إذا تم ترتيب البيت وفق ما يقتضيه المعنى، دون بيان قيمته البلاغية، ودلالاته المعنوية، كما جاء في قول زهير بن الحارث بن ضرار:

وَقَاتِلَتْ عَلَيْنَا عَزْمَهُ بِمُلْكِ يَوْمِهِ غَدَاةً غَدَتْ بِمُلْكِ يَوْمِهَا الْجَنَنِ

يقول الشراح: "تأخير البيت إذا أزيل ما فيه من حجة التقديم والتأخير: وكلفت ثلثاً عرسه غداة غدت منا وقد بها الجمل مثل يومه. والمعنى: كلفت مفارقة عرسه لنا غداة انتقلها عنا، وقد حملت الجمل وقد بها ظعيتها مثل يوم فتده، أي كان ذلك اليوم مثل ذلك اليوم. كلهم كانوا التوا من مقاهم لهم عافتها أنسابها، وبقاء دارها على ملكات تعهد من قبل، لما رأت من التقلل ما رأت، وخلصت الديار منها ومن أسبلها وتغيرت، علقت المصيبة على أحبتها جذعاً، والشر مستفحاً" (3).

(1) طبرولي، شرح بوم، نسخة: حسنة (١٣٦)، (١٠١/١).

(2) شعري، معاني أشعر، ١٦٨، ١٦٩.

(3) طبرولي، شرح بوم، نسخة: حسنة (١٣٦)، (١٠٢/١).

فَمَا مِنْ قَتْلَى غَلَا مِنَ النَّاسِ وَاجِدًا بِهِ يُبْتَغَى بِهِمْ عَيْدًا ثَبَاتًا
يَنْوَمُ جَفَاً أَوْ يَنْتَلِعُ قَرِيحَةً إِذَا غِيَّ بِالْجَفَلِ الْمَعْضَلِ خَابِتَةً

" قوله (لما من قتل) بيت فيه تقديم وتأخير، وتلخيصه مبيناً معاداً كل شيء إلى موضعه: مامن قتل من الناس كنا نبغي به واحداً منهم عييداً نبطله فعلى هذا قوله (من الناس) من صفة القتل، وبه يعود الصمير إلى القتل. والمعنى: كنا بسببه نبغى واحداً منهم - أي من الناس - عييداً، من صفة الواحد، لأننا جعلنا واحداً معقولاً لنبتغي " (١).

سياق التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى:

فمن ضروب التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى قول بشامة بن حزن:

(الكامل)

مَنْ غَدِبَ غَدٍ فَإِنْ مَرَوْهَا لَنَا أَمْسَرَ الْمَوْتُ وَكُنْهَا وَقَتْلُهَا

قال ابن جني: " وقوله: وقتلها وقتالها، فقدم القتل على القتال لفظاً وهو ينوي به التأخير معنى. وذلك لأنه إنما يبدأ بالألفي ثم يعقب عليه بالأعلى نحو قول الله تعالى: " لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمُسِيحُ أَنْ يَكُونَ عِندَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ " (النساء / ١٧٢) غير أن اللواو لما كفت غير مرتبة جاز أن تقدم في لفظها ما هو موزع في معناها " (٢).

وكما أشار الشراح إلى المواضع التي تحقق فيها التقديم والتأخير، ويستحب لأغراض بلاغية - أشاروا إلى بعضها، وأهملوا ذكر بعضها الآخر - فقد أشاروا كذلك إلى بعض المواضع التي لا يجوز فيها إلا التقديم والتأخير. موضحين سبب ذلك. ومن ذلك ما أشار إليه ابن جني معقبا على قول رجل من بني أسد، وتروى أيضاً لابن كتملة:

(المشرح)

أَسْرَعَتْ مِنْ يَوْمِكَ الْفَرَارُ فَمَا جَاوَزَتْ حَيْسُكُ أَتْهَى بِكَ الْفَسْرُ

" معناه: أسرعت الفرار من يومك لكن لا يمكن حمله على هذا الظاهر لامتناع تقديم شيء من الصلة على الموصول. فإذا لم يحز ذلك تقديرا وأرتكه الحال معينا، عطلت من شيء بدل عليه الظاهر، فكانه لما قال أسرعت، قال: فررت من يومك، بدل الفرار على فررت، وجعل حيث لسا مثل الآية " الله أعلم حيث يجعل رسالته " وقد تقدم نظيره " (٣).

(١) المرواني: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٦٢) ص (١٠٣٨ / ٢).

(٢) ابن جني: مشكل لبيت الحماسة: حماسة (٨١) ص ١٣١.

(٣) نسخة: حماسة (٢٠٨) ص ١٢٩.

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني التقديم والتأخير
 وهكذا تتبع الشراح أنواع التقديم والتأخير بكافة صوره المذتلة، في أسلوب الشرط^(١)، وأسلوب
 القسم^(٢)، وشبه الجملة^(٣)، وأسلوب العطف^(٤)، وأسلوب الاستثناء^(٥).

إن هذه المباح السابقة وغيرها الكثير، قد جاءت - كما يبدو من تفسير الشراح - " ذات وظيفة لغوية
 إنشائية تساعد في إضاءة جانب من جوانب القول الشعري إذ هي معقولة على بينة صرلها ومعجما وبلاغة " ^(٦).

فترى الشراح في تعرضهم لهذا الجانب من جوانب النص الشعري عند شعراء العمالة يهتمون بتحليل
 أسلوب التقديم والتأخير من وجهة نظر النحو دون أن يبينوا أثره الدلالي أو البلاغي إلا قليلا، ولو أنهم التفتوا إلى
 هذا الأثر السمي والسلاعي وأعطوه ما أعطوا الجانب النحوي من الشرح والتفسير، لكثفوا قد تركوا لنا خيرا وبيرا.

...

(١) انظر على سبيل المثال: المروكي: شرح ديوان العمالة، حماسة (٦٦٨) ، (١ / ١٢٦) ، في قول كثره في مبة، تقديم جواب لو،
 حماسة (٦٧٢) ، ص ١٥٢ ، (١ / ١٩٦ : ٢٠٠) ، في قول امرأة من بني ، تقديم جواب إلى ، ص ٢٢٧ ، ص ٧٦٦ ، تقديم جواب لما ، ص
 ٥٢١ ، تقديم جواب يا .
 (٢) انظر على سبيل المثال: المروكي: شرح ديوان العمالة، حماسة (٥٧٨) ، (١ / ٧٤٤) ، تقديم جواب انقسم لي قول زيد من حمل وقبل
 زيد من مقدم ، تقدم المقسم له على المقسم به ، حماسة رقم (٤٧٢) ، تقدم المستثنى .
 (٣) انظر على سبيل المثال: المروكي: شرح ديوان العمالة ، ص ٧٩٠ ، تقديم المار والمروور .
 (٤) انظر على سبيل المثال: ابن حسي: مشكل أبيات العمالة ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، تقدم المحطوف على المحطوف عليه .
 (٥) انظر على سبيل المثال: ابن حسي: مشكل أبيات العمالة ، ص ٢٢٩ ، تقديم الاستثناء على المستثنى منه .
 (٦) دالعمت البورني: شرح الشعر عند العرب ، ص ١٠٨ .

التكرير والتعريف:

بعد التكرير والتعريف من الطواهر البلاغية التي تخفى لونا من الحمل على النص الشعري، وتجعله حادلا بظاهر التكرير والتعريف لما سيكون عليه المعنى إذا صار نكرة أو إذا جاء معرفة، وما سار تكرير اللفظة أو تعريبها، وهو أمر حمل به ديوان الحماسة، وتنبه إليه الشراح وأوردوا له أعراسا وقولنا ضمنوا شرحهم، كما سيبين الآن.

أولاً: التكرير:

بدأنا بالتكرير؛ لأنه الأصل، يقول ابن الزمלקي (ت ٦٥١ هـ): "قد يظن ظان أن المعرفة أجلي، فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس سلوك للطريق. وخلة ذلك أن النكرة ليس لمفردا مقدار مخصوص. بخلاف المعرفة، فبها لواحد بعينه، وثبت الذهن عنده، ويسكن إليه" (١).

فالتكرير أسبق رتبة من التعريف، وهو على قول ابن الزمלקي أصل والتعريف فرع له، وتكرير الكلمة وتعريفها يخضع عند توظيفها لمحددات السياق النصي داخل البنى التركيبية للنص الشعري.

وقد يكون التكرير للمسند أو المسند إليه، وكل له أعراسه وفوائده، التي تنبه إليها الشراح، وأشاروا إليها في سياق شرحهم للنصوص. فمن فوائد تكرير المسند التي ذكرها الشراح في أشعار الحماسة:

- التنوع:

مثل قول بعض بني أسد:

بَغَى عَلَى الْفِدَانِ فَبِئْسَ ظَالِمٌ إِنْ قَامَتْهُمْ بِبُطْنٍ يَرَامُ
فَاتُوا غَلَى الْأَغْدَامِ تَسَارُ مَخَزِيٍّ وَفَقَوْمِهِمْ خَزَمًا مِنْ الْأَخْرَامِ

" يخاطب امرأة والنساء كلهن عنده تلك المرأة، فيقول. أكثرني البكاء على المقوتين بهذا المكان - وقيل العدان ساحل من سواحل البحر - والمقوتين بيطن برام، فقد طالبت إقامتهم، والمراد أن اليلس منهم قد حصل وقوي وأن غيبتهم اتصلت فولعت الأطماع من عودهم والاجتماع معهم. ثم أخذ بصفتهم فقال: كانوا على المنابذين والمخالفين كثر هذا الملك، لا تبقى ولا تذر - ومحرق هو عمرو بن هند، وكان نذر أن يحرق ملنة نفس، ففعل، فضرب المثل بناره - وكثروا لقومهم حرماً من الأحرام، لا مخافة فيهم ولا حضيمة. يريد أن قومهم يأمنون سزول التوانب بهم في قناتهم، فكثروا كمن حصل في الحرم، وأن أعداءهم كانوا يحترقون بكأبتهم فيهم، فكثروا عليهم كثر هذا الملك .. وقوله حرماً من الأحرام نكرة لاختلاف الأحرام. وهي حرم الله تعالى بمكة والشلم، وحرم الرسول عليه السلام بالمدينة " (٢).

أما عن فوائد تكرير المسند إليه، فهي كثيرة ومتنوعة أشار إليها البلاغيون (٣)، ومما ورد منها في أشعار الحماسة، ونبه عليها الشراح:

(١) ابن الزمלקي: البرهان الكشاف عن سر الإعجاز، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، دار المعلوم، بغداد، ١٩٧٦ م، ص ١٣٦.

(٢) المروزقي: شرح ديوان المسند: مجلد (٢٨٣)، (١ / ٨٦٥).

(٣) نظار: المعكفي: مفتاح العلوم، ص ٢٨٦، ٢٩٠.

التكرير للعموم والشمول:

مثل قول بعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال إنها لبشامة بن جرة النهشلي: (السيوط)
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِثْلُ وَاحِدٍ قَدْ عَمَّ مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِنَاءٌ يَهْوُونَ
"يعني بقوله فدعوا أعلنوا الاستغالة ببيل فلان، ومن فتى، وما أشبهه. ويقال خاتمه أخاله خيالاً ومحيلة وخيلاناً. وهذا مثل قول طرفة:
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنِّي غِيثٌ فَلَمْ أَفْسَنْ وَلَمْ أَتَيْدِ (الطويل)
وقد زاد هذا عليه بقوله لو كان في الألف مثلاً واحداً. لأن ذلك قال: إذا القوم قالوا من فتى، فنصب نفسه مع قومه، وهذا عمله منضمّاً مع الكثرة إلى العراء. وإنما قال: من فارس فنكر، كما قل طرفة: من فتى فكر. ولم يعرف واحداً، سيما، لأن السؤال بالمنكر لشدة إيهامه بكون أشمل لتتوله واحداً واحداً لا سيما وليس التصديق الاستفهام إلى معهود معين، ولا إلى الجنس فيقال: من الفتى، ومن الفارس" (١).

التكرير للتكثير:

كما جاء في قول: سيار بن قصير الطائي:
وَلَا حَقَّ إِلَّا أَطْلَالِي أُنْذِنْتُ صَفْهَا إِلَى صَفٍّ أُخْرَى مِنْ عَذَى فَاثْتَعَرْتُ (الطويل)
"إنما مكر قوله حذو لبسه به على اختلافهم وكثرتهم، وإن ذلك لتوفر فصلتهم، وتظاهر عرهم ورياستهم، إذ كان الحسد يتبع ذلك، ولأنهم يترؤن من لا يدل لهم، ولا يهوى هواهم. يقول: ورب خيل قد لحقت بطوننا بظهورها، وارتفعت جنوبها إلا موتوها، لنا أملت صعباً إلى صف حبل مثلاً من الأعداء، فحلفت لتلتنا وكثرتهم" (٢).
وفي إطار سعي الشاعر لتحديد دلالة الأسلوب فيقه قد يستعين في سبيل ذلك بالشواهد المختلفة، منها ما اعتدته العرب في الاستخدام، وبما يتصل به من أحوالها، كما في قول قتادة بن مملكة الحنفي: (الكامل)
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِفَغْزَةٍ ذَهَرٌ وَخَمِي يَابِسُونَ صَمِيمٌ
"قوله من أصاب نكرة تفيد الكثرة، والمراد أول إنسان أصابه بنكبة دهر. وهذا على عفتهم في نسبة الحوادث إلى الدهر، كما قل بعضهم:
يَا ذَهْرٌ لَدَا أَفْطَرْتُ لِحْجَتَنَا بِسَمَرَاتِنَا وَفُطِرْتُ فِي الظُّلَمِ (الكامل)

فأما تنكيره للدهر فقد حكى عن أبي زيد وأبي عبيدة ويونس أن الدهر والزمان والزمن والصن، يقع على محدود وغير محدود، وعلى عمر الدنيا من أوله إلى آخره. وقال الخليل: الأبد الدهر الممدود، ويجعل اسماً للنزلة. ويقال: دهر من الدهر، لبعضه، كما يقال حين من الدهر. وقد اشتق منه فقيل: إنها لداهرة الطول، أي طويلة جداً. والشاعر أراد بما قاله التجلد للشامت والتسلي من العصاب، وأن يظهر لمن ألقى السمع جهل امرأته وعدولها عن الصواب. وقوله وحى يأسون صميم، فاليعسول: عبوسة الشجاعة والغضب. ويقال بسل واستسل. والصميم: خالصة

(١) للمرواني: شرح ديوان الحماسة: جملة (١٤)، (١٠٨٠١٠٧/١).

(٢) سمه حملة (٣٠)، (١٦٤/١).

القضايا البلاغية ===== الفصل الأول: علم المعاني ===== التكرير والتعريف

"يقول: إنني اكتسبت من مشاهداتي والأخبار الواقعة إلي، الصداقة في مراردها المتواترة على السن حملتها ما صار قلبي به عالما وتميزا، فلا يلتبس على وجه الحق وحدوده، ولا صنوف الصدق وقفونه، فإذا قلت الشعر فنته على علم يرافقه وأسايبه، ومعرفة المقول فيه ومستحقه، فلا أكذب في الأخبار ولا أتزيد في الأوصاف، ولكن أعطي كل منعت حقه من القول والوصف، وأسم لكل منوه به قسطه من التقريظ والمدح، فمن أحل ذلك أصبحت إذ فضلت مروان وابنه عبد الملك على الناس قد فضلت خير والد وولد، فلا يقل كذب أو خطأ، أو اشتبه عليه أو ثبه له، فلم يأت بالحق، ولم يقتصر على الصدق. وقوله " وإن فؤادا " جعله نكرة لأنه يتصل بقوله " بين جنبي " به احتص، حتى علم أنه ثبه من بين القلوب " (١).

وت يصل الشاعر في تنكيهه إلى درجة التعريض ، خاصة إذا كان المراد مفهوما عند من عرف النصة، مثل قول شاعر الحماسة:

فَلَوْ لِيْ خَيْلٌ يَّقْتُلُ التَّالِ فَنِيَّةٌ نَسْنَسْنَا لَكُمْ مَنِيْلًا مِّنَ الْغَالِ مُفْنَعَا

قد "نكر قوله خيلا وهو يتصد به قصد حيي بعينه، لأن المراد كان مفهوما عند من عرف النصة، فجعله كالتعريض" (٢).

ولتتكرير مواضع لا يحسن القول إلا بها، وكذلك التعريف، إلا أنه قد يحدث بينهما تداخل في المواضع، فيأتي التعريف في موضع للتكرير على غير قياس، أو العكس، فمما جاء في موضع التكرير، ولكنه جاء معرفة على غير قياس. قول مساور بن هند بن قيس بن زهير:

وَتَشْفُوا شَمْسًا فَكُلُّ قَبِيْلَةٍ فِيْهَا لَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمُنِيرُ

" هذا موضع التكرير لا التعريف، وكان قيله فيها أمير المؤمنين، ألا نراه نكر ما بعده فقال ومنير على التكرير الذي أومأ إليه. قال ابن همام:

فَلَمْ يُجَسِّدُوا بِسُورَةٍ أَوْ بِهَيْدٍ لِّبَايَعُوا أَمِيرَ رَّةٍ مُّؤْمِنِيْنَا

إلا أن وجه التعريف الذي في البيت أنه حكى ما يستعمل في الكلام، فكله قال: فكل جزيرة فيها رجل يقال له أمير المؤمنين. وذلك أن العرف والملة بهذا اللفظ جرت. ولذلك عتدي ساع لعبد الله بن همام أن ينكر فيقول: أميرة مؤمنة، وذلك أنه لم يعتد أن يقال أميرة المؤمنين وإنما للمألوف من هذا تنكير هذه اللفظة، فلما لم يعتد أميرة المؤمنين، وأراد في البيت التكرير البتة، جاء به منكر اللفظ على تنكير المعنى عنه، ولم يعتد المؤلف عرف فتيته، وهذا جلي " (٣).

وما لنشد أبو عبيدة لأبي القطمش للحنفي وبروي المعطش:

وَمَنَّا فِيْ مَخْلُكِهِمْ سَا حَمْسَةً غَمَمَانِي الْجَزَاءِ أَوْ الْخَفْشِ

" كلن قيله للتكرير، أي مخلخلها أخمش، لأن المخلخل نكر، لكنه جاز ذلك لما كان المخلخل بعض المساق، وجرى مجرى قوله:

(الطويل)

فما شرفت صدر القاعة من الدُّم

(١) المروزي: شرح ديوان الصمدية: حماسة (٧٩٢). (٢/١٧٧٧).

(٢) بسمه: حماسة (٥١). (٢١٦/١).

(٣) ابن حي: مشكل أبيات الصمدية، حماسة (٩٥)، ص ١٤٥.

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني التنكير والتعريف

وتلك أن بعض الشيء يقع عليه اسم جميعه، ألا ترى أنه لو رقت صدر اللقاة لثقت وقت اللقاة، وكذلك لو ضربت بعض زيد لثقت قد ضربت زيدا، وكيف ليت شعري يقال: ضربت زيدا إلا على هذا. لثراء يضرب جميعه ظاهره ويلطنه، وجميع جهته ولحقته وهذا محال. فلما شاع هذا واتسع حتى صار مجازاً أكثر من حقيقته حسن منهم أن يسوا البعض باسم الكل، فلذلك لو ضربت مخلخل الساق لساغ ذلك أن تقول: ضربت الساق. فلذلك لث، وهذا فاش فاعرفه " (١).

ومما كان محصوله محصول المعرفة، ولكنه أخرج مخرج النكرة، قول أعشى ربيعة: (الطويل)

فَإِذَا هُنَّ جَنَّبِيَّ عَالِمٍ بِضَا أَبْصَرَتْ غَوِيَّ وَضَا سَمِعَتْ أُنْبِيَّ

" أخرج مخرج النكرة على أن محصوله محصول المعرفة. ألا ترى أنه لا يعني من الألفنة إلا فوله. ولهذا نطق منها قولك: زيد حسن وجها وكريم أباه، وأنت لا تحي من الوجوه إلا وجهه، ولا من الأبياء إلا أباه. وقد ذكرنا ما يحتج مع الفزاد بالاشتقاق، وهو قولهم: المفنك للموضع اللطيف والشواء نحوهما " (٢).

وقد يحتل البيت تنكير للفظه وتعريفها على السواء إلا أنه على التنكير اللطف وأحسن، كتول شاعر

الحملة:

فَأَوْسَمْتُ خَنَذَا وَأَوْسَمْتُ قَبِي وَأَوْسَمْتُ بِخَنَسٍ قَبَانٍ غَابِئَةً أَقْلُ

" جعل اسم كان نكرة، وخبرها معرفة، وهذا من حيز الضرورة - وشواهد ذلك كثيرة، فنطرح نكرها لشهرتها. ومن رواء الأكل فلمره واضح، والتنكير هنا اللطف معنى وأحسن. وذلك أنه موضع استرخص. وإذا فكر الأكل كان أحقر له، وإذا كان كذلك كان أبلغ في الاسترخاص من أن يعرف لفظ الأكل فيصور له بذلك حجمه فيكد لا يكون الحمد به رخيصا كما يكون إذا كان منكورا، فننظن له " (٣).

شعيا: التعريف:

" المعرفة ما دل على شيء بعينه ... ويدخل التعريف على المسند إليه لأن الأصل فيه أن يكون معرفة لأنه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فبه يعرف لتكون الفائدة أتم، لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كفت الفائدة في الإعلام به أقوى، ومتى كان أقرب كفت أضغف " (٤).

أما عن المصنف، فنكون على شكل المضمر (الإضمار)، العلم، اسم الإشارة، الاسم الموصول للمعرف بالآلف واللام، المضاف إلى واحد منهما إضافة معنوية. المنادى. ويمكن تتبع أقسامها وأشكالها في أشعار الحملة، وفق ما يلي:

١ - المضمر (الإضمار):

- في مقام التكلم " ضمير المتكلم "، مثل قول بعض بني تميم بن ثعلبة، ويقال إنها لبشمة بن جزي

النهيلي:

(١) ابن حني: مشكل أبيات الحماسة ص ٤١٢، ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) نسخة: ص ٢٨٤، ص ٤٢٢.

(٣) نسخة: ص ٣٣٥، ص ٣٨٢.

(٤) د/المند مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ٢ / ٢٨٢.

إِنَّمَا خَذُواكَ يَا مَلْعَىٰ فَخَيَّنَا وَإِنْ مَسَّكَتُ كَرَامَ النَّاسِ فَاتَّقِينَا

"يقول: إنا مسلمون عليك أيها المرأة فتقبلينا بمثلنا، وإن خدمت الكرام ومقتيتهم فلجربنا محارهم فيما منهم .. وقول في سبوت إن معناه: إن دعوت لأمثل الناس بالمسقية فادعي لنا أيضاً .. وعلى هذا يكون في الكلام إضمار، كنهه قال: وإن سبوت يظهر الغيب الكرام بالدعاء عند ذكرهم للعلوي بنا مثله، وقولي سقاكم الله" (١).

- في مقام الخطاب: "ضمير الخطاب": مثل قول أمانة: (الطويل)

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي نَا وَعَنْتَنِي وَأَنْتَ بِي مَنْ خَسَانِ لِيكَ يَوْمَ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَفَّتَنِي لَهُمْ غَرْضًا أَرْزَى وَأَنْتَ مَسْلُومٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا بِكَلِمِ الْجِسْمِ قَدْ نَفَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ مَثْلُومٌ

حيث شيع في الأبيات ضمير الخطاب بنوعه المنصل والمنفصل، بل ويتكرر في أكثر من موضع (أنت، أنت، أنت)، وانظر إلى أقوالها (أخلقتني، وعنتني، أنت بي، فيك، أبرزتي، تركتني)، فيها توجه بالخطاب إلى الآخر على سبيل التبرير وتعمل الأعداء لما ارتكبهت الشاعرة في حقها من جريرة ثقيلة، تملك لها ردًا، إذ "أخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها، وتعد من جنابته طليها كفاء ما عنده وعصب به رأسها، فقالت: إن ما ارتكبهت مني أشنع، وما خملته وقتاً بعد وقت أقطع، لأنك الذي نكثت عهودي، ونقضت مواعيدي، وأنت بي كل ناصح فيك، وصدقت مثل كل لائم بسببك، فظنوني بك مكذبة، وظنون الناصح واللوم مصنفة؛ ثم جعلتني مضغة في أفواه الناس، واكله لمجامعهم، يتعللون بحديثي، ويتعللون عند أعدائي بقصتي، فقد صرت كالغرض المنسوب لكل قبح مبري، والعلم المقصود لكل مشاء بنميم، بغري من كان لي سلماً، ويرق لي من آل لي حرباً، وأنت سليم من المكروه، بعيد عن المتاعب، تحرك بجنبك ما يعمني، وتتقي بقلة الإكثارات ما ينضجني؛ لأن نار الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال، وعلو الشناعة الصق بحوائثهن منه بجوانب أمثالك، فلو أن كلاماً كلم جمعاً لبدت بجسمي ندوب ومنافذ وجروح بأنياب المفتلين، وتبال الرماة المراصدين" (٢).

- في مقام الغيبة: "ضمير الغيبة": مثل قول: وقالت امرأة من طيء: (الطويل)

فَلَهْفَنِي غَيْفُ ابْنِ الْأَشَدِّ يُبْهِنُهُ أَفْرُ الْفَنَاءِ طَفْهَهَا وَضِيْرُهَا
مَنْ يَظْغَةُ الدَّاعِي إِلَيْهِ فُلْهُةٌ مَبِيعٌ إِذَا الْأَثَانُ صَنَمٌ جَوَابَتُهَا
هَوَّ الْأَبْيَضِ الْوَضْخَاخَ لَوْ رَمَيْتُ بِهِ ضَوْاحٍ مِنَ الرُّيَانِ ثَأْلَتْ هَضَابُهَا

تكررت الضمير " هو "، في قولها " (هو الأبيض الضواخ) تريد خلوص النسب وزكاه المنصب، واشتهل الذكر في الألق. وقولها (لورميت به ضواخ) تريد نقاذة وحسن خروجه مما يدخل فيه وشدة صحتها للأمر، ولجابه لي إبرامها. فيقول: لو رميت يوارز هذا الجبل به لزعزعها، وهد جوانبها" (٣).

(١) المراد: شرح ديوان الصائفة حماسة (١٤)، (١٠٠/١).

(٢) نفسه حماسة (٥٧٠)، (١٣٨١/٢).

(٣) نفسه حماسة (٣٩٤)، (١٠١٤/١).

للتعظيم: مثل قول المتوكل للثاني:

مَنْحَتْ سَجِيذًا وَأَعِظَ طَقِيزًا ابْنُ خَالِدٍ وَبَلَّغَ أَسْهَابًا بِهَيْمًا يَتَوَسَّمُ
لَهْفًا فَخَجَّحْتُ بِمَخْفَارِهِ الثُّمَزَى فَصَنَافَ غَضِينَ الْمَاءِ إِذْ يَتَرَسَّمُ

وهو ما عبر عنه الشارح بقوله: "يقول: اخترت من بين الناس ابن خالد وكرهت في شعري سجدا، وللخير حدود ووجود بها يتبين رسمه وعلامته، فكنت في اصطفتي إياهما، وصرفي ثنائي إليهما، كرجل يتطلب الماء بمخفاره من ثرى الأرض، فصاف عينه ومنبعه، إذ تتبع أثره ورسمه والمعنى: أصبت في القصد والاختيار، ووضعت للثاء موضعه من الإيثار، فصق الخير إلى من مطلبي، وحصل التوفر علي من مقصدي" (١).

٣ - الموصولية:

زيادة التوضيح والتقرير، مثل قول الضمخش من بني شقرة بن كعب بن تعله:

أَلَا زَيْدٌ مَنْ يَنْفَرُ أَبَتِي وَدُ أُنْتَبِي أَيْوَةُ الْوَدِيِّ وَدَعَى إِلَيْهِ وَيَسْتَنْبِ
غُلَى بِشَدَّةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ بِثُرَّةٍ لِيَقْبِظَهَا فَعَلَّ غُلَى التَّمَلُّ مُنْجِبِ

حيث استخدم الشاعر الاسم الموصول "الذي" ليعبر عن الكلمة المبهمة عليه، وهي "أيوه"، موحها المقصود منها، وهي تمنى أبوة النسب والعصب، بل إنه يود الألو على أي صورة كانت حلالاً أم حراماً، وهو ما يزدك وصرحاً بما بعده من قول، فـ "قوله (من يغتاني) من نكرة ويختلف في موضع الصفة له، (ود لتي) جواب رب. فيقول: رب إنسان بكل لحمي يظهر الغيب ويتقنني، ومع ذلك ينبغي أن أكون أباه الذي يسعى به وينسب إليه، وإنما يعطه على ذلك الحسد والغشاه . وقوله (على وتدة من أمه لو لمعة) فإن على ما يتعلق بقوله لتي أيوه، كله يريد: ود أيوتي سواء كان ولد حلال أو حرام" (٢).

٤ - الصواب:

فقد ولقي الاسم الموصول في سياق العتاب بين المتحابين، على سبيل التنبيه، مثل ما نجد في قول ابن النعمنة وقد كتب بها إلى ألامته:

وَأَلَيْتِ الْبَيْتِ كَلْفَيْتِي تَلَجَ لِلْمَرْئِ وَجُؤُنَ الْفَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُؤُومِ
وَأَلَيْتِ الْبَيْتِ فَطَلَعْتُ قَلْبِي خِزَانَةً وَقَرَأْتُ لِسَخِ الْفَلَسِ وَهُوَ قَلْبِي
وَأَلَيْتِ الْبَيْتِ أَخْفَضْتُ قَلْبِي فَفَعَلُهُمْ يَعِدُ الزُّنْظَا قَاتِبِي الصُّؤُودِ فَظْلِيمِ (٣).

٥ - الجلبنة أمله:

وَأَلَيْتِ الْبَيْتِ أَخْفَضْتُ قَلْبِي وَهَضْبَتِي وَأَشَعْتُ بِي مِنْ غَسَانٍ لَيْسَ بِلُؤْمِ
وَأَبْزَيْتِي لِلْأَسَاسِ ثُمَّ تَرَضَيْتِي لَهُمْ غَرَضًا أُنْزَى وَأَلَيْتِ مِنْ لَيْمِ
فَلَوْ لِي فَلَوْ لَا تَكَلَّمُ الْجِسْمُ فَمَدَّ هَذَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ فُلُؤْمِ (٤).

(١) للمؤلف: شرح ميان الصلوة: جملة (٧٩٩)، (١٧٧٩ / ٢).

(٢) نفسه: جملة (٣٦٠)، (١٠٣٤ / ٢).

(٣) نفسه: جملة (٢٦٩)، (١٣٧٩ / ٢).

(٤) نفسه: جملة (٥٧٠)، (١٣٨١ / ٢).

ويؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأحد أمور، وذلك:

للتبني: مثل قول متم بن نويرة يرثي مالكاً أخاه: (الطويل)

لَقَدْ لَانْتَبَيْ عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُغَا زَيْقِي لَتَنُورَافِ الدُّمُوعِ السُّوَارِي
فَقَالَ أُنْبَيْي كُلُّ قَبْرٍ رَأَيْتُهُ بِقَبْرِ ثَوْنٍ بَيْنَ الثَّوْنِ فَالْثَوْنُ وَالْثَوْنُ
فَقُلْتُ لَنْ أَشْجَا يَنْعَشُ الشَّجَا فَنُذْغِي لِهَذَا كُلُّهُ قَبْرَ مَالِكِ

"يقول: استصرف رفيقي بكفي عند القبور، واستنطق سيلان الدموع من عيني فقال موبخاً: أمن أجل قبر لك بين الملوك فالذوئك تبكي عند كل قبر تراه؟ فأجبتك بأن الحزن يهيج الحزن فقررتني، فكل قبر أنتهي إليه بنكرني بق مالك، إذ ليس لي في قبر مالك إلا مثل مالي في القبور كلها. يريد أن أسباب الحزن ومهيجه تشبه، فكل منها يقوم مقام الآخر ولا سيما وقد توافقت في الجنسية. وقوله لتنوراف الدموع السوارك أي من أجله، بعد قوله على اليك، فيه من القاعدة المتجذبة التبني، على إجابة الدموع له، وانصبها بحسب مراده، حتى لا جمود من الحجاج في شيء من الأوقات، ولا توفد من السيلان في حال من الحالات، وليس كل بكاء بهذه الصفة" (١).

يقصد تمييز المسند إليه لإحضاره في ذهن السامع حصاً: مثل قول الشجري: (الطويل)

هَذَاكَ لَا أَنْجُو حَيَاةً مُمَرَّتِي مَنْجِيْنِ الْمَرْثِيَالِي مَبْنِيَةً بِالْجَرَارِ

أشار بقوله "هناك" إلى الوقت الذي يتناهى فيه الأمد، وينتو فيه الأجل، لا إلى الوقت الإنسي بعد القتل وهو ظرف لا أرحو. والمعنى: في ذلك الوقت لا أطعم في حياة سارة لي. وأنا مخنول مسلم بجراري في القبر لا يرى إلا شامت مني، أو طالب للانتقام مني. وقوله "سجيس الثيالي" يراد به امتداد وسلاسته في الاتصال وهو اسم الفاعل من سجن. وقد أحكمنا القول فيه في كتابنا الأزمنة. وهو ظرف لقوله مبسلاً بالحرائر. وانتصب مبسلاً على الحال. والحرائر: جمع الجريرة. وأبسلوا: أسلموا. وفي القولي "أولئك الذين أسلوا ما كسبوا" (الإعمام / ٧٠) (٢).

وقول شقران مولى سلمان: (الطويل)

أُولَئِكَ قَوْمِي نَسَاكَ اللهُ فِيهِمْ عَلَى كُلِّ مَا أَعَفْتُ وَأَقْرَنَا
بِقَالِ الْجَفَانِ وَالْخُلُوعِ رِخَاةُ زَكَى الْعَنَاءِ وَقَالُونَ قَبِيلاً غَضَبْنَا
حَيَاةَ الْمَخْزُورِ لَا يُصَيِّبُونَ مَفْصَلَا وَلَا نَأْتِلُونَ النَّخْمَ إِلَّا تَغْدِيهَا

"أشار بقوله أولئك قومي إلى قضاة، ثم أخبر عنهم بأنهم كثروا وطفوا ونموا بما جعل الله من البركة فيهم، فازدادوا" (٣).

(١) المردوف: شرح ديوان الحماسة ص ٢٦٥، (١/ ٢٩٧، ١٩٨).

(٢) نسخة (١٦٤)، (١٩٠/١).

(٣) نسخة (١٩٠)، (١٩٠/٢).

وقول عريب النوفلي:

ذهب الزقباد فنا يخلص زقباداً مبشاً شجاك ونافيت الغواو

" يقول طائر النور فلا يعرف له أثر، مما دهك وحزبك، وتام الذين كتوا يعودوك ولم يسهروا لك. والمعنى: إني اختصمت بك بما عرى منه عوانك، وتحملت من الجزع ما سقط عنهم وخف عليهم. والرقاد: الرقود: النوم بالليل، وعرف الأول تعريف الجنس، وبكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس. كل المراد: ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختص أثر " (١).

وقد يتلوى تعريف الاسم و تكبيره في الدلالة، مثل ما جاء في قول ابن عنتل الأدي: (الكليل)

بيتاً هلم بالظهر فمذجلوا يؤمنا بخيشت يتنزع الشئخ
فإذا ابن بشر في مواكبسه تنفوي به خطارة نـشـخ
فعاثما نظلونا إلى السى قنبر أو حيث علق قوسه قنـخ

" يقول: بين أوقات الناس حالسون بهذا المكان، حيث يقتلع هذا الميت، إذا ابن شر وخلفه مواكبه، ترع به بجية هكذا، فكلما نظروا إلى قمر، أي لما اجتاز بهم شبهه في إشراقه ونوره، وبهاء موكبه. بالتمر، أو بطروا إلى حيث يتراءى للضارين قوس قزح. فتقوله " أو حيث " يحور أن يكون معطوفاً على قمر، فيكون المعنى نظروا إلى قمر إلى مكان قوس قزح. ونكر قمر لأن قلعة المعرفة والكرة إذا وقع في مثل هذا المكان لا تتغير. ويحور أن يكون " حيث " في موضع الظرف، كأنه نال نظروا إلى القمر. أو بطروا حيث علق قوس قزح " (٢).

٦ - المضاف إلى واحد منهما إضافة معنوية:

وهو ما يعرف بالتعريف بالإضافة، ويكون لأصناف وأعراض مختلفة، تعرض الشراح لكثير منها، أهمها:

١ - التحليل: مثل قول لخر: (جميل)

أبوك خناب منابق الضيف برودة وجدي نـا خجـاج فارس شـرا

" يقول: لبوك الذي سرق برد ضيفه وغدر به وخلفه، وجدي فارس هذا الفرس المعروف. ومنابق الضيف برده، أصله سارق برد الضيف، لكنه أضافه إلى الضيف بناء على قولهم سرق الضيف برده، والمراد سرق من الضيف، لكنه لما حذف الجار تخفيفاً وصل الفعل فعمل فيه، ثم أضاف اسم الفاعل إليه " (٣).

وقول أبو شامة:

فجـازك عـذ بيـت فـم ظـبي وجـاري عـذ بيـتي لا يـترام

ففي " إضافة اللحم إلى الظبي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كان يرميه. وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن النل والامتصام " (٤).

(١) المزدلفي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧٤)، (١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) .

(٢) نامة: حماسة (٨٠٢)، (٢ / ١٧٨٣ ، ١٧٨٤) .

(٣) نامة: حماسة (٦٠٢)، (١ / ٣١٥) .

(٤) نامة: حماسة (١٨٨)، (١ / ٥٨١) .

وقول القتال الثلاثي: (الطويل)

إذا جِماع لم يفرخ بأفلة مناعة ولم يتبين من ففديها وهو مناجب

حيث "أضلف الأكلة إلى ساعة تقصيراً بها وإزراء، وإن كان ذلك وقاً لها" (١).

وقول عارق الطقي: (الطويل)

لبيّ بمانه غزّ من أمان فابل غيبة منوم ومنطه منارفة
ولونيل في عهد لنا لخم أنوب وإيتا وهسدا العهنس أنث مغالفة
أكسل خبيسي أخطأ الغنم مرة وضادف خيا ذاتنا هو سايغة

نجد "إضافة الغيبة إلى سوء يكون على طريق الإزراء والاستحار" (٢).

للتهويل: مثل قول شاعر الحملة: (الطويل)

لبوا أن يبيخسوا جبارهم بغدوهم ولقد كان ثلغ الغوب خثي ثكوثر

"إنما أضلف النع إلى الموت تهريلاً" (٣).

للتعليق: وقول ابن المقفع يرثي يحيى بن زيار: (الطويل)

رؤيتنا لبنا غمري ولا خي مثله فإليه زئيب الخائنات بمن وفغ

"قوله له ريب الخائنات كلام مستقل بنفسه فيما يفيد من إكبار الشان وتعظيم الحال. وإضافة الشيء إلى الله عز وجل تفخيم وتعظيم، على ذلك قولهم: بيت الله - وإن كان الساجد له - والله دره" (٤).

وقول الهذلول بن كعب العنبري: حين رآته امرأته يطحن للأضيلف، فقالت: أهذا بعلي؟! (الطويل)

لعنر أبوك الغنر إني لخابم ليطنلي وإني إن زكيت لفارم

"قوله لعنر أبوك استعطف لها، إذ أقسم بحياة أبيها لما جرى في العانة من إظلام المقسم به، وإكبار موقعه. والعمر والعمر لغتان، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين. وإضافة الأب إلى الخير، كما يقال هو قتي صدق، وهو رجل كريم. وقوله إني لخابم لضيفي اعتراض بما عهده ذليل وبين أن التبعج فيما أنكرته، وأن التوفر على الضيف وإكرامه في قرآن الفروسة، ومن الخصال المحموده" (٥).

وأنظر كيف يستضيء الشارح بآلوال أهل اللغة في تحليله البيت الشعري، بل نراه لا يتع في معانيته البيت برصد الظاهرة لغويًا، حتى يقوم بنثر البيت معنويًا موضحاً أثر ذلك على المعنى، وذلك في قول ممكن الدارمي: (الطويل)

(١) للمرواني: شرح ديوان الهمامة: حماسة (٢١٧)، (١٥٣/١).

(٢) نفسه: حماسة (٧٨٠)، (١٧٤٤/٢).

(٣) نفسه: حماسة (١١٣)، (٢٢٨/١).

(٤) نفسه: حماسة (٢٨٢)، (٨١٣/١).

(٥) نفسه: حماسة (٢٣١)، (٧٠٠/١).

وَيَقْتَرِنُ بِصَدَقٍ لَمْ تَلْعَ بِغَضَبِهِمْ عَلَى سِرٍّ يَغْضِبُ غَيْرَ أَلْسِي جَمَاعَتَهَا

"قوله: (وَقَتَانِ صَدَقَ) أضاف القتيان إلى الصدق. كما يقال قتلان خير. والمعنى أنهم يصدقون في الود ولا يخونون. وقال الحلول: يقال رجل سوء وإذا عرفت قلت الرجل السوء، ولم تضاف، بل تجعله نعتاً. وتقول: عمل سوء وعمل السوء، وتقول صدق وتقول الصدق، ولا نقل الرجل الصدق، لأن الرجل ليس من الصدق. فيقول: رب قتيان هكذا استأموا إلي واحذروني أسرارهم، فكنت أنا نظامها لا يفتني من خبيثات صدورهم شيء، ثم أردت كلاً منهم بالفاء له، وكتمان ما أودعني من سره، ولا أطلع بعضهم على ما يستكتمني البعض الآخر، بل أصونه من الإذاعة، وأحفظه من الشر الباطني والصبغة. وذلك لأن حفظ السر يحزي مجرى أداء الأمانات، فهو في الدين والشئنا مأخوذ به ومبعوث عليه" (١).

- لإفادة معنى الانضمام والاحتواء: كما في قول امرأة من بني هزان: يقال لها أم ثواب في ابن

لها عتها: (البسيط)

رَبِّيْئُهُ وَفَوْقَ مِثْلِ الْفَرْخِ أَغْطِيَهُ أُمُّ الطَّيْغِ دَامَ نَسْرِي فَبَسِ جَنَابِي رَغْبَانَا
حَشَى إِذَا أَضَى كَالْفَخْصِ إِلَى شُكْبَانِي أَهْبَارُهُ وَنَفْسِي عَنْ مِثْلِهِ الْغُرْبَانَا
أَلَسْنَا يَنْزُقُ الْوَابِي يُؤَدِّي أَبْقَدُ شَيْبِي بِغَدِي تَبْقِي الْأَلْبَانَا

فـ "سميته البطن بأم الطعام، كما قيل للجلدة الرقيقة المانسة الدماغ أم الدماغ، وكما سمي المحرة أم السجود، وكل ذلك لما في الحجاب والمخاض إليه من الانضمام والاحتواء. وقد سمي الشفري تليد شراً بأم حبل، فقال: (الطويل)

وَأُمُّ عِيَالٍ كَذْ شَهْنَتْ تَقْوُشْتُهُمْ إِذَا أَنْضَتْ شَهْنَتْ أَوْتَخَسَتْ وَأَقْلَسَتْ

لما كل يجمع من أمر أصحابه ويتكلم به لهم ويديره. وقولها حتى إذا أض كاللعل حتى وضع للغة، وأضيف إلى إذا وما بعده من الجملة التي انشروا إذا بها. والمعنى إلى هذا الوقت" (٢).

لو قد تعيد معنى التملك إلى جفت معنى الانضمام والاحتواء، مثل قول أشجع بن عمرو السلمي: (السريع)

أَنْفَسِي لَنْفَسِي الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مَا يَمْلِكُ مَنْ أَنْفَسِي بِمَوْجُودِ
أَنْفَسِي فَمَنْ التَّوَرَى بِغَدَةٍ بِأَيْتَةِ الْمَنَامِ مِنْ الْفُجُودِ

"قوله لنفسي قتي الجود إنما أضافه إلى الجود أيداً بأن الجود كان يمتلكه فهو قتيه. لو يريد أن الجود كان يتدحج يكون هذا الرجل من أسرته وأصحابه، لأنه كان يتقنى في الجود وهذا كما يقال: فلان قتي الحرب، وكما قيل: لا قتي إلا علي في الوعى" (٣).

- للتعريف: مثل قول ابن السلمي:

لَعَنَكَ إِيْسِي وَوَيْمَ مَنْ لَجِمْ لِنَفْسِي وَلِجْنِ مَا زَرُّهُ انْتَلُوْمْ

(١) الرزوقي: شرح ديوان العماسة: حمصية (٣٦٩)، (١/٢)، (١١١٥، ١١١٦).

(٢) نفس: حمصية (٢٥٥)، (١/١)، (٧٥٦، ٧٥٧).

(٣) نفس: حمصية (٣٦١)، (١/١)، (٩٣٩، ٩٤٠).

الفضاضة البلاغية **===== الفصل الأول: علم المعاني =====** التكبير والتعريف
 " سلغ : موضع أضاف اليوم إليه تعريفاً " (١).

لو للتعريف والتخصيص، كما جاء في قول المجير السلولي:
 ترفقا أنها الأضياف إلى ليلة الصبا يبرز ويبرزى فكل ضمير يجابله
 " أضاف الليلة إلى الصبا تعريفاً وتخصصاً، كلفه كان للصبا شأن في تلك الليلة " (٢).

- للتبيين: مثل قول العربي:
 وألست سفاك الله خمر سلافة بنام منخاب خابز بين مضافان
 نجد الإضافة في قوله " خمر سلافة "، " وسلافة الخمر: أول ما يخرج من عصيرها. وإضافة الخمر
 إليها على طريق التبيين. وهذا كما يفيد " من " من قوله: " فلجستوا الرجم من الأوثان " (المعج / ٣٠) (٣).

وقول مالك بن جعنة:
 وأبلغ من لها عني ونفعا تحيات ماثرنا سلاور
 فإنتك نسوم ثأني خرينا ثجل غلى يومئذ ثذور
 " ويوم مضاف إلي ثأني على وجه التبيين، وهو ظرف لقوله ثجل على يومئذ نثور " (٤).

أو التبيين والتخصيص كما في قول حماد بن حنظلة:
 غطيت على أن أصفك بطري وأنا لمرور بمن طري الأجيال
 وأنا لمرور بمن آل خيرة مثصبي وثأو جوفين، فأمنائي، أخوالي
 " وقوله من طيء الأجيال يعني سلمى ولجاً. وهذه الإضافة على طرق التخصيص والتبيين، وذلك لأن
 طينا فرقتان: فرقة تنزل السفل من جبالهم، وفرقة تنزل العلو " (٥).

- لإفادة التشهير: مثل قول شاعر الحماسة:
 نغز بخيري أن أرى زفلة الغضى إذا ما بنت يؤنا بعيتي فلاهنسا
 ولست وإن أخيت من يمتن الغضى بأول راج خاجة لا يتأنهسا
 " أضاف الرملة إلى الغضى تشهيراً لها " (٦).

أو للتشهير والتعظيم، مثل قول شاعر الحماسة:
 نسوم ارتكاست بزيخي قبل يزدغري والذفل مثيرة والقلب مشغول

(١) العزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٥٦)، (١ / ٧٥٩).

(٢) نسخة: حماسة (٣١١)، (١ / ٩١٨).

(٣) نسخة: حماسة (٧١٢)، (٢ / ١٦٢٨).

(٤) نسخة: حماسة (٧١٧)، (٢ / ١٦٣٧).

(٥) نسخة: حماسة (٧٤٠)، (٢ / ١٦٨٢).

(٦) نسخة: حماسة (٥٠٩)، (٢ / ١٣٠٦، ١٣٠٧).

لَمْ أَصْرِفْ إِلَى بَعْضَى لَابْطَةِ إِسْرَ الْخُتُوجِ الْغَوَايِي وَفَوْ مَظْهُولٍ
" أضاف اليوم إلى الفعل تشبيهاً له وتعظماً لما اتفق فيه. وذلك أنه باغته حديث الفراق وما حم به
المجتمعون معه في النخمة من الارتحال، ولما ورد عليه ما لم يحسبه ولم يحدث نفسه به تولة وخولط حتى صار لا
يدري ماذا يقضي عندما حم به من تشبيعه، والتبذير للكون معهم، فقال: أنكر يوم أقبلت أضاع الرجل على الناقة قبل
الردعة، وتكلى فابعد وتكلى مشغول بما دهمه من الحال " (١).

- لإفادة الغلو والإسراف: مثل قول صرو بن قمية:

يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَفْقِذْ بِهِ إِذْ فُتِنْتُهُ أُنْثَا
إِذْ أُمِخِبَ الرِّبْطُ وَالْمَرْبُوطُ إِلَى أَنْتَى بَخَايِي وَأَتَقَضَى الْتَغْنَا
لَا تُفْسِدُ النَّسْرَ أَنْ يُقَالُ لَهَا أَضْحَى فُلَانٌ يَضْرِبُ خَفَا
إِنْ مَسَرُّهُ طَوْلٌ عِشِّيهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوْلٌ مَا سَلَبْنَا

يقول المشرح: " يتحسر على ما لقاه من الشباب وحسن أيامه، وتضارة للعيش به، فقال: يا حسرة نفسي
على مقتضى الشباب ومتولييه، فإن ما فقتني منه لم أفارق به أمراً قريباً، وشيئاً هيناً، لكنني فقتت به صحة بدني،
وروعة وجهي، وطيب عيشي، وقوة روحي، حين كنت أحر ريطني (وهو الإزار الذي ليس بملق) ومروطي (وهو
جمع مرط وهو ملحفة يؤتزر بها) إلى أقرب الخمارين إلى أنفض شعر رأسي (عجلاً به، واستحسلاً له، وطرباً
بداحلتي في جميع أسبالي معه. ثم قل مزرباً بالشيب وما يكتسبه المرء إذا علاه، من إكثار اللبس له، وتقبيهم في
المجالس إياده، ومن الرخوع إلى قوله، واستشارتهم فيما يعز من الخطوب رايه، قلل: لا تنغبطن الرجل ولا ترمقن
ولا تجعلن محسداً إذا قيل فيه: صار فلان حكماً في عسيرته لكثرة تجاريه، وامتداد عمره، ودوام مزاولته للأمور،
واتصال لقاته للباس وممارسته لهم وفيهم، لأنه إلى سره امتداد عمره، وتنفس عيشه فقلت ظهر في نفسه من ضعف
واتحشاء، وعلى وجهه من ذبول وسهوم إلى غيرها مما يدل على طول سلامته التي هي الداء الذي لا دواء له ...
وقوله (التي تجاري) يظهر لظوره في سبائك الخمر وسرقه، ثم تبجح بإضاعتهم إلى نفسه " (٢).

- للتأكيد: مثل قول حطيم:

وَقَالَنَ وَقَدْ مَاتَتْ بِهِ نَشْوَةُ الْفَرَى ثَغَامَتَا وَمَنْ يَطْلُقُ مَسْرَى اللَّيْلِ يَحْسَبُ
أَبْغَ نَفْسِي الْخَضَاءَ الْكُفَامَ نَوَافِهَا قَلْبِيلاً وَزَفَاةً عَنْ قَلَابِمْ نُبْلٍ
فَقُلْتُ لِمَ كَرِيفَ الْإِنَاخَةِ بَنَانَا خَذَا اللَّيْلُ عَزْوَانَ الطَّرِيفَةِ مُنْجَلِي

" السرى: سير الليل خاصة، وأضاقه إلى الليل فقلل سرى الليل، تليداً. ومضى البيت: وقال رفيقي وقد
انتشى من الكرى وصار يتميل ولا يستقيم وهو ناص، ومن يمارس السير ويهاجر النوم يتسلط عليه الكسل: لنخ
راحتك ندوا المطايا التي أنضاهما التلعن وهزلها الجهد، دواءها من الراحة والنوم، وسكن من قلانص مهازيل،
وومع ما ضيقت عليها من أوقتها ... وقوله " قللت له كيف الإنلحة "، يريد كيف الوصول إلى النزول وقد أصبحنا

(١) المروزي: شرح ديوان المعاصرة، حمادة (١٤٨)، (١٢٢٦ / ٢).

(٢) لسه، حمادة (٢٠٠)، (١١٣٢ / ٢).

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني التذكير والتعريف
وساق النيل صبح واضح الطريقة، منكشف الشريعة، يحلّي الظلام فيه ويفرق. يريد أن الرأي وقد التصوم الليل أن
تبلغ إلى الماء الذي يتصدده ثم نزل " (١).

٧ - المنادى:

أنواع المنادى خمسة يتعرف منها بالنداء نوع واحد - في الرأي الأرحح - هو: النكرة المقصودة دون غيرها (٢).
ويراد بالنكرة المقصودة: " النكرة التي يزول إيهامها وشيوعها بسبب ندائها، مع قصد فرد من أفرادها،
والإتجاه إليه وحده بالخطاب " فتصير معرفة دالة على واحد معين بعد أن كانت تدل على واحد غير معين،
ولولا هذا النداء لبقيت على حقيقتها الأولى من غير تعريف. مثل " رجل " في قولك: يا رجل ساعدك على
احتمال المشقة إلخ " (٣).

ومن شواهد التعريف بالنداء في أشعار الحماسة، قول موسى بن جابر: (الكامل)
لَا أَتَيْتَنِي بِمَا قَوْمُ الْأَخَارِ قَالَا نَسَابَ الْأَجْبَرِ وَلَا يَفْصِغُ الْخَاوِبُ - (٤).
فوقع التعريف بالنداء في قوله " يا قوم ".

وقول سعد بن مالك: (الكامل)
يَسَا بُرْمُونُ لِلْغَزْبِ الْبَرِّي وَظَهْرُ أَزَاهِبٍ طَافَتْ تَرَاهُوا
" قوله " يا يوس ببحرب " نداء على معنى التعجب، والمعنى ما أَبْذَلَنَ هذه الحرب واشدها، وأقبح اللام
بين المضطرب والمضطرب إليه توكيدا للإضافة وهو مما خص به النداء لما يراد من معنى المبالغة فيه والتشديد (٥).
وقد يحذف المنادى وهو نكرة مقصودة، ويمثل عليها من سوق الكلام، مثل قول شاعر الحماسة: (البسيط)
يَسَا قَبِيحُ اللَّهِ أَفْرَأْسَا إِذَا تُجَزُوا بَيْتِي غَنِيْرَةٌ زَقِطُ السُّوَيْمِ وَالْغَارِ
قَوْمُ إِذَا خَرَجُوا مِنْ مَنَوَعَةٍ وَلَجُوا لِي مَنَوَعَةٍ لَمْ يَجْنُوفَا بِأَسْنَابِ
" المنادى في قوله يا قبيح الله محذوف، كنهه قل: يا قوم، أو يا ناس قبيح الله أقواماً، أي ليعدهم الله " (٦).

وهكذا نجد أنه قد نتج عن تنوع التعريف ثراء القول الشعري من الزاوية اللغوية، فالشارح ينتج بالخير
ممتلا في بنية التعريف على فضاء النص، مبرزاً ومحللاً أهم ظواهره من الناحية النحوية والتركييبية، ناقراً - في
كثير من الأحيان - المعنى الشعري، مستعيناً في تدعيم ذلك بما توافر لديه من نصوص نثرية أو شعرية.

يتضح لنا من خلال ما تقدم أن مسألة التذكير والتعريف عند الفراع موزونة لخدمة النص وضبطه وليس
لحل على تلك تعليقات الفراع على مباحث علم معاني، التي قد جاءت جافة، خلت - أو تكاد - من تحليلات بلاغية

(١) المزدلف: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٨٢٠)، (١٨١٥ / ٢) .

(٢) انظر: د/عبد حسن النوراني: (١ / هاشم ٢١١) .

(٣) انظر: نفسه: (١ / ٢١١ وما بعدها)، وانظر كذلك: (٢٥ / ٤) .

(٤) المزدلف: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٢٢)، (١ / ٢٦٢) .

(٥) الأطلح المنتعري: تجلّي غرر المعاني، ص ٧٠ .

(٦) المزدلف: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦٥٠)، (٢ / ١٥٢٣) .

ذات قيمة، مفتقرة إلى التحليل البلاغي الكافي، حتى يبدو لنا دور الشراح في هذه المبلّغ مقتصرا على "رصد طريقة هذا الشاعر أو ذاك في استعمال اللغة على نحو ما. وبالرغم من أن ذلك لم يكن للهلبس الأوحى الذي يسكن الرواة للشرّاح إذ كلُّهم توثيق كل ما يساعد على فهم العربية وقرأتها فإنه لم يفتهم التوقف عند المقتل الشعري في خصائص بنيته وأبرز مقاصده إنْ بدرجت متقلّبة" (١).

وقد انعكس ذلك على صنيع الشراح تجاه نصوص أشعار الحملة، حتى أصبح تعاملهم مع الأشعار وفق هذا المبحث محصور في النحو والنظ الغريب والخبر والمثل والشاهد شعرا وقرنا وحديثا.

وبالرغم من كل ذلك فإن مساهمة هؤلاء الشراح في شرح أشعار الحملة ستظل تفتي بطلانها على من سيأتي بعدهم من انشراح وعبرهم.

(١) د/أحمد الهمداني: شرح الشعر عند العرب، ص ٦١.

أسلوب النكر والحذف:

يعد أسلوب النكر والحذف وجها من أوجه بلاغة القول وفصاحته، فقد يذكر الحرف في كلمة في موطن ما، ويحذف هذا الحرف من نفس الكلمة في موطن آخر، وتذكر الكلمة في موطن ما وتحذف في موطن آخر مع اتضاه نكرها، فللنكر مواقف وأماكن وحسن اللجوء إليها في مواضعها وتعد من بلاغة القول أو الكتابة، وللحذف - أحيانا - كذلك نفس الشأن للجوء إليه بلاغة في أماكنه ومواقفه المستحبة، وهذا النكر أو الحذف ليس عشوائيا، إنما يسير وفق رابط ينظمه الشاعر في سلك النص الشعري.

ويعد النكر الأصل في تركيب اللغة، فاللغة تجعل للجملة العربية أنماطا تركيبية محببة من خلال ترابطها بسبق الكلام، فإذا لم تشمل على بعض هذه التركيب عندنا ذلك حقا؛ لذلك اثرتنا الحديث عنه بداية، ثم يتلو ذلك الحديث عن الحذف.

أولا: النكر:

يقرن الملاهيون النكر بالحذف وهو تقيصه، ويسمى به وجود كلمة على حجة التذكير بالمعنى، ففي النكر "تحويلا على شهادة اللط من حيث الطاهر"^(١). وأشعار الحماسة لا تخلو من النكر، لذلك سجد في لبيت شعريتها الكثير من أشكال النكر المختلفة، وهو ما تنبه إليه الشراح، وأشاروا إليه أثناء تناولهم الأشعار بالشرح والتحليل. ويرجع فتويم الشراح إلى النوق الأدبي الراقي والمعرفة بأصول البلاغة العربية، وحسن البيان في الكلام أو الكتابة. ويذكر المسند إليه والسند وغيرهما في العبارة لسبب من الأسباب، أمض البلاغيون في سردها^(٢)، ولكننا سنقتصر هنا على أهم الأغراض التي وردت في أشعار الحماسة، ونبه عليها الشراح، منها:

١ - النكر لزيادة الإيضاح والتقرير:

مثل ما جاء في شرح قول شاعر الحماسة:
(البيسط)
إني وإنيك خالصي رأي نهـ رأـ
رأي بغيتك خالص غر مؤبـ رأـ
" وإنا قال " رأي بعينه " فذكر العين تأكيداً للرؤية. ومثله قوله تعالى: " ولا تقرر بطير بجناحيه " وما أشبهه^(٣)، فذكر (العين) مع دلالة السبق عليها؛ لتأكيد ثبوت الرؤية وتقريرها، مستشهدا بالقرآن الكريم.

٢ - النكر لإظهار شدة الثقة والإحسان:

مثل قول أنوف بن حكيم النهدي:
جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَرْي غَوَّابِ بْنِ مَالِكٍ كَتَائِبَ مُزَيِّدِ الْمُفَرِّقِينَ نَقْلَهَا

(١) اتروني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٨.

(٢) السطر: السكتي: مناجاة العلوم، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) المرزولي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٥٨٥)، (١٤١٥ / ٢)،

القضايا البلاغية ————— الفصل الأول: علم المعاني ————— النكر والحذف

يقول الشارح: " ونكر المقرئين ولم يذكر الهجاء لأنهم وإن كانوا يأخذون ملخصهم في أنه لا يخص نسبهم، ولا يصو سببهم، فليقيم أشد نقداً، ومن يفهم أنكر دفعاً " (١)، ثم اختار الشارح أن يعزز تفسيره لهذا البيت بشواهد من أشعار العرب وذلك لـ " يقيم الصلة بين تجربة الشاعر الخاصة وبين تجربة أو تجارب أخرى عامة " (٢)، حيث يقول: " وكان عنزة العبي حبيبتاً قتل :
(الكامل)

بني امرؤ من خير عبي مثصباً شطري وأخيسي منابري بالفتى صل
نافياً للآثر، فعمل أحد شطريه من خير عبي، وجعل الباقي بجميه من الذم بلمتعل السيف يوم الروع، وحسن البلاء في الحرب، حتى يلحقه بالخلص، ولا تقعد به هجنته عن الدخول في زمرة الصرحاء " (٣).

٣ - النكر لتعليط القول وتحسينه:

مثل قول الشداخ بن يعمر الكناني:
أَكُنَّا حَارِزَاتِ خَزَاغَةٍ تُحِبُّ ————— فُؤُوبِي فَبَاتِي لَأَمْوِي حَبْلُ
يقول الشارح: " ونكر الأم لتعليطاً للقول وتحسيناً " (٤).

٤ - النكر للإهانة والتحقير:

مثل قول كبشة أخت عمرو بن سعد يكره:
وَلَا تَأْخُذُوا بِمَنْهُمْ إِنْ أَلَا وَأَبْكَرَا وَأُنْزَكَ فِيهِ يَنْتَبِ بِصَنْغَةِ مَقْلَمِ
يقول الشارح: " فلي قيل: لم نكر الإفل والأبكر وما يؤدي في الدبف لا يكون منهما ؟ قلت: أراد تحقير الدبف " (٥)، وفي سبيل ترحه للمعنى قد يفتتح على الاستشهاد بمذاهب العرب في الاستخدام وطرائقها في التعبير، فيعطى بذلك حدود الشاعر الواحد إلى أفق أرحب وأوسع، وهذا ما فراه حلياً في استعماله الشارح في تفسيره للبيت السابق بالقول " وهذا كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمر خلع خال بها إنسان: إنما أعطى حرفاً وفلوساً! وإن كفت الثياب المعطاة كسوة فاخرة، والعمل الموفر جقزة منية " (٦).

وكذلك ما جاء في قول عاروق الطائي:
فَبِيْ بَمَاءٍ غَيْرِ مَا قَالِ قَائِلُ غَيْبَةٍ مَسْؤُومٍ وَمَنْطَرٍ مَهَارِقَةٍ
وَلَوْ نَبِلَ فِي عَهْدِ ثَلَا لَحَمِ أَرْتَبَ وَفَيْتَا وَهَذَا الْفَهْدُ أَلَّتْ مَغَالِقَهُ
أَكَلُ خَبِيرِيسٍ أَخْطَا الْفَسْخُ مَرَّةً وَصَادَفَتْ خِيَا دَابِنَا فَوَ مَنَابِقَهُ

فـ " قوله لحم أرنب ذكره تحقيراً وأنه صيد مستباح " (٧).

(١) المرزولي: شرح ديوان الصليبي: ج ٢٣، (١٦٩ / ١).

(٢) دالحمه الوبرني: شرح الشعر عند العرب، ص ١١٤.

(٣) المرزولي: شرح ديوان الصليبي: ج ٢٣، (١٦٩ / ١).

(٤) نفسه: ج ٤١، (١٩٧ / ١).

(٥) نفسه: ج ٥٢، (٢١٧ / ١).

(٦) نفسه: ج ٥٣، (٢١٨ / ٢).

(٧) نفسه: ج ٧٨٠، (١٧٤٤ / ٢).

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني ————— الذكر والحذف

ومما يتصل بهذا القرض، تنبيح وتنشيع، كما في قول شاعر الحماسة (موسى بن حمار) (الطويل)
 إِذَا نُكِرَ ابْنَا الضَّبْرِيَّةِ لَمْ تُضْبِقْ قِرَاعِي وَأَنْقَسِي بِأَسْنَتِهِ مَنْ أَفْسَاخُ
 فـ "ذكر الاستقبح لعله عد النكوص والانهزام، وتنشيع عليه في التولي والإخبار" (١).

ومثل ذلك الإزراء والاحتقار، كما في قول أدهم بن أبي الزعرار:

وَبِالْحُفْلِ الْمُفْصَحِ خَوْلاً بِبُوتِنَا ثَوَابِيءُ الْغَزَلَانِ نُجْلُ غَوْنِنَا
 وَإِنَّا لَنُخْفِقُونَ جَبِينَ غَضِبْتُمْ بِأَيْمَنَةِ غَبَدِ اللَّهِ أَنْ سَنُثْبِنَهَا
 فَلَسْتُ بِمَنْ أَدْعَى لَهُ إِنْ تَقَفَاتْ غَنِيهَا دُمَامِي لَأَسْتَبِيَهُ وَخُبُونَهَا

فـ "قوله فليست لمن ادعى له يجري مجرى اليعين، أي للوالد الذي أسب إليه، أن أنكح عبد الله فينا، وشئت حراجات اسمه عليها. وهذا الكلام إزراء به، واحتقار له، بنكر الراء منه. وذكر التمليل تشيع للحال، وأن العزية بلغت به هذا المبلغ لزهده الناس في مذاحتهم" (٢).

وأيضا الغض والإيهام، مثل قول الراعي:

مَادَا نَكْرَهْتُمْ مِنْ قُلُوصٍ غَفَرْتُمَا بِمَنْفِي وَضِيَانِ الشِّتَاءِ تُبْوُذَهَا
 فَكَيْدَ عَلَيْنَا أَلَسِي وَفَرَسْتُ لِرَيْنَا قَرَاخَ عَلِي غَسَسِ بِأُخْرَى يَغُودَهَا
 قَرْنَيْتِ الْبَلَابِي الَّذِي يَنْبَقِصِي الْقِرَى وَأَمْسِكْ إِذْ تَخْبِذِي إِلَيْنَا قَعُودَهَا

فـ "في ذكر الأم وأنه أضافها مع الكلامي بعض الغض والإيهام" (٣).

٥ - الذكر استعارة في الإظهار والكتمان: مثل قول الفضل بن لعبس بن عتبة بن أبي لهب: (البيط)

مَهْلًا بَرَسِي غَنًّا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَنُوقَنَا

"ونكر اللبن والنبش استعارة في الإظهار والكتمان" (٤).

٦ - الذكر للتحقير:

مثل قول رجل من بني تميم:

لَنَا ابْنُ الرَّابِعِينَ مِنْ آلِ غَسْبِرٍ وَفَرَسَانِ الْمَثَابِيرِ مِنْ جَنَابِ
 تُغْرِضُ لِلْمَتَوَفِّ إِذَا التَّقِيَّتَا وَجُوهَنَا لَا تُغْرِضُ لِلْمَسَابِ
 فَأَبْنَابِي مِنْ رَأَةِ بَرَسِي تُغْرِضُ وَأَخْوَإِي مِنْ رَأَةِ بَرَسِي يَلَابِ

فلشاعر "يقتر بأن لباه رؤساء خطباء... وفكر عرا وجنبا ليرى أنه كريم الطرفين، يدل على هذا قوله فيما بعده:

فَأَبْنَابِي مِنْ رَأَةِ بَرَسِي تُغْرِضُ وَأَخْوَإِي مِنْ رَأَةِ بَرَسِي يَلَابِ" (٥).

(١) المرواني: شرح ديوان الحماسة: حمصية (١٢٦)، (٣٦٩/١).

(٢) نفسه: حمصية (١٢٢)، (١٤٧٦/٢).

(٣) نفسه: حمصية (١٣٩)، (١٥٠٨/٢).

(٤) نفسه: حمصية (٥٥)، (٢٢٤/١).

(٥) نفسه: حمصية (٢٣٨)، (١٩٤/١).

مثل قول يزيد بن قنافة:

(الطول)

لَعْنَتِي وَمَا عَصَرِي غَلِيٌّ يَهْنِي لَيْسَ الْفَتَى الْمَذْغُوُّ بِالْأَوَّلِ خَاتِمِ
غَذَاةِ أَنْبَى الْثَوْرِ أَخْبَرِي بِحَبَّتِهِ أَفْئَالُهُ وَفَوْ قَاتِمِ
غَلِيٌّ بِمَخْرَجِ الْمَرْبِطِ ثَغَامُهُ ثَابِرُ مَا جَنَحَ الظَّلَامِ ثِقَاتِمِ
أَعَارِثُهُ رَجُلُهَا وَفَمَافِي نُفْهَا وَقَدْ جَرِثَتْ بِبُضِّ الْفَتُونِ صَوَائِمِ

حيث " ذكر الليل لشدة الهول فيه " (١).

هذا قليل من كثير تناول فيه المصراع الذكر و أغراضه ، معرزين رزاهم ، وتفسيرهم بما تواضع عليه العرب في الاستخدام ، وما شاع في أشعارهم ، إلى جانب النص الديني قرأنا وحديثاً " إن لا سبيل إلى إحكم للعربية بمعاني عن معجزتها الشعوية القرآن ، فلا عرابية أن تكون لغة الشعراء الأول ذات وقع قرآني وعلى صلة ظاهرة لو خفية بالحديث باعتبار ذنوك الضربين من النصوص يمثلان نموذج الفصاحة عند العرب. لذلك يكشف الراوي / الشارح من حلال رصد الاستشهادات مظاهر التقاطع بين النص الديني والشعر " (٢)، وهو ما نجد أثره واضحاً في عرض الشراح لأسلوب الذكر، وهو ما يمكن تبليغ ثقافة الشارح الذي يعد النص الديني أبرر مكون لها.

ثانياً: الحذف:

ندرج الحذف ضمن ما يصطلح عليه البلاغيون ببلاغة الإيجار . والإيجار كما عرفه أبو يعقوب السككي " هو أذاه المقصود من الكلام بقول من عبارات متعارف الأوساط " (٣)، ونميز فيه بين بلاغة القصر وبلاغة الحذف . بلاغة القصر مثل قوله تعالى " ولكم في القصص حيلة " (القرة / ١٢٩) ، إذ عبر عن المعنى الكثير باللفظ القليل. أما بلاغة الحذف فهي " ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإسماعية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكونة في الكلام، أو إلى حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة حالية كقت أو عتية أو لفظية " (٤)، فهي ترتبط بحذف كلمات عمدة أو في حكم العمدة أو صلة أو في حكم الصلة. مثل حذف المسند والمُسند إليه والحال والمضاف والمُضاف إليه ...؛ وذلك لغاية بلاغية محضة. وقد عر عدد القاموس الجرجاني رحمه الله عن هذه البلاغة بقوله في دلائل الإعجاز : " هو يغب دقيقاً للمتلذذ، لطيفاً للمأخذ، عجيباً الأمر، شبيه بالحدوث؛ فذلك ترى بقرائن الذكر، أنصنع من الذكر، والصمت عن الإفادة، أرشد للإفادة؛ وتجنك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأنتم ما تكونون، بيتاً لم تبن، وهذه جملة كد تنكرها حتى تخفروا، ونفعها حتى تنظروا " (٥)، وعنه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بلجا قوماً من أبواب شحاعة العربية (٦).

(١) الرزوقي، شرح ديوان السلسلة: حلبية (٦١٥)، (٢ / ١٤٤) .

(٢) د/عبد الوارثي: شرح الشعر عند العرب، ص ١١٨.

(٣) السككي: مناجح اللغوم، ص ٢٨٨.

(٤) د/طاهر سالم: حلبية: ظاهرة الحذف في النثر العربي، دار المصرية للنشر، الإسكندرية، ١٩٩٧ م، ص ٤.

(٥) عبد القاهر العراني: دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.

(٦) نظروا: ابن جني: المحقق، (٢ / ٣٦٠) وما بعدها.

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني

وتتعدد الأسباب الداعية إلى الحذف في سياق التراكيب، فمنها " التخييف، الإبحار والاحتصار، الاتساع، التفتيح والإعظام، صيغة المحذوف عن الذكر تشريفاً له، التحقير، الجهل بالمحذوف ... " (١)، إلى حقبة العديد من الأغراض التي ليس هذا مجال إحصائها.

وهو ما عبر عنه الشراح ولكن بمفاهيم مختلفة، من مثل " الحذف لدلالة الحال وتعارف المتكلمين "، كما جاء في قول شاعر الحماسة:

يَأْتِيهَا الْغِيَامُ الَّذِي قَدْ رَتَيْتَنِي أَكْثَ الْبِذَاذِ بِبُزْغٍ غِيَامٍ أَوْلا
أَكْثَ الْبِذَاذِ بِبُزْغٍ غِيَامٍ نَمَّ وَكُنَّ نَحْسًا وَلَا نَزِينَ الْأَجْبُةَ زِيْلًا

" وقوله (غام أولاً) مما ألف فيه كثرة الاستعمال، فوصف بصفة لم توصف به بظنره، اعتماداً على التعارف. والمراد بهذا أنه لم يزل شهر أول ولا حول أول، ول سنهة أولى، وإنما خص هو بذلك لكثرة الاستعمال، ولأن دلالة الحال وتعارف المتكلمين به سوغ الحذف والإحراء على ما ألف فيه " (٢).

أر لعلم السامع، كما علق الأعلم الشنفرى على قول ابن زبابة القمي:

أَنَا ابْنُ زَبَابَةَ إِنْ شُدَّ غِيَابِي آتِيكَ . وَالظَّنُّ غِيَابِي الْغَائِبِ

يقول: " إن توعدتني بإقدامك ونسبتني إلى الحين عكك والضعف عن مقارنتك ثم لتيتني علمت أن طنك كاذب، فرجع كذبتك عليك، وأراد والظن مريد على الكاذب، فحذف لعلم السامع " (٣).

أو " الحذف لبيان المعنى "، كما ورد في قول خفاف بن ندبة:

نَبِيٌّ شَيْئُهُ رَأْسُ الْهَجْجِ وَبَيْتِي وَبَيْتِكَ لَا تُظْلَعُ
وَأَيُّهُمُ الْبَيْتُ يَتِيَابُهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَنَسْهَا أَنْفَعُ !!

يقول أبو هلال العسكري: " رواه هذا الشيخ: (إذا أنا لم أنسها أرفع) .. والمشهور الأول، أي: إذا أنا لم أنسها أرفع إلى تناسيها؛ للورد والقراءة اللذين بينهما لبناء، فحذف، لبيان المعنى، وفيه وجه آخر أجود من هذا، وهو: لني إن لم أنسها أرفع عن الريلة " (٤).

وقد تنبه الشراح إلى أسلوب الحذف في أشعار الحماسة، فإشاروا إلى مواضعه، وأشراطه، وأساليبه، وأشكاله، والتي من أهمها:

١ - الحذف في الجملة الاسمية:

(أ) حذف المبتدأ:

يقول ابن جني في شرح قول عمرو بن كلثوم التغلبي:

(الطويل)

(١) انظر: دلائل حماسة طائفة العرب، ص ٩٥ : ١٠٧.

(٢) المرواني، شرح ديوان الحماسة، جملة (٤٥١)، (١٢٠٧ / ٢).

(٣) الأعلم الشنفرى، قبلى غرر المعاني، ص ١٣٧.

(٤) مثل العسكري، رسالة في سطر وتطور موسع من الحماسة، ص ١٧٨، ١٧٩.

ثَلَاثَةٌ ثَلَاثٌ فَإِنَّهُ إِنْ خَبِلَتْ وَأَفْوَتْهَا وَمَا نَمَوْقُ إِلَى الظُّفْلِ

" أي أموالنا ثلاثة ثلاث، فحذف المبتدأ، وحذفه أيضا فيما بعد في قوله: فثلاثان خيلنا أي قتلت اثنتان خيلنا أو فثلاثان خيلنا ثلث كذا وكذا وكذا...، وقال: ثلاثة ثلاث، ولم يقل: ثلاثة أقسم من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية، فلقد صحت القسمة واعتدال المساهمة " (١).

وقول الرماح الأسي: (الكمل)

بَيْتًا غَدَاثًا رَيْثِي مَتَوَجِّحًا بِالْبُرْدِ فُسُوقُ جُلَالَةٍ مِرْدَاخٍ

" أراد بيينا نحن أو بيينا الحال كذلك، فحذف للمبتدأ طما منه بموضعه، ألا ترى أن بيينا لا يضاف مع الجثث إلا على الجمل، فلما كان ما بعدها حدثا أضيفت إلى المفرد نحو قوله: (أبو ذؤيب) (الكمل)

بَيْتًا مَتَقَفَّهِ الْكَمَاءُ فُرُوعُهُ بَوَاقٍ أَبْيَعُ لَنَا جَرِيرًا مَسْلُفًا

وقد يكون صاحب الجملة بعد بيينا حدثا أيضا نحو قولك: بيينا قبلك نالغ لنا عرض ما أوجب لعمودك، وعليه أجزنا في البيت أن يكون تنديده: بيينا الأمر كذلك " (٢).

(ب) حذف الخبر:

مثل قول مسافع بن حنيفة العبسي:

(الطويل)

مَلَامَ بَنِي عَمْرِو عَنِي حَيْثُ هَامَكُمْ جَمَالُ التَّنْدِي وَالْقَبَا وَالْمَسْنُونِ

" هلمكم مبتدأ محذوف الخبر، من جملة محذوفة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها، أي حيث هلمكم مقبورة أو موجودة... ومثل هذا المبتدأ المحذوف الخبر للعلم به في نحو هذا الموضع قولهم: جنتك إذ ذاك، أي إذ ذاك كذلك، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها ونصب حمل التندى لأنه بدل من بني عمرو. ولام التندى والى لأنه فعل من الندوة وهي موضع جلوس التندى والتندى " (٣).

وقول رجل من يشكر فيما كان بينهم وبين بني ذهل بن شيبان:

(الوافر)

فَإِنْ تَرَضُّعُوا فَإِنَّا قَدْ رَضَّعْنَا وَإِنْ تَسَابَقُوا فَالطَّرَافُ الرِّزَاجِ

" يقول: " إن رضيتم بمن قلنا منكم عن المقلى فقد رضينا، وإلا فالعرب بيننا وبينكم. وقوله " فطراف الرماح " مبتدأ، وخبره محذوف لعلم السامع، وللتقدير فطراف الرماح حكمة بيننا وبينكم " (٤).

٢ - الحذف في الجملة الفعلية:

(١) حذف للفعل: مثل قول سويد المرادي الحارثي:

(الطويل)

(١) ابن جني: شكل أبيات المعلقة: حلبية (١٨) ص ١٥٠.

(٢) نسبه: حلبية (٢٦٩) ص ٣٢٤.

(٣) نسبه: حلبية (١٩٨) ص ٣٦٧.

(٤) الأعلام للتقريظ: نجلى غرر المعاني، ص ١٢٥.

لَمْ يَرِ لَفْظٌ نَادَى بِإِزْفٍ صَوْتِهِ نَبِيٌّ مِنْ يَدَيْ قَارِيَتْنِم هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا ، وَالْقَابِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالَتْ قَوْلًا أُنْبِطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
إذ نجد " صلتها حال من الفاعل في فعل محذوف، أي نعم قلت صلتها " (١).

ويدرج تحته أشكال كثيرة للحذف، أشار إليها الشراح، منها:

حذف اللفظ العامل: مثل قول بعض بني أسد:
(الطويل)
لَمَّا نَزَلْنَا الْوَيْدَ الْخَالِي لَبَّيْكَ بِكَرْمِيْنِ كَرْمِيْنِ فِي مَنِيْنِ وَفَرِيْدِ
أَجْدِي لَا لَفْجِي بِزَيْنَانِ خَالِيَا وَغَضُوْنِ إِلَّا قِيْلَ أَنْ نَزِيْدِ

يقول الشارح: " أجدي " هي موضع المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإسماء والمركب الإسماء والإصباح جميعاً، لكنه اقتصى بفكر أحدهما لطم الناس بأن حاله فيما ذكره يستوي فيه الليل والنهار " (٢).

حذف اللفظ (للماضي) المجزوم: مثل قول شاعر الحملة:
(الوافر)
لَمْ أَرْ مَفْشَرًا كَتَبِيْ مُمْزِيْمِ ثَلَاثُ ثَمِ الثَّوْبِ الْبَيْتِ وَالْثَّجْوُودِ
أَجَلٌ جَلَانِيَّةٌ وَأَعْرُفُفْنَا وَأَقْضَى لِلْخَفْوِي وَهُم قُفْوُودِ
وَأَقْلَسَ نَابِيْنَا مَغْرَقِيْ خَرْبِ نَعِيْنِ غَلِي السَّيْدَانِ أَوْ يَسْمُودِ

حيث " انتصب أجل بفعل مضمر، كقوله قال: لم أر أجل جلالة منهم، لكنه اختصر وحذف " (٣).

(ب) حذف المفعول:

مثل قول عمرو بن ضبيعة الرقشي:
(الطويل)
أَلَا يَنْتَقِلُ مَنْ شَاءَ ، خَا شَاءَ ، إِنْ شَاءَ يُلَاحِظُ الْفَتَى فِينَا اسْتِطَاعَ مِنْ الْأَسْرِ
فالشطر الأول من البيت حذف فيه المفعول على تقدير " أي من شاء القول، فحذف
المفعول ما شاء قوله ، ثم حذف المضاعف لصار ما شاءه، ثم حذف المعقد المنصوب على العبرة " (٤).

ونظر كذلك تعليق ابن جني على قول شاعر الحملة:
(الطويل)
قُلْتُ لَيْسَ : أَهْلًا وَمَنْهَلًا وَمَرْخَبًا بِمَوْقِدِ شَارٍ مُخَشِدٍ مَنْ يَزُوْدُهَا
بالقول: " مفعول محذوف، أي محمد لها أو محمد ها من يزودها. وحذف المضاعف، أي محمد أهلها.
وهذا اسم الفاعل من أحمدت الشيء إذا وجنته محمودا " (٥).

ولقد حذف أحد المفعولين، كما في حذف أحد مفعولي كفى، في قول قبصة بن النمرات الجرمي:
(الوافر)

(١) ابن حمز: مشكل أبيات الحملة: حملة (١٦٥)، ص ٢٢٥.
(٢) اللزوي: شرح ديوان الحملة: حملة (٥٨٢)، (١٤١٢ / ٢).
(٣) نفسه: حملة (٦٩٧)، (١٦٠٠ / ٢)، (١٦٠١).
(٤) ابن جني: مشكل أبيات الحملة: حملة (٢٨٤)، ص ٣٤٢.
(٥) نفسه: حملة (٣٥٥)، ص ٣٩٥.

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني الفكر والحذف

أَلَا نَمَّا عَمِينَ فَاصْخَبِي وَيَكْسِي عَلَى فَرْجٍ لِيَرْسِبَ السُّدُحُ فَنَابِ
وَمَا لِلْفُتُوتِ لَا تَبْكِي لِحُزْنٍ وَزُنْدٍ وَأَبْنٍ عَثَمَهَا فَنَابِ
وَعَبْدَاهُ وَمَا لِقُلُوبِي خَلَّيْ وَمَا يَخْفَى بِزُنْدٍ مَنَاءَ خَلَابِ
وَجِئْنَا أَفْهُونَ الْأَنْوَالِ هُنَا وَجِئْنَا مَنَاءَ لَمَنَاتِ لُةِ الْإِلَافِي

لـ " قوله (الرب الدهر كاف) قد حذف أحد مفعولي كنى، كنه كاف الناس ريب الدهر، أي ما ريب من أحداثه " (١).

أر قد بحذف المفعولين، كما في قول سلمى بن ربعية:
وَمَلَاخِ نَائِلِيَّةٍ كَفَلِيَتْ وَقَلَرِي نَوَاتٍ قَلَابِي مِنْ مَطَاةٍ وَعَلَابِ

إذا نجد أن " وكفيت يتعدى إلى مفعولين وقد حذفهما، كنه قال: كنيته العشرة. يقول: ررب منزلة فلخت، لنا دفعت انشر فيها، وكفيت قومي الاهتمام بها؛ ورب فارمى مقيت رمحي من دم ظهره للعل بعد النهل " (٢).

وقد كثر ورود هذا الشكل من أشكال الحذف - أعني حذف المفعول - كثرة مفرطة، ولعل من أكثر الشعراء الذين أشاروا إليه ونهبوا عليه المرزوقي (٣)، ولكنها إشارات تقف - في معظمها - عند الجانب النحوي، مفتقرة إلى العبث البلاغي في التحليل والتفسير.

(ج) حذف الجملة الفعلية:

وقد حذف الجملة الفعلية، للاختصار والإيجاز، كما جاء في قول شاعر الحماسة (حسان بن ثابت) (الطويل)
سَمِعُوا نَحْوَ قَيْسٍ الْقِسْمُ يَنْتَبِزُونَ بِأَسْمَاءِ فَهُمْ خَشَى خَوْفَ فَنَنْظُرُوا

" في الكلام اختصاراً، كنه قال: ابتكروه بالأسمايف وضربوه حتى سقط، فحذف ضربوه " (٤).

٣ - الحذف في جملة الشرط:

(أ) حذف جواب إن:

مثل قول رجل من لعنير، وقد قرئ لأبي الغول الطهوي:

إِذَا لَمَامَ بِشَصْرِي مَغْفِرٌ خَشَنٌ جُنْدُ الْخَلِيفَةِ إِنْ نُو لَوْثَةٌ لَا

" فإن قلت: فلين جواب قوله: إن نو لوثة لانا، قيل: محذوف، دل عليه قوله: خشن، أي إن لان نو لوثة خشنوا هم. ودل للمفرد الذي هو خشن على الجملة التي هي خشنوا لو يخنشوا، وذلك لمشابهة اسم الفاعل وما يجري مجراه الجملة، بما فيه من الضمير " (٥).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣٥٨)، (١٠٣١ / ٢)، (١٠٣١ / ٢).

(٢) لسان: حماسة (١٧٨)، (٥٤٩ / ١).

(٣) قنبر على سبيل المثال لا الحصر: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٤٠١)، (١١١٩ / ٢)، وحماسة (٤٠٣)، (١٢ / ٢).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (١١٣)، (١٢٩٠ / ١)، وحماسة (٥٧٩)، (١٤٠٥ / ٢)، ... الخ.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (١١٣)، (٢٢٩ / ١)، (٢٢٩ / ١).

(٥) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة، ص ١٨، ١٩.

وقول عمرو بن معد يكرب:

لَسَـيْنِ الْجَنَّةِ أَلْ بِمَنْزِلِـي . فَـأَعْلَمُ وَإِنْ رُدُّـيْتُ بِـرُزْدَا

"جواب إن محذوف يدل علميه ما يصحبه، وهذا كقولك: أنت ظالم إن فعلت، أي على معنى إن فعلت ظلمت، فكذلك هذه فكلمة قل: "إن رديت بردا" فاعلم أن الجمال في إعداد آلة الحرب لاجتياز المجد، لا فيما نلته، وتكمل به" (١).

(ب) حذف جواب لما:

مثل قول المساور بن هذيل:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فَبُتُّ غَمِيضًا تَوَقَّضْتُ لَارْفَا وَتَسْتَفْرِ

"جواب لما منتظر، وهو هنا محذوف يدل عليه الكلام، كقوله قل: انقبضنا عن النهوض فيها والحراك، لننظر ماذا نكون" (٢).

(ج) حذف جواب "لو":

كما في قول التميمي الحارثي:

وَقَدْ سَأَلْتَنِي مَا جِئْتَ الْخَرْبَ بَيْنَنَا بِتَنِي غَمًّا ، لَوْ كَانَ أَمْرًا مُذَاتِنَا

"جواب لو محذوف أي لو كان أمرا مدانيا قريبا يغتفر مثله لغفرنا، دل عليه قوله: بني صناد لأنهم إذا كفروا بني عم كانوا بالعمو فيما يحسن فيه العفو خلقاء" (٣).

٤ - الحذف في شبه الجملة:

(أ) حذف المضاف:

وشواهد كثيرة ومتعددة، وسكتفي هنا بشاهد أو اثنين، مشيرًا في الهامش إلى باقي الشواهد الموجودة.

مثل قول أبو حنيفة الأبراه بن ربيع الفقيمي:

ثَنَيْنِي فَبَدَّلُوا ثَوَابِي فَبَدَّلُوا ثَوَابِي بِهَمِّ ثَنَيْتُ أَهْلِي مَا أَشَاءُ وَأَتَمَّعُ

يقول ابن جني: "أصل هذا ما أشاء أعطاه، لحذف المضاف لدلالة الموضع عليه، فصار أشاء، ثم حذف الضمير من الملة على جري العرف فيه وللعادة" (٤).

وقول بشر بن المخزومي الملهب بن أبي صفرة، وقال بشر:

وَكُلُّهُمْ فَذَنَالٌ شَبَّغًا لِيُظْفِرَ . وَشَبَّغَ الْفَتَى نَوْمٌ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ

(١) ابن جني: مشكل أبيات المعاني، ص ٧٣.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان المعاني، ج ١، ص ١٥٥، (١ / ١٦١).

(٣) ابن جني: مشكل أبيات المعاني، ص ٥٨.

(٤) نفسه، ص ٢٣٠.

له " الشيع الشيء من الطعام المشبع، والشبع مصدر شبع وت إذا كان كذلك وجب حذف المضارع، أي ونيل شبع انتهى لزم. ألا ترى أن نفس الجوهر المشبع ليس لزوما ولا كرما " (١).

وبضيق المقام عن ذكر باقي الشواهد التي شغلت حيزا كبيرا من أسلوب الحذف عند الشراح (٢)، والتي يظهر من حللها اكتفاء الشراح بالتنبيه على موضع الحذف، وتنوعه، دون التطرق - في كثير من الأحيان - إلى غرضه، وأثره البلاغي في السياق.

(ب) حذف اسم الزمان:

وقد ذكر بشكل مفرد، لذلك سنكتفي بشاهد، ونشير إلى باقي تلك الشواهد في الهمش، مثل قول شاعر الحماسة: (عمرو بن معديكرب)

وإنَّ صنَّجَ منساباً يُوغِرُني مائدةً في الأساس ما عشتُ شجيرُ

هـ " موضع ما عشت ظرف، بيانه أن ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسم الزمان محذوف معه، كقوله قال: مدة عيشي " (٣).

و - حذف الحرف:

ولم يحذف الحرف تخفيفاً في النطق، وبعنا عن الاستئذان. ومن أهم الحروف التي تحذف وحرف الشراح على الإشارة إليها:

(أ) حذف حرف الجر " من ":

مثل قول شاعر الحماسة:

إنَّني امرؤٌ نجى الرِّجالَ غداً وتي وجُد الرُّبابَ مِن السُّبابِ الآنَ

" أراد من غداً وتي، ألا تراه قال فيما بعد: وجد الركاب من السباب " (٤).

موضحين سبب الحذف أحكاماً، كما في قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

شَفَعْتُ القَتْلَ ثُمَّ نَزَرْتُ لِيهِ هَسَاكَ فَبِصِمَ فَأَتَانَا الفُطُورُ
تَغْفَنُ حَيْثُ لَمْ يَنْلُغْ شَرَابٌ وَلَا خَزَنٌ وَلَمْ يَنْلُغْ مَنَزَلُ

" قوله التام الفطور، أراد الفطور منه، فحذف تخفيفاً، لأن المراد معلوم " (٥).

(١) ابن حبيش: مثل البيت المملة، حماسة (٥١)، ص ١٠٦.

(٢) انظر على سبيل المثال في حبي: مثل البيت المملة، حماسة (٦٠)، ص ١١٠. وانظر كذلك على سبيل المثال لا الحصر: المروزي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (١٢)، (٩٠/١)، وحماسة (٣٢)، (١٦٠/١)، وحماسة (٣٢)، (١٧١/١)، وحماسة (٤٢)، (١/١)، وحماسة (٦٦)، (٢٤٩/١)، وحماسة (٧٢)، (٢٦٤/١)، وحماسة (٤٣٨)، (١١٨٠/٢)، وحماسة (٤٥٥)، (٢/٢)، وحماسة (٤٥٦)، (١٢٢٣/٢)، وغيره الكثير مما لا يتسع للمحل لذكره.

(٣) المروزي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٣٥)، (١٨٣/١)، وانظر على سبيل المثال لا الحصر كذلك حماسة (١٤٧)، (١/١)، وحماسة (٢١٢)، (١٤٤/١)، وحماسة (٢٦٠)، (٧٧٥/١)، ... إلى آخره من الشواهد التي يحصى الشرح عن نكرها جميعاً.

(٤) ابن حبيش: مثل البيت المملة، حماسة (٧٩)، ص ١٢٧.

(٥) المروزي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٥٥١)، (١٣٥٤/٢).

وقول يحيى بن رباب (الطويل)

منضى مناجبي واستقبل الدهر منزعتي فلا بد أن أنقى جنابي فأصعرا

"ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بد أن يكون كذا، وأن يحذف حرف الجر معه كثيراً" (١).

(ب) حذف حرف الجر "عن":

مثل قول بعض شعراء حمير: (المنسرح)

ولا نجسيم ألفاء فأربهم حصى يشق الصفوف من قزمية

"يقول: ولا يجين عن ألفاء فارسهم ليحجم، ولا يضعف دونه فيحار، بل يقدم إقداماً تغرق الصفوف به عرة بقي، وكرم عرق. واللقاء يتصب على المفعول، الأصل عن اللقاء، فلما حذف حرف الجر تحنيماً وصل الفعل فعل " (٢).

ومثله قول الربيع بن زياد العبسي: (المقارب)

غداة منزرت بالزنا ب تعجسل بالركض أن تلجس

"كان الواجب أن يقول تعجل بالركض عن أن تلجس، فحذف الحار ووصل الفعل فعل. وفي القرآن: "وما أعجلك عن قومك يا موسى" (طه / ٨٣) " (٣).

(ج) حذف حرف الجر "في":

كقول أوس بن جناب: (الطويل)

فإن أنت لم تثبز غلى أن تثبزه فمزة إلى النجوم الذي أنت فابزة

يقول المرصفي: " (أنت قلاره) يريد أنت قلار فيه فحذف الجار وهو يريد " (٤).

ويقول الأعلام الشنمري في قول سعد نقيب المازني: (الطويل)

وليس اللون ضفت، والشراية هينة ومن لا يهب يحمي غلى مزغب وغر

"أراد "في الشراية هينة" فحذف حرف الجار لما تقدم ذكره، وهذا كثير في الكلام والشعر كما قال تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" (يونس / ٣٦ ، ٣٧) ثم قال بعد: "والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة" أراد وللذين كسبوا الحذف لعلم الملمع " (٥).

وقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: (البسيط)

لا تظنوا أن تثبونوا ونظرونكم وإن تظف الأذى غنم وتؤذونا

(١) المرزولي: شرح ديوان الحماسة: جملة (٢٨١)، (١ / ٨٦٢).

(٢) نسخة: حماسة (١١١)، (١ / ٢٢٢).

(٣) نسخة: حماسة (١٦٢)، (١ / ٤٨٥).

(٤) المرصفي: أسرار الحماسة، ص ٨.

(٥) الأعلام الشنمري: تبلي هو المقي، ص ٢٥٠.

"يقال: طمع فلان في كذا طعاماً وطعاميةً ومطعماً. وأرسل الفعل بنفسه من دون في، لأن أن الخفيفة والشديدة إذا اتصل بها حروف الجر حسن حذفها لطول الكلام بها. تقول: أنا راغب في أن ألقاك، وطمع في أن يحسن زيد إليك، ولو قلت: أنا راغب أن ألقاك، وطمع في أن يحسن زيد إليك، على أن أصلك لحازر. ولو جعلت مكان أن المصدر قلت: أنا راغب في لقاك، وطمع في إحسان زيد إليك، وحريص على صلتك، لم يحز حذف حرف الجر. لا تقول: أنا راغب لقاك، وطمع إحسنه إليك، وحريص صلتك، لأن ما كان بطول الكلام به لم يحصل. يقول: لا تقدروا أنكم إذا احتتمونا قبلناكم، بالإكرام، وأنكم إذا أتيتمونا كفنا عن أذاكم، لأن عزتنا تمنع من ذلك" (١).

(د) حذف حرف الجر " اللام " :

(الطويل)

مثل قول جزء من بن كليب النقيعي:

ثَبَّيْني ابْنَن فُؤُوزٍ وَالْمُطْلَقَةَ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَا أَنْ شَتَوْنَا لِمَا لَيْلَا

"قوله " أن شتونا " موضعه نصب، أصله لأن شتونا، فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل لفعل. ومعنى شتونا: قحطنا وأقمنا في التحط كما تقول شتونا بمكان كذا. ويقال: اثبتنا، إذا أريد خلفنا في الشتاء" (٢).

(هـ) حذف حرف الجر " الباء " :

وحذف الحار - ومنها الباء - مع أن كثيراً، كما في قول تيلة بنت النضر بن الحارث: (الكامل)

ظَلَمْتُ سَيُوفَ بَنِي أَبِيهِ تَوَافُةً هـ أَزْهَامَ هَـمَاتٍ شَتَقَتْ
أَحْمَدَ وَأَتَيْتُ نَجْدَ نَجِيَّةً مِنْ قَوْمِهَا وَاللَّحْنَ فَخْلَ مَفْرِقٍ
مَا كَانَ ضَرْكُ لَوْ مَثَلَتْ وَزَيْمًا مِنْ الْقَلَى وَفَوْ الغَيْظِ الْمَخْلَقِ
وَالضَّرَّ أَقْرَبَ مِنْ أَسْبَبِ وَسِيْلَةٍ وَأَحْفَ مِنْ إِنْ كَانَ عَشَقٌ يُطَوِّقُ

وقولها وأحقيم إن كان عتق يعق أرادت: وأحقيم بأن يعق إن كان عتق، أي إن وقع عتق، لحذف الباء، وحروف الحر مع أن تلقى كثيراً" (٣).

(و) حذف حرف الجر " على " : مثل قول كنزة في مية:

أَلَا خَبِيْذَا أَفْـلَـحَ الْعَمَلُ غَيْرَ آتٍ إِذَا تُكْسِرَتْ مِـيٌّ فَلَا خَبِيْذَا هِيَ
عَلَى وَجْهِ مِـيٍّ مَخْخَعٌ مِـيْنٌ مَخْخَعٍ وَتَحْتَ الثَّيَابِ الْجِزْءُ لَوْ كَانَ بَابِيْذَا
أَلَمْ تَرَ لِيَّ الْعَمَاءَ يُخْبِئُ طَفْعُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْ أَنَّ الْعَمَاءَ فِي الْفَتَنِ صَالِيْنَا
إِذَا مَا أَسْمَاءُ وَارِدَةٍ مِـيْنٍ ضَرْوَرَةٍ ثَوْنِي بِأَضْغَابِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيْنَا
خَذَلْتِ مِـيٍّ فِي الثَّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَتَوَانِيْنَا يُخْبِئُ مِنْهَا الْمَخَازِيْنَا
فَلَوْ لِيَّ غِيلَانِ السُّلُكِي بَدَتْ لِيَّ مَجْرَدَةٌ يَوْمًا لَنَا قَالِذَا لِيْنَا
فَقَوْلِي مَضَى مِنْهُ وَلَكِنْ لَرَدُّ إِلَيَّ لِحُورِ مِـيٍّ أَوْ لِمَنْبَغِ مَنَالِيْنَا

(١) البردوني: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٥٥)، (١ / ٢٢٤) .

(٢) نفسه: حماسة (١٢)، (١ / ٢٤١) .

(٣) نفسه: حماسة (٢٢٧)، (١ / ١٦٦) .

الفصل الأول: علم المعاني القضايا البلاغية

"قولها بأضعاف الذي جاء، تريد جاء عليه، فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه، فصار جاء، ثم حنف الضمير من الصلة استقلالاً واستطالة لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول، ومن حوز حنف الجار والمجرور من الصلة فالأمر عنده أقرب" (١).

ومما وقع فيه حنف "على" مع "أن" لطوله بصلته، قول حنوح بن حنوح:

مَا أَقْدَرُ اللَّهَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَيَّ شَيْخٌ مِنْ دَارِهِ مَنْوُورٌ
اللَّهُ يَنْظُرُ فِي سَمَائِطِ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا خَشْيَ يُسْرِ الرُّيُوحِ مِثْلُهُ وَهُوَ مَا هُوَ

"قوله" ما أقدر الله "لفظه تعجب ومعناه الطلب والتمني. وكان الواحد أن يقول: ما أقدر الله على أن ينجني، فحنف الجار، ومثل هذا الحنف يكثر مع أن لطوله بصلته" (٢).

(ز) الألف: كما في قول رجل من شعراء حمير:

كَلَّمْنَا الْأَمْسَدَ فِي غِيَابِهِمْ وَخَنَ كَالنَّيْلِ جَسَدَانِ فِي قَتْبِهِ

"ينبغي أن يكون ما أراد في قتلته، فحنف الألف تخفيفاً" (٣).

وقول عمرو بن معد يكرب:

عَلَامٌ تَقُولُ السُّرْمُخَ تَقُولُ سَابِجِي إِذَا أَنَا لَمْ أَظُنْ إِذَا الْخَيْلُ قُرِبَ

يقول الشارح: "ما في الاستهلال إذا اتصل بحرف جر بحنف الألف من آخره تخفيفاً، على ذلك فم وبم ولم، إلا إذا اتصل ما بدأ قلت: بماذا ولماذا، لأنه يترك على ثمنه" (٤).

(ح) التاء: كما في قول عبد الملك بن عبد الرحيم العارضي، ويقال إنه للسوول ابن عاتيا اليهودي:

وَمَا قُلْتُ مَنْ فَاتَتْ بِفَاتَا مِثْلَنَا شَيْبَةً شَتَانِي بِالْغُلَا وَقَوْلُ

"وقوله تسمى أراد تسمى، فحنف إحدى التائين استقلالاً للجمع بينهما" (٥).

وقول حبيبة لبنة عبد المعز:

أَلَيْسَ الْفَتَى نَزَّ ثَمْنَا نَاقِي فَفَعْنَا مَفَابِمَهَا التَّجْبِيعَ الْأَسْوَدَ
إِلَيَّ وَزَيْدُ الرَّاقِصَاتِ إِلَيَّ مَنَى بِغُصُوبٍ مَنَى هَذِيئُ مَنَافِئِ
أَوَّلِي عَلَيَّ هَذِهِ الطُّفَاعُ أَيْلُةً أَيْدَا وَلَيْلِي أَوَّلِي وَأَتَشَفُّ

"تريد ابتلاك ناهي، أي أنتحبس وتبطل، فحنف إحدى التائين تخفيفاً، لأن الإدغام ممتنع هنا" (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصلابة: حماسة (٦٦٨)، (٢ / ١٥٤٢، ١٥٤٣).

(٢) ناسخ: حماسة (٨٢٧)، (٢ / ١٨٣١).

(٣) ابن حني: مشكل أبيات الحماسة: حماسة (٧١)، ص ١١٩.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٩)، (١ / ١٥٩).

(٥) ناسخ: حماسة (١٥)، (١ / ١١٢).

(٦) ناسخ: حماسة (٧١٦)، (٢ / ١٦٣٦).

(ط) حذف حرف " التو " : والتي قد تحذف النون استطلاعة للاسم بصلته، كما في قول العديل بن النفرح المعلي:

هَذَا نَفْسُ الْأَرْضِ الْأَذَا لَوْ تَرَعَزَعَا تَرَعَزَعُ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى الْمَ
" أراد اللذان، فحذف النون لطول الاسم بصلته " (١).

" أراد تشويقني، فحذف النون الثقبة على ما تقدم " (٢).

أو للتخفيف كما في قول الطرماح بن حكيم الطقي:

(الطويل)
وَأَنسِي شَقِيًّا بِالْأَنَامِ وَلَا تُنْزِي شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا غَرِيمَ الشَّحَابِ
" قوله " وبني شقي " أصله أنني، لكنه حذف النون الأولى من أن تخفيفاً لأنه اجتمع ثلاث نونات " (٣).

وقد يوق الشارح في ذلك ما يدعم رأيه من أشعار العرب، من خلال نثره للمعنى، وشرحه له، كما جاء في قول رجل من بني كليب:

(الوافر)
وَحُشْتُ نَاصِيَتِي طَرِيًّا وَشَوْفًا إِلَى نَبْتِ الْخَبَرِ شَوْقِي
يقول الشارح " قوله تشوقيني حذف نونه استقلاً لاجتماع نونين، والأصل تشوقيني. ومثله في الحذف قول الآخر:

يُسَوِّدُ الْفَالَيْتِ إِذَا فَنَيْتِ

يريد فليتي. والمعنى: اشتكت نالتي حقة لطربها وشوقها. ثم أخذ بخاطبها منكراً عليها ما ظهر منها فقال: تشوقيني بحنينك إلى من؟ أراد أنه مع حصول اليأس يجب ألا تحن ولا تشوق. ويجوز أن يكون المعنى تعظيم المشتق إليه، فكأنه قل: تشوقيني إلى من بحنينك؟ أي إلى إنسانٍ وأي إنسان؟ ومن من قوله إلى من في هذا الوجه يكون نكرة غير موصوفة وإن كان الكلام خبراً، وفي المعنى الأول يكون من اسنداً. ونقول: مررت بما صالح، ومررت بمن كريم، تريد بقسبان كريم " (٤).

(هـ) حذف " الباء " : مثل قول بشر بن المغيرة:

(الطويل)
فِيَا عَمَّ مَهْلًا وَأَتَجِدُنِي لِنَوْبَةٍ تَبِمُ قُلُوبُ الْمُهْزَجِمْ نَوَابِي

" وقوله " يا عم " حذف الباء منه لوقوفه موقع ما يحذف في هذا الباب، وهو التثوين، ولأن باب النداء باب إيجاز، ولأن الكسرة تدل عليه " (٥).

(١) أبي جني: مشكل أبيات المصنف: حمصية (١٣٣)، ص ١٩٣.

(٢) نفسه: حمصية (٥٨)، ص ١٠٩.

(٣) المرواني: شرح ديوان المصنف: حمصية (٥٦)، (٢٢٧ / ١).

(٤) نفسه: حمصية (٩٠)، (٢١٤ / ١).

(٥) نفسه: حمصية (٧٢)، (٢١٦ / ١).

(ك) حذف الهمزة: قبلي جلق حذف الهمزة تخفيفاً، كما في قول المهلول بن هبيرة: (الطويل)

أَبْنَيْسِي وَفَزَ لَا تَنْزِلَ الْغُرَيْرَةَ عِزْزِيَّةَ إِنْ لَيْسَ خَالِدٍ مِنْ آلِ مُلَيْحٍ بِنِ جَنْدَلٍ
فَمَا أَتَيْتَنِي لَيْسَ مَا لَيْكَ يَغْدُ ذَابِعٍ وَلَا أَتَيْتَنِي فِي دَارِيعٍ يَغْدُ نَهْشَلٍ
وَمَا أَتَيْتَنِي فِي نَهْشَلٍ يَغْدُ جَنْدَلٍ إِذَا مَا ذَعَا الدَّاعِيَ لِأَمْرِ مَجْدَلٍ
وَمَا أَتَيْتَنِي فِي جَنْدَلٍ يَغْدُ خَالِدٍ لِبَطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لَيْلَانٍ مَجْدَلٍ

" قوله (الكتي) أي أعنى على إداء الركتي، وهي الرسالة. وقد تقدم القول في هذه اللفظة؛ وإن أصلها الكتي، فتلج وقد لزم على الهمزة فصار للكتي، ثم حذفت الهمزة استغناءً وأقيمت حركتها على اللام فصار الكتي " (١).

لو لكثرة الاستعمال كما في قول قرط بن حنشل الصاردي: (الطويل)

لَقَسُومِي أَرْغَى لِبَغْيِي مِنْ عَمَانَةٍ مِنْ النَّاسِ نَا خَسَارٍ بُنْ عَمِيرٍ تَمْنُوذَا
وَأَنْتُمْ مَسَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ بِزَهَا بِأَبْدَةٍ تَجْجِي شَبِيدٍ وَبِيْذَا
نَقَطُوعٍ أَطْنَابِ النَّيْبِوتِ بِخَابِيبٍ وَأَقْلَبُ شَرِيحٍ بِزَهَا وَزَعُودَا
فَوَيْلُنَا خَيْلًا نَهْمَاءَ وَشَارَا إِذَا لَأَقْلَبُ الْأَغْدَامَ لَدَوْلَا مَدُودَا

" وقوله لو يلما خيلاً انتصب خيلاً على التمييز، وحذفت الهمزة من أم في قوله ويلما لكثرة الاستعمال، وليس الحنف هذا بقبيل. واللفظة تفيد التعجب " (٢).

قد يحذف أكثر من حرف في الكلمة، مثل:

- حذف الهمزة والياء: كما في قول مرة بن معكل: (البيط)

مَآذَا تَنْزِلَ أَنْ لَيْتَهُمْ لَأَرْجَلَا لَيْسَ جَانِبِ النَّيْتِ أَمْ لَيْتَنِي لَهْمُ قَيْنَا
لِيُزِيلَ السَّيْرَادَ مَقْطَعِي بِخَاجِرَا مَنْ تَمَانِ تَغْرَا نُهْمَا أَوْ يَقِي خَمْنَا

" ترين: أصله ترأين، لأنه فعلين، فحذفت الهمزة استغناءً بعد أن أتت حركتها على الراء، فصار ترين ثم ثبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان، وحذفت الألف منهما فصار ترين. والمعنى: أخبريني بعد رحولك إليهم ماذا نكته في شأنهم، وما الذي يرونه في إقامتهم وطمعهم، لأن أرادوا إطالة اللبث بنياد لهم قبلما يتفردون فيها، لذلك لئس لهم، وأبقى لحشمتهم؛ وإن أرادوا تخفيف اللبث حلفناهم بأنفسنا، وأنسبهم من رحلنا في حوائب بيوتنا، لأن الصير مع خفة الثلوم منهم على ما يحترض من أحوالهم ممكن " (٣).

- أو حذف النون والياء، كما في قول سويد بن مشنوء: (الطويل)

لَيْسَ غَمْلَكُ مَسْمُوعُوا فَسَلَا تَقَرُّوْهُ إِنْ لَيْسَ بِسُومٍ وَأَعْرَضِي لِمَسِيلٍ
لَهَيْتُكُمْ غَمَةً فِي الزَّوْجَانِ السَّوِي مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْغَاوِي لِأَوَّلِ قَيْلٍ

(١) السريدي: شرح بيان الصلابة: حاشية (٢٥٦)، (١٠٢٧/٢).

(٢) نسه: حاشية (٥٦٦)، (١٤٣٠/٢)، (١٤٣١).

(٣) نسه: حاشية (١٧٦)، (١٥٦٥/٢)، (١٥٦٦).

" وقوله: لا تذكرته إلي كسر الراء منه لأنه محاطبة مؤنث، والأصل فنكرين، فحذف النون الأولى للجزم، ثم حذف الياء لالتقاء الساكنين، فصار فنكرن. والمعنى: لا ينتهين نكره إلي، ولا يتجاوزن نكره إلي بسوء. فعدي فنكرن تحية تتجاوزن إلي، حملاً على المعنى " (١).

٦ - حذف التثوين، كما في قول أعرابي:

(الرحز)

١ - ألا فتى ثل الغلابه

٢ - لئن أبوه بئز غم أنه

٣ - قزى الرجال نهتدي بأهله

" قوله ألا فتى تمن، وألف الاستفهام دخل على لا التلقية لهذا المعنى، ولذلك حذف التثوين من فتى " (٢)

٧ - حذف الضمائر:

وقد تحذف ضمائر الصلة؛ استطالة للاسم بصلته، مثل قول مع بن نوس:

(الطويل)

فكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبَ رَامَ ظَنَّنِي فَقَدْ سَوَّغًا بِأُذِي كُنْتُ أَفْغَسُ
فَكُنْتُ لِي ظَهْرَ الْعَجْنِ فَلَمْ أَنْمُ غَنَسِي إِذَا لَا زَيْتَ مَا أَتَخَوُّ
إِذَا أَصْرَفْتُ ثَمْبِي عَنْ الشَّيْءِ لَمْ تَكُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ أَخْرَ الدُّهْرِ تَقْبَلُ

"يقول وإذا رأيت صاحبي يتحنن علي ويحرم، ويتعلل علي ما ينتج طنه ويراد نيمته، ويطبق بفتح آخره، ويسدل حسني، تحننه عوا، وقلب له ظهر الترس متباً منه، ومنطقاً له، ولم ادم على تلك الحال المستمرة معه إلا قر ما تحول، وبطه ما كنتل، فقوله (رام ظنني) أن: رام ارتفاع الشبهة على وقوله (بالذي كنت افعل) أي فعله، فحذف الضمير استطالة لصلة الذي" (٣).

وقول عروة بن الورد:

(الطويل)

أَرَى أُمَّ حَمَّانَ الْغَسَّاءِ تَلُومُنِي تُخَوِّلُنِي الْأَغْنَاءَ وَالنُّفُسَ أَخْوَفُ
نَفْسِي الَّذِي خَوَّلَتْنِي مِنْ أَمَانَتِي رُصَائِفُهُ قِي أَهْلِي الْمُتَخَلَّفُ

" يقول: لما هممت بالسفر وجعلته مني ببال اعترضت هذه المرأة علي وأقبلت تلومني وتحذرنني الأعداء في الوجه الذي أردت تبميمه، ونفسي أشد خوفاً لأنها حلسمة حذرة، لكني تجلدت لها وأجبتها بأن الذي لنذلائته من قدامنا، والسمت الذي هو نيتنا وطيتنا، لعله يلقاه المتخلف عن السعي في طلب الرزق المقيم في أهله راضياً بألمون العيش؛ لأن الحذر لا يضي عن الفقر، وقد يؤتى الإنسان من ناحية أمنه، ويصاحف فيه ما لا يصاحفه الخلف من ناحية خوفه. وقوله خولفتنا حذف الضمير للعقد إلى الذي منه، استطالة للاسم بصلته " (٤).

أو يحذف الضمير تخفيفاً، كما في قول إياس بن مالك:

(الطويل)

بِمَا نَلَلْتَنَا طَامَعٌ بِقَبِيحَةٍ وَالَّذِي دَرَّ الرُّخَصُ مَا هُوَ قَابِزُ

(١) الموزوني: شرح ديوان المسند، جملية (١١٣)، (٢ / ١٤٦١، ١٤٦٢).

(٢) بضمه جملية (٧١٠)، (٢ / ١٧٦١، ١٧٦٠).

(٣) بضمه جملية (٤٠٤)، (٢ / ١١٣١).

(٤) بضمه جملية (٧١٥)، (٢ / ١٧٦٢، ١٧٦١).

" المعنى: كل واحد من الفارين طمع في اختتام صاحبه، أي بعده غيماً، لثقت به بيلمه ونجسته. والله عز وجل قد قدر من الإظهار وإعطاء الفلج والغلبة ما قدره لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره. ويقال قدر من التقدير، قنراً وقدرأ. ر" هو قدر " إن شئت جعلت ما موصولاً بمعنى الذي، وإن شئت جعلته موصولاً بمعنى شيئاً. وعلى الوجهين وجب أن يقول ما هو لغيره، فحذف الضمير تخفيفاً " (١).

أو لأن المراد مفهوم، مثل ما جاء في قول المتنم بن رباح:

وَقَدْ نَجَزْتُ نَاجِزَةً وَضَعْتُ بِالْفَرَةِ وَالطَّرِيقَ غَائِثِيَةَ الْغَوَايِ وَقَدْ غُ
بَنِيْتُ فِي جَنِّيَّةٍ جَزْئِيَّةٍ يَنْبِرُ الْأَصْنَمُ مِنَ الْجِطَامِ وَيَقْطَعُ

" قوله " غائثية الغواني " وجب أن يكون فيه ضمير للناتية، حتى يكون بين ذي الحال وبينه تعلق. فحذف ذلك الضمير لأن المراد مفهوم، ولو أتى به لكان والظير غائثية الغواني إياها وقع عليها " (٢).

أو لأن الضمير لا يخل، مثل ما جاء في قول برج بن مسهر:

مَنْزَتْ مِنْ بَوَى الْمَرْبُوتِ حَتَّى تَجَاوَزَتْ إِلَى وَفَوَيْهِ مِنْ قَنَاطٍ شَجُونَهَا
إِلَى رَجَلٍ وَزَجَى النَطَرِ عَلَى الْوَجَى بِقَافَا وَتَشَلَّى بِالْأَسْتَامِ مَسْمِيْنَهَا
فَبَلَّغْتُمْ مِنْهَا بِالْمَرْجَلِ طَبْخَةً وَلِلطَّرِيقِ مِنْهَا فَرْشَتُهَا وَجَنِيْنَهَا

يقول للشارح: " ويشقى بالمتن سمينها، أي بالمتن له، فحذف الضمير لأنه لا يخل. والمعنى أنه لا ينحر سمان الإبل للغة والضيوف. وقوله فللقوم منها بالمرجل طبخة منها رجع الضمير إلى قوله سمينها، لأنه أراد بها الجنس. وهذا إخبار عن حالتها وقد جزرت. فيقول: للوارد منها طبخة في المرجل، وللظير فرشها والورد الذي في بطنها " (٣).

٨ - حذف المصدر:

مثل قول زبدة الحارثي:

وَمَا تَزْدِينَا الْكَبِيرَ إِذَا غَلَبَتْهُمْ إِذَا كَلَمُونَا أَنْ تَغْلِبَهُمْ نَزَرْنَا

" ينقص قوله " نزارا " على أنه صفة لمصدر محذوف، كنه قال: نكلمهم كلاماً نزاراً. والمعنى لا يستحقنا التكبر إلى أن تتعالى عليهم، ونقل الكلام معهم ترفهاً عن مساواتهم، بل نبسطهم ونكسرهم في القول والسؤال، اينما لهم وتمكيناً منهم " (٤).

وقول حجر بن خالد:

مَشَى تَحْتَ النَّعِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالْثَقْدَى وَشَصِيحُ الْخَصْرِ جَزَاءُ خَائِلٍ
لَا مَلِيكَ مَا يُدْرِيكَ مَنَافَةُ وَلَا مَنَافَةُ مَا يَنْتَحِفُ بِأَبْطَلٍ

(١) المروقي: شرح ديوان الحماسة: ص ١٩١، (١ / ١٩٧، ٥٩٨).

(٢) نفسه: ص ٢٢٧، (٢ / ١٦٥٧، ١٦٥٦).

(٣) نفسه: ص ٧٨١، (٢ / ١٧٤٨، ١٧٤٧).

(٤) نفسه: ص ٦٣، (١ / ٢٢٥).

للفصلا البلاغية **=====** الفصل الأول: علم المعاني **=====** النكر والحذف
 "وقوله ما بمدحك باطلا أراد مدحا باطلا، فقتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف" (١).

٩ - الحذف في أسلوب النداء:

مثل حذف المنادى، كما في قول حفص بن غليم:
 فَيَا رَبِّ إِنْ لَمْ تَقْضِهَا لِي فَمَا تَذَعُ فَيَذَرُ لِيهِمْ وَأَقْبَضُ فَيَنْزُو كُنَّا هِيَ
 وَيَأْتِيَتْ لِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْبِهَا فَيَضِي بِسُنِّ كُنَّا لِيْهِ الْأَتْلُفُ
 فـ "قوله يائيث يريد: يا قوم ليت، والمنادى محذوف، والكلام بعده ممن في ألا يحصل الاجتماع بين
 متحليين إن لم يبرز مثله في صديقه" (٢).

هذا إلى جانب أشكال كثيرة من الحذف أشار الشراح إليها، ويضيق المقام عن ذكرها، مثل: الحذف في
 أسلوب القسم (٣)، الحذف في أسلوب التفضيل (٤)، الحذف في أسلوب الاختصاص (٥).

ومن خلال هذه الأشكال والأنواع من صور النكر والحذف، نستطيع أن نلمح مسلك الشراح في تناول
 تلك المحسّن من مناحث علم المعاني، الذي جاء جزء من كل، فما ينطبق على علم المعاني ككل ينطبق عليه بقلبيّة
 من حيث: درجة اهتمام الشراح، وأسلوب التناول .. إلخ، والتي سبق الإشارة إليها من قبل.

لذلك جاءت إشارات الشراح في هذا المقام تجاه هذا المبحث - شأنه شأن غيره من مباحث علم المعاني -
 مختصرة موجزة، وينظم وفق الإجمال التحويلي أكثر منه البلاغي، وإن لم يخل من بعض التحليلات التي ترتبط
 بالمعنى والبيان، الذي يكشف الشراح من خلالهما عن دواعي وأغراض النكر والحذف وأنواعهما.

(١) المزمولي: شرح ديوان المعاني: جلمية (٧١٩)، (١٦٤٢ / ٢).

(٢) نفسه: جلمية (٥٣٧)، (١٣٣٧ / ٢).

(٣) انظر على سبيل أمثلة: حوروقي شرح ديوان المعاني، جلمية (١٤٠)، (٢١٠ / ١)، وجلمية (٣٧٥)، (١٠٦١ / ٢).

(٤) انظر على سبيل مثال: شرح ديوان المعاني، جلمية (١٩٤)، (٥٩٥ / ١).

(٥) سي: ديوان المعاني: شرح ديوان المعاني، جلمية (٢٦٩)، (٨٠٨ / ١)، وجلمية (٢٨٧)، (١٠٨٨ / ٢)، وجمانية (٢٨١)، (١٠٦٢ / ٢)، وجمانية (٤٥٣)، (١٢١٠ / ٢)، وجمانية (٧١٤)، (١٧٧٢ / ٢).

الفصل الثاني: مباحث علم البيان وتضاريفه

أولاً: التشبيه

ثانياً: الاستعارة

obeikandi.com

الفصل الثاني: مباحث علم البيان وتضاميه

أولاً: التشبيه:

التشبيه لغة التمثيل فقد جاء في لسان العرب " الشبه والتشبيه: المثل، وأشبه الشيء مثله، وأشبهت فلاناً وشأبهته وأشبّهه علي، وتشبّهه الشينان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل " (١).

أما اصطلاحاً فيتفق البلاغيون - علي كثرة تعريفهم له - علي أن مدار التشبيه هو الاتفاق بين شيئين، في صفة أو أكثر، فهو " صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جيلت كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو نسبته مناسبة كلية لكان إياه" (٢)، أو "هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بلادة التشبيه، نوب منزه لو لم ينوب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه" (٣)، أو "هو الدلالة علي مشاركة اسم لأخر في معنى" (٤).

وقد اختلف البلاغيون في موقع هذا الفن من علم البيان، فالحسكي ومن تبعه لا يعنونه منه - وإن بحثه فيه - لأن دلالاته وضحية، بينما عده آخرون ركناً أساسياً، بل أهم الأركان فيه (٥).

والتشبيه " فن جمل من فنون القول، وهو يدل علي دقة وملاحظة الأشباه والنظائر في الأشياء، سواء أكتت مخيلات تترك بالحواس الظاهرة أم معنويات " (٦)، فهو " يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه توكيداً، ولهذا لُطِّق جميع المتكلمين من العرب والمعم عليه، ولم يستغن أحد عنه " (٧).

وقد تنبه العرب منذ القدم لأهمية التشبيه ودوره في توضيح الصورة الفنية، وكان لتشبيهات القرن وما زخرت به أحاديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - من التشبيهات البديعة، التي يرجع معظمها إلى روح القرن وصوره البيقية، أثر في كلام العرب فأدارها الشعراء في قصصهم واتخذها الكتاب أسساً لتصويرهم، فقلزوه مكفة متميزة في طوم البيان، وعقدوا له باباً واسعاً يحدد معناه، ويبين أركانه، ويوضح أقسامه وأنواعه، بل ذهب بعضهم إلى إبعاد من ذلك فالف الكتب الخاصة، كان نقيباً البغدادي (ت ٤٨٥ هـ) صاحب " الحمان في تشبيهات القرآن "، وهو أول كتاب يجمع الألف التقرانية التي توشحت بهذا الفن، ويدرسها دراسة فيها أصالة ورفق سليم (٨).

وقد تأثر شراح الحماسة بمن سبقهم، فماروا على نهجهم، ولم يغفروا بعيداً عن السورب، فاحتفوا بالتشبيه أيما احتفاء، ونهبوا عليه وعلى مواضعه داخل شروحهم، متجهين إليه بالشرح والتحليل.

(١) انظر: ابن منظور: لسان العرب: (شبه).

(٢) ابن رشيق: لصنع: ٢٨١/١.

(٣) أبو حنبل العسكري: الصناعتين: ١٢٩.

(٤) التزويني: الإيضاح: ٢١٣.

(٥) انظر: ابن بطوط المغمري: مواهب اللذات: ٢٩٠/٣، محمد بن عرفة السموقي: حاشية للسوقي: ٢٩٠/٣.

(٦) عبد الرحمن حسن جينك المديني: البلاغة العربية أسما، وعلومها، وفنونها، وصور من تشبيقاتها، ببكر حنيد من طريف وتليد: دار التلم، دمشق: دار الشامية، بيروت: ط ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، (١ / ١٦٥).

(٧) أبو حنبل العسكري: الصناعتين: ص ١٩١.

(٨) انظر: د. محمد مطلوب: فنون بلاغية ليلي والذبيح، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م، ص ٢٧، ٢٨.

ونراهم في تحليلهم للصورة للتثبيبه، يتعمقون في معناها الدلالي، وطرق الشعراء في صوغها، ومدى توفيق الشعراء أو إخفاقهم في تتولوها، وذلك عبر أحكام ومقاييس نقدية تتوافق مع العدالة والموضوعية في النقد والشحيص. وغيره الكثير من أشكال التعليق والتحليل التي سنكتشف عنه الصفحات التالية.

شرح الصورة التثبيبه وتحليلها:

نعد الصورة التي يدل عليها التشبيه أكثر ميلاً وأوضح دلالة وأنى أداء من الكلمات التي نل بوصفها الرمزي على المعنى مباشرة، نون استخدام التشبيه، لذلك فقد تناول الشراح الصورة التثبيبه بشرح وتحليل من أجل هذا المقصد.

ولذلك كل اهتمام الشراح في إطار هذه الصورة بالتثبيبه، واعتمدوا عليه - خاصة المرزوقي - في إضاءة المعنى الشعري والكشف عن دلالاته، دل إن التشبيه - عديم - أصبح لب الصورة الشعرية، فهو ول كل بصره عصاراً من عاصرها، فهو بختم جوانب أخرى. ومن ما يحطّل الشراح من خلال تلك المسطومة الفنية بتوضيح أركان التشبيه وأطرافه في إطار ضبط الصورة وتنقيها.

فهم يكونون أحببنا شرح التشبيه في تفسير معنى البيت وكشف دلالاته، كما فعل المرزوقي في تعقيقه على هذا البيت في وصف صفاء الأنساب:

قال عد الملك بن عد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للسوداء ابن عاتيا اليهودي: (الطويل)
فَنَحْنُ فَمَاءُ الْمَرْزُوقِ مَا قَبِي نَصَابِنَا فَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخِيَلِ

" ماء المطر أصفى المياه عديم، فشي صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر. والمزّن: السحاب. وقوله: ما في نصابنا كهاتم، أي ليس فينا خليل الحده، ولكن كلّ منا ماضٍ فلتدّ، ولا فينا بخيل فيعد. وهو نفى للبلل رأساً، وليس يريد أن فيهم بخيلاً ومع ذلك لا بعد " (١).

وكما فعل أيضاً الشراح في تعقيقه على هذا البيت لشبيب بن البرصاء المري: (الطويل)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوُزَّ قَمُومٌ وَأَنْفُسًا يَتَوْنُ فِي الظُّلُمِ لِلْأَسَاسِ تُورَفَا

فقال: " شبه قومه في شهرتهم والاعتناء بصحة رأيهم بالنور في الظلام " (٢).

ويأتي تحليلهم للصورة للتثبيبه ضمن تحليلهم لمعنى البيت، حتى يبدو كله منبثق عنه، مما يدل على قوة الصلة والوشيجة التي تربط التشبيه بالدلالة والمعنى. وأكثر ما نطالع ذلك عند التمرّي على وجه الخصوص، لأن إيضاح المعنى - كما أشرنا - هو جهته وقبلته.

(١) نشر المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٥)، (١٢٠ / ١)، (٢) الأشم تشتمري: تعلي شرح المعنى، ص ٦٦٢.

من ذلك تعقيبه على البيت التالي: قال أبو عبد الله: قال أحر بنم امرأته: (الحبيب)
نَقْنَنُ نَائِمِينَ وَأَتَفَّفُ فَصَبِيرٌ وَخَبِيرِينَ فَسَنَاجَةُ الْقُرْطَانِ طَارِ

" قال أبو عبد الله هذا بيت ظاهر اللفظ والمعنى. والساحة بالحجم معجمة يريد بها العود الذي يوزن عليه، وتقع الكتان في رقعها ووضعها للوزن في جاقية من عن يمين وثمنل، وأهل العراق يسمونه " التخت "، شبه جبينها به لطوله ودقته ولحشته عنده " (١).

وهو ما اعترض عليه النمرى بالقول: " قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: شُخِبَ في الإناء وشُخِبَ في الثرى. أصاب أبو عبد الله في قوله (هذا بيت ظاهر اللفظ) وأخطأ في قوله (والمعنى) لأنه غلط في هذا البيت ونكر أنه شبه جبينها بالساحة لطوله ودقته، وليس ذلك كذلك، إنما شبهه بها لوانه. وذلك أن شُخِبَ الساج لا يكون إلا أسود أكثر ما يكون. وهذا البيت في المعنى مثل قول الآخر: (الوافر)
عَبُودٌ مِنْ بَيْتِي خَامٌ مِنْ نَوْحٍ قُلُوبُ جَبِينِهَا حَجَرُ الْمُقْلَامِ " (٢).

وفي إنشاء ذلك، قد يتوجه للشارح بتحليل نحو أحد طرفي التشبيه أو كلاهما؛ ليزيل ما بهما من غموض في طريق كشفه للمعنى، وفسره للدلالة.

من الأمثلة في ذلك تعليق المرزوقي - وغيره - على التشبيه به الوارد في هذا البيت: قال أبو حبل الطائي: (البسيط)
خَشَى وَفِيَتْ بِهَا ذَهْنُهَا مَغْلُوبَةً كَالْقَارِ أَرْزَقَهُ مِنْ خَلْقِهِ قَسَارَ

" يقول: صبرت لماعز من أمي، وتصبر من وقاي وأدائي، لأخرج مما به تكفلت، من العهدة التي فيها دخلت. وقد كان أبو حنبل تضمن لسيلر فيلاً له بأصقها أو شرواها، أي مثله، فيقول: أخذ سيلر ينتظر ماذا يكون مني فيما تضمنت حتى وفيت ببلله سوداً مشدودة بعقلها، كأنها في سوادها قارٌ عولي بقر. وهذا يراد به تأكيد السواد. ويقال ردقته وأردقته، إذا جئت بعده. وردقكم وردف لكم، أي تبعكم وجاء بعدكم. ولتنصب دهماً على أنه حلٌ للابل. وفقنة قوله كالقار تصويرٌ للابل بالقوتها. ومعنى لقد بلاني حتى وفيت، أي انتظر ما يكون من البلاء لي وفاتي عندما ضمنت، وصار يحزنني إلى أن وفيت. وفقنة قوله مغلوبة، أنه سلمها في مباركةا آمنه. ويجوز أن يكون أراد إبلأ متعلمتها ومتلخراتها سوداً، فلذلك قال كالقار أردف بقر، ويجوز أن يكون أراد بالقار جمع قارة، وهي الجبل، فشبها بها في عظمها " (٣).

(١) النمرى: معنى البيت المعطى، ص ٢٧٢.

(٢) أبو محمد الأعرابي السائب بالأسود الشنجلاني (كان حياً سنة ٤٣٠ هـ)، إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمرى في "معاني البيت المعطى"، حققه وتم له بمصمدا علي ماضي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، ص ١٦٩.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان المعجمة: حاشية (٩٢)، (١ / ٢٩٩ - ٣٠٠).

وامتداداً لذلك الوشيجة التي تربط التشبيه بالدلالة، فقد شرع الشراح - أحيقاً - في انعويل على التشبيه في توجيه ألفاظ البيت ومفرداته. فمن نماذج الاعتماد على التشبيه في توجيه الألفاظ ما ورد في تحليل المرزوقي لقول
 لعنتر بن شداد:

يَنْبَغُ لَا يَنْبَغُ عِشِّي غُرْزَةً بِسَائِضِ الْغَيْبِ الْغُلْظُوبِ

" والباء من قوله " بلبيض " يحوز أن يريد به مبيهاً. والتبني: النار. شبه بها في بريقها ولمعها ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً، ويكون على هذا " يتلعب " للنرس. وشبهه بالنار لنكاته ونفاهه. واستعمل البياض في الكرم ونقاء العرض كثيرٌ معروف، على ذلك قول الآخر:

لَمْ يَنْبَغْ مِنْ فُضَاعَةٍ^(١)

ولم يكتب الشراح أثناء تعرضهم للصورة التشبيهية، بالإشارة إلى طرفي التشبيه لفظاً، بل تطرقوا كذلك إلى مكوناتها المتعددة، من المشبه، والمثبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، ولكن اهتمامهم بالمشبه به طغى على اهتمامهم بباقي مكونات الصورة التشبيهية، فنراهم يتعرضون له بالتحليل والتدقيق، والكشف عن خصوصيته والسب في اختياره.

ففي تحليله لبيت عمرو بن معد كريب:

لَحَا اللَّهُ جَزْئاً كَلْباً لَّزَّ شَارِقٌ وَجُوءٌ بِلَافٍ هَارِشَتْ فَازَنْزَارَتْ

(الطويل)

بين المرزوقي للمثبه وصفته الدالة في قوله: " كفته شبه وجوههم بوجوه الكلاب في الحالة المذكورة. ويجوز أن يكون اتصل به على البدل من قوله جرماً. ومعنى لحا الله: قشر الله، أي فعل بهم عادة كل يوم، أنكر قوماً يشبهون الكلاب إذا وثبت غيرها وسلورت، ففتقت وتجمعت للوثب؛ وتلك الحالة من لحوالها لشنع وتكر. وهذا تحقيقٌ للشبه، وتصويرٌ لقلحة المنظر "^(٢).

وفي كشفه للصورة في بيت الأحمس بن محمد:

بُشِّي إِذَا خَفِيَ الزَّيْجَالُ وَجُشْتُي خَالِشْنِي لَا تُخَفِّسِي بِكُلِّ مَقَامٍ

(الكامل)

بين المرزوقي للمثبه وصفته عندما قل: " يصف اشتهاؤه في الأماكن وجلاته في النفوس، فيقول: إذا غشي الرجال خمولاً لثبتي في شهرتي وباعثي كالشمس التي يتصل شعاعها بكل مكان، ويعرف شأنها في كل نفي وكل زمان "^(٣).

(١) شريوني: شرح ديوان الحماسة - حماسة (١٤٤)، (١ / ١١١ ، ١٢٠) .

(٢) نفسه: حماسة (٢٩) (١ / ١١٠ ، ١١١) .

(٣) نفسه: حماسة (٥١)، (١ / ٢٢٢) .

وشبهه سعد بن مالك المرأة بالبيض في قوله:
فَالْهَيْمُ يَنْدَحُضَاتُ الْخُضْدُو رَهْطَانِي لَا السَّمْعُ الْمُسْرَاخُ

"لنللمها وزوال الحجوم عنها. وقال الخليل: بيضة الخدر هي المجارية المخدرة الجميلة" (١).

أما عن التشبيه به وصفته الدالة، فيبدو في قول المرزوقي على قول الفند الزمقي: (الهزج)
تَنْتَنُ بَهْطَانِي إِذْ فَرَسَ رِيَّةَ الْفُتَّةِ أَمْطَرَتُ الْبِي
فَجَزَّ بِالسَّادَاتِ الْوُزْنُ مَا رِيَّعَتْ نَفْسِي إِذْ خَلَا

"وقوله "كجيب الدفء" شبه اتساع اللطعة وسرعة خروج الدم منها بتساع جيب المرأة الحمقاء، ونزوها في روعها، واضطرابها في متخرق قميصها ... وخص جيب الورهاء لأن عادة مثلها أن تخرج اليد منه، فيسح خرقة وجعلها مروعة لتتنفع في الإجمال وتزور" (٢).

وفي إيضاح النمرى للصورة وبين ما فيها من تشبيه في قول شاعر الحملة: (من الطويل)
مَوْفِي جَفَلَتْ غُفَا الْفَالِي كَانَتْ مِسْنُ الْبُؤْسِ طَلْبِي بِهِ الْفَازُ أَجْزِي

فيه تشبيه "فالمرأى ما هنا ابن العم، وشبيهه بالبحر الأجرب المهنوء، من أجل أن البحر إذا كان كذلك أقرد من الإبل لنلا يحدها على مذهبهم في العنوى" (٣).

وفي قول المرزوقي عن التشبيه الواقع في أبيات الحملة هذه: (الرجز)

بِي إِذَا مَا التَّوْمُ كَانُوا أَنْجِيَّة

وَاضْطَرَبَ التَّوْمُ اضْطَرَابَ الْأَرِيَّة

وَشَدَّ تَوْمِي بَضْنَهُم بِالْأَزِيَّة

هَآكِي أَصْبَنِي وَلَا تُوصِي بِيَّة

"شبه ميلانهم وترجعهم في اختلافهم، بترجع الأريّة ضد الاستفتاء عليها من الأبواب البجيدة القعر، وميلانها" (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصامة: حاشية (١٦٧)، (١ / ٥٠٥).

(٢) لنس: حاشية (١٧٦)، (١ / ٥٤١).

(٣) النمرى: معنى أيلت الصامة، حاشية (٤٣٥)، ص ١٥٥.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حاشية (٢١١)، (١ / ٦٥٧، ٦٥٦).

وقول الحصين بن المعلم المري:
ثَاخِرَتْ أَسْتَبْكِي الْخَوَاةَ فَلَمْ أَجِدْ تَنَاسِيِي خَوَاةَ مِلْسَانٍ أَنْ أَتَقَدُّمَا
" حياة مثل أن أقدم معناه حياة تشبه الحياة المكتسبة في التكم والتكتم " (١).

وتعلق المرزوقي على استخدام عمرو بن شاس " مثل " أيضا كقراءة للتثنية في قوله: (الطويل)
وَالْأَلَمِ بِرِي مِثْلَ مَا سَأَلَ وَكَيْسَبْ تَجَسَّمْ جَسْمًا لَمْ يَنْ فِئِي مَنِيْرِي لَنْتُمْ
بالقول " ليكن سيوك سبر الراكب تكلف ورود الماء لخصي، وليس في سيرة قصد ولا كربت. وقوله " مثل
ما سار راكب " أي سبرًا وشبهه سيرة. وقوله " تجسم " من صفة راكب " (٢).

ومن التشبيهات التي حنف فيها لفظ للتثنية، قول هشام أخي ذي الرمة: (البسيط)
خَوَى النَمَجِدَ النَقُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ وَأَنْحَنِي بِأَوْفَى قُوْنَةٍ قَدْ تَضَفَضُوا
" أراد أن يشبه تضعضع القوم بعوت أوفى، بخراب المسجد بعوت ابن دلهم فلم يأت بلفظ التشبيه إذ كان
معناه من الكلام مفهوماً " (٣).

وقد أظهر الشراح - كذلك - عنايتهم بوجه التشبه، أو الجامع بين طرفي التشبيه؛ فنبهوا عليه، وأشاروا إليه،
ولما رواه عن أثره في تحقيق التواصل بين أطراف وعناصر التشبيه المختلفة، وذلك " على سبيل ضبط قراءة الصورة
على نحو دقيق يتيح معرفة ما تتوفر عليه من طرافة وإضالة " (٤).

ولذلك وجدناهم يتجهون على للصفة الجملة بين طرفي التشبيه، كما يبدو من قول المرزوقي عن بيت عبد
الشارق بن عبد العزى الجهني: (الموالف)
فَجَاغَا غَايِضًا بَرَرْنَا وَجَنَّا كَبَلِ السَّمِيتِ تَزَفِيًا وَزَعِيًا

" يقول: تسارعوا مكثين نحونا، وكثهم في كثرتهم وتعلهم قطعة من السحاب فيها برد - ووجه التشبيه لن
لهم حفيظًا ووقفاً شديداً متهافتاً، كما يكون لذلك السحاب - ونحن لكثرتنا وإبتغنا على ما يعترض في طريقنا كالسميل
الذي لا يبقى ولا ينز " (٥).

(١) المرزوقي: شرح ديوان المصنعة: حاشية (٤١)، (١٩٧/١)، (١٩٨).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان المصنعة: حاشية (٨٤)، (٢٨١/١).

(٣) نفسه: حاشية (٢٦٤)، (٧٩٥/١).

(٤) دلهند الوهري: شرح الشعر على العرب: ص ١١١.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان المصنعة: حاشية (١٥٢)، (٤٤٥/١).

ومن قول أبي حلال العسكري عن قول شاعر الحماسة: (الطويل)
نَئِن كَانَ يَهْمِي بِسَرِّ أَتَابِهَا الْقَلَا خَنَافِن مُسَوِّدًا فِي صَرَاةٍ قَلِيَسِبْ

" شبه أتابها بالخنال، في مواءمها، وريفها بالصراة، وهي: الماء المتغيره وجعل فيها ككتابت، في سعة " (١).

وتشبيه أبي الطمحان الأندلي الشعر بتقليد الكرم في قوله: (الطويل)
وَبِالْجِرَةِ الْيَنْضَاءُ مُنْخِجٌ مُنْطَلُ إِذَا خَلَفَ الْإِنْسَانُ بِإِثْمِهِ بُرْتُ
لَقَدْ حَلَفُوا مِنْهَا غَدَاةً خَالَةً عَالِيَةً فَسَرِمَ لَيْتَ لَهَا بُرْتُ
فَطَلَّ الْعَذَارَى بِوَمِ تَخْلُقُ بِعَتِي عَلَى عَجَلٍ وَلَقَطْنَهَا خَيْبَتُ خُسْرُتْ

بقول المرزوقي: " شبه الشعر في طوله ولبنة ولونه بمعاقد من الكرم استولت " (٢).

وفي تعليق الأعلام الشنكري على قول آخر: (الطويل)
عَلَى بِأَيِّبِهِمْ تُجُونَا طَوَائِفَا لَهَا فِي زُفُونِ الشَّابِثِينَ غُرُوبُ

بالقول: " شبه الحبوب بالشحوم الطوائف في بياضها وبريقها، وجعلها عند مصتها في الهم كالحوم في غروبها " (٣).

وقد يحذف وجه الشبه عند أمن الالتباس، كما جاء في بيت أنوف بن حكيم الشيبني: (الطويل)
دَعَا لَنَزَارٍ وَتَشَنَّى لَطِيْفِي فَأَسَدُ الشُّنَى لَقَدْ ذَاهَبَا وَنَزَاهَا

" وقوله كاسد الشرى حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كقوله: ولقد دام أسد الشرى إقدامها ونزالها وجاء الحذف لأنه لا يلتبس وجه التشبيه بغيره " (٤).

إن الشراح في إطار قراءتهم للتشبيه، نهوا على المتداول المطروق أو الكثير المشهور والموروث عن العرب. هذه التشبيهات لم يلقوا بها كثيرون وربما كانت غايتهم من النص عليها مجرد الإشارة إليها على سبيل الحصر، والتأكيد على أنها مبالغة للجميع؛ استيفاء للمعنى وفتحاً لدروب القراءة.

ومن النماذج في ذلك على سبيل المثال لا الحصر تشبيه اللسان بالميرد في قول الشاعر: (الطويل)
فَنَا نَلَزَتْ جُنَى وَلَا أَفْلُ مَبْزَوِي وَلَا أَصْنَحَتْ طَوْنِي مِنْ الْخَوَابِ وَقُفَا

" وتشبيه اللسان بالميرد وحد السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد " (٥).

(١) أبو حلال العسكري. رسالة في ضبط وتحريم مواضع من الحملة: انقرة (٤٥) من ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) المرزوقي. شرح ديوان الحملة، حمص (٨٦٣)، (٢/ ١٨٦٣، ١٨٦٤).

(٣) الأعلام للشنكري. تكملة غير المعاني من ١٤٨.

(٤) لم - في شرح ديوان الحملة حمص (٢٣) (١/ ١٧١).

(٥) نفسه حمص (١٢٨) (١/ ٣٢١).

وتشبيه السيف بالجدع، في قول شاعر الحملة:
أَقُولُ وَمَنْ يَلِيَّ لَيْسَ مَقَابِقُ أَغْلِبَ . وَلَقَدْ خَرُّ ذَالِجُذْعُ السُّخُوفِ الْمَشْتَبِ
"من قديم التشبيه، وفي القرآن: " كلهم أحجار نخل خالوة " (الحاقة / ٧) . وجعله شذبا ليكون طوله أطول " (١) .

ومن التشبيهات الشائعة عند العرب، المتوقعة عند الشعراء، تشبيه الحرب في ابتدائها بالفتية المخدرة
وتسترها، وعند ثقلها بالعموز وإطراحها لقناعها، في قول شاعر الحملة: (سعد بن نساب) (الطويل)
فَمَا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَفْلَحَتْ إِفْلاَحَهَا بِهَا جِسِينٌ يَجْفُونَ بِتَوْفَا الْأُفْرَا
" مشهور في عاداتهم وطرائقهم " (٢) .

هذه التشبيهات كلها، وغيرها كثير، لا يزاخذ الشاعر على الإتيان بها أو تناولها، فهي تمثل عند بعض
الشعراء طور المحاكاة والتقليد، استطاعوا بعدها أن يعيدوا تشكيل الكثير منها ويصنعونها بشخصيتهم الفنية ورواهم
الإبداع، مما يمكن شاعرهم وأصابتهم. وهذا أمر قضي بتوضيحه كثير من الشراح والمروفي منهم على وجه الخصوص.
وقد فطن الشراح لتلك الزوائد التي أضاقها بعض شعراء الحملة على تشبيه قد يكون سائر متداول
بين الشعراء، بل وما ولدوه من شعر غيرهم في أسلوب إبداعي يشهد لهم بفضل الإضافة والتجديد.

ومن الشواهد على ذلك قول ملحمة الجرمي:
وَمَاتَ الْحَبِيُّ الْجَوْنُ بِنَهْضٍ مَقْبِيَا كَنَهْضِ الْعَذَابِي قَبْذَةِ الْوُجْعِثِ النَّقْصِ
يقول المروزي: " الحبي من المسحاب: المشرف المتركم. والجون؛ الأسود هنا، وجعله كذلك لا رتوانه
وكثرة مقه. وقوله " بنهض مقما " انتصب مقما على الحال، يريد أن سير المسحاب لنقله وحركته مثل سير هذا
البعير وحركته؛ ثم وصفه. والمداني قبه: الذي قصر عقله وضيق عليه قيده. ولم يرض بذلك حتى جعله سائرا في
الوعث، وهي الأرض اللينة الكثيرة للتراب والرمل؛ والسير فيها يصعب. ... ثم لم يرض بعد ذلك أيضا حتى جعله
نقصا، وهو المهزول الضعيف. ويقال نقصت البعير نقصا، والمنقوض نقص " (٣) .

فهنا الوصف وإن لم يكن له فيه فضل سبق فقد كان له فيه فضل الإضافة والزيادة فقد " زاد في هذا الوصف على
الأعشى لما قل - وإن كل الأعشى وصف امرأة بالنعمة والترفة، وهذا يصلح سحابة تيلة - :
(السبط)

شُعْبِي الْهُؤَيْثِي قَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجِلْ

لأن هذا جعل البعير مداتي التيد أيضا " (٤) .

(١) للرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (٢٣٦)، (١ / ٦٦٠ ، ٦٦١) .

(٢) نفسه: حماسة (٢٢٢)، (١ / ٦٦٠) .

(٣) نفسه: حماسة (٨١٩)، (٢ / ١٨١٠) .

(٤) نفسه: حماسة (٨١٩)، (٢ / ١٨١١) .

ومن محيط اهتمام الشراح بالتثبيته، تطرقهم إلى بعض صوره وأشكاله مما تفتن وابدع فيه شعراء الحملة. من تلك تركهم لفظ التثبيته، حتى يظن في السباق أنه بخير عن حقيقة، في قول وقال جونس لوبنا:

فَأَنَّهُ يُذْـمُـرِي لَا أَمْرُؤُهُ مَنُفِيتَا وَغُلَى شَنْفُنَا بِالرَّضْمَاحِ غُرَافَا
جُئِئْتُمْ مِنَ الْخَجَرِ الْبَرِيدِ نِبَاطَةً وَالشَّامُ تَتَجَرَّرُ فُتَاهَا وَفُتَاهَا
إِذْ أَقْبَلْتُمْ فَمَيْسُ غَيُونَهَا حَذَقَ الْكِلَابُ وَأَظْهَرَتْ مِيسَاهَا

"وقوله كَانَ عيونها حذق الكلاب وأظهرت سيماها قصده إلى الذم وإلى أن نظروهم نظر الكلاب لكنه جرد لتثبيته أولاً، ثم قال: وأظهرت سيماها أي أظهرت سيما الكلاب في إقبالها، فترك لفظ التثبيته، وصار كانه يخبر عن حقيقة" (١).

والتفت الشراح أيضاً إلى بعض أنواع التثبيته وألوانه، من ذلك:

١- تشبيه التفضيل:

قال الوطواط: "تشبيه التفضيل، وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به" (٢)، كقول الشاعر:

حَسِبْتُ جَمَالَهُ بِسَدْرٍ مَضْنَا وَأَيُّنَ الْبَرْدِ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ ؟

وقول أبي الفرج حنود:

مَنْ لِمَنْ جُنُودًا بِالْفَضْلِ فَكَا أَنْصَفَ فِي الْخُفِّ يَمِينُ فَتَيْنِ
أَنْتَ إِذْ جُنُودٌ ضَاجِعٌ أَبَدَا وَهِيَ إِذْ جُنُودٌ ذَلِيلٌ مَعِ الْقَسِينِ

وقال الحلبي والنويري: "هو أن تشبه شيئاً بشيء ثم ترجع تترجع المشبه على المشبه به" (٣)، وتكررا الأبيات السابقة.

ومما وقع في ذلك في شعر الحملة، تشبيه بشر بن المغيرة نفسه بالسيف ثم رجوعه ليفضل نفسه على المشبه به (السيف) في قوله:

لَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لَلْمِثْقَلِ نَبْوَؤُهُ وَمِثْقَلِي لَا تَبْشُرُ غُرَافَا مَضَارِبُهُ

"يفضل نفسه في نفاذه في الأمور ومضقه، على السيف؛ فقال أولاً: لنا السيف، ثم تلاى فقال: إلا أن السيف ربما نبا عن الضربة وكما، ومتلى لا تكل ولا تدبو حدوده عن شيء تلاقيه" (٤).

(١) النوروزي: شرح ديوان الحملة، حماسة (٦٣)، (١٤٩٨، ١٤٩٩).

(٢) الوطواط: رشيد الدين محمد السري: حقائق الشعر في دلائق الشعر، نقله إلى العربية والإبراهيم النوروزي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤ هـ، ١٩٤٥ م، ص ١٤٨.

(٣) تشبهه مصود بن سليمان: حسن التوسل إلى صناعة التوسل، تحقيق دكتور محمد عثمان يوسف، دار العربية، بغداد، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م، ص ١١٩، البويري: بهية الأرب في لحن الألب، منوعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣١٧ هـ، ج ٧ / ص ٤٤، وتظهر: المم حارث ج: حرد الجمال في علم الشعلي والدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨ هـ، ١٩٣٩ م، ص ٩١.

(٤) شرح ديوان الحملة، حماسة (٧٣)، (٢٦٦ / ١).

٢ - تشبيه الجمع:

وهو " تعدد المشبه به دون المشبه، كقول البحراني:

(السريع)
فَلَمَّا بَرَزْنَا مِنْهُ غَنِيًّا فَاتِيًّا
مُتَّعِينَ وَفِي كَفٍّ أَكْبَرٍ

وقول امرئ القيس:

(المتقارب)
فَلَمَّا بَرَزْنَا مِنْهُ غَنِيًّا فَاتِيًّا
مُتَّعِينَ وَفِي كَفٍّ أَكْبَرٍ
وَإِذَا طَلَبْتُ الْطَلَبَ الْغَنِيَّ الْمُسْتَجِرَ (١).

وقد وقع في قول شاعر الحملة:

(الطويل)
أَلَمْ عَلَيَّ بِفَضِي لَمَّا بَرَزْنَا خُزْبَةً
تُخَاكِي نَجْمًا زَلَّ فِيهِ فُتُوحٌ وَجُذْبَةٌ
هِيَ الْخُزْبَانُ فِي الْغُلَامِ خَالِيَةٌ
إِذَا مَلَفَتْ كَانَتْ بِحَيْثُكَ مَخْفِيَّةٌ
وَإِنْ خَدَعَتْ كَانَتْ جَمِيعُ مَصَائِبِ
خَبِيثٌ فَكُلُّهُ الْخُزْبَانُ أَوْ تُشَفَّ شَارِبٌ
وَتَقْفَرُ عَنْ قُلُوبٍ غَابَتْ خَبِيثَةٌ

حيث " جمع بين الحية والضبع والتمساح، لأنه ليس بقصد التشبيه من وجه واحد، وإنما يريد التشبيه من وجوه كثيرة من الخلق والخلق " (٢).

٣ - التشبيه الوهمي:

وهو ما لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج ولو وجد لكان مدرجاً بلعدي الحواس الخمس، وقد قال الحلبي إنه يقرب من النوع المسمى " التشبيه التخيلي " (٣). ومنه قوله تعالى: " إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم، طلعها كنه رؤوس الشياطين " (الصافات / ٦٤ - ٦٥)، فقد استقر في نفوس الناس من قبح الشياطين ما صار بمنزلة الشاهد كما استقر في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمنزلة الشاهد ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين شجر الزقوم ورؤوس الشياطين. ومنه قول امرئ القيس:

(الطويل)
أَيْقَنْتَنِي وَالْغَنِيَّ شَرِيًّا مُضَاجِعِي
وَمُسْتَوْنَةً زُرْقِي كَالْأَوْبَابِ أَغْوَالِ

وأنخلوا هذا النوع في تشبيه العقلي بالعقلي لأنه لا يدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يكن مدرجاً إلا بها (٤).

(١) الترويض: الإيضاح ص ٢٤٨، الترويض: تلخيص ص ٢٧٢، شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ج ٣ ص ٤٣٠، سعد الدين التتري: القول، مطبعة لمد كليلة سنة ١٣٢٠ هـ، ص ٢٤٨، الميوطي: شرح عقود الجمل، ص ٨٧.
(٢) المروزي: شرح ديوان الصائغ: حماسة (٨٧٤)، (٢ / ١٨٧٦ - ١٨٧٧).
(٣) الشهاب محمد بن سليمان: حسن شربل: ص ١١٢.
(٤) الترويض: الإيضاح ص ٢٤٠، الترويض: تلخيص ص ٢٤٤، شروح التلخيص: ج ٣ ص ٣١٦، سعد الدين التتري: القول: ص ٣١٢، الأطول: ج ٢ ص ٢٨.

ومن شعر هذا النوع، تشبيه الخيل بالمعالي، في قول الأستر النخعي:
خَمِيلًا خَامِلًا لِمَالِ السَّحَابِ شُرَّتَا تَفْعَلُو بِبَيْضِ فِيهِ الْكَرْمَةَ شُومًا
"شبه الخيل في ضميرها وسرعة نفاذها بالجن" (١).

وتشبيه الفرسان بالجن في قول وضاح بن إسماعيل:
فَتَبَّكَ لَوْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ تَفْعَلُو غَوَابِسَ وَتُخَذِّلُنَّ النَّفْعَ ذُبَابًا
رَأَيْتَ عَلَى مَنُوبِ الْخَيْلِ جُنَا تَفْعَلُو مَغَابِسًا وَتُفَارِسُ تَبَابًا
حيث يرى الشارح يعبر عن ذلك بقوله: "شبه الفرسان بالجن لمضاهمهم ونفوذهم، وإذا بلغت العرب في وصف الرجل جعلته من الجن، لما وقع في النفوس من تكاريمهم، وقوله "تبيت مخفما" أي: تبيتها من أيدي أهلها. ومعنى "تبيت نيلًا" تجعل لأصحابها فائدة مما غموا وتلوا" (٢).

٤ - التشبيه البليغ:

وهو تشبيه للذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وبقي طرفاه وهما (المشبه والمشبّه به)، وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من احتصار من جهة وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى؛ لأن وجه الشبه إذا حُفِظ ذهب النظر فيه كل مذهب وفتح بلب التلويح، وفي ذلك ما يكسب للتشبيه قوة وروعة وتقيراً، قال المصري: "حد تشبيه البليغ إخراج الأغصان إلى الأظهر بتشبيهه مع حسن التاليف" (٣).

وعند النرويني البعيد من البليغ لغرابته ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان يبيله أحلى وموقعه من النفس الطيف. وليس للبعد في التشبيه هو التعميد لأن التعميد سوء ترتيب الألفاظ واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني (٤). ومن النماذج التي وقع فيها هذا النوع، قول عمرو بن الإطبلية: (الكامل)
وَالْفَاسَاتِلِينَ لِنَدَى السَّوْعَى أَفْرَاتِهِمْ فِي الْمَنْثَرَةِ مِمَّنْ قَرَأَ الْفَائِلِ
خَرَزُ غِيُوْنِهِمْ إِلَى أَغْصَانِهِمْ يُفْعَلُونَ مَشْنَى الْأَنْبِ تَحْتَ الْوَابِلِ
"وإذا مشوا رأيتهم كالأمم تحت المطر الشديد وهي تبلل إلى مواضعها من لعين" (٥)، فحذف وجه الشبه وهو الإقدام والشجاعة وكذلك حذف أداة التشبيه وهي "الكاف".

وقول سهل بن شيبان:
مَشْنَى مَشْنَى اللَّيْلِ غِيُوْنٌ غِيُوْنٌ وَاللَّيْلِ غِيُوْنٌ غِيُوْنٌ
"أخرج - بهذا التشبيه - ما لا قوة له في التصور إلى ما له قوة فيه، ذلك أنه قال: سعيها إليهم مشية الأسد ابتكر وهو جائع، وكفى عن الجوع بالفضب لأنه يصعبه" (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٥)، (١٥٠ / ١).

(٢) الأظم للشعر: نيل غرر المعالي، ص ٢٧٥.

(٣) ابن أبي الأسع المصري: تحرير الشعر وقصر ويول إعجاز القرآن، تحقيق حنن محمد شرف، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٥٩.

(٤) النرويني: الإيضاح: ص ٢٥٩، وتشخيص: ص ٢٨٥.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧١٥)، (١٦٢ / ٢).

(٦) نسه: حماسة (٤)، (٣٥ / ١).

وقول قلعة بن مسلمة الحنفي:

ومعني أسود من خبيثة في السوطي إليبيض فسوق زومبهم ثموم
فمزم إذا لمعوا الخيرو غائلهم في البييض والخللي الدلاص نخوم
فلمين بغزيت لأزخائن بفزوة نخوق الظلايم أو يثوث فريم

"وتتبره معي رجال يشبهون الأسود شجاعة وإنداما في الحرب حنفون" (١).

وقد يجتمع التثنية الهمي مع التلبيح في بيت واحد، كتثنية الأم بجنية، وتثنية أبنيتها بالسيوف الصوارم مع حذف أداة التثنية، مثل قول قيس بن زهير العنسي:

بئس وجئبة ولدت منيؤفا. صوارم كلها نكر صنيغ (٢)

له "كما جعل الأم جنية لخروجها فيما لثت به عن المعتد من الإنس حبل الأولاد سيولاً. ومعنى البيت: هم أولاد امرأة ولدت رجالاً كلهم في التلفذ سيوف قواطع، كل واحد منها ذكر الحد، مصنوع صقيل" (٣).

٥ - تثنية الكناية:

قال اللطوطي: "تثنية الكناية، وتكون هذه الصنعة باليكنى عن المسمي بلفظ المشبه به بنير أداة من أدوات التثنية" (٤).

وقال الحلبي والنويري: "هو أن تشبه شيئاً بشيء من غير أداة التثنية" (٥)، ويسمى أيضاً بـ "التثنية المؤكدة" (٦) أي المحذوف الأداة، ومنه قوله تعالى: "وهي تمرر السحب" (الشمل / ٨٨).

ومن النماذج في ذلك تشبيه الرجال بالبحر في الكرم عند العطاء، وباليهم في الإقدام والتفك بالأعداء عند اللقاء كما في قول زياد بن حملة وقيل زياد بن منقذ:

فم الخور خطاة حين ثمالهم وفي التمام إذا تلقى بهم بهم
فلمن إذ الخول خالوا في كوابهم فوايس الخول لا منيل ولا قزم

"وللمضى: هم البحور إذا اجتدهم المجتدي، لكثرة عطشهم، أي لا ينفذ عطشهم على كثرة الاجتداء، كما لا ينفذ ماء البحر على كثرة الورد، وهم بهم في اللقاء إذا تقوت بهم الأعداء، وإذا ركب الفرسان الخيل وثبتوا في كواتها - والكناية: قدام المنيع منها - ففرسها لا تلام ضعاف الأجسام، ولا مقلون عن وجوه الأعداء" (٧).

(١) ليرزولي: شرح ديوان الصنعة: حمصية (٢٥٨)، (١ / ٢٧٠).

(٢) نفسه: حمصية (١٥٨)، (١ / ٤٧٠)، يعني ولد زياد بن عبد الله بن قاتر الحنفي، يقول: هم بنو امرأة كلها في لعلها ودهقها من الحر. وهذه المرأة هي فليمة بنت الخزرج الأسلمية، وهي إحدى الفتيات من العرب، وكلفت قد رأت في منفيها كان قتلها ليل: "أعشرة عمرة، أحب إليك أم ثلاثة كثرية" لما قتلت انتصت زوجها على زوجها قتل لها. إن عودته فتولي: بل ثلاثة كثرية. فرجعت إلى الظلم ورات مثل ما رأت من قبل، لمعت قول في الجواب: بل ثلاثة كثرية. فولدت بنت ثلاثة صار كل منهم أباً لقيلة، ومعضاً في قومه وعشورته، وهم ربيع الحنظلة وصلة الوهاب، وأنس التوروس.

(٣) ليرزولي: شرح ديوان الصنعة: حمصية (١٥٨)، (١ / ٤٧٠).

(٤) لوطوطي: حقائق الشعر: ١٤٢.

(٥) لشهاب: محرم بن سليمان: حسن التوشل من ١١٧، النويري: نهاية الأرب ج ٧ / من ٤٣.

(٦) ترويني: الإيضاح: ٢١٢، وشلبصون: ٢٨٦، شروح للشخص ج ٢ / من ٤٦٥، ولشواتي: المطول: من ٣٤٤، والمسيوطي: شرح عمدة الجمل: من ٩٠.

(٧) ليرزولي: شرح ديوان الصنعة: حمصية (٥٧٨)، (٢ / ١٣٩٢).

٦ - تشبيه المحسوس بالمعقول:

وهو تشبيه ما يدرك بالحواس بما لا يدرك به ^(١)، مثل تشبيه القوم في الكثرة والجهول والإحاطة بالأعداد وإدراكهم بالليل، في قول بعض شعراء حمير:

فَأَتَمْنَا الْأَمْسَدَ فِي سِي غَرِيْبِهِمْ وَتَخَسَّنَ كَالْزُّبُلِ جَائِسٌ فِي سِي قَتْبِهِ

"يقول: إن هؤلاء القوم يتمتعون على الأعداء، ويبيضون بهم، تمنع الأسد في أجمتها ويطشها منها، وحن كليل، يريد نحن في كثرتنا وهولنا وإحاطتنا بهم، وإدراكنا ليأهم كليل إذا جئنا ظلمته، وتراكم سواده ... كنه فل كلما هم الأسد في مقتلهم، ونحن كليل في هولنا وإدراكنا " ^(٢).

٧ - تشبيه المعقول بالمحسوس:

وهو إخراج ما لا تقع عليه الحسنة إلى ما تقع عليه الحسنة كقوله تعالى: "والذين كنوا أصنامهم شراباً بقیعةً يحصبه الظلمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً" (النور / ٢٩)، وتشبيه أصنام الكفار بالشراب من البلیغ التشبيه وأيدعها، ومثله قوله تعالى: "مثل الذين كنوا بربهم أصنامهم كرماد تشتت به الريح في يوم عاصف" (إبراهيم / ١٨)، ومن انظم قول أبي علي ابن مينا:

يَتَمْنَا السُّقْلُ كَالزُّخَاخِجَةِ وَالْبَعْلُ مِثْرَاجٌ وَجَعْنَاهُ اللَّهُ زِيَّتَ

وقول ابن مبرير الطرابلسي:

زَعْمُ كُنْزٍ بَلِيجِ السُّبْحِ وَرَأْفَةُ غَرَمٍ غَدُو السُّقْبِ صِنَافَتُ بَنَافِلٍ ^(٣).

وقد استحسن البلاغيون هذا النوع من التشبيه وألبقوا عن أهميته ومكانته بين أنواع تشبيه المختلفة، فيه تتخطى الصرورة حاجز الحفاء إلى الجلاء، وحدود للمجهول إلى المعلوم فينبون نقلته تناعلاً وإدراكاً، يقول عبد القاهر الجرجاني: إن "أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتكتبها بصريح بعد مكني، وأن ترددها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشيء أصلب وقتتها به في المعرفة أحكم، يحذر أن تنقلها عن الحقل إلى الإحسان، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن العلم للمستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، وفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخبر كالمعلنة، ولا الظن كاليقين ... " ^(٤).

ومن النماذج في ذلك قول يزيد بن عمرو اللطفي:

أَصْنَابُ الْفُلْجِ غَرِيْبِي فَأَمْنَانَهَا وَغَارُ اخْتِصَامِ ثَبْتِي فَأَطْلَانَهَا
أَلَا مَنَنْ رَأَى قُوسِي خَمْلِي بِجِثَالَتِهِمْ تَجِيْلُ لَهَا غَاثِيَةً فَأَمْلَانَهَا

"قوله كان رجالهم نخيل شبيههم وقد صرعوا بنخيل محضودة. وهذا التشبيه ورد مثله في القرن، في قوله تعالى: "كنهم أعجاز نخيل خالوية". وجملة المعنى كنهه ونكر أن يكون قومه بهذه الصفة، قتال مستتباً على طريق

(١) لفر الدين الرازي: نهاية الإيجز، ص ٥٩، وبدر الدين الزركشي: الزهرج، ج ٣ / ص ٤٢٠، والشهاب محمود بن سليمان: حسن تشوئ: ص ١٠٨، وشوئري: نهاية الأرب ج ٧ / ص ٤٠، والبصافي: خزانة الأدب، ص ١٨٢.

(٢) المروكبي: شرح ديوان الحامسة: حامية (١١١)، (١ / ٣٢١).

(٣) فننر: شوئري: نهاية الأرب (١٠ / ٧)، الشهاب محمود بن سليمان: حسن تشوئ: ص ١٠٨.

(٤) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ١٢١.

القضايا البلاغية **===== الفصل الثاني: علم البيان =====** التشبيه
التحسر: من رأى قومي مقتلين مصرعين كأن فرساتهم نخيل قصدها عاضد فأمالها. وفقدة أمالها، على فصلحته في
هذا الموضع، تصوير حالة الرجال حين تركوا بالعراء كيف تركوا^(١).

ومن ذلك تشبيه الليل بالأجسام في قول حندج بن حندج:
(البسيط)
فِي لَيْلٍ مَّوَلٍ تَنَاهَى الْغُرُضَ وَالطُّوْلُ خَالَتْهَا نَيْلُةٌ بِاللَّيْلِ مَوْصُولُ
لَا فَازَاقَ الصُّبْحُ غَفَاذِي إِنْ ظَلَمْتُ بِهِ فَإِنْ بَدَأَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَخْجِبُ
بِسَاهِي طَالٍ فِي مَوَلٍ تَمَلُّكُ خَالَتْهُ خَيْلٌ بِالْمَوَاطِنِ مَوْصُولُ
"جمل الليل كالمجسمات حتى صار ذا طول وعرض عنه. وقال: "تنهى الغرض والطول" لأنه قد علم
لنهما لليل، كما أنك تقول: زيد حسن الوجه، لأنه علم أنه لم يرد إلا وجهه. والمعنى أن في ليل هذا المكان بلغ الطول
والعرض نهايتهما وغلبتهما، حتى وقفا لا مستزاد فيهما، فكأنما ليل صولموصول بجنسه كله، فليس ينقطع ولا
يكثف. وقد قال أبو تمام الطائي مستطिला ليوم:
(الطويل)

يَتَوَمَّعُ طَوِيلُ الدَّهْرِ فِي غُرْبٍ مِثْلِهِ

ومن كلام الناس: عشنا زمنا طويلا عريضا، والدهر الطويل العريض. وكل ذلك تشبيه بالأجسام. وعلى ما
فسرناه يتعلق الجار من قوله: في ليل صول تناهي. وقد استعمل العرض منفردا عن الطول والمراد به السعة؛
على ذلك قوله تعالى: "فلو دعاء عريض" (فصلت / ٥١)، وقوله عز وجل: "وجنة عرضها السموات
والأرض" (آل عمران / ١٣٣)^(٢).

ومنه قول شاعر الحماسة: (طرفة)
(البسيط)
وَالْخَرِيبُ يَتَخَلَّقُ فِيهَا الْفَارِغُونَ خَصَا تَكُونُ الصَّخَاخُ إِلَى الْخَزْنَى فَتُغْبِئُهَا
"يقول: شر للحرب يمدي إعداء للجرب، فترى الكاره لها يلتحق بها وإن كان غير حازم لها، وتلقى البعد
منها بصحلي بحرهما وإن لم يكنهما ولم يشيع موقدها. وفي هذا التشبيه خروج المشبه من الكون إلى الظهور، ومن
الخفاء إلى البروز، حتى يتجلى لمتأمله والمفكر فيه على بعده في التصور تجلي التريب في العرف والاعتقاد"^(٣).
وهذه الصورة عند المرزوقي هي "علية المراد من التشبيهات"^(٤)، فتشبيه المجرد بالمجرب، وقياس
الغائب على الشاهد، في البيت السابق عول عليه المبرع في إنشاء السعفي ليعتبرا شعريا في لحن وقمي مادي مهيب.

نذ الصورة التشبيهية:

إن تحليل الصورة التشبيهية وتتميرها بصفة عامة معين للشرح على فهم النصوص الشعرية، وتمثل
مكوناتها، ومن ثم فندها، وتفيدها. وقد اعتمد الشراح في طريق حكمهم على التشبيه ومدى توفيق الشاعر أو إخفاقه
في استحضار الصورة التشبيهية الملائمة، على مجموعة من الأسس والمعايير الجمالية للنقد، عبروا من خلالها عن
استحسانهم للصورة أو استنباحهم لها، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (٣٢٩)، (١ / ٩٥٥).
(٢) نفسه: حاشية (٨٢٧)، (٢ / ١٨٢٨).
(٣) نفسه: حاشية (١٣٩)، (١ / ٤٠٨).
(٤) نفسه: حاشية (١٣٩)، (١ / ٤٠٨).

١ - التشبيهات المستترة المستهجنة:

ويقصد بها تلك التشبيهات الخارجة عن القصد، كقول قيس بن الخطيم:

خَلُفْتُ بِهَا خَلْفِي فَلَا تَهْزُتُ فَتَنْفُهَا رُؤْيَى فَأَبْهَا مِنْ ذُوْبِهَا مَا وَرَاءَهَا

" معنى أنهزته: وسطه حتى جعلته كالنهر سعة، والتهر نفسه سمي بذلك لامتاعه. وفي هذا الوصف سرف مستترة، وخروج عن القصد مستهجن " (١).

٢ - الإصلبة:

وهي " أن يصور المتكلم ما أراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير لتمكُّس ولا لتتقصص " (٢)، ومن هنا كان الشاعر أكثر تعرضاً لهذا من الكعب، لأنه يتعرض للكثير من المعاني الخيالية التي ليس لها وجود على أرض الواقع، فتبرع موهبته في مدى مقدرته على توصيف الصورة بما يلائمها من غير زيادة أو نقصان.

وعيار الإصلبة في الوصف كما يرى المرزوقي: " النكاه وحسن التمييز، فما وجدناه صافياً في العلوق ممازجاً في اللصوق يتصر الخروج عنه والتبرؤ منه فنلك سيما الإصلبة فيه " (٣).

لذلك وحب على الشاعر توخي الدقة في اختبار أنسب الصفات التي تجمع بين طرفي التشبيه، ومن هنا كان التشبيه الواقع في قول عمرو بن معد يكرب:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا فَاتَّيْتُهَا جَسَنًاوَلِي زَرْعٌ خَلَّتْ فَا مَسِيْطَرْتُ

ملحاً؛ لأن " التشبيه وقع على جري الماء في الأنهار لا على الأنهار، كقوله شبه امتداد الخيل في انحرافها عند الطعن بامتداد الماء في الأنهار، وهو يطرد ملتوياً ومضطرباً. وكما وصف الخيل في انحرافها بزور وصف أيضاً بنكبي، فقال بعضهم:

لَأُخَذِّبَنَّكَ إِذَا الطُّغَى أَفْرَا

فالنكب: جمع لنكبة، وهو الذي ينحط لحد منكبيه عن الآخر، كما أن الزور جمع أزور، وهو الموج الزور. وهذا من التشبيه الحسن الصائب " (٤).

أما فيما يخص الدلالة على حالة المشبه، فجاء قول امرأة من بني عامر:

وَحَرْبٌ وَمَضِجُ الْقَوْمِ مِنْ ثَلَاثَاتِهَا ضَجِجُ الْجَنَالِ الْجُأَةِ التَّبْرَاتِ

أكثر دلالة على حالة قومها عند الحرب حيث تضج العشرة لما يقلصونه من هذا الحرب ضجيج تلك الإبل عند ما تقلص من العمل " وهذا للتشبيه الصائب للمتاهي في الدلالة على حالة المشبه. وقد قل الرجز في هذه الطريقة بصف حراً:

(الرجز)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصلبة: حمله (٢٦)، (١٨٤ / ١).

(٢) الشاعر ابن عنتور: شرح القصة الأدبية لشرح المرزوقي لديوان الصلبة، ص ٧١.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الصلبة، القصة ص ٩.

(٤) تسم: حمله (٢٦)، (١٥٧ / ١).

وَأَغَشَيْتِ الثَّامَنَ السُّجَّاجَ الْأُخْجَجَا وَصَاحَ خَائِبِي شَرْهَا وَهَجُوجَا^(١).

وقول شاعر العمامة:

وَلَمَّا رَأَيْتَكُمْ لَنَا أَبْلَغَ وَلَمَّا لَكُم مَوْلَى مِنَ النَّاسِ ثَاجِرٌ^(٢)
ضَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَكَّرِ إِنِّي كُمْ كُنَّا ضَمَمْتُ السَّمَاكَ الْكَمِيرَ الْجَبَانِ

" وصف حالهم القديمة معهم، وكيفية اتصالهم بهم وانعطفهم عليهم حتى أبطرهم ذلك، فاستعصوا عليهم، ووسوت نفوسهم إليهم بالاستغناء عنهم، والاكتفاء من دونهم. فيقول: لما رأيناكم أنقياء في أنفسكم، أنقاء في أحوالكم لا ناصر لكم، ولا مدافع دونكم، فحططنا عليكم لنرفع حسيبتكم، رحمة لكم، وضممتكم إلى أنفسنا من غير حاجة إليكم ولا نكثر بكم لنجبر كسرهم، ونوفر نقصكم كما نضم العصائب التي يعصب بها الكسر. والجبار التي يسوى بها العظيم الكبير المجبور. وهذا من التشبيه الصائب، والكلام المتخير " (٣).

ومن أحسن التشبيه وأبلغ التعريض قول ابن زبلة للثمى: ملغوث من زيب الرجل: (السريع)

ثُمَّ بَدَأَ غَارِبًا رَأْسَهُ بِسَيْفٍ يُوَضِّدُ أَخْوَالَهُ

لأنه " جعل عرز الرأس كناية عن الجهل والذهاب عما عليه وله من التحفظ ... وهذا من أحسن التشبيه وبلغ التعريض " (٤).

٣ - المعقولة:

ويقصد به قوة وج الشيء في المثلث بحيث يستغني المثلث عن ذكر وجه الشبه، يقول تدامة بن جعفر (ت ٢٣٧ هـ) في نقد الشعر: " فالحسن التشبيه ما لوقع بين بين شيئين حتى يذني بهما إلى الاتحاد " (٥). وهو ما يجعل التشبيه بسيطاً قريب المأخذ، سهل الإدراك والتناول، وما اتصل به من من أساليب وطرائق الأداء، وأغراضها المختلفة: كتجميعهم، أو التشخيص... إلخ من الوسائل والأغراض.

وعبارته " القطة وحسن التدبير، فأصنعه ما لا ينتقص عند العكس " (٦).

وأحسنه " ما لوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات لكثير من أفرادهما أي بين وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه لشيء صفات الشبه به ولما كان له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس " (٧).

ومن يتعرض لأشعار ديوان العمامة يتجلى أمله بوضوح تغنن شعراء العمامة وإبداعهم في تصوير المحسوسات والذخنيات والمضويات على حد سواء.

(١) المرزوقي: شرح ديوان العمامة: حماسة (٢٥٢)، (١ / ٧٤٨، ٧٤٩).

(٢) وأما: جمع الشيء، وهو الرجل الشجاع، وأصله: دق نقة.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان العمامة: حماسة (٦٢٧)، (٢ / ١٤٨٥).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان العمامة: حماسة (٢٢)، (١ / ١٤٢).

(٥) تامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق وإعداد عبد المنعم حنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ١٢٤.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان العمامة، مقدمة ص ٩.

(٧) نفسه: القطة ص ٩.

المضاب اسلاعية تصل اثني: حلم البيان استنبه
وبحسب تعامل الشاعر مع الصور التشبيهية - حسية كانت أم معنوية - تعاملها إبداعاً عبر من خلالها
الشعراء عن مكنون تفكيرهم ومقدرتهم الفنية الرصينة.

وقد أولى الشراح الصور التشبيهية الطفولية والاهتمام، وتنوعت عباراتهم الدالة على هذه الطفولية وهذا
الاهتمام، فتراهم يتون على ما استحسنوه منها، ويعرضون عن تلك التي لم تحظ بالقول عندهم، والشواهد على ذلك
كثيرة أثراها على نحو مفصل فيما سبق.

ومن استبيحات التي يتمثل فيها جلق المقاربة، وبسطة التشبيه وسهولة إدراكه، تشبيه النجوم في كثرتهم
وإدراكهم لأعدادهم بقليل^(١)، والتشبيه بالليل قصد به إظهار الهول والإحاطة بالأعداد وإدراكهم.

وتشبيه جلد الحبة بالتهلول الذي تزخرف بها الإبل في قول عنترة بن الأخرس: (الطويل)
ملى بضاجي جلد به وسراجه ونجى ليثبه نهاري زخرف^(٢).

" أراد أنه ملون الجلد ... تشبه ببرز جلد الحبة وظهره ومجمع صفحتي عنقه لاختلاف ألوانها بالتهلول
التي تزخرف بها الإبل " ^(٣).

وتشبيه الممنوح في أثره على الناس واستمراره حتى بعد موته ، بالغيث الذي يحيا نسل في خبره حتى بعد
انقطاعه ، يقول الحسين بن مطير: (الطويل)

فنى عيش في مرقوقه بغد مؤثبه فمنا كان بغد المثل نجزة مرتعا
ولمنا مضى من مضى الجود فلتفضى وأصنح عشرين المكارع أجذا

" شبه بالغيث بصوب فيجى للجد ثم يعيش الناس في آثاره بعد انقطاعه ومصبه " ^(٤).

وتشبيه الليل بالمتحير، والنجوم بالقليل، في قول حندج بن حندج: (المبسط)

منى أنى الصنح قد لأخت مغالته والليل قد مزقت غنة المثليل
لئن فخرنا نخط في جهة فأنه فوق منن الأرض مشقول
نجومه زقد لئمت بريلة فأنما من في الجؤ القبايل

حيث جعل " ليل لامتاده واتصال دوائه كالمتحير كواكبه عن المسير. التقم على حد لا يزول عنه " ولا يحول ،
ولا يجمع ولا يميل. والمشقول: المعقد... وشبه النجوم في إضاءتها بالقليل. وإنما يعلو ضوء الكواكب ويزهر عند فراق الظلام
واستحكاكه. والركد: جمع الركد. وجعل للكواكب في الجو لأنه توهمها كالقليل المعقدة " ^(٥).

(١) التوزوني: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١١)، (٢٢١ / ١)، قول بعض شعراء حمير:
فلنألف الألف بلسي ضريهم ونشعل كالبدر خشن بلسي تبة
(٢) الفضلي: البارز للنس في الأصل، والمراد به هنا ظاهر الجلد. والتهلول: ما يعلق من الميول على الإبل، ولا واحد له من لفظه، وتشبيه
لنور كما يلقى تجمد وتجفيف. والزعرف: كل ما حسن به شيء، وأصله الذهب.
(٣) التوزوني: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١٨)، (٢ / ١٨٠٦ ، ١٨٠٥)،
(٤) نفسه: حماسة (٣١٩)، (١ / ١٢٧)،
(٥) نفسه: حماسة (٨٢٧)، (٢ / ١٨٣٠)،

بحضورهم. وبين الصفتين تفاوت عظيم، وتباين شديد. وصنفهم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهم تقارب بينهم؛ لأنّ ليمن يمتش من لا يبين المبلغة الفاحشة، ولا يخالف المخالفة المنكرة" (١).

وهكذا ومن خلال الشواهد التي اطلعنا عليها وثرناها داخل هذا المبحث نكون قد أثبتنا على أشكال التشبيه وتحليله، وعلى أحكام ومقاييس تدوّقه ونقده، التي تحتاج إلى درجة وثقافة فنية وشعرية حظي بها شراح الحماسة، ووجدنا صداها في شروحهم وتعليقاتهم، فـ "الثقافة الشعرية هي الحد الأدنى لممارسة الشرح إذ لا بد من إثرائها بضروب أخرى من الثقافات التي لها صلة بامتسالم الشارح من بعيد أو قريب" (٢)، مما كان لها أكبر الأثر في آراء هذا الحاتب، وإحصائه ثقافياً وفنياً.

...

(١) المبروراني: شرح ديوان الحماسة: حلبة (١٢٣)، (١ / ٣٦١).

(٢) د.الحمد الجبراني: شرح قصص صد العرب، ص ١٠٩.

ثانياً: الاستعارة:

الاستعارة لغة: مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصاص المعار إليه. والمعارية والعارة: ما تداوله بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعلوه إياه. والمعارضة والتعارف شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين. وتعود واستعار: طلب العارية، واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يحيره إياه^(١).

أما اصطلاحاً: فقد تعددت تعريفات البلاغيين لهذا الفن منذ للفتهم إليه حتى أخذ الصورة التي وصل بها إلينا^(٢)، إلا أن التعريف الذي أورده السكاكي يعد أدق ما وصل إلينا من تعريفات البلاغيين، وقد أخذ به المتأخرون وإن كانوا قد فرغوا من الاستعارة أسلماً كثيرة باعتبار الطرفين، وباعتبار الجمع وباعتبار طرفيها والجامع مقار، وباعتبار اللفظ، وباعتبار الخارج. أما السكاكي فقد عرض للاستعارة التصريحية والمكنية والتحقيقية والتمثيلية والأصلية والنتيجة^(٣).

وقد عرفها السكاكي بقوله: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بيقينك للمشبه ما يخص المشبه به"^(٤). وأركان الاستعارة على هذا أربعة: المستعار، وهو "اللفظ المنقول"، المعنى المستعار منه، وهو "المشبه به"، المعنى المستعار له، وهو "المشبه"، القرينة الصارفة عن إرادة ما وضع له اللفظ في اصطلاح به التخليل. والقرينة دليل من المقال، أو من الحال، أو عقلي صرف، وهي التي تفسح عن الغرض، وترشد إلى المقصود، ويمتنع معها إجراء الكلام على حقيقته. ولم ينكر البيهقيون هذا الركن وقد رأيت إضافته لأنه إذا فقت القرينة لم تصح الاستعارة.

(١) ابن منظور: لسان العرب: ج ١ (عور).

(٢) تشرح: الجملتان: البيان والتشبيه، ج ١ ص ١٥٣، ٥٥/٤، والحوالي: ج ١ ص ٢٧٢، ابن قتيبة: تنويل مشكل لقرني، ص ١٢٥، السبره: الكحل في اللغة والأدب، لتحقيق أحمد كبري، ج ١ ص ١٥٣، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ج ٨٨/٢ في إشارته إنشاء حديثه عن التشبيه إلى الاستعارة لكن دون التصريح بها، قلعة بن حنبل: قد الشعر، ص ١٧٥ في الحديث عن (المعشلة)، انقلبي الجرحلي: الوصفة بين المشبه وخصوصه: ص ٤١، ٤٢، الأدي: المواربة بين لطيفين، ص ٢٢٤، أبو هلال العسكري: المتخلصين، ص ٢٩٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ابن حنبل: للخصائص، ج ٢ ص ٤٤٢، ٤٤٤، ابن سنان العنقلي: سر لتسلسلة: ص ١٠٨، ١٠٩، ١١٠ في حديثه عن شروط لصفة الكلام، ابن رشيق القيرواني: لاصحة، ج ١ ص ٢١٨، عبد قاتر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٥٣، وأسرار البلاغة: ص ٣٠، ٢٨، لغز الدين الرازي: نهاية الإبهات: ص ٨٢، السكاكي: مفتاح العلوم: ص ١٧٤، في الأثر: للمثل السائر: ج ١ ص ٣١٤، نو الإصباح للحدوثي المصري: تحرير التمييز: ص ٩٧، ابن ملك: للمصباح، ص ٦١، الشهاب محمود بن سليمان: حين التوسل، ١٢١، الترويض: الإيضاح: ص ٢٧٨، وللتلخيص: ص ٣٠٠، الطولي: السرور "المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، م، ج ١ ص ٢٠٢، القرطبي: منهاج العلماء: ص ٨٧، لتويري: نهاية الأرب، ص ٤٩، السبكي: عروس الأكرام (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ج ٤ ص ٤٥، لتنتزعي: المطول: ص ٣٥٧، الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج ٣ ص ٤٣٢، العموي: الخزانة ص ٤٧، السيوطي: شرح غرود المسيل، ص ٩٢، ابن بطويع المرمي: مواهب التلخيص (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ج ٤ ص ٤٥، والحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية: ١٣٦/١.

(٣) لفظ: داهمده مصطنع هارة: في البلاغة العربية طم البيان، دار العلوم العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، ص ٦٨، داهمده مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية: ص ١٤٠.

(٤) السكاكي: مفتاح العلوم: ص ١٧٤.

والاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية، فقد ظهر هذا الفن منذ القدم في الشعر العربي، لكن ظهور المصطلح كان متأخرًا، وذلك بعد بحوث للعلماء في الرد على الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم، وبعد المفاضلة بين الشعراء في المصور المختلفة .

وهي باب من أبواب المجاز اللغوي، أوردتها للعلماء السابقون بعد التشبيه لما بينهما - أي الاستعارة والتشبيه - من صلة إذ لا يخفى أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه الأسليين وألقاه وجه الشبه، فهي " مجاز قلم على التشبيه استعملت فيه الألفاظ في غير ما وضحت له في أصل اللغة، لعلاقة بينهما، وهي تعتمد على التماثل بين طرفيهما، بحيث يخل للمتلقي أن المشبه هو نفس المشبه به وذلك بإسقاط للمشبه من الصورة، وإن الاستعارة تخيلية المكنية كالاستعارة بالتمثيل، ضربان من ضروب التمثيل لا تعتمد للعلاقة التي تربط بين طرفي كل منهما على التكرار والتخييل وكونها منتزعة من قبل العقل لا الحس " (١).

ولكنها على الرغم من ذلك هي أبلغ من التشبيه " لأننا مهما بلغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين، وهذا اعترا بـتأنيدهما، وأن العلاقة بينهما ليست إلا تشبيه والتماثل فلا تصل حد الاتحاد، إذ جعلك لكل منهما اسمًا يعزى به لبيل على عدم امتزاجهما واتحادهما، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمشبه به صاروا شيئًا واحدًا يصق عليهما لفظ واحد، فإن قلت: رأيت بحرًا يعطي الباقس والمحتاج، كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئًا واحدًا حتى صبح أن تسمي أحدهما باسم الآخر، ولو لا ما أفعت من الدليل (القرينة) على ما تريد، لما خطر ببال المخاطب غير البحر الذي تعرف بهذا الاسم، ومن قبل هذا اشترط فيها تناسي التشبيه ودعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، فلا يذكر وجه الشبه، ولا لادته، لا لفظًا ولا تقديرًا ... " (٢).

وقد أدرك القدماء مكنة الاستعارة، وقيمتها بين فنون البيان، فقال ابن رشيق عنها: " الاستعارة أفضل للمجاز ... وليس في جلي الشعر أفضل منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، وبزلت موضعها " (٣).

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني هذه المكنة بقوله: " اعلم أن الاستعارة ... أمد ميدانها، وأشد افتقارًا، وأكثر جريئًا وأعجب حُسنًا وإحسانًا، ولوسع سعة بعد غوّزًا .. ولأشهر سبغًا، وأملًا بكل ما يملأ صخرًا، ويمتّع عقلًا، ويؤنس نفسًا، ويوفر أنسًا ... ومن للتضوية الجملة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدًا في صورة مدّجّة تزيد فترة نبلا، وفوجّب له بعد الفضل فضلًا ... وإنا نأثنت لكلم الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف البراعة، وبها تقتدر إلى أن تعبرها حلًا، وتقتصر عن أن تتازعها مناهًا، وصلختها نجومًا هي بدرها، وروضًا هي زهرها، وعرائس طلم تُعرّها خليها فهي عرطل، وكواعب ما لم تُخمنها نليس لها في الحسن حظ كامل . فإني لأرى بها الجماد خيًّا نليًّا ... " (٤).

(١) د. محمد عبد الحميد لامي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة العامة للتراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م، ص ١٢٠.

(٢) أحمد مصطفى الراعي: علوم البلاغة: البيان والمعاني والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م، ص ٢٥٨.

(٣) ابن رشيق: القصة: ٢٦٨.

(٤) عبد القاهر الجرجاني: لسان البلاغة: ٤٦-٤٣.

أما عن دورها، فقد تحدث عدد القاهر للجرجاني عنه حين لسم الاستعارة إلى: استعارة مفيدة، وهي التي تكون في الشعر، واستعارة غير مفيدة، وسبب استخدامها هو "التوسع في أوضاع اللغة، والتتوق في مراعاة الحقائق في الفروق في المعنى المنقول عليها، كوضعهم للعضو الواحد لاسمي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع الشفة للإنسان والمنشف للبحر، وما شاكل ذلك من فروق" (١).

ولعل السبب الرئيس في هذه المكنة المتميزة التي حازتها الاستعارة، هو "أنها تنحل في نفس السامع ما لا تفعل في الحقيقة" (٢). فهي أبليغ من الحقيقة لأنها "تعبير تصويري، وتعني أنها تبصر عن المعنى في صورة تشكل في ذهن القارئ المتلقي، لتكون لذلك لوقع في نفسه، وأصق تأثيراً فيها، لأن الصورة أبين وأظهر. وكان القارئ يشاهد المعنى ويعينه. والمشاهدة أدعى وأبليغ في الإدراك. وهذا هو نضل الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة" (٣)، وعبارة كما أبان المرزولي "الذهن والنظنة" (٤).

ومع هذه المكنة الكبيرة التي أكر بها القماماء، فقد ظل احتفالهم بالتشبيه وإعلاء بلاغته كبيراً مقارنة بالاستعارة، "لأنهم الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه، ولذلك عد أصلاً وعدت الاستعارة لرغاله، ومنذ ابتداء البحث فيهما والعلماء يخلطونهما، فيجعلون بعض الاستعارات تشبيهات، وكثيراً ما يعمسون، فيطلقون على بعض التشبيهات لقب الاستعارة" (٥).

بالإضافة إلى أن "درس للتشبيه عند البلاغيين العرب قد أخذ حظاً أوفى من درس الاستعارة، وأن العرب قد أولوا تشبيه غاية تفوق غنيتهم بالأنواع للبلاغية الأخرى، حتى عدوه أحد أعراض الشعر للرسمية، أما درس الاستعارة، فلم يزل حقه من العناية إلا طلى يد عبد القاهر للجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" (٦).

وك وجد هذا الأمر صده عند شراح الحماسة، فلم يكن لشرح الحماسة وقد اطلعوا على مصنفات أسلافهم من البلاغيين والنقاد، والمتشبعين بآرائهم وأحكامهم، أن يغربوا بعيداً عن السرب، فنراهم قد تلقوا تلك الرؤى ممن قبلهم، فلم ينزلوا الاستعارة مكنتها في علم البيان، ولم يتفروها حق قدرها، مقارنة بالتشبيه، وهو ما انعكس على شراح شعر ديوان الحماسة، فلم تلق الاستعارة من العناية والاهتمام ما لاقه التشبيه، فتناضوا عن تحليل كثير من الاستعارات الواردة في ديوان الحماسة، ولم يحدوا صورها.

وهذا لا يعني أن شراح الحماسة لم يلتفتوا إليها، ولم يولوها أهمية، وإنما يعني أن اهتمامهم بها تم من خلال سياق مختلف، ولعل الملحوظة الأولى في هذا السياق أن بعض الشراح قد اعتدوا بها، وتحذوا عنها، وخصوها

(١) عدد نقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص ٢٦٠.

(٢) أبو مائل السكري: الصنائع: ٢٧٥.

(٣) دلائل السوسي للبدوي: الخصائص البلاغية والتشبيهية في شرح المرزولي على ديوان الحماسة: ص ٤٩٦.

(٤) المرزولي: شرح ديوان الحماسة، المقدمة، ص ١١.

(٥) دبري طبانة: دليل السوسي دراسة تاريخية نقدية في أصول البلاغة العربية. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٧ هـ.

(٦) ١٩٥٨ م، ص ٣٠٠.

(٧) شرح المرزولي الحظية والإجمات، ص ١٧.

بجزء من دراستهم، وتغنوا في كيفية معالجة صورها، وأبقوا عن فضلها وأهميتها ومكنتها، واستحسنوا بعضها، وعلوا البعض الآخر، مدعين أنهم بالشواهد والأمثلة المختلفة.

ومن هنا وجدنا في شروحهم التفات حمولة، ولتباينت نكل على نكاه ولماحية في تتبع أصل الفكرة التي أراد الشاعر تناولها، وهو ما سيبتدى لنا في الصفحات التالية.

شرح الصورة الاستعارية وتحليلها:

سار الشراح في تناولهم الاستعارة على المنوال نفسه الذي تتبعوه في شرح التشبيه، فهم يشرحون الاستعارة لتوضيح وبيان معنى الصورة الشعرية.

يقدم الشارح تعليقه المتصل بالاستعارة وفقاً للسباق الواردة فيه، وهو "ما ييوح بإمكانية الخروج عن الاستعمال الجاري للفظ غير أنه خروج مشروط ليس على طريقة للمفارقة التي نموزها القران" (١). لذلك وجدنا الشراح في كثير من الاستعارات التي يتعرضون لها بالشرح والتحليل، يكتفون بهذا الشرح عن نثر المعنى وفرد، يحل بذلك شرح الاستعارة محل شرح النص الشعري، من ذلك مثلاً تعليق المروزي على هذين البيتين:

مثل قول تليط شرا، وذكر أنه لطف الأحمر، وهو الصحيح: (المديد)
ثُمَّ صُفِّىَ الْبُغْيُ لِقَتْلِي هُنَيْلٍ وَتَزَى الْغُثْبُ لَهَا زِمْتَهُلُ
وَعِثَانِي الطَّبِيرُ تَهْلُ وَبَطْنُهَا تَهْطُلُ أَهْمُ لَهَا زِمْتَهُلُ

"استعار الضحك للضحك، والاستهلال للثوب. وأصل التهليل والاستهلال في الفرح والصباح، والمراد رعد العرش لهما، واتصل طمعهما بقصص قلله في هزيل. وليس قول من قال معنى تضحك: تحوض، بشيء" (٢).

ومقصد الشاعر "أنهم قد أولعوا في قبيلة هزيل وقعة عظيمة، حتى كثرت فيهم المتلى، فبر عن هذا المعنى المراد بفرح الضحك والضحك، فاستعار للضحك، وللثوب الاستهلال وهو الصباح عد الفرح" (٣).

وقد يتعرضون للاستعارة بالتحليل والشرح في سياق شرحهم لدلالة البيت، وكل كلاما يكمل الآخر ويؤكد. يتضح ذلك من تحليل المروزي لهذا البيت: قلت عمرة الغنمية، ترني انبها: (الطويل)
هَـمَا تَبْـسَمَانِ الْعَجْـدُ لَحْمَنَ بِنْتِئُ شَجَبِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ جِلَافُنَا

"وصفتها بأنهما يكتبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل اكتساب، وأنهما يضلن به حيث ظهر وطلع فلا يتركنه لأحد ماداماً يستطيعان كسبه والفوز به ... ومعنى (يبسان المجد)، أي يتعاقبان ويمتعان به. وقال: (الطويل)

(١) د/عبد الوهبي: شرح الشعر عند العرب، ص ١٦٧.

(٢) المروزي: شرح ديوان الغنمية: حماسة (٢٧٣)، ص (٨٣٧/١).

(٣) د/إلهام الموسوي: العناصر البلاغية والتشبيه في شرح المروزي على ديوان الغنمية: ص ١٩٦.

لَبِثْتُ أَمْسِي خَشْيَ ثَنَانِيَّتْ غَرِيْبَةٍ وَيَتَوَكَّلْتُ أَغْنَايِي وَيَتَوَكَّلْتُ خَالِيَا ^(١).

وقال الكروبيون بن زيد:
رَأَيْتُ بِي وَنَحْنُ لِنُسَمِّي الْمَشِيْبَ قَائِلُتْ غَضَابِي فَكُوْنِي أَمَلًا خَيْرَ أَمَلٍ (الطويل)

"يقول: رأيتني هذه القبيلة، وقد قنعني المشيب بخماره، وتجذني الدهر بأحداثه ومصائبه، فملت رجاء ما بغضاني وكففتني، وشددت أزرها لما تفرست في نظري وشهامتي، فقوت أملياً، وأكنت طمعياً، قلت: كوني أملاً خيراً أملاً. وهذا الكلام يجوز أن يكون معناه دومي على أمك وكوني خيراً أملياً، فأصق ظنك وأحق طمعك. ويجوز أن يكون دعاء لها، كقوله: قل: جعلك الله خيراً أملياً. وخير الأملين من يبلغه الله ما موله، ويبيله طلبته وسوله. وإنما قل "كوني أملاً" ولم يقل أملاً، لأن المراد كوني حياً أملاً، فلم يقصد قصدها ^(٢).

أما قول أبو الغول الطهوي في الفخر بشجاعة قومه:
وَلَا تَبْلَى بِمَنَاثِلِهِمْ فَإِنَّ هُمْ صَالُوا بِالْخَرْبِ جَيْشًا يَفْذُجِينِ (الوافر)

نجد الاستعارة قد وقعت في قوله "ولا تبلى بمناثلهم"، وقد شرحها المرزوقي فقال: "يقال: بلى الثوب، يبلى بلى وبلاء. ويستعار فيقال: لبست فلاناً وبليته، إذا استمتعت به وتعليته. وإنما بصفهم بالاستمرار على حالة واحدة في مزاوله الحرب. ولأن شجاعهم لا تنقص، ولا تبلى عند امتداد الشر، واتصال البلاء ^(٣).

وهذا شرح واضح للصورة الاستعارية، يفيد في بيان معنى البيت. ويزيد في قوة هذه الصورة قول الشاعر "صلوا بالحرب" وهو تعميق لمعنى الاستعارة، إذ جعل الشاعر الحرب نازلاً يصلى بها الفرسان المحاربون.

وقد ينتبه الشارح إلى ما في البيت من استعارة، ويقوم بشرحها وتحليلها، ولكن دون التصريح بمصطلحها، والامتعاضة عنه بمصطلحات أخرى، فقد يستخدم مصطلح "المثل"، كما وقع في قول أبو صخر الهنلي:

رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْفَرَسِي لَهَا وَرَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجَّرُ بِالزَّنَاجِ وَرَأَيْتُ الْمَنِيَّةَ فَهِيَ ظِلٌّ غَلِي الْأَبْطَالِ ذَاتِيَّةُ الْجَنَاحِ (الوافر)

في البيت الثاني استعارة انتبه إليها المرزوقي، وشرحها مع بيان وجود تركيبها. ولكن العجيب في الأمر أنه لم يصرح بأن في البيت استعارة، بل ذكر مصطلح "المثل" للدلالة عليها، وذلك بقوله: "يقول: ولما استدارت المنية وحلقت على رموس الأبطال، فهي ظل ذاتية الجناح من قمم رموسهم. وهذا مثل. والمعنى: لما أشرقت المنية عليهم إشراف الطائر على ما يريد إنكداره عليه، بقت فضيلتهم. ويقال: راق الطائر في الهواء، إذا حلّق واستدار،

(١) المبرودي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٨٦)، (٢/ ١٠٨٤).

(٢) نسه: حماسة (٢٦٠)، (١/ ٦٣٩).

(٣) نسه: حماسة (٣)، (١/ ٤١).

وجعل للمنية ضلاً تحقياً للاستعارة من الطغر، لأنه يوقع ظله في تلك الحالة. وجعل الجناح دانياً تأكيداً لطمع الموت في الفوز بالأرواح الاختلاس. وكذا الطغر في التحليق عند الانتفاض " (١).

فالاستعارة هنا غنية التركيب كما بين المرزوقي في تحليله وهي " ذات أبعاد وأجزاء عديدة، يتجمع بعضها إلى بعض، وتكثف فيما بينها وتؤلف صورة شعرية واحدة قوية الدلالة والإيهام.

أ - فالاستعارة تبدأ بقول الشاعر " ورنقت المنية "، أي برزت المنية في صورة طغر الموت، وهو يحلق فوق الأبطال في ساحة القتال. وهذا تصوير لشدة القتال والتعالم الأبطال.

ب - وتتسع الاستعارة بقول الشاعر " فهي ظل على الأبطال "، أي المنية - الطغر لها ظل واسع يمتد ويظل الأبطال جميعاً. وهذا تصوير لكثرة القتلى في هذه الحرب وشمول البلاء كل المحاربين.

ج - ويؤكد الشاعر الاستعارة ويقويها بقوله " دانية الجناح " فتبلغ ذروة الإيهام بالموت.

فالمصورة الاستعارية بوحه تركيبها و كل أجزائها نزل على شدة الحرب وشمول البلاء. وتوحي بتحليق الموت فوق رؤوس الأبطال. وقد أشار المرزوقي إلى كل ذلك حين شرح المعاني دون تصريح بالاستعارة " (٢).

أو يستخدم مصطلح " المجاز " للتعبير عن " الاستعارة "، كما في المثال التالي من قصيدة دريد بن الصمة:

وَعَبْدُ نَفْسُوتٍ تَخْجِلُ الظُّنُوزَ خَوْلَةً وَغَزْرُ الْمَصَابِ جُثُو قُبْرِ غُلَى قُبْرِ

بقول: "... واستعمل الجثو محاز هنا، لأن القبر لا يجثو، والحثو من التراب وغيره " (٣). وهذه استعارة ظاهرة للعين، وليس للمجاز هنا وجه.

وقد يعتمد التعبير المصطلحين معاً المجاز والاستعارة؛ نتيجة للطريقة التي يستخدم بها الشارح مصطلحات الصورة مما قد يدفع المتلقي إلى التحويل على جانب الإيهام لتفسير رؤياه وتلميم وجهته، أو لتبنيها كما

أرادها له الشارح أن تكون، كما جاء في شرح قول دريد بن الصمة:

فَمَبِيشُ الْإِزَابِ خَارِجٌ بِصَفِّ سَنَابِلِهِ يَجِيءُ مِنْ الْأَفْصَاتِ طَلَاغٌ أَنْجَبِ

بقول المرزوقي: " للكمش والكمش: الخوف السريع للحركة، يقال: اتكمش في حاجتك أي تخطف وأسرع، وأضاف الكمش إلى الإزار على المجاز " (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصمة، جلد ١ (١٠٩)، ٢٢٧/١ (٢٢٨).

(٢) د. الهادي السوي للمد القوي: التفسير البلاغي واللفظي في شرح المرزوقي على ديوان الصمة: ص ٤٩٧.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الصمة: جلد ١ (٢٧٢)، ٨٢٣/١.

(٤) نسه: جلد ١ (٢٧١)، ٨١٨/١.

نقد أشر المرزوقي إلى الاستعارة في تعليقه على إضالة الكميش إلى الإزار، ولكنه لم ينص على تعبير الاستعارة، بل استخدم مصطلح المجاز، للتعبير عن تلك الصورة، وهو مجاز مرسل يتحدث فيه عن نوع محدد هو النوع "الذي يشكل علاقة لحتواء بين الإزار وصلبته، أي أن صفة الخفة لا تلتحق بالإزار، بل بمن يرتديه، وما هنا يبدو المجاز من أساليب الاختصار في الكلام، بدلاً من أن يقال: إن صاحب الإزار سريع الحركة يختصر التعبير إلى أن الإزار سريع الحركة، ووفقاً لهذا التفسير فإن المجاز المرسل في هذه الحالة لا يخلق صورة، ولا يعد بعض البلاغيين الغربيين تبعاً لذلك من الأنواع التصويرية، بل إنه من الطرائق التي تلجأ إليها اللغة في الاختصار، لكن لتعبير "كميش الإزار" منظور آخر، فمن الممكن أن يعد هذا التعبير صورة، وإن تحقق صفة الخفة في الإزار نفسه، وإن فُتح أمام مجال تبيّن فيه الحيوية في الجمادات، ثم يتم بعد ذلك - عن طريق عملية من عمليات الإحياء - نقل هذا المجال إلى المجال الإنساني نفسه ليتحقق من خلالها تصور صحيح للتعبير. وإن فُتح أمام استعارة، ووفقاً للاحتمالين السابقين يبدو تعبير "كميش الإزار" محتملاً لمجاز المرسل تارة، وللاستعارة تارة أخرى^(١).

وقد لا يستخدم الشارح أي مصطلح في شرحه للاستعارة، مثل شرح المرزوقي لهذا البيت من قصيدة لجعفر بن عتبة الحارثي:

لا يتكشّف الفناء إلا ابن حُسرة يُسرى غُصنات العنوت ثم يزوّفاً

بالقول: "معنى (غصنات العنوت) أن يتحقّقها بالممارسة حتى يصير كله أمركها بحاسة العين وشاهدنا"^(٢).

وقد يهمل الشارح - أحياناً - ذكر الاستعارات الواقعة في أقوال شعراء الحماسة، بل يمر عليها مرور الكرام، من غير عناية أو اهتمام، ومن غير شرح ولا تحليل. مثال ذلك قول الشاعر:

من أغيثه فلن للردى بأبيته فُلّقى مؤلّقة الشفّار جذاب

فعلّقه والغنم فبسي زهيج الوغى فخلّاه تشنّع مبدّل نون الجباب

في هذا البيت استعارة في قول الشاعر "كلّس الردى"، وهي استعارة بارزة للعنان، وظاهرة غير خفية. وقد مر بها المرزوقي مر الكرام من غير إشارة أو تلميح. ولم يكلف نفسه عناء شرح الصورة فيها وبيّنها^(٣).

وأمثال هذا الصنيع كثيرة في الكتاب. منها إهمال ذكر الاستعارة في قول النّقل الكلابي:

أرى الهيم، إذ ضاقت الزّناح فأصنحت منازله تفشّش فيها الثّعالب^(٤)

والاستعارة هنا في قول الشاعر: "أرى الهيم، إذ ضاقت الزّناح"، ولم يشر إليها المرزوقي كما لم يعد إلى شرحها.

(١) د/المدحرة: شرح المرزوقي النظرية والإجراءات، ص ٥٦، ٥٧.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٥)، (١١/١)، (٥٠).

(٣) د/إمام الواسي المد اللوي: الحاسر البلاغية والتفنيد في شرح المرزوقي على ديوان الحماسة: ص ١٩٩، وانظر المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٢٤)، (١١/١)، (٦٧٢)، (٦٧١).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢١٧)، (١٠/١)، (٦٥٢).

ويشبه هذا المثال قول الشاعر خلف بن خليفة:
 وَيَا لَذِيٍّ أَشْجَقِي وَغَمٍّ مِنْ شَجٍّ لَهْ
 زَيْسٍ خَوْلَهَا أَنْثَاهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرِينِكَ أَشْجَانًا وَفَنٍّ مَفُونٍ^(١)
 (الطويل)

والاستعارة هنا في قول الشاعر "قرينك أشجانًا"، ولم يشرحها المرزوقي.

وربما مرد ذلك - أعني إعراض الشارح عن الإشارة إلى أمثال تلك الاستعارات - يرجع إلى بساطتها ووضوحها وضعف جاذبية التصوير فيها.

وقد جعل هذا المغاليل - أعني تغافل الشارح عن صور استعارية باهرة ومؤثرة - الشارح "بعدم تفسيرات غير مقبولة - حتى بمقاييس النوق القديم - لبعض الصور الاستعارية"^(٢)، من مثل تعليق المرزوقي على الصورة في قصيدة الصمة بن عبد الله القشيري "حننت إلى ربا"، وهي قصيدة مشهورة:
 وَلَيْسَ رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَغْرَضَ نَوْنًا وَخَالَتْ بِثَلَاثِ الشُّوْقِ وَخَشْيٌ تَزْعَا
 بَكَتْ عَيْنِي الْيَتَامَى فَلَمَّا زَجَرْتُهُمَا غَشِنَ الْجَهْلُ بِفَذِ الْجُلَمِ أَسْبَلَتْهَا
 (الطويل)

يقول: "وإنما قل: "بكت عيني اليتيمى" لأنه كان أعور ممعنا بعينه اليسرى، والعين العوراء لا تدمع، فيقول بكت عيني الصحيحة، فاحتشنت في زجرها عن تعطلي العهل بعد أن كنت تحلمت. وتركبت الصبر، فلما تكلفت ذلك لها، أنلت العوراء تنمع معها وتبكي، وبه بهذا على عصيات النفس والقلب، وقلة لتمامها له، وأنهما إذا زجرا، وردا عن مواردما زادا المنكر منهما"^(٣).

فشرح المرزوقي للبيت لا يعدو كونه إشارة لمعنى البيت من غير تحليل لخصائص الصورة الاستعارية، ولا بيان لآلتها الرمزية.

وفي بعض الحالات نرى من الشارح من ينص على الصفة الاستعارية للصورة، كما في قول شاعر الحملة:
 (بلعاء بن قيس)
 وَقَارِيسٍ لَبِي غَضَابِ الْمَوْتِ مُنْقَبِحٍ إِذَا تَلَّيَ غَلَسِي مَقْرُوبِهِ مِنْتَلَا
 (البيط)

يقول المرزوقي: "جعل للموت غمرا على التشبيه بالماء، ثم جعله منقسما فيها، فحسنت الاستعارة"^(٤).

وقول شاعر الحملة: (تلبط شرا)
 شَخْخُذُ الْخَبْنِغِ بِفَتْبَاسِي مُنْقَبِحٍ
 وَعَدَّائِي الطُّيُوسِ تَهْفُو بِطَانَا
 (المديد)

(١) المروقي: شرح ديوان الصمة: حماسة (٢٩٦)، (١/٨٨٩).

(٢) دبا بعد حمرة: شرح المروقي الشعرية والأجرام، ص ٦٦.

(٣) المروقي: شرح ديوان الصمة: حماسة (٢٩٤)، (٢/١٢١٧).

(٤) حماسة (٨)، (١/٥٩).

يقول المرزولي: "استعار الضحك للضعف، والاستهلال للفتن، وأصل التهليل والاستهلال في الفرح والصباح، والمراد رعد الجيش لهما، واتصال طعمنهما بقصائل تله في هذيل، وليس قول من قال معنى تحضك: تحيض بشيء" (١).

وفي سبق هذا الشرح، وجفاهم يحتجون لها بنظير من الشعر، لو الأمتل، أو مما حكى عن العرب وما عرف من طريقتهم في التعبير المجازي.

نمن احتجاجهم بما ورد عن العرب من أمثال وأشعار، استعارة الإناء للحرمة والحمى في قول حسان بن عطية:

فإن ابن أخت القوم مصفى إناؤه إذا لم يترجم خالصة باب جلي (الطويل)

"يقول: ابن أخت القوم منعوس الحظ منقوص الشرب، ممل الإناء والحوض متى لم تتجدد أبوة يشد بها أمومتها، وعصومة يتلذ بها خزولته. وهذه الأمثال مضرورية للهضيمة تلحق فلا يتحرك لطمعها الأخوال وإن كان بين ظهرائهم، ولأن الحماية إنما يبعثها تراقد بني الأعمام، أو المنتسجين إلى الأبناء، وجواب إذا لم يزاحم مقدم، وهو ضرف لإصفاء الإناء. واستعارة الإناء ها هنا كما قال زهير:

ومن لا يند عن خوضه بيلاجه يندم ومن لا يتلجم الناس يظلم (الطويل)

ومن هذه الطريقة قوله: يسا جفنة كمنبيج الخوضي فند فلانت ينني صيقين يثو فزقنا القنر (البيط)

وإن كان في الكفة ما ليس في الإصعاء، فاعلمه" (٢).

ومما حكى عن العرب وما عرف من طريقتهم في التعبير المجازي. ما جاء في قول شاعر الحملة:

أفصول بالخيسان وقد صلبت لهم وطابي ونومي ضيق الخجر مغور (تأبط ثرا) (الطويل)

يقول المرزولي: "من كلامهم (نعود ساء من صفر الإناء، وقرع الفناء) وهذه استعارة من شمول القحط وهلاك المال" (٣).

وقد التفت الشراح في إطار تحليل الاستعارة إلى أهميتها، ودورها في إثراء اللغة، من خلال تطبيقاتهم على كثير من الألفاظ كما في تعليق المرزولي على هذا البيت: (بلعاء بن قيس) (البيط)

غشوته وقور في جأزة باميلة غصنا أعصاب منقاة الرأس فذفلا

(١) المرزولي: شرح ديوان الحملة: حملة (٢٧٣)، (١ / ٨٣٧).

(٢) نفسه: حملة (١٧٢)، (١ / ٥٢١).

(٣) نفسه: حملة (١١)، (١ / ٧٧).

" يقول: العصب القطع، وتوسعوا فيه لقلوا: عضبه عن حلجته، أي حبسه، وامراً معضوية، أي معضولة، وسيف عضب أي قطع، كنه وصف بالمصدر، والتعشي أصله الإتيان والملابسة، ومنه الغشاوة: الغطاء، وتوسعوا فيه حتى قيل تغشاهم بالعدل أو الجور " (١).

ففي المثال السابق نجد المرزوقي يقف " أمام كلمتين في البيت: عضبا وغشيته، ويرى أن لهما معنيين أصليين هما القطع لعصب، والإتيان والملابسة للغشاوة، ثم حدث لهما نوع من التوسع في المعنى، فأصبح العصب هو الحبس أيضاً، وأما الغشاوة فإن التوسع فيها تم عن طريق التركيب، إذ الأصل في معناه أن ينسحب على كل ما يلائم أن يكون غطاء، فحدث نوع من التوسع المعنى ليكون أيضاً في العدل أو الجور، أو النعاس كما في الآية القرآنية " إذ يمشيكم النعاس أمانة منه " (الأنفال / ١١) " (٢).

وفي أثناء ذلك قد يكشف الشارح عن معنى إضافي للكلمة، وهو معنى تم عن طريق الاستعارة، كما في تعليق المرزوقي على بيت: (سعد بن ناسب) (الطويل)

لَمَّا إِنَّمَا يَمْنُوا بِالْفُتُورِ نَابِي فَأَرْهَبَا ثَرَاتُ قَسِيرٍ لَا يَتَّعَالِي الْفُزَارِيَا

" يقول: الهمد: القلق والتخريب ... وتوسعوا فيه فقلل للثوب الخلق هدم، وجمعه أهدام، وقيل: عحوز متهمة، أي همة فدية " (٣).

فنجد المرزوقي في تحليله للبيت ومفرداته قد كشف لنا عن " معنى إضافي لكلمة " تهدموا "، وهو معنى تم عن طريق الاستعارة، فقلوب الخلق يشبه ثياب التقييم الموشك على الهمد، وإن كان عملية نقل المعنى أو التوسع في المعنى الأصلي جاء من خلال توازن بين صورتين، جاز فيهما أن ينقل لفظ من أحدهما، ليطلق على الأخرى " (٤).

وفي أثناء تعرضهم للاستعارات بالشرح والتحليل نلمح حرص الشراح على التنبيه على المطروق المتداول أو الكثير المشهور من الاستعارات، وكذلك الزيادات التي أضفها شعراء الحملة على تلك الاستعارات المستعملة، بحيث أفردت لهم لونا من الخصوصية والتفرد، ميزتهم عن غيرهم من الشعراء.

فمن الكثير المشهور، قول سعد بن ناسب: (الطويل)

فَأَرْهَبَا إِذَا مَا الْخَرْبُ أَفْشَتْ قِنَاعَهَا بِهَا جَيْنٌ وَخُفُوفَا بَنُوْنَا لِأَرْهَبَا

الاستعارة في هذا البيت " للحرب ألقت قناعها "، وقد أشار إليها المرزوقي بقوله: "وقوله: ألقت قناعها مثل" (٥)، ومثل بمعنى تمثيل، أي تصوير. وهو يريد بذلك الاستعارة. وقد شرح المرزوقي الصورة الاستعارية هنا

(١) المرزوقي شرح ديوان الصنعة، حاشية (٨)، (١/ ٦٠).

(٢) د/أحمد صبرة شرح المرزوقي نظرية والإجراءات، ص ٦٦.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان المملوك، حاشية (١٠)، (١/ ٧٠).

(٤) د/أحمد صبرة. شرح المرزوقي نظرية والإجراءات، ص ٦٤.

(٥) المرزوقي شرح ديوان الصنعة، حاشية (٢٢٢)، (١/ ٦٦٩).

فلحسن شرحها بقوله: "لثقت قاعها وجفاها لبنزها. وقوله لثقت قاعها مثل: يريد: إذا اثنت تكشفت، وزالت المسقرة بين أولادها فترجت، في كبح زيبا وأظن صورتها. وتشبيه العرب في ابتدائها بالفتية المخدرة وتسترها، وعند تمسكها بالعجز وأظلمها لقاعها، مشهور في حلقهم وطرائقهم" (١). يضي عادات الشعراء وطرائقهم في لشعارهم.

ولم يكن شعراء الحملة مجرد محكون أو مقلدون، بل إنهم استطاعوا أن يعيدوا تشكيل الكثير من الصور الاستعارية، ويصوغونها بشخصيتهم الفنية ورويتهم الإبداعية، بما يعكس شاعريتهم وأصالتهم. وهذا أمر قد عني به المرزوقي على وجه الخصوص.

فهناك الزيادات التي أضالها شعراء الحملة على استعارات قد تكون معروفة أو متداولة بين الشعراء، ومن الشواهد في ذلك قول العدول بن الفرخ العجلي "القصيدة من المنصفت": (الطويل)

غَفِي حَزْنِي أَلَا أَرَأَى الْقَتَا نَجُجُ نَجِيغًا مِنْ فَرَاغِي وَمِنْ غَضْدي

"المعنى: كفى من حزن أنى لا أزال أرى الرماح تصب دماً من ذراعي ومن عضدي. أي من قوم بهم أظن وأعز، فهم منى بمنزلة الذراع والعضد. وهذا في الاستعارة لمن يقوى به الرجل ويعتضد أبلغ واتسع وإن تساوت الطريقتان - من قول الآخر: (فيس بن زهير)

فَإِنْ أَكْ قَدْ نَزَرْتُ بِهِمْ غِيْلِي فَنَمُ أَقْطَعُ بِهِمْ إِلَّا بَنَائِي" (٢).

وما وقع في قول لبان بن عتبة بن العيل:

إِذَا نَحْنُ بِمَرْقَا نَسُوقُ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ تَخْرُكُ يَغْظَانُ الشُّرَابُ وَثَائِيَّة

وعلق عليه المرزوقي بالقول: "لم يرض بما انتهى إليه من الوصف في كثرتة، فزاد وقال: إذا سرنا بين مشارق الأرض ومغاربها طبقنا الأرض بكثرتنا، فنزلنا لنا الطريق المسلوكة وغير المسلوكة، والبقطلى: ما وطئ بالأرمل وسلكه، فكان تربيه منتبة. والسلام: الذي لم يوطأ ولم يسلك، فكان تربيه نائم. وقد أحسن ما شاء في الاستعارة، والطبق بالنوم والبقطة. فأما قول زهير:

يُهْدِنَا مَا دُونَ زَمْنَةٍ عَالِيَةٍ وَمِنْ أَهْلَةٍ بِالْخَوْدِ زَانَتْ زَلْزَلَةٌ

فقد حسنه التقسيم وإن كان شلوه مقصوراً عن شلو هذا" (٣).

ويظهر بشكل جلي النزعة التعليمية التي حرص تراج الحماسة على استحضارها أثناء تحليل الاستعارة وشرحها. ويبدو ذلك واضحاً من خلال حرصهم على تلمس الشيء المستعار، وبيان لوجه استخدامه واستعماله .. فـ (الملق) في قول شاعر الحملة: (مورج)

(البيسط)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حاشية (٢٢٢) . (١ / ٦٦٦) .

(٢) نسه: حاشية (٢٤٩) . (١ / ٧٢٤) .

(٣) نسه: حاشية (٢٠٨) . (١ / ٦٣٦) . (١ / ٦٣٧) .

لَمْ يَشْرِكْ الدُّهْرُ بِسِي غُلْفَا أَضْنُ بِهْ إِلَّا امْتِطَقَاهُ بْطَلِي لِي أَوْ يَهْجُ رَانِ

أصله " العمل الكريم، وجمعه أعلق وعلق. واستعاره ها هنا " (١)

وقد تختلف صيغة التعبير عن ناصيل الاستعارة، عن الصيغ السابقة، ولكن المغزى واحد، بحيث يكون الاختلاف في المبنى والاتفاق في المبنى، والتميز في الشكل والاتحاد في المضمون. من هذا القبيل ما عقب به المرزوقي على الاستعارة الواقعة في بيت إبراهيم بن كنيف النبطي:

وَلَقَسْنِ رَحْلَانَا فَنَفُوسَنَا كَرِيمَةً تَحْجُلُ نَسَا لَا يُسْتَنْطَاعُ فَتَحْبِسُنْ (الكليل)

يقوله: " يجوز أن يكون معنى رحلانا روحنا لها نفوساً، والضمير للحوادث، ويكون هذا كقولهم كلتك وكلت لك ووزنتك ووزنت لك، ويكون نفوساً مفعولاً لرحلنا. ويجوز أن يكون الضمير أعنى ضمير المنصوب في " رحلانا " للنفس، على أن يكون مفعولاً. وأنى بالضمير قبل النكر، ثم جعل قوله نفوساً بدلاً منها، على طريق التبيين. وقوله " ولكن " حرمت يستدرك بها بعد التني، فيكون المعنى ما تذللنا للتواضع ولكن حينئذ لها نفوساً تحف من الرضا بالندية، فلا تنسى كرمها، وتكلف أمور لا تنهض بها فتتكلفها ... فلما قوله: " رحلانا " في الاستعارة، فكما يدل استعملت فلاناً نفسى، وركبتى ظلامت وما أشبهها. وحكى: هو يرحله بما يكرهه، أي يركبه؛ ولا رحلتك بالسيف، أي لا علوتك " (٢).

ولعل الحرص على التنبيه على تاصيل الشيء المستعار، يرجع إلى اهتمام الشراح برصد التملورات الدلالية التي تتعور على اللفظ الواحد لآثر الارتباط بين اللفظ ودلالته في توجيه المعنى.

تعد الصورة الاستعارية:

لم يتوكل جهد الشراح عند مجرد الإشارة إلى الاستعارة أو حتى فكرها، بل امتد ليشمل تقويم هذه الاستعارة، وقد صورتها، فالشارح لما يتخلص من نزعه التحليلية وهوائه التقييمية، لذلك وجدنا منه كثيراً من التعليقات التي توضع نظراً للصورة التي رسمها الشاعر، مصدراً رآه على أداء الشاعر بالاستحسان أو الاستفاح لما أتاه الشاعر في هذا اللون من ألوان الفن البياني.

لذلك وجدنا تعليقاتهم للصورة تزخر بالعديد من الأحكام النقدية، التي لم تخرج - في أغلبها - عن نطاق الأحكام للنقدية المسندة بين أوساط النقد والبلاغيين، فجاءت أحكام الشراح مشتقة منها، بل وتعد امتداداً لها.

ويمكن تحديد أهم الأحكام والمفاهيم التي استند إليها الشراح في تحديد حودة هذه الاستعارات أو رداعتها، فيما يلي:

(١) المرزوقي شرح مولى العمارة. محاسن (٧٨) ٠ (٢٧٤ / ١).

(٢) مسابه (٧٠) ٠ (٢٦٠ / ١).

١ - القرب للمعوس والشبه الواضح بين طرفي الاستعارة:

١- "ملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمثبه به، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لأنه المفقود عما كان له في الوضع إلى المستعار له" (١).

ومن الشواهد في ذلك قول جابر بن ثعلب الطائي في وصف الفتى:

فَلَيْتُ الْفَتَى ذَا الْخَزْمِ رَامٌ بِنَفْسِهِ جَوَاشِينَ هَذَا الْكُتْلَى غَيْرَ يَتَمَوَّلَا (الطويل)

"في الكلام اختصار، كقوله قال: فأجبتن فقلت: إن الفتى الحازم يحمل نفسه المشققت، ويرمي بنفسه المتألف للصجبت، ويمطلي الأموال، كي ينال الأموال، غير مفكر في ظلمة ليل، ولا مستصعب لركوب خطب. وقوله: جواشين هذا الليل يعني صدورها وأولئها. والليل بإزاء النهار في الاستعارة. والليلة بإزاء اليوم. والإشارة بهذا على طريق التريب. وهم يستحيرون الجواشين والهودي والصدور والنحور والأعناق والرووس لأولئ الأمور، كما يستحيرون الأعماز والأبار والأعقاب والأنتاب لأواخرها" (٢).

٢ - وضع اللفظ في موضعها على الوجه الذي يوافق الاستعارة:

كما نرى في قول أبو حنيفة الشامي في وصف الإخوال والنور عن الإقدام والمشاركة في الحرب: (السيط)

مَنْ كَانَ أَخْجَمَ أَوْ خَانَتْ خَبِيرَتُهُ جَنَّةُ الْجَفَائِظِ فَمَنْ يُقْبِلُ عَلَى الْفَخْمِ
فَقَتْبُهُ نَبْنُ زَقْتِرٍ نَوْمٌ نَارِلُهُ جَنَحٌ مِنْ الثَّرَى لَمْ يُحْجَمْ وَلَمْ يُجْمِ

"هذا الكلام يجري مجرى التعريض لما يشتمل عليه من التعبير ... واستعارة النوم فيها حسن، فهو كما يقال نام الثوب إذا أخلق ... وقوله لم يخم يقال خام عن قرنه، إذا نكل ونكص على عقبه. ويقال أيضاً: خام لي مكيبته يخيم، إذا لم يظفر فيها بخير" (٣).

وقول زيد بن حصين:

أَبْقَى عَلَى النَّوْمِ نَا بَهْتَةً مُنْزِيَرٍ وَنَابِي لَمَّا لَمْ تَسْتَنْهِ النَّوْمُ فَمَا سَهَرِي
أَلَمْ تَقْلِبِي أَمْسِي إِذَا السَّهَرُ مَسْتَبِي بِنَابِيَةٍ زُلْتُ وَلَمْ أَنْتَرْبِرِ

"يخاطب لامة له يرم بلومها قال: قلتي من لومك علي ونلمي علي، فإن تعذر النوم عليك سنجرا بالحاقة التي تجسرا فاسهري، ليس لك من عتبك ما يرد نفعاً علي ولا عليك. ثم أخذ يقرها على لثة احتفاله بما يأتي به الدهر، فقال: لما علمت أن الزمان إذا مسني بحثه ذهب علي ولم أتردد في حرقته، ولم أتكس في لواحق شره ونواقبه، بل أمضي قدما علي ما يسني منه

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصنعة: الصفحة ١١.

(٢) نفسه: حاشية (٦٥)، (١/٣٠٤).

(٣) نفسه: حاشية (٢٢٤)، (١/٦٨٧).

ويخصني، راضيا بما يقسم لي من غوه، وملزما ما يعرض منه عند جهده. وقوله زلت استعارة حسنة. كل صبره على الشدة وشقه في وجه المحنة، نزل الثوب عنه كما يزل الماء الدنس عن الصفور... والمتكرر: العجلة، فكان المراد: زلت الثابتة ولم تخفني فكنت أصجل أو اتحول عما كنت عليه " (١).

وقول الربيع بن زياد الحيمى:
ظفنا زادة أفراسنا زلفنا أمتنا الشفتان الفضا

" يقول: نطفنا عليك في ذلك الوقت، ودافعنا دونك، وقد كثرت الأسنان وأسلمتها الشدة، نطفنا عنها ويوسه حادثة فيها. وذكر القم كنوة عن الأسنان؛ كما يقال فض الله فاه، ويقال في هذا المعنى ثبت الشغل. ومثله قول عنزة:

بذ ثقب الشفتان عن فصح اللحم

والرأى من قوله قد أسلم الشفتان ولو الحال. والاستعارة بسلام الشفتان في نهية الحسن " (٢).

٣ - الإضافة والزيادة على (ما سبق من استعارات) المحاكى والمقلد:

لأنه بهذا تتحقق الرفع والخصوصية بمعنى ألا تكون الاستعارة علمية مبتذلة كقولنا: رأيت أسنا، ووردت بحرًا، ولقيت بدرا. أما للربيع من الاستعارة لهر " الخلس النفر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول، ولا يقرى عليه إلا أفراد الرجال " (٣). ولقد مر بنا بعض النماذج على هذه الاستعارات التي حوت إضافة وزينة على ما سبقها، مما يضي عن تكرارها هنا.

وبعد فكل ما سبق من حديث عن تناول النفاقات للمشراح إلى الصورة الاستعارية، يظهر لنا مدى تأثير الشراح بالدرس البلاغي للاستعارة عند السابقين من النقاد والبلاغيين، الذي انعكس على تعليقاتهم المختلفة حول بعض الصور الاستعارية. وكذلك لمكلمهم التي استندوا إليها في تقويم الاستعارة، فجاءت تحليلاتهم - في الغالب - مقتضبة، جزئية، إلا أنها - وعلى الرغم من ذلك - تعكس مدى ثقافتهم وجراحتهم في التناول والتحليل.

(١) المزدولي: شرح ديوان الصلوة: حاشية (٧٢٨)، (١٦٧٨/٢).

(٢) نفسه: حاشية (١٦٣)، (١٨٧/١).

(٣) عبد التامر العرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٧٤.

الفصل الثالث: بياض علم البصير وقضاياها

أولاً: الطباق والمتابعة

ثانياً: الجنس

ثالثاً: التجريد

obeikandi.com

الفصل الثالث: مباحث علم البديع وقضاياها

أولاً: الطباق والمطابقة:

أما الطباق:

المطابقة في أصل الوضع اللغوي هي: "المطابق من الخيل والإبل الذي يضع رجله موضع بده، فإذا فعل ذلك قيل: طابق البعير، والمطابقة: الموافقة، وطبقت بين الشئين إذا جعلتهما على حنو واحد وألزقتها" (١).

ولا يوجد بين الاستعمال اللغوي والاصطلاحي للطباق أدنى مناسبة (٢)، ذلك لأن الطباق أو المطابقة عند البلاغيين هو: "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، مع مراعاة التقليل، فلا يحى بسم مع فعل، ولا يفعل مع اسم" (٣). ومن مسميات الطباق أيضاً: التطبيق، والمطابقة، والتضاد، والتكافؤ، والمقابلة.

والطباق ينقسم إلى لفظي ومعنوي، واللفظي نوعان: الأول: الطباق الحقيقي، وهو ما يأتي بالإنشاء الحقيق (٤) سواء كان من اسمين أو فعلين أو حرفين، كقوله تعالى: "وَتَذَكَّرُ لَهُمْ أَقْلُهُمْ وَهُمْ رَفُودٌ" (الكهف / ١٨)، وقوله تعالى: "لَوْ تَرَىٰ أُنُوكَ خِيْلَ تَتَنَزَّعُ السَّالْكِمْ يُفِئُ تَشَاءُ وَتَعْرِضُ تَتَلَّوْا مِنْ تَشَاءُ" (ال عمران / ٢٦)، وقوله تعالى: "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" (البقرة / ٢٨٦).

الثاني: المجازي، وهو ما يأتي باللفظ المجاز (٥)، كقوله تعالى: "أَوَ مِنْ كَانَ مُؤَيَّا فَلَاحِيْنَهُ" (الأنعام / ١٢٢)، أي ضالاً لمهدينه، فقد وقع انتقال في المعنى المجازي للموت والإحياء، والمقصود به الضلال والهدى.

والطباق الحقيقي ينقسم ثلاثة أقسام: طباق الإيجاب "هو طباق موجود في المعجم، يتخلل طرفاه على وجه الضدية" (٦)، كالأمثلة السابقة. وطباق العكس فهو "الجمع بين فعلين مصدر واحد مثبت ومنفي أو امر ونهي، كقوله تعالى: "وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، يَدْلُشُونَ طَاهِرًا مِنْ الْخَبَاثَةِ الْذُنُوبِ" (الروم / ٦)، وقوله: "فَلَا تَحْزَنْ لِمَا أَفْعَوْا النَّاسَ وَافْعَوْا لَهُمْ" (المائدة / ٤٤)، وقول الشاعر: (الطويل) وننكر إن شئت على الناس قلوبهم ولا ينكرون القسوة حين نقول (٧).

والثالث هو طباق الترفيد وهو: "أن يرد آخر الكلام المطبق على أوله فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأعجاز على الصدور" (٨)، مثل قول الأعشى: (البيط)

لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْفَىٰ إِنْ جَهَنَّمَا طُوبَىٰ الْخِيَاةِ وَلَا يُؤْمِنُونَ مَا رَفَعُوا (٩)

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة: (طابق).
(٢) انظر ابن معصوم المصنف: الربيع في أنواع البديع، تحقيق/شكر علي شكر، النصف الأشرف، العراق، ١٣٨٨ هـ، ١٩٨٦ م، ج ٢ / ص ٣١، وانظر: ابن الأثير: المعتمد في معرفة الصحاح، ج ٢ / ص ٢٨٠.
(٣) انظر: القزويني: لتفصيل: ١٠٥، والإيضاح: ٤/٤.
(٤) انظر ابن أبي الإصبع: تكملة التحرير: ص ١١١.
(٥) منه، ص ١١١.
(٦) الأثر الرائد: دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديّة: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م، ص ١٧٣.
(٧) ابن أبي الإصبع: تحرير التحرير: ١١٥، ١١٤، والقزويني: الإيضاح: ٧/٤.
(٨) د/عبد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية: ج ١ / ص ٢٥٨.
(٩) نسه: ج ١ / ص ٢٥٨.

هذا هو الطباق اللفظي ، أما الطباق المعنوي " فهو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ ، كقوله تعالى : **إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا تُخْذِلُونَ قَالُوا رُسُنَا يُضْلِلُونَ إِلَيْكُمْ لَمَّا رُسُلُونَا** " (يس / ١٥ ، ١٦) معناه : ربنا يعلم إنا لضايقون^(١) .

نلاحظ إذن أن الطباق اللفظي ليس وأسهل في الإدراك والفهم على المتلقي من نظيره المعنوي ، الذي يحتاج إلى إعمال العقل والفكر .

ويتبع شروح ديوان الحماسة ويمكن ملاحظة ميل الشراح الواضح إلى استخراج الطباق والدلالة عليه ، وتحليله . كما نذهبوا على بعض أقسامه وأنواعه ، فهناك الطباق اللفظي ، وشاهده - بيت شاعر الحماسة ، ويقال إنها لتأبط شراً :

فَيَسْلُ الثَّسْثُخِي لِلْمُتَخِي لِلْمُتَخِي نَصِيْنَه كَثِيْرُ الْهَوِيْ شَيْئِيْ الْهَوِيْ وَالْمُتَخِيْ
" وقوله كثير الهوى طلق القليل بقوله كثير ، من حيث التقليل لا أنه لثبت بالأول شيئاً نزواً قفله بكثير " (٢) .

ومثله قول بعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لتمامة بن جزء النهشلي : (البسيط)
إِنَّا لَنَزَخْنُ زَوْجَ الزُّوْعِ لَنُفَسِّتَا وَلَوْ نُسَامَ بِهَا لَبِي الْأَنْبِ أَغْيِنَا
" وفي البيت طبق بنكر الإرخاص والإعلاء ، والروع والأمن ، في موضعين ، وهو حسن جيد " (٣) .

ومثله قول الحارثي : (الطويل)
إِذَا مَتَّبَعْتَ بِأَنْتُمْ الْفِرَاقِي تَقْفَقُفَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوَلٍ مَا تَتَنَظَّرُ
خَذِي بِبِيْذِي ثُمَّ تَهْطِطِي بِبِي تَبِيْطِي بِبِي الْهَضْرُ إِلَّا تَقِيْ أَسْمُتْ
" وفي البيت طبق بقوله تبيني وأتستر . وأصل تبيني تبني ، فعطف إحدى التاهين " (٤) .

وكما حرص الشراح على التنبيه على الطباق ، وذكر أمثاله من أشعار الحماسة ، فقد أغفلوا كذلك ذكر الكثير منه ؛ نظراً لوضوحه وسهولة إدراكه وتمييزه من جانب المتلقي ، مثل قول سالم بن وابصة : (الطويل)
إِذَا مَا أَتَيْتَ مِنْ مَسَاجِدِ لَكَ زُلَّةٌ فَكُنْ أَتَتْ مُخْتَلَاةً يَزُولُ بِهِ غَفْرُ
غُيِّ الْقُلُوبِ مَا تَغْيِيكَ مِنْ مَدَى خَاجَةٍ لِمَنْ رَأَى شَيْئًا غَاذَ ذَلِكَ الْبَقَى قَلْبًا^(٥)
فقد وقع الطباق بين (الغنى وفقر) .

وقد باتى الطباق في صدر البيت وعجزه مثل قول مطيع بن أبياس ، في يحيى بن زبيد : (المشرح)
يَا خَيْرَ مَنْ يَحْمَنُ الْهَمَامَ لَهُ لَدَى سَيُومٍ وَمَنْ غَمَانُ أَمْسٍ لِلْبَدَحِ
لَدَى ظِلِّينِ الْخُرْنُ بِالْمُرُوبِ وَقَدْ أَبْيَلُ مَكْرُوفُنَا مِنَ الْفَرْحِ

(١) علي بن مضمون السبي . أنوار الريع في أنواع البديع ، ٢٣/٢ .

(٢) الرزوقي : شرح ديوان الحماسة - حماسة (١٣) ، (١٤ / ١) .

(٣) نفسه : حماسة (١٤) ، (١٠ / ١) .

(٤) نفسه - حماسة (٥٦) ، (١٤٢٦ / ٢) .

(٥) نفسه - حماسة (٤١١) ، (١١٤٢ / ٢) .

الخصايا البلاغية **الفصل الثالث: علم البديع** الطبايق والمقابلة
 "وقوله من الفرح يريد من المفروح به، وهو المحبوب؛ لأنه كما طابق الحزن بالمسور في الصدر،
 طابق للمكروه بالمحسوب في العجز" (١).

وهناك مواضع أعجب فيها الشراح بالطبايق، وعقبوا عليها بالعبارات التي تدل على الاستحسان، من
 ذلك قول أبن بن عبدة بن العار :

إِذَا نَحْنُ بَمَرَّتَا نَمِيزُ شَمَزِيٍّ وَنَغْفِرِي شَمَزِيٍّ نَقْطُانُ الثَّرِبِ وَنَجْفِي
 "وقد أحسن ما شاء في الاستعارة، والطبايق بالنوم واليقظة" (٢).

أو بالاستحسان مع الحكم بالخراب مثل قول رويشد :

وَمَوْقِعٌ تَطْبِقُ غُزْرَ السَّمَادِ لَأَجْرِي جَزْغِي نَسَا مَوْقِعِ
 فَنَسَا لَمَوْقِعٌ نَأْتِيكُمْ نَأْتِيكُمْ وَلَا تَخُذْ مَوْقِعٌ مَوْقِعٌ
 "وقوله لما فوق ذلككم طابق بتدقيق وفوق فيه، وهو غريب حسن" (٣).

وقد يجتمع الطبايق والمقابلة في بيت واحد مثل تل قال : عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقول إنه
 للسمويل ابن عليا اليهودي :

وَنَسَا أَصْلُهُ نَحْنُ الثُّرَى وَنَسَمَا بِهٖ إِلَى السَّخْمِ فَنَزَعُ لَا يَنَالُ طَوِيلُ
 "وقد طابق الرسو بالسمو، كما قبل الأصل بالفرع" (٤).

ومن الطبايق للمخوي قول شاعر الحملة : (نهشل بن حري) (الطويل)

أَحْمَرُ قَبِيصَتَاهِ الدُّخَانِ يَتَقَبَّسِي قَذَى الرُّؤْيَا حَتَّى يُمْتَقَذَ لَطَائِفُهُ

"ونذلك أنه أراد بالتدنى الخبيث، وقد طابق العليبي به" (٥). وهو ما دعا المرزوقي إلى استبعاد رواية
 "القدي" بالدال المهملة؛ لعدم تناسبها مع سياق المعنى، وجعل الرواية بالدال المعجمة أولى، واعتبار الرواية
 الأخرى لون من التصحيف، وذلك بقوله : "ونكر القدي مستبعداً هاهنا، ولا فائدة في إبقائه له، ويغلب في
 ظني أنه تصحيف" (٦).

كل هذا وغيره الكثير يكشف لنا مدى اهتمام الشراح بالطبايق، وحرصهم على التنبيه عليه، وإن أخذ
 عليهم ضعف التحليل والنقد العميق لهذه الظاهرة، إلى جانب إغفالهم الكثير من الشواهد دون الإشارة إليها أو
 التطبيق عليها.

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحملة : حاشية (٢٧٨) ، (١ / ٨٥٢) .

(٢) نفسه : حاشية (٢٠٨) ، (١ / ٦٣٦) .

(٣) نفسه : حاشية (٦١١) ، (٢ / ١٤٧٠) .

(٤) نفسه : حاشية (١٥) ، (١ / ١١٤) .

(٥) نفسه : حاشية (٢٨٧) ، (١ / ٨٧٠) ، (٨٧١) .

(٦) نفسه : حاشية (٢٨٧) ، (١ / ٨٧١) .

أصل هذا الجبل - وهو يريد المز على ما بينت - تحت الأرض وارتفع به أعلى طويلًا لا يقل إلى محل النجم. والمواد: عزنا أصله تحت الأرض المسلمة وفرعه عند النجم. ومعنى لا ينال: لا يوصل إليه ولا يحصل مثله. وكما كان يقال في الرفيع الشأن العالي القدر: هو في النجم وهو في السكك، وكان قصده في الفرع أنه مديد حتى اتصل بالنجم، زاده صفة أقل طويل. وقد طابق الرسو بالسمو، كما قبل الأصل بالفرع. ونقله أبو تمام فقال: لنا نبعه فرعيا في السماء ... وفي حامة الحوت أعرقها " (١).

ومن مقابلة لتين بعتين أيضا، مقابلة إياس بن القلق بن (الأغنياء) و(المقترين)، وبين (أرض الأغنياء) و(مراسي الفقراء)، في قوله:

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتُرِي السُّورَى بِالْمَقْتَرِينَ الْفَرَاغِيَا

وهو ما علق عليه المرزوقي بقوله: "يفصل الغنى على الفقر ويعتله على طله وارتباده. فقال: ترى للسورين يتودعون، وتطول إقامتهم في دورهم وأرضهم يمتعون، والفقراء تراهم قوتهم بهم اللدان النقية، وتذهب السورى بهم المغاف العمدة، والمهالك المستمعة، فلا يهدون ولا يهرون. والسورى وحمة القوم التي ينوونها. والمرامي: جمع رمى، وهو المكان لا غير هنا، لأنه قبل الأغنياء بالمقترين. وأرض الأغنياء يمرسى للفقراء، لأنهم لا تنوهم دار لبدأ، فجبال تساهم لكسهم وتصرفهم كدور لولك لهم. ومعمل يكون لسا للحدث، ورمقه، ومكفه " (٢).

وإذا كان الطبق قد سم إلى لفظي ومعنوي، فهناك أيضا المقابلة المعنوية، التي تكون بمقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ، من مثل قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للسمود ابن عابيا اليهودي:

وَقُرْبُ خُبِّ الْعَمُوتِ آجَانُنَا لَنَا وَتَقَرُّبُهُ أَجْمُ الْهَمِّ فَتَطْوُلُ

"قوله: يقرب حب الموت أي حينا للموت. وجعل في مقابلة: وتكرهه أجلمه لأنه يشتمل على ما يرفها حتما من اللفظ. وإن كثرت من حيث المعنى قد حصلت: ويبعد بغضهم إياه أجلمه " (٣).

ومثله: قول باعث بن صريم:

وَجَنَابُ غَابِزَةٍ غَضِبَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مَنُشَرًّا بِجَبَالِهَا

"تجح في هذا البيت بأنه يغيب المذخورين فيؤمنهم. والغافية: التي تستغني بحمالها عن الحلي، وقد مضى القول مستقصى فيه. ومعنى البيت: رب امرأة تبرجت مبرزة من خدرها حاسرة الرأس، مطارة القناع، منشورة الخمار، لما استولى عليها من الخوف، واستلكتها من الروع والغارة الطالعة، والخيال العلوية، حتى كان خمارها طول نهارها منشور على شمالها. وهي لا تشعر أني لنا أمتتها وحفظت عليها صبيحة نفسها، ردت إليها عازب عقلها حتى اختمرت وأمنت ما كنت تغلق لها، وستر وجهها. وإنما قل أصلاً، لأن الغارة كلها وقعت أول النهار، ولحوقه للإعقة والتدارك بعقبها، فحصل الأمن عشية. وفي طريقه لعترة:

وَمَزِيصَةٌ نَفَسَتْ الْخُبْرَ لَهَا وَقَدْ هَمَّتْ بِالْفَاءِ الزَّمَامِ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحمسة: حاشية (١٥) + (١١٤/١).

(٢) نفسه: حاشية (١٠٦) + (١١٣/٢).

(٣) نفسه: حاشية (١٥) + (١١٥/١).

(الكمل)

وَعِزَّةٌ نَعْنَى طَرِّفَا فَرِيمٍ مُنْظَرِينَ اِبْنُوتٍ عَنْ فُلْخَالِهَا

لما قدم في البيت الأول قدم أتى في الثقي بما يصاد، ليرى أنه كما يدفع الشر والبلاء يوقعه أيضاً، حتى يكون جامعاً للضر والنفع، كثيراً في الدفاع والوقاع، فيقول: ورب كريمة حي، بعلمها أو ذو محرماً القام بأمرها متكبراً، أنت، يرى صيلتها عن التكتشف ديناً، وحفظها عن التبدل كرماء، أنا أخرجتها من خدرها، وأحوجتها إلى الاعتد وطلب التملس مشمراً عن ساقها، مبديةً خلخالها، مذيلةً مصونها. أي كما أمنت خوفك، وكما سكنت أتلقت^(١).

وهكذا يتضح لنا الشراح قد أدركوا أنواع المقالات وحنوها في شروحهم، وهو ما يدل على وضوح المصطلح البلاغي عندهم؛ مما أضفى على الشروح قيمةً جماليةً وقمةً بلاغيةً لا يمكن التنازل عنها.

(١) العزولي: شرح ديوان الحمص: حمصة (١٧٥)، (١/٥٣٥، ٥٣٦).

ثقباً: الجنس:

الجنس : كل ضرب من الشيء ، والناس ، والطير ، وحنود النحو ، والعروض والأشياء ^(١) ، ويقال هذا بجنس هذا أي يشاكله . وقد تحدثت - في الاصطلاح - الآراء والأقوال في تعريفه وبين قيمته الفنية ^(٢) ، ولعل أحسن تعريف له وأيسره وأنهنا إلى الكمال قول العلوي "هو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما" ^(٣) . ويسمى كذلك التجنيس . والتجنس ، والمجسة ، وهو من الألوان التي عرفها البحث البلاغي في خطواته الأولى . ألف الأسمي كتاب الأجنس ^(٤) ، وتحدث عنه ابن المعتز ضمن أبواب البديع الحمسة التي ذكرها ، وضرب له أمثلة كثيرة ^(٥) ، وتواصل حديث البلاغيين عنه حتى نل أن يخلو كتاب قديم من الحديث عنه .

وكد اختلف البديعيون في بيان قيمة الجنس ، ما بين مُفْطِرٍ و مُؤَكِّدٍ فيه . ففي حين نجد من يتعصب لهذا اللون البديعي ويكسبه من ثوب المدح القشيب ما لا يضاهيه في علوم البلاغة آخر ^(٦) ، نجد من يعترض على هذه المبالغة التي تصل إلى حد الغلو في توصيف قيمته الفنية ^(٧) ، وأكبر من حمل لواء نمة ابن حجة الحموي ، وتعصبه عليه يساري تعصب الصغدي له ^(٨) ، وهناك رأي وسطي بين الرأيين يجعل من حسن الجنس فلك يدور حوله . وهو من أصل الآراء وأصوبها ، يقول عبد القاهر : " تبين لك أن ما يعطى للتجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا منصرفه المعنى . إذ لو كان باللفظ وحده لما كان مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعنى لا تدبر في كل موضع لما يجذبها للتجنيس إليه إذ الألفاظ خدم المعنى والمصرفة هي حكمها وكلفت المعنى هي المائدة سلبتها المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشئ عن جبهته وأحله عن طليعه ، وذلك مظنة من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتمعرض للشين " ^(٩) .

وإذا كان الجنس - ضد كثير من البلاغيين - من المحمضات اللفظية في البديع ، فإن هذا يعني عدم انفصاله عن المعنى ، بل إتيهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بعضهما بالآخر ، ولذلك وقع المجس عند قدامة لدخل في بيب اختلاف اللفظ والمعنى ^(١٠) ، وقد قرر عبد القاهر ذلك بقوله " فلما للتجنيس فلك لا تستحسن تجنس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل مولماً حميداً ، ولم يكن مرمى الجمع بينهما مرمى بعيداً " ^(١١) .

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (جنس) .
(٢) انظر : ابن المعتز : البديع ، نشر مركز تشكورسكي . لندن ، ١٩٣٥ م ، ص ١٧ ، فاصحة بن حضر : نقد الشعر ، ٩٦ / ٩٧ ، ولو ملال العسكري : الصنائع ، ص ٣٠٨ ، وابن الأثير : فمثل السائر : ص ٩٩ ، وابن سنان اللغوي : سر لتحصلة : ص ١٨٣ ، والصغدي : جنل الجلس في علم البديع ، بتحقيق / سمير حسين حلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٥ : ٢٠ ، والمكالي : مفتاح العلوم : ص ٢٢٧ ، والطبيب التزويبي : الإيضاح : ٢٨٢ ، والسبكي : حروس الأبراج (ضمن شروح التكموس) : ٤ / ٤١٣ .
(٣) العلوي : الطراز : ٣ / ٣٥١ .
(٤) انظر : ابن المعتز : البديع : ص ٢٦ .
(٥) نعمة : ص ٢٦ وما بعدها .
(٦) انظر : العلوي : الطراز : ٣ / ٣٥١ .
(٧) انظر : ابن أبي الحديد : تلك الآثار على المثل السائر ، ص ١٣ .
(٨) انظر : الحموي : خزنة الألب ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
(٩) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص ٥ .
(١٠) قدامة بن حضر : نقد الشعر ، ص ٩٦ .
(١١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص ٥ .

ومن الجنس ما هو محمودا مستحسنا ، ومنه ما هو منموما مستهجن ، فأما الأول : هو ما أتى على السجدة دون قصد أو تكلف ، وفي مثل هذا التجنيس غير المقصود يقول عبد القاهر " ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمه واعلاء ، وأخته بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمته وإن كان مظلوما بهذه المنزلة وفي هذه الصورة ، وذلك كما يمثلون به أبدا من قول الشاعري رحمه الله ، وقد سئل عن السبذ : أجمع أهل الحرمين على تحريمه " (١) ، وهو ما عبر عنه ابن رشيق بالقول " فما كان من التجنيس حكنا (يعني المطبوع) فهو الجيد المستحسن ، وما ظهرت فيه الكلفة فلا فائدة فيه " (٢) .

ومعنى هذا أن من أمارات الجنس المقبول (٣) :

١ - أن ينبذ به القتل من غير تمهل ولا تفكير كما ينبذ بكلام التخطب لا يتردد ولا يتكأ ولا يتر . بل كله يغترب من غير صعب رقرق .

٢ - أن يكون الكلام في حاجة إليه ، بحيث إذا حنف منه لم يكر له من الرونق والماء والبهاء ما كل له من قل .

٣ - أن يحقق الجنس - بعد استكمال جمال اللفظ وصواب المعنى - نوعا من الجرس الرخيم والموسيقية الشجبة تكون سائلة معمودة لا يضلم لها واحد من اللفظ والمعنى .

وهذا ما جرى عليه شعر الأوائل ، فاستعملوا الجنس في غير تكلف ، ولا مقصودا في نفسه ، حتى جاء المحسنون فرأوا فيه وأسندوا طبعه ، وهو ما عبر عنه كثير من البلاغيين (٤) ، ولذلك قل ابن سنان الحفاجي " وقد استعمله العرب للمتنوع في أشعارهم ، ثم جاء المحسنون فلهج به مسلم بن الوليد الأنصاري ، وأكثر منه ومن استعمال المطلق والمخالف وهذه القنون المذكورة في صناعة الشعر ، حتى قيل : إنه أول من قصد الشعر ، وجاء أبو تمام فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه حتى وقع له الجيد والريء الذي لا غاية وراءه في القبح " (٥) .

أما الآخر : فهو ما أتى على وجه التكلف والإسراف ، وهو مستهجن عند جمهور البلاغيين ، بل وجدنا بعضهم - كنتيجة لهذا التكلف والإسراف - من لا يستحسن الجفاف ويرده ، منهم ابن رشيق القيرواني (٥٦ : هـ) الذي عن هذا الإسراف وهذا التكلف " من أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا يشك في تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء السلف المتعقبون في فقرهم ونظمهم حتى برئوا ، بل تركوا ... " (٦) .

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : ص ٧ .

(٢) ابن رشيق : الصنع : (١ / ٢٢٦) .

(٣) د/علي الحندي : فن المناسخ : بلاغة - أدب - نقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٤٨ : ٥٥ .

(٤) انظر على سبيل المثال : فن المناسخ : البديع ، ص ١ .

(٥) ابن سنان الحفاجي : سر صناعة الشعر ، ص ١٨٣ ، ١٨٧ .

(٦) ابن رشيق القيرواني : الصنع ، (١ / ٢٢٦) .

وابن حجة الحموي لم يتخذ من الجنس مذهباً لما في كثير منه من التكلف ، يقول : " أما الجنس فبأنه غير مذهبي ومذهب من فسدت على متواليه من أهل الألب ، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ ، فإن كلا منهما يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضممار المعنى المبكرة ... " (١).

فتنته " الميل إلى الإصغاء إليه فلن منسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها ؛ ولأن اللفظ إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر ، كان للنفس تشوق إليه ، وهو من ألفت مجاري الكلام ، ومن محسن مدخله ، بل هو من الكلام كالغرفة في وجه القوس " (٢). ومعنى ذلك " أن الجنس الجيد يثير إعجابنا من نواح عدة : ناحية التمثال في الصورة ، وناحية الجرس الموسيقي ، وناحية التآلف والتخالف بين ركنيه لفظاً ومعنى ، وناحية ما يحويه كل ركن من المعنى الأصلي " (٣).

وأبو تمام من هؤلاء الشعراء الذين شغفوا بالجنس ، وقد لجأ إلى استخدامه بكثرة في شعره ، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وكذلك الحال في اختياراته الشعرية ، فترى صدق ولوعه بالجنس قد طبع على أشعاره المختارة ، وما صدق على شعره - من حيث الإصابة والخطأ في استخدامه للجنس - نراه يصدق إلى حد بعيد على اختياراته الشعرية ، وهو ما سيتبدى لنا خلال الشرح إن شاء الله .

وقد حوت شروح حملة أبي تمام العديد من الإشارات إلى هذا اللون البديعي ، إلا أن ملاحظات الشراح هناك جاءت أغلبها لا يحدد نوع الجنس ، كما جاء خائباً من التعقيب والتفند والتحليل .

مثل قول شاعر الحمصة :

فَسُيِّبَ أُنَامُ الْبَرِّاقِ مَفَارِقِي وَأَتَشَنُّنُ نَفْسِي فَوْقَ خَيْثُ تَفْسُونُ
وَقَدْ لَأَنَّ إِيَامُ اللَّوْزِ قَسَمٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْعَسْفِيسِ قَسِيَّةٌ يَفْذُقُ بَيُونُ

هناك جنس في البيت الأول في قول الشاعر : (الفراق مفارقي) . وقد شرح المرزوقي معنى البيت شرحاً وافياً جميلاً . ثم أشار إلى الجنس : " وقوله : (أيام الفراق مفارقي) يسمى التجنيس النقص " (٤) ، ونلاحظ أنه " اكتفى بهذه الإشارة العبرة ولم يعقب عليها بقول آخر ، وكلفه لم ير في هذا التجنيس أي أثر في وضوح معنى البيت وتحسينه . ونرى في البيت الثاني جنساً آخر في قول الشاعر (لأن - يلين) وقد شرح معنى البيت . ثم مضى من غير أن يعرج على هذا الجنس البتة . وكلفه لم ير فيه أية فاعلية في تضييق معنى البيت " (٥) .

وعلى الرغم من انتقاد شواهد الجنس لمظاهر التفند والتحليل الدقيق من جانب الشراح ، إلا أنهم تعاملوا معه بخير قليل من الاحتئاط والاهتمام ، فهناك هذه الأنواع المتعددة التي تبه بعضهم - خاصة المرزوقي - عليها ، فيما يكتفي تفصيله ويبقى بعد قليل .

(١) ابن حجة الحموي : الخزافة ، ص ٤٣ .
(٢) د. عبد القادر حسن : في البديع ، دار الفروق ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٠٩ .
(٣) د. علي المندي : فن الجنس ، ص ٢٠ .
(٤) المرزوقي : شرح ديوان الحمصة ، حمصية (١٣٤٩ / ٢) .
(٥) إلهام السوسي : علم القوي : الخالص البلاغي والتعبية في شرح ديوان الحمصة لأبي علي المرزوقي ، ص ٥٠٧ .

كما أشاروا إليه أحياناً في تفسير معني الأبيات ، ففي تحليل المزدولي فيت شاعر الحماسة : (ابن دارة) (الكامل)
 نسي أغزؤ نجاد الرخائل غداً قتي وجند الرقاب من القباب الأزرق

نجد قوله : " يقول : إني رجل ينال أعدائي من عداوتهم لي ما ينال الإبل من الخياب الأزرق ، وهذا الجنس من النساب يتلذى به الإبل تلذى الحمر بالنعير أو أشد ... ومعنى تجد تحزن ، ولذلك كان الوجد مصدره . ويجوز أن يكون تجد بمعنى تعلم ... والمعنى : إن عداوتهم لي تقلقهم وتنزيهم ، فيعلمها الرجال مثل وجد الركاب من هذا الجنس من النساب ، أي ينالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل في البيت تجنيس حينئذ " (١) .

أنواع الجنس :

بعد الجنس من أكثر أنواع البديع تبويبا وتنوعا عند علماء البلاغة ، حتى أنهم اختلفوا فيه ، وتدخلت أبوابه عند بعضهم ؛ ولذلك قال ابن الأثير : " ولقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لاسيما المحيّن منهم ، وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة " (٢) .

إن فقد اعتنى علماء البديع بتقسيم الجنس إلى أنواع ، اعتماداً على استقراء الأمثلة ، والنظر الفكري في احتمالات التقسيم " إلا أنهم أسرفوا في وضع أسماء لكل فرع من دروع أنواعه ، وهو أمر يرهق محلل النصوص ، ويصره عن نزق الجمال الأدبي ، ليهتم بالتحليل الآلي ، وتكرر الاسم الخاص بكل فرع من هذه الفروع " (٣) .

للجناس إذن أقسام كثيرة اختلف أرباب البديع فيها اختلافاً كثيراً ، ولكنه بصورة عامة يمكن تقسيمه قسمين رئيسيين هما : الجنس التام والجنس النقص ، ولكل منهما تقريعات حسب درجات الاتعاق والاختلاف .

الجنس التام :

وهذا القسم هو أفضل أنواع الجنس والمقدم فيها إذ أنه " أكمل الأبواع وأحداً ما موقعا " (٤) ، وهو وحده التجنيس الحقيقي عند ابن الأثير ، وما عداه ليس منه في شيء ، وإنما يسمى تجنيساً بالسنبة (٥) ، وهو " ما اتفق ركناه لفظاً واختلفا معنى بلا تغاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما " (٦) ، والجنس التام أكثر ما يقع في الألفاظ المشتركة ، والاتفاق اللفظي يشتمل أربعة لأنواع :

١ - نوع الحروف .

٢ - عدد الحروف .

(١) المزدولي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١٣٢) ، (١ / ٢٨٥) .

(٢) ابن الأثير : المعال السر : ج ١ ص ٢٤٦ .

(٣) عبد الرحمن حسن حينكه الهيداني : البلاغة العربية لسانها ، وطوسها ، وفرونها ، ج ٢ / ص ٨٧ .

(٤) ابن حجة المموي : الفخرقة : ص ٦٦ .

(٥) تنظر : ابن الأثير : المعال السر ، ٩٩ .

(٦) دعلي الجدي : الجنس : ص ٦٢ .

٣ - هيئة الحروف .

والمراد بها " حركات الكلمة وسكتها ، ولا تعتبر حركة الحرف الأخير ولا سكونه ، لأنه عرضة للتغيير إذ هو محل الإعراب والوقف ، فلا يشترط اتفاق الكلمتين في هيئته " (١) .

٤ - ترتيب الحروف .

والجناس النظم عند الجمهور أربعة أنواع :

١ - النظم الممثل أو المتمثل ؛ وهو ما اتفق ركناه في الاسمية أو الفعلية أو الحرفية .

فمن ذلك قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " (الروم / ٥٥) ، فالساعة الأولى : القولة ، والثانية : الساعة الزمنية .

ومثال الاتفاق في الحرفية قولهم : " قد وجود الكريم وقد يبخل الجواد ، فإن الأولى للتكثير والأخرى للتثنية ، فالعنى مختلف مع اتفاق اللفظين في نوع الحروف " (٢) .

وفي هذا غير قليل من التكلف والتصنع الذي يباه الفوق المليم والطبع السمج ، يرقى إلى مستوى الاحتبال على إيجاد ما ليس بموجود والإغراق . وقد تنبه إلى ذلك بعض اللغاه فقال ابن عتوب : " وأما مثاله في الحرفين فلم يوجد إلا أن يكون في حرف بالنسبة لحقيقته ومجازه إن صح " (٣) ، وقال الصفدي : " وهذا القسم لا يمكن تصوره ؛ لأن الحروف معلومة الصوغ مضبوطة ، فلا يتفق ورود كلمتين قد تساوت حروفهما وصيغتهما في الكلام العربي كما تقدم في اتفاق الاسم والاسم ، والفعل والفعل ، وقد يتصور في مثل إن زيدا أقسم ، بمعنى : نعم إن زيدا أقسم - على لغة من قاله - وإنما ذكرته لتكون القسمة العقابية اقتضته " (٤) .

٢ - النظم الممتزج :

وهو " أن يكون ركناه من نوعين مختلفين كاسم وفعل ، واسم وحرف ، وفعل وحرف " (٥) ، والمستوفى لغة : ما أعطي حقه وإقبا ، وقد سمي هذا النوع بذلك الاسم أيذانا بأنه - وإن اختلف اللفظان نوعا ما - لم يقتصر شيء من حق الجنس ، أو سمي بذلك " لاستيفاء كل من اللفظين لوصف الآخر وإن اختلفا في النوع " (٦) أو " لأن حروف كل منهما مستوفاة في الآخر " (٧) .

(١) دبطي الحندي : الجنس : من ٦٣ .

(٢) لنسوي : حاشية لنسوي : ٤ / ٤١٦ .

(٣) ابن عتوب المغربي : مواهب النجاج (ضمن شروح لتلخيص) : ٤ / ٤١٦ .

(٤) الصمدي : جنن الفطن : ٣ .

(٥) دبطي الحندي : الجنس : من ٧٠ .

(٦) لنسوي : حاشية لنسوي : ٤١٦/٢ .

(٧) نقسني المرجعي : الوسيلة : ٤١ .

ب - مرلوء :

" وهو ما كان ركه المركب مؤلفا من كلمة وبعض أخرى ، أو من كلمة وحرف من حروف المعاني " (١) .

سمي بذلك لآذا من قولهم رفا الثوب . إذا جمع ما تقطع منه بالخيطة نكله ببعض الكلمة رفا (٢) .

وذلك مثل قول الحريري :
والمفرد منها منطقت لا تأتبه .
(من السويح)
بنتني السمنونذ والمفرد (٣)

فالأول مفرد ، والثاني مركب من كلمة وبعض أخرى ، (والمفرد منه ... والمفرد منه) .

ثم إن كلا من الملفوف والمرفوف إن توافق ركناهما خطأ فهو المتشبه " سمي بذلك لتشبه النظمين في الكتابة " ، وإن اختلفا خطأ فهو المفروق لاقتراحهما في الكتابة .

مثال المركب الملفوف المتشبه ، قول الشاعر :
عوضنا العذفر بفابيه
(مجزوء الرمل)
أنت ما خيل شيك به (٤)

مركب ، لأن أحد ركنيه مركب من كلمتين والآخر مفرد . وملفوف ، لأن ركنه المركب مؤلف من كلمتين تلمتين وهما : " بنا " و " به " ومتشبه ، لتوافق الركنين خطأ .

ومثال المركب الملفوف المفروق ، قول البيهتي :
فإن أنس غلبي رقي ثابله
(البسيط)
أغز سالتني فثاب الأمل له (٥)

مركب ، لأن أحد ركنيه مركب " الأمل له " والآخر مفرد " أنمله " .

وملفوف ، لأن ركنه المركب مؤلف من كلمتين تلمتين .

ومفروق ، لتخالف ركناه في الكتابة .

٤ - التلم الملقق :

وهو أن يكون كل من ركنيه مركبا من كلمتين أو من كلمة وبعض أخرى . وباشترائك التركيب في الركنين يتميز من المركب ، فبه ما ركب أحد ركنيه فقط . وغالب المؤلفين لم يفرقا بينهما (٦) .

(١) دبعلي الجدي : فن العنفس : ص ٧٥ .

(٢) ثنسوي : حشوة النسوي : ج ٤ / ٤١١ .

(٣) البيت في شرح غفره الجمان للسيوطي : ص ١٨٤ .

(٤) نفسه : ص ١٤٤ .

(٥) أرواح البيهتي : ديوانه ، ص ١٥٨ .

(٦) انظر . ابن المقري لتسلي . فتح الطيب : (٨١٣/٣) .

قيمة الجنس الثام :

والجناس الثام منزلة كبيرة في نفوس البلاغيين ، حيث تعبر أئوالهم عن مبلغ شأله في البلاغة وسر جماله وحسنه . يقول عبد القاهر - عند تكلمه على مزية الجنس المطبوع - : " بهذه السريرة صار التجليس وخصوصا المستوفى منه العتق في الصورة ، من حلى الشعر ومذكورا في أقسام البديع " (١) ، ويقول الصقدي : " هر أعلى الجنس مرتبة " (٢) ، ويقول الحموي - على كرامته للجناس جملة - : " هو أكمل الأنواع إبداعا ، وأسماءا رتبة ، وأولها في الترتيب " (٣) ، ويقول ابن يعقوب والنسوقي : " ووجه حسنه مطلقا : أن صورته صورة الإعطة ، وهو في الحقيقة للإعطة " (٤) .

الجناس الثامن :

" وهو ما اختلف فيه اللغزان في نوع الحروف ، أو عددها ، أو حيثتها ، أو ترتيبها " (٥) .

وينتمس الجنس الثامن إلى أنواع مختلفة حسب كل حالة من الحالات الأربع السابقة ، التي يتحقق فيها أحد أوجه الاختلاف في اللغزين ؛ فعندما يتحقق بين اللغزين الاختلاف في نوع الحروف ينتج عنه :

أ - الجنس المضارع :

وهو الذي يكون فيه الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج ، ويكونان إما في أول اللفظ كقول الحريري : " ببس وبين كبس لول داس وطريق طاس " (٦) .

وإما أن يكونان في وسط اللفظ . كقوله تعالى : " وهم يهون عنه ويبارون عنه " (الأنعام / بعض الآية ٢٦) ، وإما في آخر اللفظ .

ب - الجنس الماضي :

وهو الذي يكون فيه الحرفان المختلفان غير متقاربين في المخرج ، ويكونان أيضا إما في أول اللفظ ، كقوله تعالى : " وَيَلْجَأُ لِبُؤْسٍ لَهُمْ لَمْزَةٍ " (الهمزة / ١) .

وإما أن يكون الحرفان غير المتقاربين في وسط اللفظ ، كقوله تعالى : " نلکم بما کنتم ترحون في الأرض بغير الحق ، وبما کنتم تمرحون " (غافر / ٥٧) .

(١) عبد القاهر الحرجلي : لسراي البلاغة : ٥ .

(٢) الصقدي : جنات المناس : ٢٠ .

(٣) الحموي : خزنة الأدب : ٣٧ .

(٤) انظر : ابن يعقوب المغربي : مواهب السواح ، والنسوقي : حكمة السوقي (ضمن شروح التلخيص) ، ١١٩ / ٤٠ .

(٥) شعث محمد أبو سنيت : دراسات منهجية في علم البديع : دار فاعلي للطباعة والنشر ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٠٣ .

(٦) شعث محمد أبو سنيت : دراسات منهجية في علم البديع ، ص ٢٠٤ ، كتي : أي بيني ، نلس : أي شديد الظلام ، طلس : أي محالمة مطبوعة .

وكقوله تعالى: "إنه على ذلك شهيد، وإنه لحب الخير لشديد" (المائدة/ ٧، ٨).

وإما في آخر اللفظ، كقوله تعالى: "وإذا جاءهم أمر من الأمن" (النساء / بعض الآية ٨٣).

وعندما يتحقق بين اللفظين الاختلاف في عدد الحروف ينتج عنه:

أ - المنيل:

وهو أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد على آخر أحد اللفظين.

ب - المطرف:

وهو ما كثرت الزيادة فيه حرفاً واحداً على آخر أحد اللفظين.

وعندما يتحقق بين اللفظين الاختلاف في هيئة الحروف ينتج عنه:

أ - الجنس المحرف:

وهو أن يختلف اللفظان في ضبط حروفهما من حيث الحركات والسكنات، مثل قوله تعالى: "ولقد أرسلنا نوحاً مبشرين لقطر كيف كان عقبة المنذرين" (الصافات / ٧٢، ٧٣).

فالكلمتان (مبشرين / منذرين) الأولى اسم فاعل "بضم الأول وكسر ما قبل الآخر"، والآخرى اسم مفعول "بضم الأول وفتح ما قبل الآخر"، فالجمل بينهما نالص لاختلاف هيئة الحرف الثالث في إحداها عن الثانية.

ب - جنس الخط أو الجنس المصحف:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في نقط الحروف، منه قوله تعالى: "وهو الذي يطعني ويسمعني، وإذا مرضت فهو يشفين" (الشعراء / ٧٩، ٨٠).

للفظين بين يشفين ويطعني.

وإذا اختلف اللفظان في ترتيب الحروف، بمعنى أن يتسلسل اللفظان في نوع الحروف وعددها ويختلفان في ترتيبها، ينتج عنه الجنس المقلوب:

وهو عند القزويني هسمان: الأول: قلب لكل، كقولهم: "حسامه فتح لأوليائه، حنث لأعدائه" والقلبي: قلب للبعض، كما جاء في الخبر: "ألهم لست عورتنا وأمن روعتنا" (١).

(١) تنزيهي. الإصحاح: ٧٥/١.

وهناك أنواع أخرى ألحقها البلاغيون بالجناس الناقص ، مثل : الجناس المشتق ، والشبيه بالمشتق ، والجناس اللفظي والمعنوي ، وغير ذلك من أنواع .

وبإوان الحملة زاهر بالعديد من أنواع للتجنيس ، أشار الشراح إلى بعضها ، وأكثر من غني منهم بذلك المرزوقي ، والتبريزي . ومن هذه الأنواع التي أشاروا إليها :

١ - الجناس التام :

وهو - كما سبق أن أوضحنا - ما اتفق ركناه لفظا واختلعا معنى بلا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما . والاتفاق اللفظي يشمل أربعة أنواع : نوع الحروف ، عدد الحروف ، هيئة الحروف ، ترتيب الحروف . ومنهم من يسميه : المماثل ، أخذوا له من المماثلة أو التماثل ، وكلاهما الإتحاد في النوع حريا على اصطلاح المتكلمين .

مثل قول دريد بن الصمة :
صبا ما صبا خشي غلا الحبيب رأمة ففنا غلا قال ثنابطل إغمد (الطويل)

" يحوز أن يكون صا الأول من الصا واللب ، وصبا للثاني من الصاء بمعنى انتفاء ، فيكون المعنى : تعاطى اللهب والصا ما دام صبا ، فلما اكتهل وطير في رأسه الشيب فاشتعل نحي الناطل ص نفسه رعداً فيه ، ورحوعاً إلى الحق ، ورغبة فيما يكسه الاحتوة الحميمة من لبوب السلاح والحد . ويحوز أن يكون المعنى : تعاطى الصبا ما تعاطد إلى أن علا الشيب ، فستط لتجنيس من البيت ، وهو يحسن به . وما صبا في موضع الطرف على الوجهين جميعاً ، أي مدة الأمرين . وحتى للغة . وقوله بعد من بعد بعد ، إذا ذلك ولو أراد البعد لقال بعد ، بمن العين " (١) .

وهذا المثال يندرج تحت نوع التام المماثل أو المتماثل من الجناس التام : وهو ما اتفق ركناه في الإسمية أو الفعلية أو الحرفية (٢) . وهو أيضاً من الجناس المزدوج : وهو أن يتوالى الحرفان مطلقاً من غير فصل بينهما إلا بحرف جر أو عطف وما شابه ، سمي بذلك لازدواج اللفظين بتواليهما ، ولما يظهر بين الكلمتين من الاستواء ، لأن الازدواج هو الاستواء .

ويسمى كذلك المكرر والمردد أيضاً ، لتكرر أحدهما بالآخر ، وترداده به . مثله في الجناس التام : تقوم الساعة في الساعة " (٣) .

فالتجنيس الصوتي هنا يكاد يفتد البعد الزمني بالاتحاد الشديد بين طرفي الجناس في : " صبا ما صبا " وهو ما يشير إلى حضور الجناس بصورة مكثفة تثير الجلب البديعي في البيت .

(١) المرزوقي : نرح ديوان الحملة : حاشية (٢٧١) ، (١ / ٨٢١) .
(٢) د/علي الحسني : في الجناس : بلاغة - لب - نقد ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص ٦٢ - ٦٥ .
(٣) نفسه : ص ١٦٠ .

"سمي بذلك لانحراف هيئة أحد اللفظين عن الآخر ، ويسمى أيضا : جناس التحريف ، والجناس المغاير والمختلف ... وتعريفه : ما اختلف فيه اللفظان في هيئة الحروف " حركتها وسكنها " فقط . أي مع التسوي في نوعها وعددها وترتيبها سواء أكان من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك . فإن قصد اختلاف الحركات " (١) .

(المتقارب)

ومنه قول عبيد بن مارية :

فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مَرَّةً مَرَّةً إِذَا وَكَيْتُ خَالَةً خَالَهَا (٢)

يقول المرزوقي : " وهذا التجنيس حسن المورد ، والضمير من قوله حالها يعود إلى الحالة ، كنه أضيقه إليها لما كتبت تلبيها ، وجعلها مركوبها " (٣) .

فقد وقع التجنيس بين " مرة ومرة " ، وهو أيضا من الجنس المزدوج ، حيث توالى اللفظين بدون فاصل بينهما .

٣ - جناس الاشتقاق :

ويسمى أيضا بتجنيس المشتق ، ألحقه القزويني بالجناس وقال : " هو أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق " (٤) ، ويسمى للجناس المشتق ، وجناس الاقتضاب أيضا وهو " ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى . أو هو : ما جمع وكنه أصل واحد في اللغة ، ثم اختلفا في حركتهما وسكنهما ... وللمراد به هنا الاشتقاق الصغير الذي ينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق . وهو ما يوافق فيه اللفظان في الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى " (٥) .

(الكامل)

مثل قول آخر : (ابن دارة)

إِنِّي لَمَنْزُوقٌ تُجِدُ الرُّفَالَ غَنَاقِي وَجِدَ الرُّفَابَ مِنْ السُّنَابِ الْأَنْزَلِ (٦)

يقول المرزوقي : " والمعنى : إن عداوتهم لي تقلقهم وتزريهم ، فعملها الرجال مثل وجد الركاب من هذا الجنس من التذباب أي يثالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل في البيت تجنيس حينئذ " (٧) .

(١) داخلي الحندي : فن الجنس : ص ٨٧ .

(٢) ليرة : كثرة والتل ، والمرة : المرة ، يعني في ذنبتها ، وعند تجربة مزاولها . يقول : فعل ذلك واسرف حمله إليها ، وإلى السعاء لواء وجلب لسانها لغيرها ، ولا تبال بما بين يدها من مرلعة جمع . أو مرلعة حمولة فيني لئلا كوة لا تستعملها الشرق الملائكة ، إذا تراكمت الأمور ، وتركبت الأحوال والوجود لغيت مولدها ومسرها ، والتبت أصولها ووصولها .

(٣) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١١٧) ، (١٠٦ / ١) ، (١٠٦ / ١) .

(٤) ترويني : تلخيص في علوم البلاغة : (البرقوني) ٣٩٢ ، (خلفي) : ١٢٧ ، والإيضاح : ٧٥ / ١ .

(٥) داخلي الحندي : فن الجنس : ص ١١٤ .

(٦) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١٢٢) ، (٣٨٨ / ١) ، (٣٨٩) .

١ - التجنيس المطلق ، أو تجنيس الإطلاق ، أو الشيء بالمشق :

ويقصد به " أن يجمع اللفظين المتشابهة ، وهي مما يشبه الاشتقاق وليس به ويسمى أيضا التشابه والمقاربة والمقابلة ويهمل الاشتقاق ، معنى ذلك أن اللفظين يتقاربان في جل الحروف أو كلها ، على وجه يتأخر منه أنها يرجعان إلى أصل واحد ، كما في الاشتقاق ، وليس كذلك في الحقيقة (١) .

مثل قول شاعر الحملة .
نسيب أيسام البدر في مفارقي وتشرنق نفسي في فؤوق خيانت تكون (للتويل)

" وقوله أيسام الفراق مفارقي ، يسي التجنيس النقص . و الفرق الرأس ومفرق واحد " (٢) .

...

٦

(١) لنتر / علي الحندي . فن البديع . ص ١١٤ .
(٢) التمرولي : شرح ديوان الحمص : ص ١٧٠ (١٣٤٩ / ٢) .

ثالثاً: التجريد:

أسلوب التجريد هو أحد للمصطلك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي تشيع استخدامها في لغة الشعر ، بل لعله أكثر هذه الألوان ترددا وأوسعها انتشارا ، والتجريد لغة " الشعرية من الثياب ، وتجريد السيف : انتضالاه ، وكل شيء كشرته عن شيء ، فقد جردته عنه ، والمقشور مجرود ، وما قشر عنه جرداءة " (١) . أما عن معناه الاصطلاحي فلا يبعد كثيرا عن معناه اللغوي ، حيث إن التجريد هو : " أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه " (٢) . والأمر الملفت للانتباه أن مصطلح التجريد على كثرة تردده في موروثنا النقدي والبلاغي نادى قنرا غير قليل من الخلط والاضطراب (٣) ، والحق أن هذا التراجع إزاء أسلوب التجريد هو أمر يثير التعجب حقا ، خاصة لدى هؤلاء البلاغيين الذين " أقاموا الحدود ونصبوا الحواجز بين مصطلحات تلك العلوم الثلاثة " (٤) .

ويعد سيوييه (ت ١٨٠ هـ) - إن لم يكن أولهم - هو ممن كان له فضل الميق في تناول التجريد ، وللتعرض له ، وعلى الرغم من أن حديثه عنه كان موجزا شديد الاختصار ، وبمثاق واحد ، إلا أن العلماء لم يهملوا ربه ، وضمنوه كتبهم ونسبوا إليه (١) ، وقد لفرد له الزجاج (ت ٣١١ هـ) بابا بعنوان : (هذا باب ما جاء في التنزيل من التجريد) ، في كتابه المنسوب إليه " إعراب القرآن " ، سأل فيه براء الفارسي ، وحفظ على أمته - مع إضافة بعض المزايا والأمثلة الأخرى - وإن لم يشر إليه (٢) ، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) هو أول من سمى هذا النوع بالتجريد ، كما عبر عن ذلك ابن أبي الحنيد (٣) ، وقد أفرد له ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بابا مستقلا يتناول تشكلا وصورة (٤) ، ثم جاءت مرحلة الخلط والاضطراب ، وفيها اعتبر التجريد ضمن التنبيه (٥) حتى وصلت الدراسة بعد ذلك إلى مرحلة التحليل والتعميد ، ويبرز فيها جهد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، الذي أخرج التجريد ضمن مباحث البديع المعنوي ، وعند صور التجريد المختلفة بعد تعريفه ، وذلك بإيجاز وببساطة ، لا يخلو من فنية التحليل ، ومنهجية الطبع ، وسار أتباعه على نهجه وزادوا على جهوده إضافة وشروحا كثيرة ، فقام شراح التلخيص (٦) ، بالاستفاضة في شرح مزايا التلخيص وعباراته ، بطابع يغلب عليه جانب التنوع ، وتحليل فني متميز ، وإن لم يغلب عنه جانب التقنين والتعميد الذي أكسبه طابع المنهجية.

(١) نشر : ابن منظور : لسان العرب ، ص ٣٦٨ ، ولط : بهاء الدين السيدي : حروس الأبراج (ضمن شروح التلخيص) ، ص ٢١٨ ، وفطر : سعد الدين قنبراني : المطول على التلخيص ، مطبعة أحمد كحل ، ١٣٢٠ هـ ، ص ٤٢٢ ، ولط : المجد الشرف : حاشية لمجد الشرف لمرحلي على المطول ، ص ٤٢٢ ، ولط : ابن بطون المغربي : مواهب السراج (ضمن شروح التلخيص) ، ص ٣٥٣ ، ولط : المحوط : إتمام المراجعة لقراء النسخة المانع لأربعة عشر عاما ، ضمن كتاب : (معاني العلوم) ، للملكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص ١٦٠ ، ولط : شرح غرر النجاشي ، ١٢١٠ .
(٢) نشر : الملكي : معاني العلوم ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، في اختيار بيت امرئ القيس : تطول ليلك ... لبيت ، لثقا ، ص ٣٥٤ ، في إخلاص في التنبيه سرور التجريد المختلفة ، بعد الحديث من أحمد الجاسي : معاهد التلخيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الصمد ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن نسخة المكتبة التجارية بالقاهرة ، سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٧ م ، ١٧١ / ١ ، في حلقه بين الالتفات والتجريد ، عندما عد قول امرئ القيس : تطول ليلك ... لبيت ، لثقا ، وهو في تعليقه محمد إحدى سور شعيرة . بقوله : " شاهد فيه الالتفات ، وهو في قوله " ليلك " لأنه خطب لنفسه ، ومتنصلي الشاعر " ليلي " بالمتكلم " .
(٣) دهمس قبل : أسلوب الالتفات في البلاغة ثنائيات ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ، ص ٢٩ .
(٤) نشر : سيوييه : كتاب سيوييه ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٧ م ، ٢١٠ / ١ ، ٣٩٠ .
(٥) نشر : الزجاج : إعراب القرآن ، للمنسوب إليه ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبراهيمي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م ، ١٦٤ / ٢ .
(٦) نشر : ابن أبي الحنيد : التلخيص الدائر على المثل السائر ، قدم له وحققه وعلق عليه ، د. أحمد الدوي ، ود. بديع طاعة ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٧) نشر : ابن جني : التلخيص ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٣ / ٢ .
(٨) نشر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإحصاء ، ص ٦٨ ، وأسرار البلاغة ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ولط : ابن الأثير : المنهل السائر ، ٢ / ١٥٩ ، وأثر الطوي : للطوازي ، ٢ / ٧٢ ، ٧٣ .
(٩) ولط : شروح التلخيص ، مطبعة صبي الهادي الطائي وشركاه ، القاهرة ، د.ت ، ٣٥٧ .

وفي كل أسلوب تعريد لابدك من ملاحظة أربعة أمور هي: للمجرد منه: وهو الموصوف، والمجرد: وهو للفرد للكلل الذي انتزعه من الموصوف، والصفة المراد بها كمالها في الموصوف، وكمال تلك الصفة^(١).

وللتجريد فئتان: الأولى: طلب التوسع في الكلام، والتفنية: وهي الأبلغ، وذلك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المتصورة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبها بها غيره، ليكون أعز وأبرأ من اللهنة فيما يقوله غير محجور عليه^(٢).

ويبقى التجريد على أكثر من صورة هي: التجريد بواسطة حروف مخصوصة: (في) و(من) و(والله) وتدخل ثلاثتها على المنتزع منه إلا إذا كانت الباء للمعية فتدخل على المنتزع، وإما بواسطة الكنية أو بمخالطة المرء نفسه "التجريد غير المحض" أو مخاطبة المرء غيره وهو يريد به نفسه "التجريد المحض"، وقد يكون بدون وسطة.

وبلغوا أبز ما جاء في شروح ديوان الحماسة عن أسلوب التجريد ودلالاته وأسمائه وشواهد، نجدها على كثرتها، وتعد أساليب التلويح لها، أنه لم يتم من خلالها التصريح بمصطلح التجريد من جانب كثير من الشراح؛ والسبب - كما يرى الباحث - أن مصطلح التجريد غامض غير واضح عند كثير ممن تعرضوا لديوان الحماسة بالشرح، خاصة القدامى منهم، إذ وجنأهم في شروحه بحدوث ملامح التجريد وصوره المختلفة ونقل أمثله عند تعرضهم بالشرح لبعض مواضع التجريد من أشعار الحماسة، دون التصريح بالمصطلح ذاته.

لذلك وقع اختياري على بعض النصوص التي من كصائد ومقطوعات مختلفة حفل بها ديوان الحماسة، لرى منها كيف وطفت شراح الحماسة تحليلاتهم للآليات وتصنيفها من حيث المعنى "المضمون" وإن لم يكن المسمى، بوصفها تجريداً يسهم في المعنى من خلال السياق.

وقد أخذ الباحث تحليلات على تلك الصور؛ طلباً لتقسيم أكثر دقة. فجمع التجريد المحض وغير المحض في قسم واحد هو: الضمائر، والتجريد بواسطة حروف مخصوصة، وحنوها، في قسم واحد هو: الأدوات، وثالث تلك الأقسام - بدون تعديل - هو لتجريد بطريق الكنية؛ وذلك لكي تجتمع الصور المتعارفة والمتشابهة في قسم واحد؛ لاسيما إذا ما علمنا أن أشعار ديوان الحماسة زاخرة بالكثير من أنواع التجريد، التي لم يهملها الشراح بالتحليل والتوضيح، ومنها:

أولاً: التجريد عن طريق الضمير:

يشكل الضمير ركيزة أساسية من ركائز الأداء العدولي على مستوى البنية المطبعية منها والمعنى، والضمير دال غير مكتمل الدلالة، إذ إن "الضمير بنفسه لم يمت له دلالة مرجعية، إنما تتحدد دلالاته بحضور المرجع الحالي أو المقالي، أي إنه دال غير مكتمل الدلالة، ويحوج للمتلقي إلى التلؤلؤ وتجاوز المستوى المبتر، والخصوص في البنية التحتية، لإدراك المرجع الذي يفسره"^(٣).

(١) قنر: د/عبد العظيم المطبوع: البديع من المعاني والألفاظ، ص ١٠٠، ط ٢، د.ت. ص ٩٣.

(٢) قنر: معاني الدين بن الأثير: لمثل السائر، ١٦٠/٢.

(٣) د/محمد عبد المسند: تنبيلات الحداثة في شعر السبعينات، الهيئة العامة لتصور الثقافة، القاهرة، ١٩٥٥ م، ص ٦٥، ٦٦.

وتتعدد مواضع الضمير تبعاً لنوع الصياغة التي تشكل من خلالها ، فالأصل في الضمير أن يكون مسبوقاً بقرينة يعود عليها ، إلا أنه قد يأتي أولاً ، ثم يفسر بمتأخر عنه ، أو يفهم من السياق فلا يحتاج إلى ما يفسره .

وترجع أهمية الضمير إلى كونها "خلفاً لكل الأسماء المستقلة الأخرى، كصفات نحوية وعلاقية خاصة"^(١)، إذ إنها تقدم عنداً من الإحالات العلائقية البارزة التي تشكل من خلالها مفهوم السياق في النسيج النحوي للشعر ، على اعتبار أنها تكتسب بلبى دلالاتها من خلال الإحالات التي تحدد كامل معناها السيلقي .

كما " أن التعامل مع (الضمائر) سيؤدي إلى ملاحظة بنى متعددة داخل الخطاب الأدبي ، بخاصة (ضمير الغياب) الذي يتوقفاً مباشرة إلى منطقة (التكرار) بكل احتمالاتها الدلالية ، مع فائدة لها أهميتها ، وهي التخفف من التثقل الصوتي الذي قد يلازمها أحياناً . كما أنه يدخلنا مباشرة إلى دائرة (التلاحم) (الصوت دلالي) ، حيث تتحول الصياغة إلى شبكة متلاحمة العناصر نتيجة لعوامل الربط : الظاهرة والمستترة ، المنفصلة والمتصلة ، والتي تعمل على تعلق ذهن المتلقي وشغله بصفة دائمة بما يواجهه من ضمائر ، ثم يتحرك منها إلى مراجعها السابقة ، بل ويمرجعها لللاحقة في بعض الأحيان ، وقد يستوقفه الضمير عنده قبل بغادره إلى هنا أو هناك . ولاشك أن التعامل مع منطقة الضمير بكل تشكيلاتها المتعددة ، ووظائفها المختلفة ، يدفع المتلقي إلى حركة إيجابية توازي حركة المبدع نفسه ، وليس ذلك مقصوراً على رد الضمير إلى مراجعها ، بل بتقدير هذه الضمير في بعض الأحيان " (٢) .

وقد أشرنا - فيما سبق - إلى أن التجريد لا ينحصر في مجال الضمائر ، وهنا أود أن أشير إلى أنه " قد يتداخل مع الالتفات في الضمائر ، بل إن السككي جعله من صور الالتفات ، ولكن الفارق بينهما دقيق ، حيث إن بنية الالتفات تعتمد على المفارقة الظاهرية في المستوى السطحي ، والموافقة الدلالية في المستوى العميق ، بينما تتجه بنية التجريد إلى تعميق المفارقة في المستوى السطحي والمستوى العميق ببلبلة الانفصال بين المجرّد والمجرّد منه " (٣) ، ومرد ذلك أن " مبنى الالتفات على الاتحاد ومبنى التجريد على التعدد يعني أن الالتفات هو أن يعبر عن معنى بعد للتحرير عن ذلك المعنى بنفسه ، أو بعد امتحان المقام التعبير عنه بلفظ آخر من غير أن يكون ثم اختلاف بين المعبر عنه لفظاً أو تقديراً أولاً ، وبين المعبر عنه ثانياً . والتجريد هو أن يعبر عن معنى مجرد عن معنى آخر مع اعتبار أن المجرّد شيء آخر ، فعلى هذا لا يصح أن يقصد الالتفات والتجريد في لفظ واحد ، لتتلقى لآزميهما وتلقي اللوازم بوجوب لتفاء الملزومت " (٤) .

وهذه الصورة تأتي على نوعين :

النوع الأول : التجريد المحض .

النوع الثاني : التجريد غير المحض .

(١) رومل بكيمون: أسس الشعرية ، ترجمة محمد الرلي ، ومدارك حوز ، دار توسل للنشر ، لدار البيضاء ، ١٩٨٨ م . ص ٧٣ .

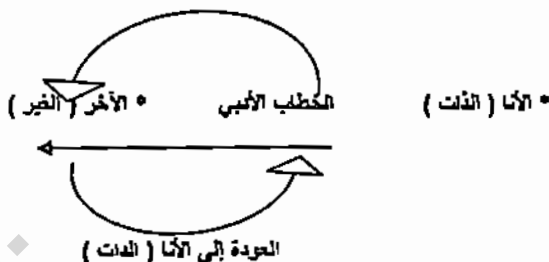
(٢) د. محمد عبد المطلب: دراسات أسلوبية في الشعر الحديث ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥ م . ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) د. لسانة الحوري: تعرّيات لثنية في البلاغة العربية ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٠٠ ، سنة ٢٠٠٠ م . ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٤) ابن منظور المعري : مواد انتاج (شمس شروح للتأليف) ، ٣٥٣ / ٤٠ .

وهو " أن تأتي بكلام هو خطاب للغير ، وأنت تريد به نفسك " (١).

حديث الآخر (الغير)



" وهو يمثل ظاهرة أسلوبية أثيرة لدى الشعراء القناني والمحدثين ، وهو مظهر من مظاهر التقن والتوسع في الكلام ، من خلاله يتم التواصل الحميم بين المبدع والمتلقي ، لأن المبدع وإن كان يوجه كلامه في الماهر إلى مخاطب آخر منفصل عنه ، ويخلع عليه أحليسه وانفعالاته وهو آمن من ظهور مكنوناته ، فالمتلقي لا يلبه بهذا الانفصال الطاهري ، ويكشف عن مكنونات المبدع من خلال استبطان النص وإدراك مراميه . عن طريق التجريد يستطيع المبدع أن يعبر عن مشاعره وأمنياته ومطامعه بحرية " (٢).

ويتخذ الضمير في التجريد المحض أشكالاً مختلفة في خطابه للغير ، وقصده حديث المتكلم ، ما يجتهد - من خلال بنية النص الشعري الداخلية والخارجية - بتحقيق في صور مخالفة تعبيرية مختلفة أبرزها :

أ - حديث المتكلم — ضمير المخاطب .

مثل قول إبراهيم بن كنيف النبهاني :

تَفَرَّ فُلِي الصَّبْرُ بِالْحَزْ أَجْزَلُ وَلَيْمَ غَلَى زَيْبُ الزُّفَانِ مَغُولُ (الطويل)

يدعو الشاعر إلى التصبر والتجمل في الصبر بالرجل الكريم أحسن من التشنع فيما لا يحسن الخضوع فيه وله ، موجها خطابه إلى الآخر وهو يريد نفسه ، وكان أصل الكلام أن يأتي على ضمير المتكلم لا للمخاطب ، ولكنه لجأ إلى الحوار التجريدي للتغلب عن كل المشاعر الغفيرة مع الاحتفاظ للذات بمظاهر الاعتداد والتجمل ، وقد فطن المرزوقي إلى ذلك فصر عنه بالقول " الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق التسلية " (٣).

ومثله قول عبيد بن مارية :

أَلَا حَسْبِي لَيْلِي وَأَطْلَابِي وَزَمَلِي زَيْبِي وَأَجْبَانِي (المتقارب)

(١) ابن الأثير : فليس يسافر ١٦٠ / ٢٠ ، ومفسر : الطويل : ٧٢ / ٣٠ .
(٢) دافسة البحري : محاولات الفنية في شلاعة العربية ، ص ٣١٣ .
(٣) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (٧٠) ، (٢٥٨ / ١) .

حين يشير إلى موضع التجريد فيه بالقول : " يخلط نفسه مظهراً للتجلد ، ومتجماً بأن الشدائد لا تسميه الأوبة ولا تحمله عن التسليم عليها ، والوقوف على منازلها ومساكنها ، ولنه متى ملي بها أمله لمرها تد مما كل جبل ، ولم يله عنها ؛ فيقول : سلم على هذه المرأة وعلى نيلها ، وعلى رمل ربا والجبال المحيطة بها ، وإن طرقت من الحوائث ما يشغل عن مثله " (١).

ومنها التعليق على أبيات مويك المزمومة يرثي امرأته :

فَسَرَّزْ عَلَى الْجَنَّتِ الَّذِي حُلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَامِ لَعْنَتُهَا لَوْ شِئْنَعُ
تُسَيِّ خَالَتِ وَقَلَّتْ جِدُّ قُرُوقِهَا بَعْدَ نَعْرِ بِهِ الشُّجَاعِ فَيَنْزِعُ
صَلَّى عَنَّاكَ اللَّهُ مِنْ مَقْعَدِهِ إِذَا لَا يَلْبَسُكَ الْمَنَافَاتُ الْبَلْفُ

" يخلط نفسه ويبحثها على زيارة المقفودة والتسليم عليها ، قضاء لحقها ، وتجديداً للعهد بها . نقل : أمر على القبر الذي دفنت فيه ، وسلم عليها إن كفت تسمع . وهذا توجع وتلفف ... وهذه الأبيات عليه فيما بحث به المفجوع نفسه " (٢).

وكذلك على قول شاعر الحماسة :

إِذَا فَتَسْتُ لَا تُسَلِّمُكَ عَنْ مَنْ تَسُوْدُهُ تَسَاءُ وَلَا تُشَلِّمُكَ طَسُوسُ ثَلَاثِ
فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ خَشَانَةٌ لَعْنَتِي نَفْسِي أَنْتَ بِفَرَقِي

" يحلف نفسه متوجماً لها ، ومستوحشاً من الحالة التي مضى بها ، فيقول : إذا لم تستوفق مع من تحب التباعد عنه ، ولقد اتس ما تنفسي منه ، ليرثك ملوا دونه . ولم يقرب شفاك من الداء فيه طول الاجتماع معه ، واتصال التردد منه . والمريض في العرف والعامة إذا اشتكى من دواء عولج به نقل إلى ما يضره . فإن لم يخن سلم لعنه ، فكذلك أنت إذا لم تنفك فيما تقسمه لا التقي ولا التلني ، فما ذاك إلا غرام ، وما أنت فيه إلا مستعير حشنة ، وهي روح القلب ، ورمق من حياة النفس وقد أنتت بالمفارقة . والمهجة : خلاصة النفس ؛ ومنه لمن لمهجان " (٣).

ومثله قول عبد الله بن النعمية :

أَلَا يَسَا صَنَعَهَا تُجِدُ مَثِي هَجَتْ مِنْ تُجِدُ تُؤَدُّ زَائِلِي مَضَرَّكِ وَجِدَا خَلَّى وَجِدِ
أَنَّ هَتَلَتْ وَزَلَّاءَ لِي زَوَالِي الضُّحَى عَلَى فَنِي غَضُ الثُّبَاتِ مِنْ الزُّلْجِ
يَكْنِيَتْ قَمَا يَنْبِكِي الْوَالِدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدَا وَأَيْتَيْتِ السُّوِي لَمْ تُخْنِ تَبْدِي

" قوله : أن هتنت ، يخلط نفسه ميكتاً فيقول : الآن صاحبت حمامة وركاء في أول الضحى واقعة على حصن خضر من شجر الرند بكيت بكاء الصبي إذا أعياه مطلوبه ، وأظهرت العجز عما حملته . وعهد الناس بك فيما مضى من أيامك ولم تزل ثابت التدم فيما يتوبك ، دأب الصبر على بلواك ، إن هذا منكر " (٤).

(١) العزولي : شرح ديوان العملة : معلقة (١٦٢) ، (١ / ٦٠٤) .

(٢) نفسه : معلقة (٣٠٥) ، (١٠٢ / ١٠٢) .

(٣) نفسه : معلقة (٥٠٢) ، (١٢٩٨ / ٢) .

(٤) نفسه : معلقة (٥٠٣) ، (١٢٩٨ / ٢) ، (١٢٩٩ / ٢) .

مثل قول آخر، ويقال إنها لتلطف شراً :

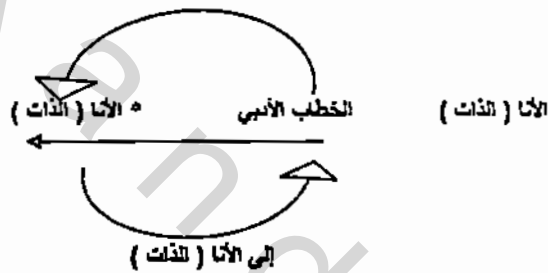
(الطويل) إذا غَاطَ غَيْبُهُ غَزَى النُّومَ لَمْ يَزَلْ لَيْلَةً عَالِيَةً مِنْ قَلْبٍ شَنِخَانٍ فَاتِيَةٍ^(١)

نجد المرزوقي قد أشار إلى ما في البيت من تجريد محض وإن لم يسمه بقوله : " يقول : إذا نام النومة التي أشار إليها لم يزل له رقيب وحلفظ من قلب رجل جلد في الأمور ، مفاجئ عريض ، وهذا الرجل هو هو . لكنه يريد إذا نام عينه لا ينالم قلبه " (٢) .

النوع الثاني : التجريد غير المحض :

وهو " خطاب نفسك لا تخبرك ، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كليهما شيء واحد ، لملاقة احدهم بالآخر " (٣) .

حديث الأنا (الذات)



وقد اعتبر أبو علي الفارسي هذا النوع من التجريد عادة من عادات العرب وسنتها، فقرأه يقول : " إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كلما فيه كنهه حقيقته ومحصوله ، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردا من الإنسان كنهه غيره ، وهو هو بعينه ... وعلى هذا النمط كون الإنسان يخطب نفسه • حتى كنهه يقول غيره " (٤) .

وقد نعت ابن الأثير هذا النوع من التجريد بـ " نصف تجريد " ، وذلك بقوله : " وبين هذا التسمم والذي قبله فرق ظاهر ، وذلك أولى بأن يسمى تجريدا ، لأن التجريد لائق به ، وهذا هو نصف تجريد • لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئا • وإنما خلطت نفسك بنفسك • كذلك فصلتها عنك • وهي منك " (٥) .

(البسيط) مثل قول أعرابي قتل أخوه لئلا له فتحم إليه لئلا منه ، فلقى السيف وهويقول :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ ثَامِنَاءً وَتَقْرِيرَةً إِخْذِي زَيْدِي أَمْنًا بَيْتِي وَلَمْ تُجْرِدِي
بَلَاغَةً خَلَفَتْ مِنْ قَلْبٍ صَاحِبِهِ هَذَا أَجْبِي جَيْنَ أَدْوَاةَ وَذَا وَلَدِي

(١) انكري شوم النعمب .

(٢) المرزوقي : شرح ديوان الصامة : حاسبة (١٣) ، (٩٧ ، ٩٦ / ١) .

(٣) ابن الأثير : فضل السطر ، ١٦٣ / ٢٠ ، وانظر المولي : الضرائر ، ٧٤ / ٣ .

(٤) نفسه : ١٦٤ / ٢ .

(٥) ابن الأثير : فضل السطر : ١٦٣ / ٢٠ .

بحر الموقف التجريدي عن نهزام الذات تحت شدة المعقلة وآلم الفراق ، مع ما تحمله ذات الشاعر من صراع داخلي بين رغبة في الانتقام وأحاسيس العطف والرحمة ومشاعر الأخوة ، فد " عزلت الصياغة على هذا الوتر ، وركزت على دوال الوحدة والتعاون (إحدى يدي) ، وصحت إلى تهوين الخطب وتقليله بنفي عنصر التمدد أو القصد ، وكثفت الصياغة من دوال الصداقة والتقربة (صلحبه ، أخي ، ولدي) لنفي أي رغبة في الانتقام عن طريق تغليب مشاعر الأخوة والمحبة ، ووضحت الصياغة صق العلاقة بين القتل والمقتول بالحدث عنهما بصيغة المثنى (كلاهما خلف) ، والإشارة إليهما بصيغة القرب (هذا أخي ، وذا ولدي) للتذكير بولجبت التقربة ، ونفي أي تأثير للأحقاد "(1).

وقد عبر المرزولي عن هذا المعنى بالقول : " أي أقول مثلياً بخيري ، ومسلماً لنفسي : جلى على أخي الذي محله مني محل إحدى يدي ، سهواً لا إرادة لمسامتي وخطأ لا عمدًا ... كل واحد من الأخ والوتر والابن المنقود يصلح لأن يرضى به عوضاً من فقدان الآخر ، فإني اقتنت من الأخ منتصفاً للابن فقتنتها جميعاً ، فليبتقي لخي هو على كل حال أقرب وأعود "(2).

ومثله قول شاعر الحماسة :

أَقُولُ لِنَفْسِي جِئْتُ خَلْفَهُ وَأَلْهَى مَقَاتِلُ لَنَا ثَمَّ بَقِي جَوْنُ مَشْغُوقٍ (3)
مَقَاتِلُ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَجَالِي غَضَائِي هَذَا الْغَضَائِي الْمُسْأَلِي (4)

بحث الشاعر نفسه على الثبات والصمود وعمم الجزع والفرار لعمد إلى استخدام صيغة الأمر " مككك " وهو موضوع موضع الفعل الذي عمل فيه ومكتفي به عنه ؛ لتأكيد العزم على الثبات والاستمرار فيه ، وجاء قوله " لما تشقى حين مشفق " على سبيل التقييد ، أي لم تخلفي وقت مخالفة . وإنما طلب من النفس الصبر إلى ذلك الوقت ، لأن من ثبت وقت الجزع إلى انكشاف الحال فيه فقد أعطاهما حقها .

وعبر المرزولي عن هذا بقوله : " ومعنى البيت : إني أثبت نفسي عند ما بيده من زعر الحرب ، ويفجأ من روعة القتال ، فلخاطب نفسي إذا همت بالإحجام ، أو موسس إليها وجوب الاتهزام : الزمي مككك لم تذعري وقت ذعر ... استكثي وتترقب ، وإلزم في تلك الحالة ، تملكي يا نفس واحفظي مككك إلى أن يتبين لك عن أي شيء تتكشف لك ظلمة هذا العارض المتشقق بالبرق " (5).

وكذلك مثله في قول شاعر الحماسة :

وَجِئْتُ بِنَفْسِي لَا يَجْزَا بِمِثْلِي وَقُلْتُ لِنَفْسِي جِئْتُ مَسَاكُ تَلَوْنِي (6)

" يصف ابتذاله نفسه فيما تحناه على حاجة من العشرة إلى بقائها ، وحلولها من القلوب محل ما يضمن بها ، فيوجب صبرتها . يقول : تسخيت بنفس لا يتسخر بمثلها كرمًا وعزَّة ، وشرلاً ولجأة ، وقلت شيئاً لها : استكثي

(1) أسامة البحيري : الحولات الفنية في البلاغة العربية : ص 318 .

(2) المرزولي : شرح ديوان الحماسة : حاشية (16) ، (1 / 207) .

(3) يقول: غود ركه، للمذعور المرتاح، ولرگه، فرخ التمام، وهذا مثق، والتغريد: خرب من السير سريع، ويوصف بمحبها التملع.

(4) والعارض : أسد في المحاب ، وها هنا فرد به الجيش . وجعل التلح مثل التلمن الأسلحة . ويقال تلحق البرق أي تلالا ، وتلحق . والسلي : تظلمة والهمزة .

(5) المرزولي : شرح ديوان الحماسة : حاشية (124) ، (1 / 260) .

واصوري عند استيلاء الرعب عليها ، واختلاف الظنون بها. وهذه إشارة إلى ما لحق النفس في الأول من الانتقاء ، للوهلة العارضة ، والنجعة المروعة " (١).

ومثله قول سلمة الجعفي يرثي أخاه لأمه :

أَقُولُ بِنَفْسِي لِمِي الْخَلَاءِ أَلُومَهَا لَسِبَ الْفَوَلُ مَا هَذَا الشَّجَلُ وَالْمَصِيرُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ لَمَثَ مَا عَثْتُ لَا قِيَا أَجَلِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْفَتْرُ

يبدأ من الوهلة الأولى توجبه اللوم والعتاب إلى نفسه ، على ما تجديه من مظاهر التجلد والصبر بالرغم من حال المصيبة التي يحشها ، حتى صعدت وتيرة اللوم إلى النقد بل والتوبيخ ، لمستخدم الاستفهام في قوله (ما هذا للتجد والصبر ؟) على طريق التقرير والتوبيخ ، واجتماع حرفي الاستفهام والنفي في قوله (ألم تعلمي) يجعل من الاستفهام غير واجب فهو كالنفي ، ونفي النفي إيجاب ، بما يفيد الثبوت والتوكيد ، وقد جعل الشاعر التجريد وسيلة للمواجهة واليوق لعله بخفف مشاعر اللوم والألم ، ويظهر النفس من الضغائن والأحقاد . وقد عبر المرزوقي عن هذا المعنى بالقول : " يقول : اني انتسخت ما أقيمه من الهلع فيمن أصبت به ، حتى أرجمالي نفسي اذا خلوت بها باللوم والتعنيف ، وأقول حل بك الولد . ما الذي يظهر منك من تكلف الحلد وللصبر فيما بليت به . اما علمت اني مدة عيشي لا ألقى اخي وقد حجز بيني وبينه الثرى ، وقوله (ألومها) في موضع الحال ، (ولك الولد) في موضع المفعول لأقول . (وما هذا التجلد) استفهام على طريق التقرير والتوبيخ . وارتفع التجلد على أنه عطف للبيان . وقوله (ألم تعلمي) تقرير فيما هو واجب ، لأن حرف الاستفهام قد ضامه حرف النفي ، والاستفهام غير واجب فهو كالنفي ، ونفي النفي إيجاب " (٢).

ثانيا : التجريد عن طريق الأثوات :

١ - التجريد بحروف مخصوصة : وهي : الباء ، والي ، ومن .

٢ - التجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وسطة حرف ولا كلمة) .

ونود - فيما يلي - أن نتوقف إزاء بعض المواطن التي تتسل فيها كلا من الصورتين في ديوان الحماسة عبر الشروح .

١ - التجريد بواسطة حروف مخصوصة :

وتلك الحروف هي : (الباء) ، (لي) ، و (من) ، وتدخل على ما ينتزع منه الصفة ، كقولهم : لي من فلان صديق حميم ، ولئن لقيت فلانا للثقلين به الأسد ، وقوله تعالى : " فلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد " (فصلت / ٢٨) .

لما التجريد بـ " الباء " فهو على نوعين :

النوع الأول : الباء التجريدية الداخلة على المنزع منه ، " والباء التجريدية تلك ينسبها أن تكون للمصلحة ، ويحتمل كذلك أن تكون للسببية " (٣).

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١١٧) ، (٢٧٢ / ١) .

(٢) نفسه : حماسة (٢٨٥) ، (٢٨٥ / ٢) ، (١٠٨٠ / ٢) .

(٣) اسطر - (شروح الأشخاص) : ٢ / ٣٥٠ .

النوع الثاني: باء المعية، وهي تلك "الباء التجريدية الداخلة في المنتزع بعد دخول الأصلية في المنتزع منه" ^(١)، "أي على المنتزع لا على المنتزع منه كما في القسم الذي قبله" ^(٢) وهي "للملابسة والمصاحبة" ^(٣).

وأما التجريد بـ "في" فهو: "كل ما يكون التجريد فيه بدخول" في "على المنتزع منه، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه" ^(٤).

ولما للتجريد بـ "من" فهو: "كل ما تكون" من "فيه أداة التجريد، وتقيد فيه معنى الابتداء، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه" ^(٥).

ويتمثل الفرض الرئيس في هذا القسم من التجريد تأكيد المبالغة، لأن فيه إشارة إلى ادعاء كمال الموصوف حتى صار بمنزلة هي بحيث كُتبت فيه تلك الصفة منشأ لتفريع أمثلها عنها، وهو ما يقرره ابن مقرب الخزبي بقوله: "وإنما قلنا لإدعاء الكمال، إشارة إلى أن يظهر المبالغة بالانزعاج لا يشترط فيه كونه كاملاً في تلك الصفة في نفس الأمر، بل الإدعاء كلف سواء طلق الواقع أم لا، ووجه دلالة الانزعاج على المبالغة المبنية على ادعاء الكمال ما تقرر في الحقول، من أن الأصل والمنشأ لما هو مثله في غاية القوة حتى صار يفيض بمثالاته، فإذا لُذ وصف باعتبار تلك الصفة من موصوف آخر بها، فهم أنك بالغت في وصفه حتى صيرته في منزلة هي بحيث كُتبت فيه تلك الصفة منشأ لتفريع أمثلها عنها، وإيجلاها عنها، فهي فيه كثرة تفيض بمثالاتها لقوتها، كما تفيض الإثنية عن شعاع الشمس، وكما يفيض الماء عن ماء البحر" ^(٦).

وقد عد ابن الأثير هذا القسم من التجريد - التجريد بواسطة حروف - تشبيهاً مضمراً للأداة، معترفاً على إدراجها ضمن أقسام التجريد، وذلك بقوله: "وأما الأول: وهو قوله: لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر، فإن هذا تشبيه مضمراً للأداة، إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه، وبين ذلك أنك تقول: "لئن لقيت فلاناً لتلقين منه كالأسد، ولئن سألته لتسألن منه كالبحر" وليس هذا بتجريد؛ لأن حقيقة التجريد غير موجودة فيه، وإنما هو تشبيه مضمراً للأداة، ألا ترى أن المنكور: هو كالأسد، وهو كالبحر، وليس ثم شيء مجرد عنه" ^(٧). ولم ينفرد ابن الأثير بتلك النظرة إلى هذا القسم من التجريد، إذ نجد بعض البلاغيين قد صرح بدخول التشبيه في بعض صور هذا القسم، مثل السبكي الذي أدخل بعض صور التجريد بالباء ضمن التشبيه بقوله: "ومنها أن يقصد تشبيه الشيء بغيره ويكون بالباء، كقولهم: لئن سألنا فلاناً لتسألن به البحر" ^(٨)، وكذلك عبد القاهر الجرجاني الذي عد أمثلة التجريد بـ "من" من أبلغ صور التشبيه، وذلك في حديثه عن مراتب التشبيه بالنظر إلى دلالات أنوات التشبيه، بقوله: "ثم نقول: "لئن لقيته لتلقينك منه الأسد"، فتجده قد أفاد هذه المبالغة، لكن في صورة أحسن، وصفة أخص، وذلك أنك تجعله في "كان"، يتوهم أنه الأسد، وتبعله ها هنا يرى منه الأسد على القطع، فيخرج الأمر على حد التوهم إلى حد اليقين" ^(٩).

(١) ابن مقرب الخزبي: مواهب لفتاح (ضمن شروح التلخيص) ٤٠ / ٣٥٠.

(٢) محمد بن عرفة السمرقي: حاشية السمرقي (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البلي العلمي وشركاه، القاهرة، ٢٠٠٤، ٤٠ / ٣٥٠.

(٣) سعد الدين التتارني: شرح قصيد على السطوط، ص ٤٣٦.

(٤) عبد المتعال السعدي: بنية الإيضاح، ٤ / ٣٩.

(٥) نفسه: ٤ / ٣٩.

(٦) ابن مقرب الخزبي: مواهب لفتاح (ضمن شروح التلخيص) ٤٠ / ٣٤٨، ٣٤٩.

(٧) ابن الأثير: المعال المأثور، ٦ / ١٦٥.

(٨) السبكي: عروض الأفراح، ٤٠ / ٣٥٠.

(٩) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٢٥.

ودخول التشبيه - على هذا الشكل - في بعض صور هذا القسم من التجريد لا شك " يسهم في إبراز جانب السالفة في التجريد ، وتعميق الاتصال بين الأصل وبين الصورة المجردة عنه في البنية المسطحة والبنية العميقة للصياغة . بحيث يتم تقاسي التشبيه واتساعها معها كأصلين متصاحبين . وسواء أدخل هذا القسم من التجريد في التشبيه البليغ أم انفصل عنه ، فإن بنيته تتشكل في مستوى مقتضى الظاهر ، وليس فيها عدول عنه ، وتكامل دلالاته من خلال المستوى المسطح للصياغة ، لذلك تتعامل شكله ببناء الأسلوب على خلاف مقتضى الظاهر " (١).

وقد وردت لشكل التجريد عن طريق الألوته، عبر عن صورتها شراح ديوان الحماسة، وإن لم يسموها باسمها، منها:

(أ) الباء :

مثل قول سعد بن نافع :

(الطويل)

أُبْسِمَ صَغَا ذِي الْعَيْلِ خُشْيَ أُرْدُ
فَإِنْ تَغْلِيْبِي تَغْلِيْبِي بِسِي مُرْزَا
وَأُخْطِئَ خُشْيَ يَفْؤِدِ إِيْلِي الْفُسْرِي
خَرِيمَ ثَلَا الْإِغْمَارِ خُشْرُوكَ الْيُسْرِي (٢).

فيكون قد جرد من نفسه شخصا كريما، وهو ما نبه إليه المرزوقي بالقول: " وقوله فإن تغلبيني بصف نفسه بلغة سمع معطاة ، لا يكف عن البذل ، ولا يرد عن الإعطاء والجود ، على تلون الزمان به ، وتغير الأحوال عليه . والمرزا : المصائب في مله كثيرا . وقوله تغلبي بي مرزا ، أي رجلاً مرزاً ، وذلك الرجل هو هو كما يقال : لقيت بزيه الأسد " (٣).

وكتلك ما صرح به المرصفي على كونه تجريدا بالباء في قوله : " (تغلبي بي) الباء التجريدية مثلها في قولك : إن تلقني تلق بي الأسد " (٤).

ومنه قول آخر :

(الطويل)

وَمُسْتَفْجِلٍ بِالْخَرْبِ وَالْمُسْتَعْمِلِ خَطْءُ
وَحَارِزٍ لِمَهْجَا بِأَنْفِيءٍ جَبِيْنٌ شَمُوتُ
تَلْعَا امْتَشِيْرَتْ كُلُّ عَظْمَا مَخَافِزُهُ
مِنْ الْقِسْمِ مِغْذَارٌ تَبِيْعٌ مَقَابِزُهُ
فَأَعْطَى الْبَدِي وَخَطِي السَّيْلُ وَالْمُتَمِّعُ
لَهُ سَفَى صَدَقِي لَأَمْتُهُ أَكَابِزُهُ

" يقال : استعجل بالشئ ، إذا طلب عجلته ولم يصبر إلى وقته وإياه . فيقول : رب امرئ يعجلك في وجه الحرب له ، ونصب للشر بينك وبينه ، فقرأه يرتقي في الإيذاء والمكثفة إلى أعلى درجات القصد ، وحظه في أن يسلم ، لكنه يصور تقيبه ونقص اختياره . أبي لنفسه إلا تعريضها لما يستوخم عاقبته ، ويعجل شره ، فلما هيئت الحرب له وأجيب لي إلتقتها . وإيقاد نقرتها ، إلى مرأته منها ، عجز فيها عن الإيذاء والاستيلاء ، وكل عن مباشرة الورد والصدر ، واستعان فيها برجل ركاب لرواحل المعز ، لنائم المكسر والمختبر ، ضيق العطن والمبرك " ، ثم يصل إلى معنى التجريد ومضمونه وهو " ويضي به نفسه ، وهذا كما يقال : لقيتني لقيت بي قرناً بلساً . ويضي بالقرن نفسه " (٥).

(١) دلائل البحري : تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .
(٢) المرزا : المصائب في مله كثيرا ، وثلاث الفراء ، ويشمل في الغير ، وانشاء لا يشمل إلا في الغير .
(٣) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، حنية (٢٢١) ، (٢١٥ / ٢) ، (٢٦٦) .
(٤) المرصفي : أمروا الحماسة ، ص ٢٠ .
(٥) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، حنية (٢٢١) ، (٢١٥ / ٢) ، (٢٦٦) .

(ب) من :

ومن شواهد التجريد بمن التي ضمنها كتب الشروح بين بفتيها ، ونبه الشراح إلى وجودها، قول تليط شراً:
(المبدع) وذكر أنه لخلف الأحمر، وهو الصحيح :

فَوَدَّاعَ الْبُلْبُلِ مِنْ بَيْتِي إِنْ هُنَّ أَخْبَتِ مَصْعَ عَقْنَتُهُ مَا تُخْصِمُنْ^(١).

يمثل التجريد محاولة للخروج من إطار أحاسيس القلق والتوجس المسيطرة على الذات ، من خلال إعلان مظاهر قوته وجلالته ، واستحكام خلقه وصبره في الشدائد (مصع عقنته ما تحل) ، التي تشد من أزر صاحبها وتبعث الرعب في قلوب الأعداء، فيجرد من نفسه فارساً قويا شديد العقلة والثبات ، وذلك على سبيل المبالغة في كمال صفة الشجاعة عنده والتي بلغ فيها شلوا بحيث يصح أن ينتزع منه شخص آخر مثله في تلك الصفة وهو نفسه ، وهو المعنى نفسه الذي ألمح إليه المرزوقي بقوله: " ويريد : وفي طلب الثار من جهتي ابن أختي هذه صفته ، ويعني به نفسه .

ويجري هذا المجرى قول الشفري :

(الطويل)

هَمَزَتْ وَهَمَزَتْ وَإِبْرَئِيلَ وَأَسْبَلَتْ وَشَمَزَ مِنْ بَيْتِي فَأَرْبَطَ مِنْهُنَّ^(٢).

ومنها قول وقال تليط شراً، وذكر أنه لخلف الأحمر، وهو الصحيح :

(المبدع)

صَلَيْتَ مِنْ بَيْتِي هَمَزْتُ مِنْ بَيْتِي لَا تَنْتَلِ الْعَقْرُ خَتْمِي نَمَلُهَا
بُنْهَلُ الصُّعْدَةِ خَتْمِي إِذَا مَا نَهَلْتُ كَانَ لَهَا بَثَّةٌ غُلُ

" يقول : ابتليت هبل من جهتي برجل كريمة يخرق في العرف مع الأولياء ، ويلتكر مع الأعداء ، لا يفر عن النكابة فيهم ، وعن الإشارة عليهم ما دام لهم ثبات وكان للجزاء عليهم محمل ... وقوله صليت مني هبل يخرق، مثل قوله من قبل : ووراء للتل مني ابن أختي في أن يخرق هو هو لا غيره " ^(٣).

وقول تليط شراً :

(الطويل)

إِذَا خَاصَ عَقْنَتُهُ غَنَى التَّوَجُّعِ لَمْ يَزَلْ لَعْنَةُ خَالِي مِنْ قَتْلِ شُهَدَائِهِ

يقول المرصفي : " (من قلب) من للتجريد مثلها في قولك : رايت منك أمدا " ^(٤).

٢ - التجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وسطة حرف ولا كناية) :

والتجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وسطة حرف ولا كناية) هو : " كل ما يكون التجريد

فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا للقسم لا يدل على التثنية " ^(٥).

(١) المصع : الشديد العقلة الثابت فيها .

(٢) المرزوقي : شوح ديوان المصنعة : حاشية (٢٧٣) ، (٨٢٨ / ١) .

(٣) نفس : حاشية (٢٧٣) ، (٨٣٦ / ٢١) .

(٤) المرصفي : لمرر الصلابة ، ص ٣٩ .

(٥) عد التسملة للصعدي : بغية الإيضاح ، ٤٠ / ١٠ .

مثل قول أبي اللحلم التعلبي :

وَأَضْحَيْتُ أُمُورَ النَّاسِ يَغْتَنِّزُ غَالِيَا بِمَا يَنْقُصُ مِنْهَا وَمَا يَنْفُذُ
جَمِيدٌ بِمَا لَا أَشْتَكِيَنَّ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَنْزَلُ وَلَّى مُنْذِرًا أَنْبَأُ

فجاء التجريد بحذف الأداة على تقدير: يغتنين مني عالماً ، فالعالم المقصود هو المتحدث نفسه ، وهو ههنا الشاعر ذاته ، لحذف أداة التجريد مني ، ودل عليها السياق ، فرى المرزوقي قد انتبه لهذه الصورة بالقول : " قوله (يغتنين عالماً) أي يغتنين مني عالماً ، لأن العالم هو هو ، فحذف مني . والمعنى : إني بشرت الأمور العظيمة ، ولا يست الخطوب الحليفة ، فصرت بطول تجربتي ، واتصال ممارستي ، عالماً من أمور الناس إذا وردت أخبارها على بما يتحلى منها ويحذر ، وما يمتنى منها فيطلب . فلا جرم إني خليق بالألمع عند نوافذ الدهر ولا أخضع ، ولا أرى إنا فلتني أمر أحرر في إثره . وقد ولي ، وأضرب بلدة إحدى كفى بالآخرى ، توجعاً وتلهفاً ، إذا كت وقتاً بأن الأمور بملكها تتغير ، وإن ثلثت بتلقى ، فلا يدرم شيء على حال إلا ريث ما يتسلط عليه انتقال " (١).

فجاء حذف الأداة - مني - لادعائه كمال صفة العلم فيه ، وبلوغه شأواً عظيماً بحيث يصح أن ينتزع منه شخصاً آخر مثله في تلك الصفة ، أي جرد من نفسه عالماً آخر لكمال صفة العلم فيه .

ثالثاً : التجريد بطريق الكناية :

" وهو ما يكون منزولاً فيه على المعنى المجرد بطريق الكناية التي هي أن يعبر بالملزوم ويراد اللازم مع صحة إرادة الأصل " (٢).

وتعد الكناية عن الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح " أصلاً من أصول للفصاحة ، وشرطاً من شروط البلاغة " (٣).

ويُلبع الملتقي دوراً هاماً في تحليل دوال ذلك الأسلوب - إن صححت التسمية - الكناني التجريدي ، فهو يقوم بفراغ العلاقة التي تجمع بين المكني به والمكني عنه ، " وعنصر القصد من جذب المرسل هو الذي يرجع مجزوة للمستوى السطحي للأسلوب الكناني ، ويحول المستقبل - بواسطة النسيج الثقافي المشترك بين طرفي الاتصال - إلى المستوى العميق الذي يدرك من خلاله لازم المعنى ، وعرض المرسل من استعمال بنية الكناية ، وقيام التصورات الكنائية على أحاسيس وتجارب مشتركة وعلشها طرفاً الاتصال كلاهما ، يسهل عملية التواصل بينهما ، وييسر إحالة المستقبل إلى المعاني التي يريد المرسل توصيلها إليه " (٤).

وقد وردت كثير من صور التجريد عن طريق الكناية في ديوان الحماسة ، استطاع من خلالها الشراح - عبر تعليقاتهم - كشف الثلم عن مضمونها ، وتفكيك الصورة التجريبية وتحويلها إلى صورتها الأولية التي يمكن للمتلقي استشفاف ملامحها ، وسهولة إدراكها والتعاطي معها ، ومن هذه التعليقات :

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، سلسلة (٤١٦) ، (١١٥٠ / ٢) .
(٢) ابن عتيق المغربي : مواهب نتاج (منمن شرح التلخيص) ، ٢٥٤ / ٤٠ .
(٣) ابن مكي الفهلي : من تصلدة ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٤) سلسلة البحري . تحولات النية في البلاغة العربية ، ص ٢٢٧ .

ما ورد على قول قتادة بن مسلمة الحنفي :

(الكامل)

ويعني أشود بن خنيفة في الوطى
فقوم إذا لم يسموا الخبيذ كانوا
فلنن بغيت لأخلفين بغيرة
لبيض فوقي زومهم ثمنوم
في البيض والخلق الدلص نخوم
نحو القسائم أو يسموت كبريم

أراد بالكريم نفسه ، وكـ " وصف نفسه بالكريم هنا ثم بالغ حتى انتزع من نفسه كريما آخر ، ولد دلت قرينة المدحوا على قصد ذلك ؛ لأن المبالغة في المدح أنسب له فيكون تجريداً " (١) ، وهو عينه ما عناه المرزوقي بقوله : " وقوله أو يموت كريم ... ويعني بالكريم نفسه " (٢) .

ومنه قول الطبعة يرثي أخاه من أمه :

(البسيط)

سئل الخليفة من شاء فأفدحه
حسب الخليلين نأى الأرض بينهما
إلى ذوات السرى خصال أنفصال
هذا غلبها وهذا تحتها نال

" وقوله حسب الخليلين نأى الأرض بينهما ، يعني بالخليلين نفسه والمفقود " (٣) .

ومنه قول برج بن مسهر :

(الواسع)

فأنا أن تثنى فسام خرق
إلى وجنهم نازية فداست
من القنات مغلغ غضموم
وهي الغرقوب منها والصميم

" أراد بالخرق نفسه ، وهو الكريم المتخرق بالمعروف " (٤) .

ومنه قول برج بن مسهر :

(الطويل)

سرت من لوى الغروب خشى تجاوت
إلى زحل يزجي العطش غلى الوجى
إلى وذوي من قنات شجوتها
بفأنا فيثلي بالمتام منيبتها
وللطير منها فزنها وجيتها

" قوله إلى رجل ... يعني بالرجل نفسه " (٥) .

(١) قنن ابن يعقوب المغربي (من شرح التلميز) ، ص ٣٥٢ .

(٢) المرزوقي شرح ديوان الحماسة : حماسة (٢٥٨) ، (١ / ٧٧٠) .

(٣) نفسه ، حماسة (٣٠٤) ، (١ / ٩٠٢) .

(٤) النشوة ، السكر ، وانثى ونش وثنى بمعنى سكر ، والمعتق . انتم خلق . والبصوم : هو الكريم للمعصاة ، فله بهضم ماله بل يفرح منه أكثر من الولع به .

(٥) الوحاء : هي للشفة المطبقة للوجنتين ، والثرية . السمية ، والكوس : المشي على ثلاث قوائم ، وقوله فكنست لمعصر الملك ، والمراد لمرادها فكنت ، ولما لا بالصميم المعنى الذي به تقوم ، والخرقوب : صلب صولر خلف الكعبين فوق العقب من الإنسان وبين مفصل الوضوف والساق من دوات الأربع ، والوجى : الشق والخرق ، والمعنى : لما أومر رسم الاصطباح . وانتشى للدمان ، فقام هو إلى بقعة بهد الصفة فخرتها .

(٦) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (٢٨٤) ، (٢ / ١٢٧٣) .

(٧) اللوى : مستقر الرمل ، والسرور : فعل من السر ، وهو الأرض التي لا تست شينا ، وقتة : حوصع ، وشعوبها : حواشيها الشقارة ونولصها .

(٨) الوجي : الحفا ، أي لا ينش عليها ولا يرق بها ، لكنه يديم السير عليها ولا يقبها مع الحفا ولا ينش عليها مما يهلكها ، ويقبها : أي سواها مهزلة .

(٩) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (٧٨١) ، (٢ / ١٧٤٧) .

ومنه قول ابن السلمي : (الطويل)

فَلَمَّا شِيتَ إِذْ بِالْأَمْرِ يُسْمَرُ نَقَلْتُ عَنْهُمْ
عَلَيْهِمْ نَدْبِيْلُ بِالْبَلَدِ نَهَارُهُ
بِزَخْلِي فَتَلَاةُ الدَّرَاجِينَ عَنْهُمْ
وَبِالْأَيْلِ لَا يُخْطِي لَهَا الْقَمَدُ مَنِيْمُ

" وقوله عليها دليل بالبلد فبته يعني به نفسه " (١)

(١) العروولي : شرح ديوان الحماسة - حماسة (٢٥٦) ، (١ / ٧٩٢) .

الختمة

obeikandi.com

الخطمة

بحسن بنا الآن ونحن في ختام رحلتنا مع شروح حملة أبي تمام ، تسلط الضوء على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته النقدية والبلاغية في شروح الحملة ، وهي كالآتي :

- تمثل شروح الحملة إضافة إلى تراث مكتبة الأدب العربي ، بما تتركز به من قنن القول وألوان الكلام ، التي تثرى الجلب للنقد والبلاغي على حد سواء .

- أطرنت مساهمات الشراح القناني والمحدثين - على السواء - وتداولت رؤية وممارسة بسبب اختلاف مذاهبهم ورؤاهم ، وكذلك بسبب تفاوت مستواهم ؛ مما انعكس على طبيعة الشروح ، فجاءت غير متسوية القيمة الفنية ، منها ما هو عالي الطبقة كشرح المرزوقي ، ومنها ما هو متوسط الطبقة كشرح التبريزي ، ومنها الذي تأخرت رتبته مثل الشرح المنسوب إلى ابن فارس ، وكثير من الشروح المتأخرة ، التي نهكت من محن السلقين من الشراح ، واقتصرت على مجرد التلخيص والإيجاز ، دون إضافة تذكر مثل: الشرح المنسوب إلى الألب محمد عبد القادر سعيد الرفاعي ، ...

- استضاء الشراح في تفسيرهم للنصوص ، وتقييمهم لها بأراء من سبقهم من النقاد والبلاغيين ، فاستقوا منهم كثيرا من الأسس والمقاييس النقدية والبلاغية التي مكنتهم من الحكم على النصوص بالاستحسان أو الاستنباح .

- اتعمكت ثقافة الشراح و ما نهيا له من معارف وأخبار ، على فضاء الشرح ، فتمايزت الشروح فيما بينها استيعابا وإبداعا .

- يتسم تعامل الشراح مع النصوص أو فيما بينهم بغير قليل من الحيادية والمصادقية ، وإن لم يخل الشرح معهم من التوظيف لخدمة عرض نقدي بعينه ، حتى ولو أدى ذلك ببعضهم إلى "تزعة من التسلط النقدي الذاتي تتعدى النص إلى الشارح" ، كما فعل الأسود الخندجاني الذي كان يشرح الشعر على نحو يرضي ميولاته للثقة ولو أدى به ذلك إلى "الطمع" و"الشنيع" على الشراح السابقين كالنمري .

- يعتمد الشراح إلى نصوص خارجية يصلونها بالنص الأصل على نحو من الاستشهاد الهالف إلى تعزيز قراءاتهم أو ما يذهبون إليه ، وقد اعتمدوا في ذلك للشعر والمثل والقرآن والحديث ... إلخ .

- وقف كثير من الشراح من تجاوز بعض شعراء الحملة ولجروا لهم على مألوف التوالب التي دأب عليها السلفيون شعراء ونقادا ، موقف من يبارك التجديد ويؤمن بالبدائع ، فزاهم يتصدون للدفاع عنهم ، ولجللون إلى تحمل الأضرار لهم ، مما يوقع كثير منهم في التلؤلؤ إما بحشد ما ينبي عن براعته في الحجاج والمسلجة من القرقرن والشواهد ، وإما بالتعاس أضرار واهية مصطنعة لقممة على الظن والاعتقاد .

- كشف البحث عن إلمام الشراح بأصول المصطلح النقدي والبلاغي ، وفهمهم الواعي لمفهومه ودلالته ، ومتابعتهم لأسلافهم في غالبية تلك المصطلحات .

- اهتم الشراح بقضية اللفظ والمعنى ، ومدى التلازم بينهما ، وشحنوا جل طاقاتهم لتحقيق هذا الانسجام والتوافق ، وفق معايير وأسس ميزوا بها بين الخبيث والطيب من المعنى .

- أثر الشراح مصطلح الأخذ والنقل في تعرضهم لقضية الأخذ الأدبي أو السرقة ، وتسعت نظرتهم إلى مصطلح الأخذ بالموضوعية . فلم يكتفوا بمجرد حصر وتسجيل الإبيات ، بل وقفوا عند تداول المعنى بين شعراء الحملة وغيرهم من الشعراء ، ونظروا إلى المعنى الثاني في إطاره الجديد ، مع ضرورة تفوق الأخذ على المأخوذ منه في التأليف والصياغة ، ليكون أحق بالمعنى من الأول ، كما تعرضوا خلال ذلك على مظاهر تأثير شعراء الحملة في غيرهم من الشعراء ، وتوقفوا عند صور تكرر شعراء الحملة بغيرهم من الشعراء ، وتوضيح مواطن ذلك ، ومواضعه ، وشرحه وتحليله .

- تعامل الشراح مع الروايات المختلفة للنص الأصل على نحو تغلب فيه الممارسة على التنظير . وبقيت ذلك من شارج إلى آخر ، وما اتم به بعض الشراح من الحدة والغلظة في النقد - لاسيما أبي هلال العسكري والمرروقي - في مخالطة الرواة والشراح السابقين ، إلا أن الشراح - ومع ذلك - حفظوا - وعلى غرار أسلافهم - على الأسس العلمية للشرح والنقد .

- لم تتل مسائل علم المعنى ما نالته سائر علوم البلاغة الأخرى من بيان وديع ، من اهتمام الشراح وغايتهم ، إلا أنها - وعلى الرغم من ذلك - تظل كثيرة ومتنوعة ولها حضور في الشروح .

- تعد ظاهرة التقديم والتأخير من من للظواهر البلاغية التي استطاع للشراح أن ينصوا عليها ، ولتعرض لبعض أغراضها بالشرح والتحليل ، ونراهم في كثير من الأحيان يقتصرون على الدراسة النحوية من دون البلاغية ودراساتهم تعود للتركيب النحوي وفهم المعنى الدلالي للإبيات .

- بحث الشراح في التشبيه ودلالته النمسية واللغوية اعتمد على تحليلهم له - في أغلب الأحيان - وإظهار مكوناته وأطرافه وربطه بمناسبة البيت ، والسباق للوارد فيه ، مع التنبيه على مظاهر إجابة الشعراء ، وأشكال إخفاقهم في تحقيق الصورة التشبيهية على الوجه الصحيح .

- فهم الشراح الاستعارة لهما دقيقا ، وإن لم يسموا الأنواع كلها ، وتعمقوا في معانيها ، واعتمدوا على من سبقهم من البلاغيين ، فاعكس ذلك على تعليقاتهم المختلفة حول بعض الصور الاستعارية . وكذلك أحكامهم التي استندوا إليها في تقييد الاستعارة ، فجاءت تحليلاتهم - في الغالب - مقنعة ، جزئية ، إلا أنها - وعلى الرغم من ذلك - تعكس مدى ثقاتهم وجرائهم في التناول والتحليل .

obeikandi.com

ثبت المصادر والمراجع

obeikandi.com

أولاً : المصادر :

- بهاء الدين عبد القادر بن لقمان : الرسالة القادرية ومقصورة لبلى العنبرية ، الناشر المطبع الصخري ، الهند ، ١٢٩٩ هـ .

- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) : تجلبي غرر المعاني عن مثل صور الفوتاني ، والنحلي باقلاوند من جواهر الفوائد في شرح الحامسة ، تحقيق د/علي الفضل حمودان ، مطبوعت مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ببغداد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م ، وهو يقع في مجلدين كبيرين .

- أبو الحسين أحمد أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : تفسير كتاب الحامسة ، تحقيق د/هادي حسن حمودي ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .

- أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي الشهير بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) : شرح ديوان الحامسة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت.

- سيد بن علي المرصفي الأزهر (ت ١٣٤٩ هـ) : أسرار الحامسة ، مطبعة أبي الهول بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ ، ١٩١٢ م .

- أبو عبد الله الحسين بن علي الثمري (ت ٣٨٥ هـ) : معاني أبيات الحامسة ، تحقيق د/عبد الله عبد الرحيم عجيلان ، مطبعة المنلي بمصر ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

- أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) : شرح ديوان الحامسة المنسوب للمعري ، تحقيق د/حسين محمد نقصة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) : شرح ديوان الحامسة ، نشره أحمد أمين ، وصعد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : التنبيه على شرح مشكل أبيات الحامسة ، تحقيق د/سيدة حامد عبد العال ، د/غريد محمد حسن ، إشراف ومراجعة د/حسين نصار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م .

- أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) : وسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحامسة ، حققها وقدم لها د/عبد المجيد الإدراي ، دار حراء للطباعة والنشر بالمنايا ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .

ثانياً : المراجع :

- ابن الأثير الحلبي ، أحمد بن إسماعيل (ت ٧٣٧ هـ) : جواهر الكنز ، تلخيص كنز البراعة في أدوات نوي البراعة ، تحقيق د/محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت .

- د/إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب "تقد للشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري"، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م .

- د/أحمد جمال الصري : شروح الشعر الجاهلي ، على جزئين ، دار المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

- د/أحمد صيرة : شرح المرزوقي النظرية والإجراءات ، للصدوقان للنشر والإعلان ، القاهرة . د ت .

- أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد ، مكتبة الختجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ . ١٩٣٠ م .

- أحمد بن محمد بن أبيب بكر بن خللكان أبو الصلاس شمس الدين (ت ٦٨١ هـ) : وفيت الأعيان وأنساء لباء الزمان ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

- أحمد بن محمد الذُّهلي (كان حيا سنة ١٢١٠ هـ) : الفلاكة والمفلوكون ، تقديم د/زينب محمود الخصيري ، الهيئة العامة لتصور الثقافة ، سلسلة النخلة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، طبعة مصورة عن طبعة مكتبة و طبعة اشعث سنة ١٣٢٢ هـ .

- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) : العقد اللزدي ، تحقيق د/معيد محمد تميمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م .

- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب . وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه ووضع له إعرابه اليوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .

- أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة : البيان والمعاني والبدع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

- د/أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٣ م .

- د/أحمد مطلوب ، ود/كامل حسن البصير : البلاغة والتطبيق ، مطبع دار الكتب ، جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٢ م .

- د/أحمد الوديني : شرح الشعر عند العرب ، من الأصول إلى القرن ١٤ هـ / ٢٠ م "تراسة مفكرونية" ، دار الكتب الجديد المتحدة ، ليبيا ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

- أحمد بن يحيى بن أحمد بن صيرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ) : بغية الملتبس في تاريخ رجل أهل الأندلس ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

- الأثر الزائد : دروس البلاغة العربية ، نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .

- أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ، طنطا ، ٢٠٠٠ م .

- بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) : المصباح في المعاني والبيان والبدیع ، حققه وشرحه ووضع فهرسه د/ حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) : الدررمان في علوم القرآن ، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، د.ت .

- د/يحيى طبقة :

١ - البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٨ م .

٢ - معجم للبلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأتباري (ت ٥٧٧ هـ) : نزهة الألباء في طبقات الأنبياء ، تحقيق د/إبراهيم السمراني ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

- أبو بكر محمد بن الطيب البافلاقي (ت ٤٠٢ هـ) : إعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٧٧ م .

- بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) : عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د.ت .

- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق/محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، م ١-٥ ، ٤ ، ٤ ، ٣ ، ١٩٨٧ م ، ١٩٨٣ م ، ١٩٨٢ م ، ١٩٨٣ م على الترتيب .

- جبور عبد التور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

- جلال الدين عبد الرحمن السبوطي (ت ٩١١ هـ) :

١ - إتمام العرفية لقراء النقلة الجامع لأربعة عشر طما ، ضمن كتّاب : (مفتاح العلوم) ، للسكاكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

٢ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

٣ - شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٩ م .

٤ - المزهري في علوم اللغة وأتواضها ، شرحه وضبطه/محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجلي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ت .

- جمال الدين أبي المحسن يوسف بن ثوري يودي الأتليكي (ت ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م .

- حاجي خليفة : كشف الظنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق /د/محمد الحبيب بن حوجة ، تونس ١٩٦٦ م .

- الحافظ أبو القداء بن كثير النمطي (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق /د/أحمد أبو محم ، وآخرين ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

- د/حامد صالح خلف الربيعي : مقاييس البلاغة بين الأنساء والعلماء ، السعودية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

- ابن أبي الحديد (ت ٥٦٦ هـ) : الفلك الدائر على المثل السائر ، قدم له وحققه وعلق عليه ، د/أحمد الحوفي ، ود/بدي طسقة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت .

- د/حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .

- أبو الحسن علي بن همام الشنتريني (ت ٥٩٢ هـ) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د/إحسان عجلن ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

- الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٥ هـ) : العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده ، تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨١ م .

- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكسب (ت ٢٧١ هـ) : البرهان في وجوه البيان ، تقديم وتحقيق/محمد شرف ، مكتبة الشهاب ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

- الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد ، مكتبة الخفاجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠ م .

- الخطيب القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) : الإيضاح في علوم البلاغة ، للمعني والبيان والبدع - عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفاتيح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني .

- ابن خير الأموي الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) : فهرسة ابن خير الأموي الإشبيلي ، تحقيق/إبراهيم الإيباري ، دار الكتب المصري/دار الكتاب للنشر ، القاهرة/بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

- خير الدين الزركلي . الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م .

- رومان ياكوبسون : قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار تويقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ م .

- الزجاج ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) : إعراب القراء ، المنسوب إليه ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإيباري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، للقاهرة ، سنة ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م .

- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراه (ت ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن ، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر ، د.ت .

- زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) : تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن ، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

- دازكي مبارك : الموازنة بين الشعراء ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .

- ابن الزمكلي ؛ عبد الواحد بن عبد الكريم (ت ٦٥١ هـ) : الدرر المنكشف عن سر الإعجاز ، تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، دار السامون ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

- سعد الدين التفتازاني ؛ مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٢ هـ) : المطول ، مطبعة أحمد كامل ، سنة ١٣٣٠ هـ .

- د/الصعيد عيادة : أبو للملاء اللالك الأندلسي ، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

- ابن مثنى الخفاهي ؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ، الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) : سر الفصلحة ، صححه وعلق عليه/عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م .

- سيوييه ؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) : كنف سيوييه ، تحقيق ونشر عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٧ م .

- العميد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : حاشية السجدة على المطول ، المطبعة العثمانية ، ١٣١٠ هـ .

- الشحات محمد أبو ميثم : دراسات منهجية في علم البديع ، دار خفلي للطباعة والنشر ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

- شمس الدين الذهبي ؛ محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) : تحقيق /شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م .

- الشهاب محمود بن سليمان (ت ٧٢٥ هـ) : حسن التوصل إلى صناعة الترميل ، تحقيق د/أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

- صدر الدين علي بن معصوم المنني (ت ١١٢٠ هـ) : لتوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق/شكر هادي شكر ، الحف الاشرف ، العراق ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٨٦ م .

- صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصلدي (ت ٧٦٤ هـ) :

١ - حلل النحاس في علم البديع ، بتحقيق/سمير حسين حليبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

٢ - الوافي بالوفيات ، اعتناء/هلموت راينر ، دار نشر فرانز شتليز ، فيسباين ، ألمانيا ، ١٣١٨ هـ ، ١٩٦٦ م .

- ضياء الدين بن الأثير ، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) : العمل السائر في أدب الكتب والشاعر ، فقه وحقله وعلق عليه د/أحمد الحرني ، ود/يوني طمعة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م .

- د/أنطاهر أحمد مكى : دراسة في مصادر الألب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م .

- د/أنطاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الترميل للغوي ، الدار المصرية للنشر ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م .

- الطاهر بن عاشور : شرح للمقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا / تونس ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .

- أبو العباس أحمد بن علي الفلشندي (ت ٨٢٠ هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٤ م .

- أبو العباس أحمد بن محمد الكتاسي ، الشهير بلبن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ) : حذوة الاقتباس في نكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، طبع دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م .

- عباس حسن : النحو الوافي : دار المعارف بمصر ، ط ٣ .

- أبو العباس محمد بن يزيد العبرد (ت ٣٨٥ هـ) : الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت .

- عبد الحي بن أحمد بن الصاد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القسي ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

- عبد الرحمن حسن حبيكة المبدائي : البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وقوانينها ، وصور من تطبيقها ،
ببكل جديد من طريف وتليد : دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م .

- د/عبد الرحمن عثمان : مذاهب النقد وقضاياها ، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م .

- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : مقدمة ابن خلدون ، بتحقيق د/علي عبد الواحد والي،
دار نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .

- عبد الرحيم بن أحمد الصاسي (٩٦٣ هـ) : معاهد التصحيح على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ، سنة ١٣٦٧ هـ .

- د/عبد العظيم المطضي : البديع من المعاني والألفاظ ، د. ت . ، ط ٣ ، د. ت .

- د/عبد القادر حسين : فن البديع ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

- عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣ هـ) : خزانة الأدب وللب لسان العرب ، تحقيق وشرح/عبد
السلام محمد هارون ، مكتبة الختجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .

- عبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

١ - أسرار البلاغة ، قراء وعلق عليه محمود محمد شلكر ، دار المنفى ، حدة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٢ - دلائل الإعجاز ، قراء وعلق عليه/محمود محمد شلكر ، دار المنفى ، حدة ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م .

- د/عبد الله عبد الرحيم عصيلان : حملة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل ، مطبعة عيسى البلي الحلبى
وشركاه ، القاهرة ، د. ت .

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسمي المراكشي : للنيل و التكملة لكتابي
الموصل والصلة ، تحقيق / إحسان عباس ، دار للثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) : جنوة المقتبس في تاريخ علماء أهل الأندلس ،
تحقيق/إبراهيم الإبراهيمي ، دار للكتاب المصري/دار الكتاب اللبناني ، القاهرة/بيروت ، ق ١/٢ ، ط ١/٢ ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) : البديع ، نشر/كراتشكوفسكي ، لندن ، ١٩٣٥ م .

- عبد المتعال الصديدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني ، محمد بن
عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور النخعي (ت ٤٢٩ هـ) : وثيقة الدهر في مجلس أهل العصر ، شرح وتحقيق د/مفيد محمد فميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- د/عبد الله عبد العزيز كفاية : النقد الأدبي في المغرب العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٧ م .
- أبو عبد الله محمد بن عمران العزبي (ت ٣٨٤ هـ) : الموشع في مأخذ العلماء على الشعراء ، جمعية نشر الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) : مجاز القرآن ، طبع عليه د/فؤاد سزكين ، ط ٢ ، مطبعة الختجي ، مصر ، ١٩٨١ م .
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاهظ (ت ٢٥٥ هـ) :
- ١ - البيان والتبيين ، تحقيق/عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
 - ٢ - الحيوان ، تحقيق/عبد السلام محمد هارون ، مطبعة البلي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .
- د/العربي حسن درويش : النقد العربي القديم "مقاييس واتجاهاته وكفلياته وأعلامه ومصادره" ، مكتبة البنية المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- د/عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار المعارف مصر ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .
- د/علي الجندي : فن الخناس : بلاغة - أدب - نقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- علي بن الحسن البليخزي (ت ٤٦٧ هـ) : دمية للقصر وعصرة أهل العصر ، تحقيق د/سامي مكي العلي ، مكتبة دار المروية للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .
- علي بن خلف الهذلي (ت ٤١٤ هـ) : المتنور البهقي ، دراسة وتحقيق د/عبد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الهليل ، ط ٢ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ٢٠٠٢ م .
- علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) : إنباه الرواة على إنباه للنحاة ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي / مؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة / بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م .
- أبو الفتح البهنسي (ت ٤٠١ هـ) : ديوانه ، بتحقيق د/ليرة الخطيب ، ولطفي الصقل ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .
- د/فخري محمد أبو عيسى : القضايا الأدبية والفنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة ، دار المعارف بمصر ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م .

- فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) : نهلية الإيجاز في دراية الإعجاز ، دراسة وتحقيق الشيخ/أحمد حجازي السقا ، مكتبة تنقالي ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

- لقواد مذكرين : تاريخ التراث العربي مقنعة ودراسات ، نقله إلى العربية د/محمود فهمي حجازي ، راجع الترجمة د/عزة مصطفى ، د/سعد عبد الرحيم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وزارة التعليم العالي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي (٣٧٠ هـ) : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق/السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .

- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) : الصلة . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- اللغضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) : الوسطة بين المقتني وخصومه ، تحقيق/علي محمد البحوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن معلم (ت ٢٧٦ هـ) :

١ - تلويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣ هـ .

٢ - الشعر والشعراء ، تحقيق/أحمد شاکر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢ م .

- قدامة بن جطر (ت ٤٣٧ هـ) : نقد الشعر ، تحقيق وتعليق د/محمد عبد المنعم حفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دت .

- كحل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية د/عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ط٥ ، ١٩٨٣ م .

- لسان الدين بن الخطيب (ت ٧١٣ هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، حقق لسه ووضع مقدمته وحواشيه / محمد عبد الله غنان ، مكتبة الخالجي بالقاهرة ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ، ط٢ .

- مجدي أحمد توفيق : منهج الإبداع الفني في النقد العربي القديم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٧ م .

- مجدي وهبة ، وكمل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م .

- د/مجيد عبد الحميد ناجي : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ م .

- محمد بن أحمد بن طهظبا الطوي (ت ٢٢ هـ) : عيار الشعر ، تحقيق د/عبد العزيز ناصر المانع ، دار العلوم للنشر ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

القضايا النقدية والبلاغية فهرست المصادر والمراجع

- أبو محمد الأعرجي الملقب بالأسود القندجاني (كان حيا سنة ٤٣٠ هـ) : إصلاح ما علط فيه أبو عبد الله السمرقي (ت ٣٨٥ هـ) في " معاني أبيات الحساسة " ، حنقه وقدم له د/ محمد علي سلطاني ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

- محمد بن الحسن الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) : حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق د/جضر الكندي ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٧٩ م .

- أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع (ت ٣٩٢ هـ) : المنصف للبارق والمروق منه في أخبار سرفقت أبي الطيب المتنبّي ، تحقيق د/محمد يوسف نجم ، الكويت ، ١٩٨٤ م .

- د/محمد زغلول سلام : تاريخ النقد الأبيي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت .

- محمد بن سلام الجمحي (ت ١٣١ هـ) : طبقات فحول الشعراء ، شرح الأستاذ/محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ م .

- محمد بن شلكر الكندي (ت ٧٦٤ هـ) : فوات الوفيات ، تحقيق د/إحسان علي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

- د/محمد عبد المطلب :

١ - نقليات الحدائق في شعر السبعينات ، الهيئة العامة للصور الثقافية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

٢ - قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

- محمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) : حاشية النسائي (ضمن شرح اشتدخيص) ، مطبعة عيسى النفي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د.ت .

- د/محمد علي حسن الصلاري : قضية اللفظ والمعنى ولثراها في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي ، مكتبة رعية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

- محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي : أيام العرب في الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

- د/محمد مصطفى هدارة :

١ - في الفلاحة العربية علم البيان ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

٢ - مشككة السرفقات الأدبية في النقد الأبيي " دراسة تحليلية مقارنة " ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ١٩٥٨ م .

- د/محمد منور : النقد المنهجي عند العرب ، منهج البحث في الأدب واللغة ، مترجم عن الأستاذين لآتسون ومايه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

- د/مصطفى عثمان عبد الرحيم : قيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م .

- د/منصور عبد الرحمن : مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت .

- أبو منصور عبد الملك الثعالبي التميمي (ت ٤٢٩ هـ) : ينمية الدهر في مجلس أهل العصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشافعي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٦ م .

- منقول عبد الجليل : علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .

- التويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الجزء السابع ، ١٣١٧ هـ .

- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : الصناعتين : الكتابة والشعر ، بتحقيق / محمد علي الجبلي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧١ م .

- الوطواط ، رشيد الدين محمد العمري (ت ٥٧٣ هـ) : حقائق السحر في دقائق الشعر ، نقله إلى العربية د/إبراهيم الشواربي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م .

- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) :

١ - معجم الأديباء ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ م .

٢ - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الطوسي البغلي (ت ٧٤٩ هـ) : الطراز " المضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- ابن بطوط المغربي (ت ١١٦٨ هـ) : مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى تبليبي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د.ت .

- أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) : مفاتيح العلوم ، حققه وقدم له وفهرسه د/عبد الحميد هندلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .

- د.يوسف حصين بكار : بناء للتصديفة في النقد العربي القديم ، طبع دار الثقافة، ١٩٧٩ م .

ثالثا : الدوريات :

- د/الهام الموسوي العبد الكوي : مقال بعنوان " العناصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج (٧٩) ، ج (٢) .

- توفيق الزبيدي : مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، عرض ومناقشة : احمد طاهر حسين ، مجلة فصول ، القاهرة ، ترشدا النقدي ، ج٢ (مج ٦ / ع ٢) يناير ، فبراير ، مارس ، ١٩٨٦ م .

- د/محمد أجمل أبوب الإصلاح : إصلاح الإصلاح ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ، م٦٤ / ج٢ / أبريل ١٩٨٩م .

- الهادي الجطلاني : مقال بعنوان " خصائص الشروح العربية على ديوان أبي تمام " ، مجلة فصول ، القاهرة ، ترشدا النقدي ج١ (مج ٦ / ع ١) ١٩٨٥ م .

رابعا : الرسائل العلمية :

- السيد حمدان السيد سط : للتصايا البلاغية والنقدية في شروح القنماء على شعر أبي العلاء ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، قسم اللغة العربية وأدبها ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م .

- عالمة كندري : نثر المنظوم في الأدب العربي ، المنشور البهائي " بمنجا " ، منكرة منقمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، تخصص للشعرية العربية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وأدبها ، جامعة العقيد الحاج لخضر ، بقنة ، الجزائر ، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م .

- عبد الله عبيد شحادة الصوفي : خزائن الأدب من كل فن منتخب ، تقي الدين بن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) ، تحقيق ودراسة ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .

...